



التبيان في تعريف سور القرآن

الدكتور عبدالله خضر حمد
باحث عراقي
الجزء الأول

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع هذا الكتاب من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفًا وتكرما- على البريد الإلكتروني الآتي، وذلك لإرسال الكتاب بأحدث نسخة وبصيغة (word) إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإياكم لما يرضيه برحمته، أمين.

abdulla.khdhir@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
{يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}
[المجادلة : ١١]

الإهداء

إلى زوجتي وشريكة حياتي...

إلى ابنتي الغالية هدى...قرة العين.

تعبيرا عن الوفاء والمحبة...

د. عبدالله خضر

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	
التمهيد : مهاد عام في علوم القرآن	
المحور الأول: مفهوم القرآن والوحي والإعجاز	
أولاً:- تعريف القرآن لغة واصطلاحاً	
ثانياً:- مفهوم الوحي	
ثالثاً:- نزول القرآن	
رابعاً:- مراحل جمع القرآن وترتيبه	
خامساً:- إعجاز القرآن	
المحور الثاني: التعريف بأسماء القرآن والسور، وبيان فضائل القرآن	
أولاً:- أسماء القرآن الكريم وأوصافه	
ثانياً:- أسماء السور	
ثالثاً:- فضائل القرآن الكريم	
الجزء الأول: التعريف بسور القرآن الكريم من "سورة الفاتحة" إلى "سورة فصلت"	
الجزء الثاني: فيتناول التعريف بسور القرآن الكريم من "سورة الشورى" إلى "سورة الناس"	
الخاتمة	
المصادر والمراجع	

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم بحكمته وعلمه، وأعجز الثقيلين الجن والإنس أن يأتوا بمثله، القائل جل شأنه: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ { [الإسراء : ٨٨] } ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أوحى إليه ربه بالقرآن العظيم ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً، القائل: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه"^(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: "ما من الأنبياء نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة"^(٢)، وقال صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"^(٣).

ومما لا شك فيه ان القرآن الكريم كلام الله وهو المعجزة الخالدة والحجة البالغة ؛ لأنه مبرأ من القصور والضعف البشري ، وهو يعلو ولا يُعلى عليه كلام آخر ، تحدى العرب قديماً وحديثاً، وهم أهل الفصاحة واللسان وفرسان البلاغة والبيان فعجزوا عن مجاراته هم وشركاؤهم من الجن ، قال تعالى: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ [الإسراء : ٨٨].

فالقرآن الكريم كتاب تنزلت آياته على البشرية الحائرة، كما تنزل قطرات المزن الصافية على الأرض المجذبة القاحلة، فتحيي مواتها، وتعيد شبابها، وتجدد إهابها، وترجعها رياضاً مزهرة وجنات باهرة. ولقد صنع القرآن المجيد بعقول الناس وقلوبهم الأعاجيب، وحول وجهتهم إلى طريق جديد، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وهداهم إلى صراط العزيز الحميد، ووضع أبصارهم وأيديهم على حقيقة عزهم في الدنيا، ومعقد سعادتهم في الآخرة، ولذلك كان القرآن دستور البشرية الذي لا يبلى، ووردها الذي لا ينسى، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وأعتقد-جزماً- بأن دراسة القرآن الكريم هو من أشرف المطالب والعلوم، وأرفعها وأسناها، لأنه يتعلق بأشرف كتاب سماوي أنزل، ولا شك أن شرف العلم من شرف موضوعه ، ولا يخفى على أحد أن القرآن الكريم أساس العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، وقد جعله سبحانه تبياناً لكل شيء .

فالقرآن الكريم خير كتاب أنزل على أشرف رسول إلى خير أمة أخرجت للناس بأفضل الشرائع وأسمحها وأكملها، وهو كلام الله المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المتلو بالأسنة المحفوظ في الصدور، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس قال تعالى: ﴿وَأِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، أنزله الله تعالى ليكون دستوراً للأمة وهداية للخلق وليكون آية على صدق الرسول -صلى الله عليه وسلم- وبرهاناً ساطعاً على نبوته ورسالته وحجة قاطعة قائمة إلى يوم الدين: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ [الإسراء: ٨٨] أنزل القرآن ليقراه المسلم فيثاب عليه بكل حرف عشر حسنات كما جاء في الحديث^(٤) عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، أنزل القرآن ليتدبر

(١) أبو داود (٤٦٠٤)، وأحمد ١٣١/٤.

(٢) البخاري (٤٦٩٦)، ومسلم (١٥٢).

(٣) أبو داود (١٤٥٢)، والترمذي (٢٩٠٧)، وابن ماجه (٢١١).

(٤) الذي رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

المسلم آياته ويتفكر في معانيه وأوامره فيمتثلها ونواهيه فيجتنبها وليتذكر ما فيه من الوعد والوعيد والثواب والعقاب قال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: ٢٩].

أنزل القرآن ليعلم به المسلم فيحل حلاله ويحرم حرامه ويعمل بمحكمه ويؤمن بمتشابهه، ويتعظ بمواعظه ويعتبر بأمثاله، ويتلوه حق تلاوته فيكون حجة له عند ربه وشفيعاً له يوم القيامة قال -صلى الله عليه وسلم-: «القرآن حجة لك أو عليك»^(١)، وقد تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، قال تعالى: {مَنْ هَدَىٰ فَهِيَ أَتْبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ} [طه: ١٢٣]، وقد سماه الله روحاً لتوقف الحياة الحقيقية عليه، ونواراً لتوقف الهداية عليه قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا} [الشورى: ٥٢].

وانطلاقاً من هذه المسوغات وغيرها تولدت رغبتنا في اختيار هذا البحث الذي يسعى الى التعريف بسور القرآن الكريم من خلال هذه الدراسة التي وسماها بـ(التبيان في تعريف سور القرآن).

وعليه وتبعاً لمقتضيات الموضوع فقد ضمت الدراسة تمهيدا وجزأين اثنين تتلوها خاتمة:

التمهيد: اختص بمهاد عام حول علوم القرآن، ويشمل محورين اثنين:

المحور الأول: مفهوم القرآن والوحي والإعجاز

أولاً:- تعريف القرآن لغة واصطلاحاً

ثانياً:- مفهوم الوحي

ثالثاً:- نزول القرآن

رابعاً:- مراحل جمع القرآن وترتيبه

خامساً:- إعجاز القرآن

المحور الثاني: التعريف بأسماء القرآن والسور، وبيان فضائل القرآن

أولاً:- أسماء القرآن الكريم وأوصافه.

ثانياً:- أسماء السور

ثالثاً:- فضائل القرآن الكريم

الجزء الأول: يتكون من: التعريف بسور القرآن الكريم من "سورة الفاتحة" إلى "سورة فصلت".

وأما الجزء الثاني: فيتناول التعريف بسور القرآن الكريم من "سورة الشورى" إلى "سورة الناس".

الخاتمة: وفيها استظهرنا أهم النتائج التي توصلت إليها البحث.

وأما منهج الدراسة، فقد كان وفق الجوانب الآتية:

أولاً:- فقد قام البحث بذكر مقدمة حول كل سورة من حيث ترتيبها وعدد حروفها وآياتها، والمختلف فيها من الآيات، ومجموع فواصلها.

ثانياً:- بيان أسماء السورة: التوقيفية والاجتهادية-إن وجدت-.

ثالثاً:- ذكر مكان نزول السورة(المكي أو المدني)، مع ذكر الاختلاف والأقوال فيها مستندا بالروايات الموثوقة.

رابعاً:- بيان مناسبة السورة لما قبلها من السور.

الخامس:- سرد مقاصد السورة وما تضمنتها.

السادس:- بيان الناسخ والمنسوخ في السورة-إن وجد-.

السابع: ذكر ما ورد من الآثار في فضائل السورة، وبيان درجة الاحاديث الواردة فيها.

(١) رواه مسلم.

وفي الختام: أسأل الله أن يعلمني ما ينفعني وينفعني بما علمني ويزيدني علماً، وأن يجعل ما أقوم به خالصاً لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

التمهيد: مهاد عام حول علوم القرآن، ويشمل ثلاثة محاور:

المحور الأول: مفهوم القرآن والوحي

أولاً:- تعريف القرآن لغة واصطلاحاً

ثانياً:- مفهوم الوحي

ثالثاً:- نزول القرآن

رابعاً:- مراحل جمع القرآن وترتيبه

خامساً:- إعجاز القرآن

أولاً:- تعريف القرآن لغة واصطلاحاً

اختلف العلماء في تعريف القرآن لغة:

القول الأول: أن كلمة القرآن مهموزة على وزن فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع. قيل: "القرآن على وزن فعلان، كغفران وشكران... وهو مهموز كما في قراءة جمهور القراء، ويقرأ بالتخفيف (قرآن) كما في قراءة ابن كثير"^(١)، قال ابن فارس: "القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، ومنه القرآن كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك"^(٢)، والقرآن سمي بذلك لأنه جمع ثمرات الكتب السابقة، والقرآن "أصله من (القرء) بمعنى: الجمع والضم، يقال: قرأت الماء في الحوض، بمعنى: جمعته فيه، يقال: ما قرأت الناقة جنيناً، أي لم تضمّ رحمها على ولد، وسُمي القرآن قرآناً؛ لأنه يجمع الآيات والسور، ويضم بعضها إلى بعض"^(٣).

القول الثاني: أن كلمة القرآن مشتقة من (قرأ) بمعنى ألقى وأظهر.

وقيل: "القرآن مأخوذ من (قرأ) بمعنى: تلا، وهو مصدر مرادف للقراءة، وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى: [إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قُرْآنُهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] {القيامة: ١٧-١٨}، أي: قراءته، ومنه قول حسان بن ثابت (رضي الله تعالى عنه) في رثاء عثمان بن عفان (رضي الله تعالى عنه):
ضحوا بأشمط^(٤) عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً^(٥)
أي: قراءة"^(٦).

وقال الإمام الشافعي- رحمه الله:- "لفظ القرآن ليس مشتقاً، ولا مهموزاً، وأنه قد ارتجل وجعل علماً للكتاب المنزل، كما أطلق اسم التوراة على كتاب موسى، والإنجيل على كتاب عيسى صلى الله عليهما وسلم"^(٧).

ومما سبق يتضح للباحث أن القرآن لغة فيه أربعة أقوال:

- ١- أنه وضع علماً على كلام الله المنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم).
 - ٢- أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضمته إليه وجمعه.
 - ٣- أنه وصف على وزن فعلان وهو مهموز مشتق من القرء بمعنى الجمع.
 - ٤- أنه مصدر مرادف للقراءة سمي به المقروء من تسمية المفعول بالمصدر.
- والقول الرابع هو أن القرآن مأخوذ من (قرأ) بمعنى: تلا، وهو مصدر مرادف للقراءة يدل على ذلك الآية السابقة: [إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قُرْآنُهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] {القيامة: ١٧-١٨} أي قراءته - وقوله: [وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا] {الإسراء: ٧٨}، أي: قراءة الفجر^(٨).

٢- تعريف القرآن في الاصطلاح:

(١) جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء للدكتور/ عبد القيوم عبد الغفور السندي ص ٨ ، (بدون)

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥ / ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) لسان العرب لابن منظور ١ / ١٢٨ .

(٤) الشمط: في الرَّجُلِ شَيْبُ اللِّحْيَةِ. انظر: لسان العرب، مادة (شمط): ٣٣٥ - ٣٣٦ .

(٥) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ص ١٣٤، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب- بيروت، ط/الأولى ١٩٦٨م.

(٦) لسان العرب لابن منظور ١ / ٢٩ .

(٧) مناقب الشافعي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ١ / ٢٧٦، تحقيق أحمد صقر، مكتبة دار التراث - القاهرة، ط/ ١٩٧١م.

(٨) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ٢ / ٢٩٨، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط/ الثانية ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

إن القرآن الكريم مصدر العلوم وأصل الحقائق الثابتة ومرجع العلماء يرجع إليه الفقهاء والأصوليون لمعرفة الأحكام الشرعية إجمالاً وتفصيلاً ويرجع إليه علماء اللغة لإظهار إعجازه والإفادة من أسلوبه ومعاني كلماته الإفرادية والتركيبية ، ويرجع إليه علماء القراءات لتحقيق هدفهم في معرفة كيفية النطق بألفاظه الكريمة.

ذكر الإمام السيوطي في الإتيان: "أن القرآن كلام الله المنزل، ثم أخذ في تفصيل معنى الكلام وكيفية التنزيل، وعقد بعد ذلك فصلاً في تواتر نقل القرآن وذكر أن الأمة متعبدة بفهم معانيه، وإقامة حدوده، وحروفه على الصفة المتلقاه، ثم ذكر أن القرآن معجز، وأخذ في تفصيل القدر المعجز منه"^(١)، وعليه فيمكن تلخيص كلامه على مقتضى الحد الجامع المانع فيقال: هو كلام الله المنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) بواسطة جبريل، المتواتر، المعجز، المتعبد بتلاوته وتطبيق أحكامه.

وقال الشوكاني^(٢): "القرآن كلام الله تعالى، المنزل على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلًا متواترًا، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه"^(٣)، وهذا التعريف مزيد فيه على ما سبق قوله: "المكتوب في المصاحف" وهذا قيد غير لازم، ولا يشترط في إثبات القرآن أن يكون في المصاحف؛ لأن هذا القيد لا يشمل ما كان محفوظاً في الصدور، والكل يسمى قرآنًا سواء كان مكتوباً أو محفوظاً.

وقيل القرآن: "هو الكلام المعجز، المنزل على النبي (صلى الله عليه وسلم) المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته"^(٤).

وقيل القرآن: "هو كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء، والمرسلين محمد (صلى الله عليه وسلم) بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختتم بسورة الناس، والمتحدى بأقصر سورة منه"^(٥). وقولهم في التعريف: "كلام" جنس يشمل كل كلام، خصص هذا الجنس بالإضافة إلى لفظ الجلالة ليخرج كل كلام سوى كلام الله، بيد أن كلام الله منه ما هو متعبد بتلاوته، ومنه غير ذلك، فتكون نسبة التخصيص هنا نسبية بالنسبة لما سوى كلام الله، والكلام صفة لله قائمة به، أثبتنا ربنا عز وجل لنفسه، بدون تشبيه ولا تكليف ولا تعطيل، وعُرف القرآن في العقيدة الطحاوية بأنه: "كلام الله، منه بدء، بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر"^(٦).

وهذا التعريف فيه زيادة تفصيل في جانب، وخلا من قيود مهمة في جانب آخر، فمثلاً قوله: "بالحقيقة": إما أن تكون صفة كاشفة، أو تأكيداً معنوياً وعلى كلا التقديرين دخولها في التعريف معيب، كما يلاحظ الباحث أن هذا التعريف خلا من وصف القرآن بالمعجز؛ فهل الإعجاز صفة مختصة بكلام الله؟ وهل

(١) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ١٥٨/١-١٧٠، بتصرف.

(٢) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الإمام العلامة الرباني، ولد في هجرة شوكان سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف من الهجرة، تولى منصب قاضي قضاة القطر اليماني، وكان نابذاً للتقليد داعياً للاجتهاد، صاحب التصانيف، توفي عام خمسين ومائتين وألف، انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني ٢٠٧/٢، دار المعرفة- بيروت، (بدون). والأعلام للزركلي ٦/ ٢٩٨.

(٣) إرشاد الفحول، محمد بن علي الشوكاني ٨٦/١، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، ط/الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م (بتصرف بسيط).

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني ١٥/١.

(٥) نفحات من علوم القرآن، محمد أحمد معبد ص ١٣، مكتبة طيبة- المدينة المنورة، ط/ الأولى ١٩٨٦م.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ٢٥٤/١، القاضي علي بن علي أبي العز الدمشقي، تحقيق عبدالله عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط/ الثانية ١٤٢٠هـ.

في الحديث القدسي أو النبوي شيء من الإعجاز فتدخل في التعريف؟ على كلا الأمرين سيخرج غير القرآن من التعريف بقولهم: "المتعبد بتلاوته" أي: بإقامة حروفه وألفاظه، وبأنه لا يجزئ في الصلاة غيره. وعُرِّفَ كذلك بأنه: "كلام الله تعالى المنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) للبيان، والإعجاز، المجموع بين دفتي المصحف، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر"^(١). نستنتج مما سبق أن كل التعريفات تدور في الجملة حول معنى واحد غير أن في بعضها زيادة قيود، وإسهاب، والأصل في الحدود أن تكون جامعة مانعة، وعليه فإن الباحث يرى أن التعريف المختار هو: أن القرآن كلام الله المنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) لفظاً، للبيان، والتحدي، والإعجاز، المتعبد بتلاوته، وبأحكامه، المنقول بالتواتر.

ثانياً:- مفهوم الوحي

الوحي لغة: مصدر وحيْتُ، وأوحيت وحيّاً، ومعناه: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخطي، وكل ما ألقته إلى غيرك^(١). والإعلام بسرعة وخفاء والإلهام الفطري للإنسان، والإلهام الغريزي للحيوان، ووسوس الشيطان ووحى الله إلى ملائكته.

قال في "المصباح": الوحي الإشارة، والكتابة، وكل ما ألقته إلى غيرك ليُعلمه وحي كيف كان قاله ابن فارس وهو مصدر وحي إليه يحي من باب وعد وأوحى إليه بالألف مثله، وجمعه وحيّ، والأصل فُعول مثل فلوس وبعض العرب يقول وحيته إليه ووحيت له، وأوحيت إليه وله ثم غلب استعمال الوحي فيما يُلقى إلى الأنبياء من عند الله تعالى ولغة القرآن الفاشية أوحى بالألف والوحا السرعة وحيّ مثل سريع وزناً ومعنى، فعيل بمعنى فاعل، وذكاةً وحيّة أي سريعة أيضاً ويقال وحيته الذبيحة أحيها من باب وعد أيضاً ذبحتها ذبحاً وحيّاً، ووحى الدواء الموت توحية عجله، وأوحاه بالألف مثله، واستوحيت فلاناً استصرخته^(٢).

وقال في "الأساس": وحي إليه، وأوحى إليه بمعنى، ووحيت إليه، وأوحيت إذا كلمته بما تخفيه عن غيره، وأوحى الله إلى أنبيائه. {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} [النحل: ٦٨].

وقال الراغب: أصل الوحي: الإشارة السريعة، وتضمن السرعة قيل: "أمر وحي" وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وقد حُمِلَ على ذلك قوله تعالى عن زكريا: {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً} [مريم: ١١].

وعليه فإن المعنى المستفاد من مادة الكلمة يشتمل على السرعة والخفاء ولو نظرنا لما استخدم هذه الأيام من وسائل الاتصال الحديثة فإن فيها السرعة والخفاء، وسترى ذلك واضحاً في معنى الوحي في نظر العلم.

في العلم: وهو ما توصل إليه علماء الصناعة من اكتشافات، وما فيه من الدقة، وما اكتشف من معلومات حول النمل والنحل والمخلوقات. فمن ذلك:

- ١- التنويم المغناطيسي .
- ٢- الهاتف واللاسلكي، والراديو، والفاكس، والإنترنت وغيرها.
- ٣- التسجيلات الإلكترونية على أشرطة التسجيل وأسطواناته فتنتقل صوت الغائب والميت وهكذا.
- ٤- أعمال النمل، والنحل وحشرات الأكسيكلوب وما فيه من الدقة والإتقان.

(١) اللآلئ الحسان في علوم القرآن ص ٩، د/ موسى شاهين لاشين، مطبعة الفجر الجديد، (بدون).

(١) دار الفكر-بيروت، ١٩٧٢م، مادة (وحي).

(٢) أحمد بن محمد بن علي الفيومي المصري، المصباح المنير، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م، ص ٢٥٠.

٥- العبقرية :ويعرفها أفلاطون بأنها حال إلهية مولدة للإلهامات العلوية للبشر. ويقرر الفلاسفة بأنها حال علوية لا شأن للعقل بها. ويقول عباد الطبيعة بأنها هبة من الطبيعة نفسها لا تحصلها دراسة، ولا يوجدتها تفكير.

٦- الحالات الروحانية التي يفتح على الإنسان بها بما لا مقدور له عليه٣. في العقل: ما جرى للنبي محمد-صلى الله عليه وسلم- وما أخبر به. ويشهد له المعجزات التي أظهرها أو خبّر بها. وقد اعترف العقلاء بما أخبر به في زمانه وبعده، وما زال العقل مستسلماً. والعقل هو مناط التكليف.

الوحي في الاصطلاح الشرعي:

هو إعلام الله نبياً من أنبيائه أو رسولاً من رسله ما يشاء من كلام أو معنى بطريقة تفيد النبي أو الرسول العلم اليقيني القاطع بما أعلمه الله به، على وجه الخفية والسرعة^(٤). وهذا ما يسمى بالناموس وهو الوسيلة للإعلام الرباني لإبلاغ خلقه من البشر والمتمثل بملك الوحي جبريل عليه السلام^(٥). أو أن يُعلم الله تعالى مصطفاه من عباده بما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، بطريقة سرية سريعة غير معتادة للبشر^(٦).

أو إعلام الله تعالى النبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه^(٧). أو عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت. والفرق بينه وبين الإلهام وجدان تستيقنه النفس، وتنساق إلى ما يطلب من غير شعور منها من أين أتى، وهو أشبه بوجودان الجوع والعطش والحزن والسرور^(٨).

أجناس الوحي وأنواعه وصوره

تكرر وورود كلمة الوحي في القرآن الكريم كثيراً فبلغ ثمانياً وسبعين مرة٩. وفي جملتها احتوت ستة معان لغوية واليك توضيحها ببيان الأجناس أولاً:

فالجنس الأول للوحي هو ما كان ظاهراً جلياً كالقرآن الكريم. والثاني ما كان خفياً كالسنة النبوية. فالقرآن وحي متلو، والسنة وحي غير متلو. فمن ذلك:

- ١- الأوامر الإلهية للملائكة: كقوله تعالى: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال : ١٢].
- ٢- تبليغ الملائكة للأنبياء: ومنه تبليغ الآيات إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بواسطة ملك الوحي جبريل عليه السلام الموكل بالوحي كما ورد في قوله سبحانه: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} [النجم : ٣-٤]، وهذان الجنس من أعلى وأعظم درجات الوحي ويليهما:
- ٣- الإلهام الفطري للإنسان: كالوحي لأم موسى، والوحي للحواريين كما ورد في الآيات التالية: قوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَكَأَنَّكَ تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [القصص : ٧]، وفي قوله تعالى: {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [المائدة : ١١١].

(١) مناهل العرفان، محمد عبدالعظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج١، ص٦٣-٧٣.
(٢) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط٣، دار القلم، دمشق، ٤٠٣/١٩٨٣م، ص٥٢٨ بتصرف فقد قدمت النبي على الرسول لسبق النبوة للرسالة .

(٣) المصدر السابق.

(٤) مناهل العرفان، محمد عبدالعظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج١، ص٦٣.

(٥) ذكره محمد رشيد رضا بأنه تعريف أستاذه للوحي. الوحي المحمدي، ص٤٥.

(١) الوحي المحمدي، ص٤٥.

(٢) محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر- بيروت، ١٩٧٢م.

- ٤- الإلهام الغريزي للحيوان: كما جاء في قوله تعالى: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ} [النحل : ٦٨].
- ٥- الإشارة السريعة برمز أو إيماء: كما ورد رمزاً قوله تعالى: {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} [مريم : ١١]، فقد ذكر ابن كثير أن زكريا أشار إلى قومه إشارة سريعة ولم يتكلم^(١١)، وأما الإيماء فمثاله قول الشاعر:
- نظرت إليها نظرةً فتحيرت ... دقائق فكري في بديع صفاتها
فأوحى إليها الطرف أنني أحبها ... فأثر ذاك الوحي في وجناتها
- ٦- الوسواس الشيطانية: كقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} [الأنعام : ١١٢]. وقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [الحج : ٥٢]، وقوله تعالى: {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ} [الأنعام : ١٢١].
- وقيل: منه وحي الإنسان إلى الإنسان على سبيل الإسرار والخفاء سواء بالكلام المباشر أو بواسطة الآلات الحديثة كالهاتف، والجهاز النقال (الخلوي)، والرمز بالشفيرة، والمورس، والرادار وأمثالها فإن ذلك كله يشمل السرعة والخفاء. ولكن هناك فروق بين الوحي السماوي والوحي البشري سألينها عند الحديث عن العلاقات بين أنواع الوحي فيما يلحق.

أنواع الوحي الإلهي:

درج معظم من كتب عن الوحي على صور الوحي وتعدادها دون تمييز بين النوع والصورة، فقد أطلقوا على كل منهما صورة. لكني أرى أن هناك فرقاً دقيقاً بينهما. فمنها ما هو صورة ومنها ما هو نوع. ولا بُدَّ من معرفة الجنس والنوع والصورة (فرد من أفراد الأخص وتسمى جزءاً) فالجنس أعم، والنوع أخص، والصورة مثال فالملائكة مثلاً جنس، والحيوان جنس، والجن جنس، والإنسان نوع من الحيوان، والدواب نوع من الحيوان، والصورة مثال لفردٍ من أفراد ذلك الجنس أو النوع فهي أكثر خصوصية. وعليه فإن الوحي جنس ونوع وصورة. فأجناسه اثنان، وأنواعه ثلاثة، وصوره أكثر من ذلك. وقد كشف، قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [الشورى : ٥١]، أن أنواع الوحي متنوعة، فهذا ما يخص البشر دون غيره. فيتنوع الوحي بتنوع الموحى إليهم. وأما الصور فهي تنوع المثال في طريقة الوحي للنوع الواحد. فيمكن القول: بأن الوحي منه ظاهر، وخفي. ومنه متلو، وغير متلو؛ فالقرآن متلو، والسنة غير متلوة.

وإذا قلنا بالتعميم فإن أنواع الوحي هي:

- ١- الإلهام الفطري للإنسان. يقذفه الله تعالى في قلب مصطفىه على وجه من العلم الضروري.
- ٢- الإلهام الغريزي للحيوان.
- ٣- والإشارة السريعة من الإنسان.
- ٤- الوحي النفسي^(١٤).
- ٥- والتبليغ بطرقه المختلفة مناماً ويقظة.

وأما صور الوحي الإلهي إلى نبينا- صلى الله عليه وسلم- فهي:

- ١- الرؤيا الصادقة.
- ٢- ما يلقيه الملك في روعه.
- ٣- أن يسمع كصلصلة الجرس.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠٢/٥١٤٠١/١٩٨١م، ٢م، ص ٤٤٤.

(١) وقد تكلم عليه محمد رشيد رضا في كتابه الوحي المحمدي بما لا مزيد عليه.

- ٤- مثل دوي النحل .
- ٥- الملك بصورته الملائكية .
- ٦- الملك بصورة بشرية معروفة.
- ٧- الملك بصورة بشرية غير معروفة .
- ٨- أن يأتيه الملك مناماً.
- ٩- التكليم الإلهي يقظة (خلاف النوم). كقوله تعالى: (وكلم الله موسى تكليماً) ١٥ .

ومن أدلته النقلية :

قول الله تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} [النجم : ٣-٤]، وقوله سبحانه: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلَ (٤٤) {لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) {ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} [الحاقة : ٤٤-٤٦].

ومن الحديث:

ما ورد عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فيما رواه البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام سأل رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس- وهو أشده علي- فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال . وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول" (١٨) .
وقد روى الحديث أيضاً الربيع بن حبيب عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن عائشة رضي الله عنها (١٩)

الفرق بين الوحي والإلهام

من المعلوم عند المسلمين أن الوحي الذي هو أساس الأحكام قسمان: متلو وهو القرآن الكريم، وغير متلو وهو السنة النبوية الشريفة، وأما الإلهام فهو نوع من أنواع الوحي لكنه لا تنبئ عليه الأحكام الشرعية وإليك بيان ذلك.

إن القرآن الكريم هو الأساس الذي بني عليه دين الإسلام، فهو المعجزة الخالدة، به نزل جبريل عليه السلام على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغه الناس، وكونه أساس حجية الأحكام عند المسلمين أمر مسلم لا يحتاج إلى تبیین .

وأما السنة النبوية الشريفة وأنها من أسس حجية الأحكام فتدل عليه الأدلة التالية:

- ١- ثبوت عصمة النبي صلى الله عليه وسلم في التبليغ عن ربه في الكتاب والسنة.
- ٢- تقرير الله تمسك الصحابة بالسنة، في عصره صلى الله عليه وسلم (٢٠).
- ٣- الكتاب الكريم لقوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الأعراف : ١٥٨].
- ٤- السنة الشريفة نفسها كإخباره- صلى الله عليه وسلم -وهو المعصوم من الكذب -بأنه قد أوحى إليه القرآن وغيره؛ وأن ما بينه وشرعه-من الأحكام-فإنما هو؛ بتشريع الله تعالى ومن عنده؛ وليس من عنده صلى الله عليه وسلم .
- ٥- تعذر العمل بالقرآن وحده، إذ لا بد أن تبينه السنة.

(١) سورة النساء: آية ١٦٤ .

(٢) البخاري حديث رقم (٢)، وطرفه رواية بلفظ آخر، رقم (٣٢١٥).

(٣) الجامع الصحيح(مسند الربيع بن حبيب)، ضبط وتخريج محمد إدريس، مراجعة وتقديم عاشور بن يوسف، دار الحكمة، بيروت، ومكتبة الاستقامة، سلطنة عمان، ط١٤١٥هـ/١٩٩٥م، حديث رقم ٢، واللفظ الأول للبخاري حديث رقم (٢).

(١) أنظر حجية السنة، عبدالغني عبدالخالق، (من منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي)، ط١، دار القرآن الكريم: بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص ٢٨٢ وما بعدها.

- ٦- السنة نفسها فإن منها ما يقصد به تشريع الأحكام ومنها ما لا يقصد به ذلك.
 - ٧- الإجماع^(١).
- وأما بالنسبة للإلهام فإنه وإن كان نوعاً من أنواع الوحي فليس له حجة في بناء الأحكام عليه . وذلك لعدة أمور :
- ١- لم نجد في كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ما يشير إلى أنه حجة.
 - ٢- لم يرد عن سلف الأمة الصالح من اعتمده حجة.
 - ٣- إجماع أمة الإسلام على عدم حجيته.
 - ٤- لو قبل الناس الإلهام حجة لفتح باب لا يمكن إغلاقه لأن الكمال في الناس مستحيل، كما أن دعوى الإلهام دعوى واسعة تفتح باب الكذب والتزوير .
 - ٥- قبول الإلهام يفتح باباً للشيطان على الناس.
- وهكذا فإن الإلهام ليس حجة في بناء الأحكام عليه، لكن إذا صح الإلهام مع عدم المخالفة للشرع فقد يستفاد منه في بعض الهدايات والله أعلم .

(٢) مختصراً من كتاب حجة السنة، عبدالغني عبدالخالق، ص ٢٤٣-٣٨٢.

ثالثاً:- نزول القرآن

معنى نزول القرآن من حيث اللغة :

يطلق الإنزال على معنيين :-

أحدهما : الهبوط من علو : يقال : نزل فلان من الجبل ، ومنه قوله تعالى : { أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةً } [الرعد: ١٧].

الثاني : الحلول : يقال : (نزل فلان بالمدينة) حلَّ بها (١) . ومنه قوله تعالى : { وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ } [الرعد: ٢٩] .

وكلا المعنيين يشعر بالمكانية والجسمية فلا مجال لتحقيقهما في كلام الله ووحيه فالتعبير إذن هو من قبيل المجاز ولا يمكن حمله على الحقيقة وقد ذهب العلماء إلى أن إنزال القرآن فيها توجيهان :

أ- أن يقصد من إنزال القرآن إنزال حامله وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام .

ب- أن يقصد من الإنزال لازمة وهو الإعلام فمعنى إنزال القرآن على النبي -صلى الله عليه وسلم- إيصاله إليه وإعلامه به .

واختير لفظ الإنزال أيضاً لحكمة عظيمة وهي بيان شرف هذا القرآن وعلو منزلته وأنه من العالم العلوي ومن هنا اختيرت لفظة الإنزال على لفظة الإعلام والإيصال قال تعالى : { وَيَالْحَقُّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ } (٢) .

تنزيلات القرآن الكريم :

قال تعالى : { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ } (٣) .

وقال أيضاً : { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ } (٤) . وقال : { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ } [الإسراء: ١٠٦] . لا تعارض بين هذه الآيات الثلاث ، فالليلة المباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان، وإنما يتعارض ظاهر هذه الآيات مع الواقع العملي في حياة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حيث نزل القرآن في نيف وعشرين سنة .

والرأي الراجح هو مذهب ابن عباس وعليه جمهور العلماء :

أن المراد بنزول القرآن في تلك الآيات الثلاث نزوله جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك منجماً مفرقاً على الرسول -صلى الله عليه وسلم- في نيف وعشرين سنة .

ومن الأخبار التي استند إليها أصحاب هذا المذهب :

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة" ثم قرأ : { وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا } [الفرقان: ٣٣] ، { وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا } (٥) .

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي -صلى الله عليه وسلم- ."

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا وكان بمواقع النجوم ، وكان الله ينزله على رسوله -صلى الله عليه وسلم- بعضه في إثر بعض" .

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى سماء الدنيا جملة واحدة ثم أنزل نجوماً" (١) .

(١) المعجم الوسيط - د. إبراهيم أنيس - ٩٥١/٢ .

(٢) سورة الإسراء : ١٠٥ . والكلام مأخوذ بتصرف من كتاب إتيان البرهان - ص ١٤٦ وما بعدها .

(٣) سورة البقرة : ١٨٤ .

(٤) سورة القدر : ١ .

(٥) سورة الإسراء : ١٠٦ .

والراجح أن القرآن الكريم له تنزلان :-

الأول : نزوله جملة واحدة في ليلة القدر إلى بيت العزة من السماء الدنيا .

الثاني : نزوله من السماء الدنيا إلى الأرض مفزاً منجماً في نيف وعشرين سنة (٢) .

الحكمة من تنجيم القرآن :

إن لتنجيم القرآن الكريم حكم، نذكر منها:

الحكمة الأولى : تثبيت فؤاد النبي -صلى الله عليه وسلم- وذلك من خلال الآتي :-

أ- أن في تجدد الوحي ، وتكرار نزوله من جانب الحق إلى رسوله -صلى الله عليه وسلم- يملأ قلب الرسول الكريم سروراً ، ويشعر بالعناية الإلهية .

ب- أن في التنجيم تيسيراً عليه من الله في حفظه وفهمه ومعرفة أحكامه وحكمه .

ج- أن هذا التنزيل فيه نوع من الإعجاز ، حيث تحدى كفار قريش في كل مرة أن يأتوا بمثل هذا التنزيل – ولا شك أن هذه المعجزة تقوي أزر

الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- .

د- أن في هذا النزول دحض شبهات كفار قريش ورداً على أسئلتهم ، وتسليية للرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- وتأييداً له .

الحكمة الثانية : التدرج في تربية هذه الأمة علماء وعملاً:

وذلك عن طريق تيسير حفظ القرآن على الأمة العربية ، وتسهيل فهمه عليهم ، والتمهيد لكامل تخليهم عن عقائدهم الباطلة ، وعباداتهم الفاسدة ، وعاداتها المرذولة ، وكذلك التمهيد لتحليلهم بالعقيدة الحقة ، والعبادة الصحيحة ، والأخلاق الفاضلة ، والعادات الحسنة ، أيضاً تثبيت قلوب المؤمنين وتسلحهم بعزيمة الصبر واليقين ، بسبب ما كان يقصه القرآن عليهم من حين لآخر بقصص الأنبياء والمرسلين ، وما وعد الله به عباده الصالحين من النصر والتأييد والأجر ، والتدمير والهلاك للمخالفين .

الحكمة الثالثة : مسامرة الحوادث :

إذ نزل من القرآن الكريم إجابة لمن كان يسأله ، سواء كانت تلك الأسئلة لغرض التثبيت من رسالته كما قال – تعالى – في جواب سؤال أعدائه {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً...} (٣) وأيضاً مجارة للأقضية والوقائع في حينها ، ببيان حكم الله فيها عند حدوث وقوعها ، مثل ما جاء في سورة النور مخبراً عن حديث الإفك {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (٤) كذلك نزل من القرآن الكريم ما يلفت أنظار المسلمين ، ويصحح أغلاطهم ، مثال ذلك قوله تعالى : {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثُرَتْكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ} (٥) .

الحكمة الرابعة : تفضيل القرآن الكريم على غيره من الكتب السماوية :

لقد جمع الله له النزولين : النزول جملة واحدة ، والنزول مفزاً وبذلك شارك الكتب السماوية في الأولى ، وانفرد في الفضل بالثانية ، وهذا يعود بالتفضيل لنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- على سائر إخوانه من الأنبياء – عليهم السلام – وإن الله جمع له من الخصائص ما لغيره ، وزاد عليها ، وكذلك تفخيم لشأن هذه الأمة التي أنزل عليها القرآن الكريم بأنها خير أمة أخرجت للناس (٦) .

(١) وهذه المرويات عن ابن عباس بعضها برواية الحاكم ورواية الطبراني وأخرى برواية النسائي .

(٢) مباحث في علوم القرآن – مناع القطان – ص ١٠٤ .

(٣) الإتيان للسيوطي /١ ص ٤٢ ، ٤٣ ، مناهل العرفان للزرقاني ٥٣/١ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) الإتيان للسيوطي /١ ص ٤٢ ، ٤٣ ، مناهل العرفان – للزرقاني ٥٣/١ .

(٦) المرجع السابق .

نزول القرآن على المصطفى عليه الصلاة والسلام

أولاً: نزوله جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا والحكمة منه

فقد أنزل الله تبارك وتعالى القرآن جملة واحدة في شهر رمضان المبارك فقال تعالى: { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ } [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ } [القدر: ١]، وقال تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ } [الدخان: ٣]، ولا تعارض بين هذه الآيات الثلاث لأن الليلة المباركة هي ليلة القدر، وليلة القدر في شهر رمضان المبارك، إنما يتعارض ظاهرها مع الآيات الأخرى التي تفيد بأن القرآن نزل مفزاً مثل قوله تعالى: { وَفَرَأْنَا فَرَقَانَهُ لِنَفِّرَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا } [الإسراء: ١٠٦]، ويتعارض كذلك مع الواقع العملي لنزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم^(١). فمنها:

(١) ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، فكان الله إذا أراد أن يوحى منه شيئاً أوحاه أو أن يحدث منه في الأرض شيئاً أحدثه"^(٢).

(٢) وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ }، قال: « أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا وكان بمواقع النجوم وكان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه في إثر بعض، قال: وقالوا: { لَوْ لَأُنزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُتَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا }^(٣).

(٣) وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال "أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة، { وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا }، { وَفَرَأْنَا فَرَقَانَهُ لِنَفِّرَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا }"^(٤).

(٤) وأخرجه ابن أبي حاتم^(٥) من هذا الوجه وفي آخره: فكان المشركون إذا أحدثوا شيئاً أحدث الله لهم جواباً^(٦).

(٥) وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "فُصِّلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ فَوْضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَجَعَلَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَيُرْتَلُهُ تَرْتِيلًا"^(٧).

(٦) وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم فرق في السنين ثم تلا هذه الآية: { قُلْ أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ }، قال: نزل متفرقاً

(١) انظر مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٨٦.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير ٢ / ٢٢٢، وقال عقبه هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وانظر الروايات في الدر المنثور ١ / ٤٥٦، ٤٥٧.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير ٢ / ٢٢٢، وقال عقبه هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والآية رقم ٣٢ من سورة الفرقان.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير ٢ / ٢٢٢، وقال عقبه هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وانظر الإتيقان ١ / ١١٧، والآية ١٠٦ من سورة الإسراء.

(٥) ترجمت في هذه الرسالة للأعلام غير المشهورين والمعروفين ترجمة مختصرة، وابن أبي حاتم هو عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي، أبو محمد حافظ للحديث، من كبار المحدثين، له كتب كثيرة منها كتاب في الجرح والتعديل، وكتاب في التفسير يقع في عدة مجلدات وزع على طلاب جامعة أم القرى لتحقيقها في مرحلتها الماجستير والدكتوراه، الأعلام للزركلي ٣ / ٣٢٤.

(٦) انظر الإتيقان ١ / ١١٧.

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير ٢ / ٢٢٢، وقال عقبه هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وانظر الإتيقان ١ / ١١٧، وقال السيوطي في الإتيقان: أسانيدنا كلها صحيحة.

"(١)

(٧) وما رواه ابن عباس أنه قال: " أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى السماء جملة واحدة ثم أنزل نجومًا"(٢).

(٨) وما رواه ابن عباس في قوله: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ } [القدر: ١] أنه قال: « أنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا، ونزله جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم بجواب كلام العباد وأعمالهم"(٣).

(٩) وما روي عن ابن عباس أنه سأله عطية بن الأسود فقال: أوقع في قلبي الشك قوله تعالى: { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ } [البقرة: ١٨٥]، وقوله: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ } [القدر: ١]، وهذا أنزل في شوال، وفي ذي القعدة، وفي ذي الحجة، وفي محرم، وفي صفر، وشهر ربيع فقال ابن عباس: إنه أنزل في رمضان في ليلة القدر جملة واحدة ثم أنزل على مواقع النجوم رسلاً "(٤) في الشهور والأيام(٥).

وبنظرة عامة للأثار السابقة يتضح لنا أن للقرآن الكريم نزولين، وهذا يدل على أن القرآن نزل في رمضان وفي غيره، وعلى أن القرآن الكريم نزل جملة واحدة ونزل مفرقًا، وأن المراد بنزوله في ليلة واحدة في شهر رمضان هو نزوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا كما جاءت بذلك الآثار السابقة التي ذكرناها، وأن المراد بنزوله مفرقًا هو نزوله من بيت العزة من السماء الدنيا على المصطفى -صلى الله عليه وسلم- حسب الوقائع والحوادث وغير ذلك، وإليكم مذاهب العلماء في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة ثم نزوله من بيت العزة على المصطفى -عليه الصلاة والسلام(٦)- المذهب الأول:-

مذهب جمهور العلماء وهو قول ابن عباس أن القرآن الكريم نزل جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك منجمًا على نبيينا محمد -صلى الله عليه وسلم- في عشرين سنة، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، على حسب الخلاف في مدة إقامته -صلى الله عليه وسلم- بمكة بعد البعثة، وهذا هو المذهب الذي دلت عليه الأخبار الصحيحة وعليه جمهور العلماء، ورجحه ابن حجر حيث قال في شرح البخاري: وهو الصحيح المعتمد(٧) وهو القول الذي ينبغي أن نصير إليه جمعًا بين الأدلة الموجودة في هذا الباب، وقد ورد عن ابن عباس بطرق متعددة، وحكمه حكم المرفوع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- لأنه لا مجال للرأي فيه.
المذهب الثاني:

أنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر من عشرين سنة، وقيل في ثلاث وعشرين ليلة قدر من ثلاث وعشرين سنة، وقيل في خمس وعشرين ليلة قدر من خمس وعشرين سنة، في كل ليلة منها ما يقدر

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب التفسیر، باب تفسیر سورة الواقعة ٤ / ٤٧٧ وقال عقبه هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وفيه ضعف، وبقيّة رجاله ثقات ٧ / ١٤٠، وقال السيوطي: إسناده لا بأس به الإتيان ١ / ١١٧.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني والبخاري باختصار، ورجال البزار رجال الصحيح وفي إسناده الطبراني عمرو بن عبد الغفار وهو ضعيف.

(٤) رَسَلًا: أي فرقًا وعلى مواقع النجوم أي على مثل مساقطها، يريد أنه أنزل مفرقًا يتلو بعضه بعضًا على نُودَة ورفق، انظر الإتيان ١ / ١١٧، ١١٨، النهاية في غريب الحديث ٢ / ٢٢٢.

(٥) انظر الإتيان ١ / ١١٧.

(٦) انظر التذكار في أفضل الأذكار ٤، ٢٥.

(٧) الإتيان ١ / ١١٧، ١١٨، البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٢٨، وانظر كلام ابن حجر في فتح الباري، كتاب فضائل القرآن باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل ٩ / ٤.

الله سبحانه إنزاله في كل السنة، ثم ينزل بعد ذلك منجماً في جميع السنة على رسول الله -صلى الله عليه وسلم.

المذهب الثالث:

أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجماً في أوقات مختلفة من سائر الأوقات وبه قال الشعبي^(١).

الحكمة من نزول القرآن جملة:

١- تفخيم شأن القرآن وشأن من سينزل إليه، وذلك بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم قد قربناه إليها لننزله عليها، وهي الأمة الإسلامية، وفي هذا تنويه بشأن المنزل والمنزل عليه، والمنزل إليهم وهم بنو آدم ففيه تعظيم شأنهم عند الملائكة وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم^(٢) ثم إن وضعه في مكان يسمى بيت العزة يدل على إغزازه وتكريمه.

ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجماً بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين.

٢- تفضيل القرآن الكريم على غيره من الكتب السماوية السابقة وذلك بإنزاله مرتين، مرة جملة ومرة مفراً بخلاف الكتب السماوية السابقة فقد كانت تنزل جملة مرة واحدة، وبذلك شارك القرآن الكتب السماوية في الأولى وانفرد في الفضل عليها بالثانية، وهذا يعود بالتفضيل لنبيينا محمد -صلى الله عليه وسلم- على سائر الأنبياء السابقين^(٣).

ثانياً: نزوله مفراً على النبي -صلى الله عليه وسلم-

ثانياً : نزوله مفراً على النبي صلى الله عليه وسلم : دل القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة أن القرآن الكريم كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم مفراً إلى أجزاء كل جزء منها يسمى نجماً ، فقد صح أن الآيات العشر المتضمنة لقصة الإفك نزلت جملة ، وأن عشر آيات من أول سورة المؤمنين نزلت جملة ، وورد أيضاً أنه نزل قوله تعالى : { وَالضُّحَىٰ } { وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَىٰ } [الضحى: ١-٢] إلى قوله: { وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ } [الضحى: ٥] ثم نزل باقي السورة بعد ذلك ، وبالجملة فكون القرآن لم ينزل جملة وإنما نزل مفراً حسب الوقائع والحوادث مما لم ينازع فيه أحد

وقد اختص القرآن الكريم من بين الكتب السماوية بأنه نزل مفراً كما دل على ذلك القرآن والسنة: {وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} [الإسراء: ١٠٦]، وقوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا} [الفرقان: ٣٢]، وكما ذكر العلماء في نزول القرآن الكريم أن أول ما نزل { اقرأ باسم ربك الذي خلق } (اقرأ: ١) ، أما الكتب السماوية السابقة فإنها نزلت جملة واحدة كما هو المشهور بين العلماء وعلى ألسنتهم حتى كاد يكون إجماعاً لما ذكرناه ولما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : « قالت اليهود : يا أبا القاسم لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى فنزلت»^(٤). وأخرجه من وجه آخر بلفظ: "قال المشركون"، قال السيوطي: "فإن قلت : ليس في القرآن التصريح بذلك، وإنما هو على تقدير ثبوت قول الكفار، قلت : سكوته تعالى عن الرد عليهم في ذلك وعدوله إلى بيان حكمته دليل على صحته،

(١) الإتيان ١ / ١١٧ ، ١١٨ ، البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٢٨ ، والشعبي هو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري، أبو عمرو، راوية من التابعين، يضرب المثل بحفظه، من رجال الحديث الثقات، الأعلام ٣ / ٢٥١ .

(٢) انظر: البرهان ١ / ٢٣١ ، ٢٣٠ ، الإتيان ١ / ١١٩ نقلًا عن أبي شامة في المرشد العزيز، البيان في مباحث من علوم القرآن ص ٥٢ ، ٥٣ ، مناهل العرفان ١ / ٤٦ ، ٤٧ ، المدخل لدراسة القرآن الكريم ٥٢ ، ٥٣ .

(٣) انظر المراجع السابقة.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١٥١٢٧): ص ٢٦٨٩/٨ .

ولو كانت الكتب كلها نزلت مفرقة لكان يكفي في الرد عليهم أن يقول : إن ذلك سنة الله في الكتب التي أنزلها على الرسل السابقين^(١).

ثم ذكر بعض الآثار والأحاديث التي تفيد بأن التوراة نزلت جملة ومنها ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ثابت بن الحجاج^(٢) قال جاءتهم التوراة جملة واحدة، فكبر عليهم، فأبوا أن يأخذوها حتى ظلل الله عليهم الجبل فأخذوها عند ذلك^(٣).

ولقد استخدمت كلمة "التنزيل" في القرآن الكريم خمس عشر مرة ويرى الباحثون في علوم القرآن والمفسرون أن المراد في ستة منها هو القرآن الكريم، فيما جاءت الاستخدامات الأخرى لهذه الكلمة على نحو يُلامس القرآن، ولكن لا على النحو الذي يُفهم بأنه اسم له، وإنما جاءت على نمط يبين طبيعة هذا الكتاب الإلهي، وغالباً ما وردت إلى جانب كلمة "القرآن" وتسمياته الأخر وتحمّل حالة الوصف له. كما في سورة الإنسان التي تتحدّث عن الإنسان وكيفية خلقه وحياته وموقفه من الهداية، وما إلى ذلك، ومصير سلوكه وأعماله التي تمثّل تجسيدا عينياً للإيثار والسمو، وهي بالنتيجة بمثابة لوحة لهذا السلوك. وقال بعد بيان طبيعة مواقف الإنسان ومصير أعماله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا} [الإنسان: ٢٣].

نتأمل هنا قليلاً في كيفية معنى "التنزيل" وتحدّث عن كيفية مجيئه اسماً أو صفة للقرآن.

التنزيل في اللغة

التنزيل مصدر باب تفعيل من مادّة (نزل) ويدلّ على الانتقال من أعلى إلى أسفل.. عند القول بنزول الشيء من أعلى إلى أسفل، يتداعى إلى الأذهان عند ذكر هذه الكلمة ترجل الراكب من مركبه، ويُذكر أيضاً بقدم الضيف؛ لأنه يكون قبل الدخول قد نزل من مركب.

وقال ابن فارس: (ن. ز. ل) كلمة صحيحة تدلّ على هبوط شيء ووقوعه. يقولون: نزل عن دابّته، نزل المطر من السماء، وما إلى ذلك^(٤)، والنزول من نزل ينزل نزولاً ونزلة وتنزيراً ويراد به الانحدار والانحطاط من أعلى إلى أسفل، كما يقال: نزل عن دابّته، وكقوله تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لَهُ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢٢]، والمُنزَل: بضم الميم وفتح الزاي الإنزال، والمُنزَل موضع النزول، وتقول: نزل بهم الأمر إذا حلّ بهم، والنزّل: ما هبّ للضيف لينزل عليه، والنزِيل: الضيف، والنزال في الحرب: أن يتنازل الفريقان عن دوابهما للقتال، وقيل: أن يتقابلا^(٥)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): "ليس في القرآن ولا في السنة لفظ النزول إلا وفيه معنى النزول المعروف وهذا هو اللانق بالقرآن، فإنه نزل بلغة العرب، ولا تعرف العرب نزولاً إلا بهذا المعنى"^(٦).

إذن إن النزول الذي يقابل الصعود والعروج يستخدم في المحسوسات تارة، وفي الأمور وفي الأمور الاعتبارية تارة أخرى. أحياناً إذا هبط جسم من نقطة علياً إلى مكان أدنى فنحن نسمي ذلك نزولاً، ونطلق هذه التسمية أحياناً على التدنّي من موقع أعلى إلى موقع أسفل. وأخيراً، تستخدم هذه الكلمة في الأمور الحقيقية غير المحسوسة. وهكذا الحال بالنسبة إلى نزول القرآن من لدن الله تعالى على قلب الرسول

(١) الإتيان في علوم القرآن: ١٢٢/١.

(٢) ثابت بن الحجاج الكلابي الجزري الرقي، من أتباع التابعين، روى عن الصحابة، تهذيب التهذيب ٢: ٤.

(٣) انظر الإتيان للسيوطي ١/ ١٢٢، ١٢٣.

(٤) معجم مقاييس اللغة ٥: ٤١٧، وأيضاً انظر: العين ٧: ٣٤٧؛ لسان العرب ١٤: ١١١.

(٥) لسان العرب (١١/ ٦٥٩- ٦٦٠)، والقاموس المحيط (٣/ ٦٢٤)، ومختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (١/ ٢٧٣).

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥٧/١٢) جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، طبعة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

. والحقيقة هي أنّ القرآن تنزّل من مقام العلم الإلهي إلى مرحلة الألفاظ والمفاهيم البشرية، ليكون مفهوماً لدى الناس.

وهكذا عندما يوصف القرآن بهذه الكلمة فذلك يدلّ على نزوله من مكانة عليا ومن موضع سامق، لهداية الناس وإرشادهم وتوعيتهم.

ونزول القرآن في الاصطلاح: يراد به: " نزول جبريل عليه السلام بكلام الله عز وجل على النبي -صلى الله عليه وسلم- وإسماعه إياه " كما سمعه من الله سبحانه وتعالى^(١).

وبذلك فإن كلمة (التنزيل) تحمل دلالة على أن القرآن نزل من مكانة رفيعة وسامية لهداية الناس. وقد وردت كلمة (التنزيل) لأول مرة في سورة (يس) التي تقع في المرتبة الواحدة والأربعين من حيث ترتيب النزول، وجاءت كوصف للقرآن: {يس * وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ} (يس: ١-٥)، فالصياغة العامة لسورة (يس) تصب في سياق تبين وإرساء الأصول الثلاثة (التوحيد، والنبوة، والمعاد)، حيث تبدأ بالحديث عن النبوة وطبيعة هذه الشريعة الإلهية ووحداية هذا الكتاب الإلهي، وتستمر في الحديث عن التوحيد، ثم المعاد وبعده عودة على الموضوعات المذكورة، ثم النتيجة، وما شابه ذلك^(٢).

ومن مجموع الاستخدامات الأربعة عشرة للتنزيل، قالوا: إنّ خمسة منها جاءت في الأسماء والأوصاف التي أطلقت على القرآن. وعند التدقيق في الآيات وكيفية استخدامها يتسنى القول بأنّ تلك الاستخدامات لا تنحصر في المواضع التالية: الشعراء [١٩٢]، فصلّت ٤٢، الواقعة ٥٦، الحاقة ٦٩]، بل نرى أنّ الاستخدامات الأربعة عشرة برمتها جاءت في وصف القرآن، وفي بعض الحالات جاءت مسبوقة بكلمة القرآن (الجائية ٢ و ...) ويظهر أنّ التنزيل وصف له، ويدلّ سياق الكلام على أنّ المراد هو كتاب الله، و (التنزيل) وصف له. وعلى هذا الأساس، فقد استخدمت كلمة (التنزيل) للمرة الثانية في سورة (طه) التي تحتل المرتبة الخامسة والأربعين في نزول السور، وهي من السور المكية: {طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى * تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى}.

وجاءت هذه الكلمة للمرة الثالثة في السورة التي تحتل المرتبة السابعة والأربعين في نزول السور القرآنية، وهي سورة الشعراء، حيث ذهب الباحثون القرآنيون إلى أنّ هذه الكلمة استخدمت هنا كتسمية للقرآن. وإذا تقبلنا هذا الرأي تكون سورة الشعراء أول سورة من حيث النزول، وردت فيها كلمة (التنزيل) اسماً للقرآن أو وصفاً له. وعلى أية حال، فإنّ الغرض العام الذي تهدف إليه هذه السورة هو بيان المكانة الرفيعة لكتاب الله، والتأكيد على أنّه وحي نازل من الله، وفيها تسليّة للرسول وتثبيت لفؤاده في مقابل تكذيب قومه له، إذ سردت هذه السورة قصص جمع من الأنبياء، وكيفية مواجهة الكفار والمشركين لهم على مرّ التاريخ، وكيف كانت عاقبة أمرهم، ثمّ عادت الآيات الأخيرة منها إلى استرجاع ما كان قد جاء في الآيات الأولى مؤكدة أنّ هذا القرآن تنزيل من ربّ العالمين. نزل به الروح الأمين ... [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٣]. إذ عبّرت هذه الآيات ونظائرها عن نزول القرآن باسم (التنزيل) وصيغة التفعيل دلالة على الكثرة. وفي ضوء ذلك، قال البعض: إنّ كثرة نزول القرآن إمّا هي بلحاظ تعدد الآيات، وإمّا إنّها بلحاظ كثرة مراتب النزول. نتأمل فيما يلي ولو لبرهة وجيزة في معنى كلمة التنزيل وكيفية اقترانها بالإنزال.

الفرق بين الإنزال والتنزيل

استخدمت الآيات الشريفة كلمات أخر لبيان كيفية نزول القرآن، منها كلمة (أنزل)، وكلمة (نزل)، وعلى صيغة إفعال وردت كلمة (إنزال)، وعلى صيغة التفعيل جاءت كلمة (التنزيل). وهذا التنوع في استخدام الألفاظ المتعددة لموضوع واحد، دفع الباحثين والمفسرين إلى التساؤل عن وجود أو عدم وجود

(١) المنقّى في علوم القرآن، د. طه عابدين طه (٧٠/٢) دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، السعودية، ط٢، ١٤٢٩هـ.
(٢) الميزان في تفسير القرآن ١٧: ٦٢.

فارق بين الإنزال والتنزيل، وبالنتيجة هل يتحدث هذان النوعان من الآيات عن نوعين من النزول، أم ليس هناك فارق بينهما، وكلا الصيغتين تؤيدان المعنى نفسه؟ ومن جملة أقدم مصادر العلوم القرآنية التي أشارت إلى هذا الفارق، هو كتاب مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: «الفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة، أنّ التنزيل يختص بالموضوع الذي يشير إليه إنزاله مُفَرَّقًا مرةً بعد مرةً.... إنّنا أنزلناه في ليلة القدر»، إنا أنزلناه في ليلة مباركة، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن... خصّ لفظ الإنزال دون التنزيل في الآيات السابقة لما روي "أنّ القرآن نزل دفعة واحدة إلى السماء الدنيا، ثمّ نزل نجماً نجماً" طيلة مدة الرسالة^(١).

إنّ ما ذكره الراغب آنفاً في الفرق بين الإنزال والتنزيل، ألقى بظلاله بشكل واسع على البحوث القرآنية وآراء المفسرين من بعده^(٢) مع فارق أنّ القدماء غالباً ما كانوا يوضحون الفارق بين هاتين الكلمتين بالقول: الإنزال يدلّ على النزول جملةً والتنزيل يدلّ على النزول التدريجي، وبذلك حذفوا قيد أشملية صيغة الإنزال.

وقد ذكر جار الله الزمخشري لسبب ما هذا الاختلاف بين كلمتي الإنزال والتنزيل على النحو التالي: أثار الزمخشري في ذيل الآية الشريفة {نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ} السؤال التالي: «فإن قلت: لم قيل: (نزل الكتاب) و (أنزل التوراة والإنجيل)؟ قلت: لأنّ القرآن نزل مُجَمَّعًا ونزل الكتابان جملة^(٣)».

وقد نسج على هذا المنوال المفسرون الآخرون في ذيل هذه الآيات والآيات الأخر المتعلقة بهذا الموضوع ويبدو أنّ البعض اعتقد بأنّ استخدام كلمة التنزيل جاء بسبب كثرة نزول آيات القرآن في مقابل التوراة والإنجيل، ويعزى ذلك إلى أنّ نزول القرآن جاء تدريجياً، وبالنتيجة فقد كان نزوله كثيراً، خلافاً للتوراة والإنجيل اللذين نزلا دفعة واحدة^(٤).

نظرية العلامة الطباطبائي في تعدد النزول القرآني

وبحث العلامة الطباطبائي هذا الموضوع أيضاً. فكتب في المرة الأولى عند تفسيره الآية (١٨٥) من سورة البقرة {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ...} ما يلي: «الفرق بين الإنزال والتنزيل هو أنّ الإنزال دفعي، والتنزيل يدلّ على التدرج^(٥)».

وكتب في المرة الثانية عند تفسيره الآية الثانية من سورة آل عمران: «التنزيل يدلّ على التدرج، والإنزال يبيّن النزول الدفعي^(٦)».

ولكنه كتب عند تفسيره الآية (١٩٢) من سورة الشعراء {وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ}: «التنزيل والإنزال بمعنى واحد، غير أنّ الغالب على باب الأفعال الدفعة، وعلى باب التفعيل التدرج^(٧)».

وكتب أخيراً عند تفسيره سورة القدر: «الإنزال الظاهر في اعتبار الدفعة، دون التنزيل الظاهر في التدرج^(٨)».

(١) مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٧٩٩ - ٨٨٠، للاطلاع على الرواية موضع الاستشهاد والروايات المشابهة راجع: الدر المنثور، الجزء ٦.

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز ٢: ٤٩ و ٥: ٣٩؛ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٤: ١٦٤.

(٣) الكشّاف ١: ٥٢٦، مكتبة العبيكان، ١٤١٨.

(٤) راجع على سبيل المثال: الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١: ٤١٢؛ الجامع لأحكام القرآن ٢: ٢٩٧ و ٤: ٥؛ روح المعاني ٣: ١٢٣؛ التفسير الكبير ٣: ١٣٠، معالم التنزيل ١: ٢٧٧، زاد المسير ١: ٣٤٩؛ تفسير العامل ٢: ٥، غرائب القرآن ٣: ١٢١؛ مواهب الرحمن ٣: ٤٠.

(٥) الميزان ٢: ١٥.

(٦) المصدر السابق ٣: ٧.

(٧) المصدر السابق ٢٠: ٣٣٠.

وعندما جاء العلامة الطباطبائي على نقد وتمحيص الآراء المطروحة في هذا المضمار كتب ما ينم عن ثباته على رأيه: «والذي يعطيه التدبر في آيات الكتاب أمر آخر؛ فإن الآيات الناطقة بنزول القرآن في شهر رمضان، أو في ليلة منه إنما عبرت عن ذلك بلفظ الإنزال على الدفعة دون التنزيل، كقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة: ١٨٥).

تُعزى تسمية نزول القرآن جملة إلى أن هذا الكتاب الإلهي نزل كله أو قسم منه دفعة واحدة في شهر رمضان، أو أن لهذا الكتاب الإلهي حقيقة وراء ما نفهمه بشكل عادي له تفصيل وبسط وتدرج. وعلى هذا الأساس، فهو إنزالي وتنزيلي أيضاً. وهذا ما يمكن فهمه من الآيات الإلهية: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

الإحكام في مقابل التفصيل، والتفصيل جعله فصلاً فصلاً، وقطعة قطعة. إذا إحكام القرآن يعني حالة ومرحلة لا يكون فيها القرآن مقسماً جزءاً جزءاً، ولا تُقسم أجزاءه عن بعضها الآخر. فهو في هذه المرحلة يرجع إلى معنى واحد بغير أجزاء وفصول. والآية تدلّ بكلّ وضوح على أن هذا التفصيل جاء بعد مرحلة الإحكام.

وهناك ما هو أوضح من ذلك؛ إذ تُبين الآيات (٥٣) من سورة الأعراف، و(٣٥ - ٣٧) من سورة يونس، بكلّ جلاء، أن التفصيل عارض على الكتاب الإلهي. فالكتاب شيء، والتفصيل شيء آخر عارض عليه. والأوضح من ذلك قوله تعالى: ﴿حَم * وَالْكِتَابِ الْمُبِين * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينًا عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الزخرف: ٤-١). فإنه ظاهر في أن هناك كتاباً مبيناً عرض عليه جعله مقروء عربياً، وإنما ألبس لباس القراءة والعربية، ليعقله الناس وإلا فإنه - وهو في أم الكتاب - عند الله، عليّ لا يسعد إليه العقول، حكيم لا يوجد فيه فصل وفصل. وفي الآية تعريف للكتاب المبين وأنه أصل القرآن العربي المبين، وفي هذا السياق أيضاً قوله تعالى ﴿قُلْنَا أُفْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الواقعة: ٧٥-٨٠)، فإنه ظاهر في أن للقرآن موقعاً هو في الكتاب المكنون لا يمسه هناك أحد إلا المطهرون من عباد الله، وأن التنزيل بعده، وأما قبل التنزيل فله موقع في كتاب مكنون عن الأغيار وهو الذي عبر عنه تارة باللوح المحفوظ، وعبر عنه تارة أخرى بأم الكتاب.

ثم إن هذا المعنى، أعني: كون القرآن في مرتبة التنزيل بالنسبة إلى الكتاب المبين - ونحن نسميه بحقيقة الكتاب - بمنزلة اللباس من المتلبس، وبمنزلة المثال من الحقيقة، وبمنزلة المثل من الغرض المقصود بالكلام هو الصحيح، لأن يطلق القرآن أحياناً على أصل الكتاب، كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (البروج: ٢٢-٢٣)، إلى غير ذلك، وهذا الذي ذكرنا هو الموجب؛ لأن يحمل قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، على إنزال حقيقة الكتاب إلى قلب رسول الله دفعة، كما أنزل القرآن المفصل على قلبه تدريجياً في مدة الدعوة النبوية.

فهذا ما يهدي إليه التدبر وتدلّ عليه الآيات. نعم، أرباب الحديث، والغالب من المتكلمين والحسيين من باحثي هذا العصر، لما أنكروا أصالة ما وراء المادة المحسوسة اضطرّوا إلى حمل هذه الآيات ونظائرها كالدالة على كون القرآن هدىً ورحمةً، ونوراً وروحاً، ومواقع النجوم، وكتاباً مبيناً، وفي لوح محفوظ، ونازلاً من عند الله، وفي صحف مطهرة، إلى غير ذلك من الحقائق على أقسام الاستعارة والمجاز، فعاد بذلك القرآن شعراً منثوراً^(١).

نقد نظرية العلامة الطباطبائي

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

(٢) الميزان في تفسير القرآن ٢: ١٦ - ١٩ مع الإيجاز.

سَجَلُ العلامة الطباطبائي مثل هذا الاستدلال في مواضع أخر، وفي مناسبات أخر، واقتفى خطاه بعض تلامذته أيضاً، إلا أننا لا نرى صحة أساس هذا الكلام ولا صحة الاستدلال عليه، فخلاصة كلام العلامة هي أن القرآن في مرحلة ما لم يكن مفصلاً ولا مفرقاً، وكانت حقيقته بعيدة عن التفصيل. وقد نزلت هذه الحقيقة على قلب الرسول جملة (الإنزال). ومن بعد ذلك اكتسب القرآن قالب الألفاظ وتنزل على قلب الرسول تدريجياً طيلة مدة الرسالة (التنزيل). وهذا الكلام إنما يصح فيما لو كان:

١- الاختلاف بين كلمتي الإنزال والتنزيل قطعياً من الناحية اللغوية.
٢- أن يكون هذا الاختلاف ثابتاً لا ريب فيه في الاصطلاح القرآني وفي الثقافة القرآنية التي استند إليها العلامة.

٣- ألا يكون هناك ما يطعن في صحة دلالة الآيات موضع الاستشهاد على ما ذكر.
بيد أن المقدمات الثلاثة كلها موضع شك وتردد.

١- نقد فكرة التمييز اللغوي بين الإنزال والتنزيل:

دوّن ابن منظور أقدم الآراء في هذا المجال عند شرحه لمعاني كلمة (نزل) على الوجه التالي:
نَزَّلَهُ وَأَنْزَلَهُ وَنَزَلَهُ بِمَعْنَى. قال سيبويه: وكان أبو عمرو يفرق بين نَزَّلَتْ وَأَنْزَلَتْ، ولم يذكر وجه الفرق. قال أبو الحسن: لا فرق عندي بين نَزَّلَتْ وَأَنْزَلَتْ إِلَّا صِيغَةَ التَّكْثِيرِ فِي نَزَّلَتْ^(١).
وذهب الجوهري إلى أن هاتين الكلمتين على معنى واحد، سوى أن التنزيل يحمل عنده معنى الترتيب أيضاً^(٢).

وقال الفيومي أيضاً: أنزلته ونزلته واستنزلته، كلها بمعنى أنزلته.
وعلى هذا المنوال ذهب الفيروز آبادي عند بيانه لهاتين الكلمتين، وهو ما سجّله الزبيدي عيناً في شرحه: ونزله تنزيلاً وأنزله وإنزالاً ومنزلاً كمجمل واستنزلته، بمعنى^(٣).
وهكذا يتضح من خلاله علماء اللغة والأدباء العرب أن القول بوجود فرق بين الإنزال والتنزيل، لا يستند إلى دليل.

٢- نقد فكرة التمييز القرآني بين الإنزال والتنزيل

وهنا ينبغي أن نرى هل يمكن فهم هذا المعنى في الآيات القرآنية؟ يبدو أن الجواب سلبي، فقد جاء في سورة البقرة تقرير لموقف المشركين ومنطقهم الواهي في إتباع ما كان عليه آباؤهم: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ} (البقرة: ١٧٠).
ومن الواضح أن الكلام يدور هنا حول مواجهة المشركين للآيات النازلة التي تثلي على الناس، وما كان للمشركين من موقف إزاءها، ولا يُراد به تلك المرحلة من (إحكام) القرآن التي جاءت في كلام العلامة واعتبرت مدلولاً على الإنزال. وقال الله تعالى عزّ وجلّ في موضع آخر من القرآن الكريم في وصف التأثير العميق للآيات الإلهية: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} (الحشر: ٢١). مثل هذه الآيات غير قليلة في القرآن الذي وصفه هذا العالم الجليل بأنه اكتسى ثوب العربية، وسمّاه الإنزال^(٤). ولم يطلق هذه التسمية على تلك المرحلة العلوية (أم الكتاب) التي لا يتسنى بلوغها، وأوضح الآيات في هذا المجال: {... وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا} (الأنعام: ١١٢).

(١) لسان العرب ١٤: ١١١.

(٢) صحاح اللغة ٥: ١٨٢٩.

(٣) ترتيب القاموس ٤: ٣٥٨؛ تاج العروس ٥: ٧٢٨.

(٤) راجع: سورة البقرة: ٩٩ و١٧٣؛ سورة الأنفال: ٤١؛ سورة الأنعام: ١١٤؛ سورة الحج: ١٦.

كتب العلامة الطباطبائي في توضيح هذا المعنى ما يلي: «وهو الذي عليكم هذا الكتاب وهو القرآن مفصلاً متميزاً بعض معارفه من بعض غير مختلط بعض أحكامه ببعض»^(١).
 أي إنَّ الحالة و المرحلة التي جعلها العلامة في مقابل (الإنزال) عبّرت عنها هذه الآية الشريفة بكلمة (الإنزال)، وحسب تعبير العلامة نفسه أنَّ إحدى خصائص القرآن (التفصيل).
 وعلى صعيد آخر استخدمت صيغة (التنزيل) للتعبير عن نزول القرآن جملة واحدة: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً} (الفرقان: ٣٢). ومن الواضح أنَّ هذه الآية عبّرت عن نزول القرآن جملة واحدة بعبارة (نزل). وبالنتيجة استخدمت كلمة (التنزيل) بمعنى الإنزال جملة واحدة.
 نهى الباري تعالى الرسولُ والمؤمنين عن مخالطة من يستهزئون بآيات الله، فقد جاء في سورة الأنعام ما يلي: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} [الأنعام: ٦٨].
 وأشار في موضع آخر إلى هذه الآية بقوله: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ} [النساء: ١٤٠]. استخدمت في هذه الآية الشريفة التي تشير من غير شك إلى تلك الآية^(٢)، كلمة (نزل) بصيغة التفعيل، ولا يراد بها هنا النزول التدريجي أو المتعاقب.
 ويفهم في ضوء ذلك أنه ليس ثمة فارق بين معنى هاتين الكلمتين في الاستخدام القرآني، وكما ذكرنا سابقاً فإنَّه اعتبر هذا الاستخدام غالباً، إلا أننا نرى أنَّ هذا الكلام غير صحيح أيضاً.

٣- وقفة نقدية مع الشواهد القرآنية التي قدّمها الطباطبائي

وهنا نلقي نظرة على الآيات التي استدلت بها العلامة الطباطبائي لإثبات مراده، لنلاحظ هل أُنْهت تثبت ذلك الرأي أم لا؟ الآية الأولى التي استدلت بها هي الآية الشريفة التالية: {الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: ١].

تحدّث هذه الآية الشريفة عن القرآن وخصائصه. فقد جعل الله تعالى لقرآن صفتين هما: الإحكام، والتفصيل، مبيّناً أنَّ هذا الكتاب أرسل من عند حكيم خبير، وتقول هذه الآية: إنَّ القرآن وآياته على درجة عالية من النظم الرصين المحكم الذي لا يقع فيه نقص ولا خلل. وهنا يجب التساؤل عن الداعي لاستخدام كلمة (أحكمت) و(الإحكام) كمرتبّة من مراتب القرآن، وبمعنى أنَّها مرحلة ذات حقيقة واحدة غير مفصّلة ولا مُجزّأة؟ هذان الوصفان في هذه الآية، وأشباههما من الأوصاف، من خصائص الدلالة في الكلام والألفاظ، وليستا من خصائص (الوجود العيني). فما ذكرناه حول الإحكام كان قد صرّح به المفسّرون، ومنهم الزمخشري الذي كتب ما يلي: «نُظمت نظماً رصيناً محكماً لا يقع فيه نقص ولا خلل، ثم جعلت فصولاً سورة سورة، وأية آية»^(٣).

وقد جاء الفخر الرازي برأي مشابه لرأي الزمخشري، وربّما يكون استقاه منه.

وذكر أمين الإسلام الطبرسي في مجمع البيان عدّة أقوال في تفسير هذه الآية، منها أنّه ذكر في معنى (أحكمت)، أي أتقنت آياته فليس فيها خلل ولا باطل. بيد أنّه كتب في جوامع الجامع الذي كتبه بعد مجمع البيان، وضمّ المختار من آراء وأفكار هذا المفسّر الجليل، كتب فيه ما يلي: «نظمت محكماً لا نقص ولا خلل كالبناء المحكم، أو جعلت فصولاً آية آية وسورة سورة ... ومعنى «ثمّ» التراخي في الحال لا في الوقت، كما تقول: هي محكمة أحسن الإحكام ثمّ مفصّلة أحسن التفصيل»^(٤).

المراد بالكتاب القرآن، والمعنى أنَّ هذا الكتاب واضح المعاني محكم النظم لا نقص فيه ولا خلل^(٥).

(١) الميزان في تفسير القرآن ٧: ٣٢٧.

(٢) راجع: الجامع لأحكام القرآن ٥: ٤١٧؛ أضواء البيان ١: ٢٥٢؛ الميزان ٥: ١١٥.

(٣) الكشاف ٣: ١٨١.

(٤) مجمع البيان ٥: ١٤١؛ جوامع الجامع ٢: ١٣٤.

(٥) الكاشف ٤: ٢٠٤.

وكشف المفسر المغربي الجليل ببيان دقيق أنّ هاتين الكلمتين تدلان على ميزتين يتّسم بهما كتاب الله، وهما: الإحكام، وإتقان الأشياء بحيث تكون سالمة من الإخلال التي تعرض لنوعها^(١)، والطريف في الأمر أنّ العلامة الطباطبائي عند بحثه لهذا الموضوع استقى المعنى من هذه الآية وفسر كلمة (الإحكام) بالمعنى الذي ذكرناه.

وعند تفسيره سورة هود، وتفسير هذه الآية بالذات، نقد الآراء الأخرى، ولكنه لم يذكر هذا الكلام اعتقاداً منه بأنّ وجود الآيات المحكمات في المفضلة يدلّ على أنّ الآيات القرآنية الشريفة مع ما تنطوي عليه من اختلاف في المضامين وتنوّع في المعاني والمقاصد والأغراض، تعود كلّها إلى معنى واحد وبسيط، وهذه الحقيقة تسري في الآيات كسريان الروح. تلك الحقيقة الواحدة الجارية هي التوحيد الذي يسري في جميع آيات العقائد وآيات الأخلاق، وما شابه ذلك.

وكذا فمن الواضح بأنّ هذه الآية الشريفة استخدمت كلمة (أحكمت) لتبيّن بأنّ كلّ المعارف والأحكام القرآنية ذات مصدر واحد، وأنّ المراد من الكتاب في هذه الآية هو القرآن الذي بين أيدينا، وأنّ هذا البيان بيان دقيق ومقبول. وهذا يعني (أحكمت) و(فصّلت) تمثلان صفتين لهذا القرآن الذي «اكتسى ثوب العربية» وليس سواه، وقد جاء هذا الكلام في سياق إثبات الرأي الذي طرحه سماحته.

الآية الأخرى التي استشهد بها العلامة الطباطبائي هي الآية الشريفة التالية: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ نَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧]. قال العلامة الطباطبائي: إنّ هذه الآية تبيّن بكلّ جلاء أنّ (التفصيل) أمر عارض على القرآن، إذّا فالكتاب شيء، و (التفصيل) شيء آخر عارض عليه.

إنّ سورة يونس من السور المكّية، وكأّنها أنزلت عقيب إنكار المشركين الوحي النازل على النّبي، وتسميتهم القرآن بالسحر. فردّ الله سبحانه ذلك عليهم ببيان أنّ القرآن كتاب سماوي نازل بعلمه تعالى، وأنّ الذي يتضمّنه من معارف التوحيد ممّا تدلّ عليه آيات السماء والأرض... وذلك قول الله عزّ وجل: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ نَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. إذّا الكلام يدور حول القرآن، وهو الكتاب الذي نزل، ودخل المشركون في مواجهة معه، وما جاء فيه من ردّ الهيّ على أقاويلهم وظنونهم. وأنّ هذا القرآن يتّسم بالمزايا التالية:

١- إنّ مصدّق لما جاء من قبله.

٢- تفصيل الكتاب.

٣- لا ريب فيه.

٤- إنّ من رب العالمين.

وإنّما يصحّ استدلال العلامة الطباطبائي بهذه الآية فيما لو كان مراده من (الكتاب) القرآن الذي لم يتلبس بثوب العربية، وإلاّ فما تأثير التفصيل العارض على الكتاب، وكون كلّ من الكتاب والتفصيل بمعزل عن الآخر، في إثبات رأي سماحته؟ ومع كلّ ذلك فنحن نعلم بأنّ المراد من الكتاب هنا ليس القرآن، وإنّما المراد «الشرائع وما أوجب على الإنسان»، أو «الكتب السماوية»^(٢).

(١) التحرير والتنوير ٦: ٣١٤.

(٢) إنّ ما ذكرناه هنا هو عبارة عن آراء المفسرين في تبيين المراد من (الكتاب) في جملة <تفصيل الكتاب>. قال الطبري: <المراد تفصيل الفرائض التي أوجبت على أمة محمد>، جامع البيان؛ وهكذا رأي الشيخ الطوسي، التبيان ٥: ٣٧٧. وراجع أيضاً: الوسيط ٢: ٥٤٨؛ البحر المحيط ٦: ٥٧. ولكن هناك مفسرون وخاصة من المتأخرين قالوا بأنّ «الكتاب» هنا اسم جنس، بمعنى أنّ القرآن تفصيل وشرح وبيان للكتب السماوية السابقة، وتصديق وتبيين لها. قال العلامة الطباطبائي: <تفصيل الكتاب> عطف على <تصديق>، والمراد بالكتاب بدلالة من السياق جنس الكتاب السماوي النازل من عند الله سبحانه على أنبيائه، الميزان ١٠: ٦٤؛ وراجع أيضاً: فتح القدير ٢: ٥٠٦؛ المنار ١١: ٣٦٨؛ في ظلال القرآن ٣: ١٧٨٥؛ التحرير والتنوير ١١: ١٦٨؛ تفسير نمونه (التفسير الأمثل) ٨: ٢٨٨.

وعلى هذا الأساس، ليس هناك أية صلة بين هذه الآية وبين ما ذكره العلامة الطباطبائي في توضيح تفسير الآية (١٨٥) من سورة البقرة. والآية ترمي إلى إثبات وحيانية القرآن وتأكيد حقيقة أن هذا الكتاب امتداد للكتب السماوية وتعاليمه، وآياته تفصيل، وشرح، لمعارف الكتب السابقة؛ كما أكد العلامة صواب هذا المعنى عند تفسيره الآية نفسها في سورة يونس، ولكنه لم يُشر إلى المعنى الذي استند إليه. ومن الآيات الأخر التي استند إليها العلامة الطباطبائي لإثبات وجهة نظره، هي الآيات (٧٧ - ٨٠) من سورة الواقعة: {ثُمَّ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} التي تثبت أن للقرآن مكانة أخرى يُعبّر عنها بـ (الكتاب المكنون)، ولا يمسه إلا المطهرون. و(التنزيل) مرحلة أخرى جاءت في أعقابها. وقبل التنزيل كانت هذه المكانة عالية بعيدة عن متناول أيدي الأغيار، إلى أن هبط في مرحلة التنزيل واكتسى ثوب العربية.

ولكننا نعتقد أن هنالك شك في انطباق هذه الآية على المعنى المزعوم على الأقل. فالله عزَّ وجلَّ يُقسم ويؤكد ذلك القسم؛ ليقول بأنَّ (القرآن) كتاب كريم. وهكذا فهو عزَّ وجلَّ يصف القرآن في هذه الآيات بأنه يُصِفُ بمزايا خاصّة. فقد جاءت سورة الواقعة تحمل في بدايتها لهجة تتصف بالصرامة والحزم. وتحدثت عن القيامة الكبرى والبعث والنشور، ثمَّ تبين القدرة الإلهية لتبطل دعاوى المشركين المنكرين لتوحيد الله وربوبيته وإلهيته وللبعث والجزاء. ومن الطبيعي أن هؤلاء المشركين لا يستسيغون كلّ هذه التعاليم السماوية؛ لأنهم لا يؤمنون بكتاب الله، ولا يعتبرون القرآن وحياً نازلاً من السماء، بل يظنون أنه من عند الرسول. وبعد الحديث عن التوحيد والبعث، أقسم الباري تعالى إيماناً مغلظة بأنَّ ما تنكرونه ولا تقرّون بأنه وحي نازل من السماء، يتصف بما يلي:

- ١- إنه قرآن كريم زاخر بالمنافع، وفيه تعاليم كريمة قيّمة لسعادة الدنيا والآخرة.
- ٢- إن لهذا الكتاب جذور تمتد في (الكتاب المكنون)، وهو اللوح المحفوظ. ويبدو أن هذا الآية تتماشى مع سياق الآيتين (٢١ - ٢٢) من سورة البروج: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ}، أي إنه كتاب محبوب عن الأبصار والأفهام وعن دائرة إدراك الإنسان، أي لا تنوهموا بأنَّ هذه المعارف منقطعة الأصول وليست ذات جذور، بل تمتد جذور هذا القرآن إلى الكتاب المكنون، وهذه التعاليم مستقاة من العلم الإلهي المطلق. وهذا يعني بأنه محفوظ ومصان من الخطأ وما إلى ذلك.
- ٣- هذا القرآن عليّ وكريم ومستقى من العلم الإلهي وتمتد جذوره في (الكتاب المكنون) الذي لا يناله ولا يدرك أعماقه إلا المطهرون، أو لا ينبغي لغير المطهّرين مدّ أيديهم إليه ولمسه. وصلب الموضوع هنا هو هل {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} وصف للقرآن أم للكتاب المكنون؟ والظاهر أنه وصف للقرآن الكريم. فقد نقل العلامة الطباطبائي كلا الرأيين قائلاً:

أ- وصف للكتاب المكنون.

ب- وصف ثالث للقرآن.

غير أنه لم يعين صواب أحدهما، وإنما اكتفى بذكر هذين الرأيين فحسب، خلافاً لموضع الاستشهاد حيث أكد بشكل قاطع أنه وصف للكتاب المكنون. و(المس) على معنيين: اللمس الظاهري، والعلم والإدراك. وهكذا فالآية تظهر من جهة أنّ علومه لا تُنال، وحفائقه لا تدرك، وغوره لا يسبره إلا المطهرون، وتدعو من جهة أخرى إلى أن لا يمسه غير المطهّرين^(١).

وفي الحالة الثانية الجملة إخبارية في مقام إفادة معنى إنشائي. وقد ورد المعنى الثاني في الروايات أيضاً^(٢)، ويفيد هذا النوع من الروايات أن جملة (لا يمسه ...) وصف للقرآن وليس للكتاب المكنون.

(١)الميزان ٢٠: ١٣٧.

(٢)التهذيب ١: ١٢٧؛ مجمع البيان ٩: ٣٤١؛ البرهان ٥: ٢٧٢.

٤- إنه قرآن كريم تنبتق جذوره من العلم الإلهي ولا يدرك حقائقه إلا المطهرون. وهو كتاب منزل من رب العالمين الذي وسعت ربوبيته كل العالمين، فهو ربكم أيضاً. وهذا ما يوجب عليكم الإقرار بحقائق كتابه والإيمان به، وعدم التمرد عليه وعصيان أوامره، وما إلى ذلك. وخلاصة القول هي:

أولاً: جملة (لا يمسه ...) ليست وصفاً للكتاب المكنون لتكون ذات دلالة على المكانة والموقع، وأنه لا يُنال

ثانياً: على فرض أن الأمر كذلك، فمن أين كانت مرحلة الإنزال تلك، ومن بعدها جاءت مرحلة التنزيل؟ وما هو الأساس الذي يستند إليه هذا الاستخدام للكلمات؟

اتضح مما ذكرناه إلى الآن بأن ما استدلل به العلامة الطباطبائي على وجود اختلاف بين كلمتي (الإنزال) و(التنزيل) غير ثابت، وما من دليل مقنع عليه. وهكذا يبدو أن كلامه النهائي لا يستند إلى دليل حين يقول بأن هناك من يحملون نظرة حسيّة وتجريبية ولا يدركون ما وراء الطبيعة على نحو صحيح و... قال العلامة محمد حسين فضل الله، بعد أن طرح العفدة الموجودة في هذا الموضوع على بساط البحث، واستعرض آراء العلماء والمفسرين، ومنها رأي العلامة الطباطبائي الذي لجأ إلى القول بوجود نزولين للقرآن، عند بيانه لهذا الموضوع: والواقع أن الظاهر من القرآن هو أن إنزاله كان في ليلة من شهر رمضان، ولا نجد هناك فرقاً بين الآيات التي تتحدث عن إنزال القرآن في ليلة القدر أو في شهر رمضان، وبين الآيات التي تتحدث عن إنزاله على مكث أو تدريجياً.

ثم كتب، مشيراً إلى الكلام الأخير للعلامة الطباطبائي، ما يلي: "ولا نستطيع أن نحمل القرآن على معنى غامض خفي في علم الله، لا من جهة أننا نريد أن نفسر القرآن تفسيراً حسيماً مادياً كما يفعل الحسيون، بل من جهة أنه لا دليل على ذلك فيما حاول بعض المفسرين أن يقيم الدليل عليه، مما لا مجال للخوض في النقاش فيه؛ لأننا لا نجد فيه كبير فائدة... وعلى ضوء ذلك، فإن هذا الظهور القرآني البين يجعلنا لا نثق بالروايات التي توقفت البعثة في رجب ولذلك فمن الممكن أن يكون المراد من الإنزال هو أول الإنزال، والظاهر أن هذا المقدار كاف من الجانب التفسيري من القضية"^(١).

نظريات أخرى في الإنزال والتنزيل

بعد أن شرح المفسر الجليل الشيخ حسن المصطفوي المعنى اللغوي لكلمة (النزول) في ضوء ما ورد في القواميس الغوية، وعلى أساس أسلوبه في بحث معاني الكلمات، بيّن المعنى الأساسي لهذه الكلمة، وعرض الاختلاف بين كلمتي (الإنزال) و(التنزيل) في ضوء الآيات التي استخدمت فيها هذه الكلمات، وأدرج مسرداً بتلك الآيات، وكتب ما يلي: الإنزال: الهبوط الذي يلاحظ فيه جهة صدور الفعل من الفاعل: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ}، {وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا}...

(١) من وحى القرآن ٤: ٢٢. كما أشرنا في بداية البحث أن مشكلة البحث تكمن في أن ضرورة تاريخ الإسلام وكيفية نزول الآيات الإلهية تقتضي أن تكون قد نزلت بمواكبة دعوة الرسول. غير أن ظاهر بعض الآيات، مثل الآية: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، يوحي بأن القرآن نزل جملة واحدة في ليلة القدر. وهذه المشكلة دفعت قسماً من المفسرين إلى الانسحاق نحو القول بوجود فارق بين كلمتي (الإنزال) و (التنزيل). والروايات التي أشير إليها في كلام العلامة محمد حسين فضل الله، وعلقت في ذهن وعلى ألسنة المفسرين، اعتبرت أقوالاً ظنيّة تظهر أن نزول سورة العلق أو أوائل آيات البعثة (كسورة المدثر كما يرى البعض) كان في ليلة البعثة، واعتبر البعض هذه الآيات (وردت عن طريق الشيعة أو عن طريق أهل السنة) (تفسير كوثر ١: ٤٦٦؛ قرآن شناسي ١: ١٠٦ الهامش). هذه الأقوال كلها لا دليل عليها، ولا توجد رواية واحدة دالة على أن هناك آية نزلت في ليلة البعثة أو صادفت معها، عدا قول واحد ورد في التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري (بحار الأنوار ١٨: ٢٠٦). وقد بحثنا نزول القرآن جملة واحدة أو نجومياً في مقالة أخرى. وما أوردناه هنا مجرد إشارة دعانا إليها بحث موضوع (التنزيل).

وأما التنزيل: فهو الهبوط الذي يلاحظ فيه جهة الوقوع، فيكون النظر إلى الفعل من جهة الوقوع وتعلقه بالمفعول والمتعلق، كما في: {نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ}، و{نَزَلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ}. ولو كان هذا الاختلاف يصدق على كلِّ الحالات، فهو دقيق ومقبول، ولكن الأمر ليس كذلك، {إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَكَّى الصَّالِحِينَ} [الأعراف: ١٩٦]، {وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيُقُولُنَّ اللَّهُ} [العنكبوت: ٦٣]. وهناك آيات شريفة أخرى استخدمت فيها كلمة (نَزَلَ) من غير أن تلاحظ فيها جهة الوقوع والتعلق بالمفعول.

وذهب بعض العلماء والباحثين في علوم القرآن مذهباً آخر، فقالوا: بأنَّ هناك معنى يُمكن تطبيقه على جميع الآيات من غير استثناء، وهو: إنَّ الوجه الآخر للفارق بين هاتين الكلمتين وهو ما يبدو أكثر وضوحاً هو أنَّ الإنزال يدلُّ على صيغة التعدّي فقط، ولا يحمل بين ثناياه مفهوم النزول جملة واحدة أو النزول نجومياً، وليس فيه دلالة على الوحدة أو الكثرة ولذلك فهو يتماشى مع الوحدة والكثرة ومع النزول نجومياً أو جملة واحدة، ولكن بالنسبة إلى كلمة التنزيل، بما أنها جاءت على صيغة التفعيل فقد لوحظ فيها معنى الكثرة (وليس معنى التدرج والنزول نجومياً). وقد تأتي هذه الكثرة من ناحية الفعل تارة، مثل: (طوّفت الكعبة) أي طفت الكعبة مراراً، وتأتي تارة أخرى من ناحية الفاعل كقولهم: (موتت الأبال) وتأتي تارة ثالثة فيما يخصّ المفعول، مثل: (عَلّقت الأبواب) أي أغلقت أبواباً كثيرة. بالنسبة لنزول القرآن، يمكن أن تؤخذ بنظر الاعتبار الكثرة من حيث تعدّد مراتب النزول (نوع الكثرة في الفعل)؛ لأنه كما سبقت الإشارة هناك بون شاسع بين المرتبة الحقيقية للقرآن (مرتبة من علم الله) وبين مرتبة الألفاظ والمفاهيم. وفي ضوء ذلك يصح استخدام كلمة التنزيل لنزول آية أو موضوع، ويصح استخدامها أيضاً لنزول مجموع القرآن حتى بصفته وحدة اعتبارية أو حقيقية.

وهنا ينبغي أن نضيف إلى ذلك ما يأتي:

أولاً: هذا الاختلاف يقيم على القول بوجود بون شاسع بين المرتبة الحقيقية للقرآن (مرتبة من علم الله) ومرتبة الألفاظ والمفاهيم إلى الحد الذي يصدق عليها عنوان (الكثرة). وهذا أمر بعيد جداً. ثانياً: في الآيات التي استخدمت فيها هذه الصيغة وجاءت كنفق أقوال الآخرين، يجب أن نعلم بأنهم كانوا يعتقدون أيضاً بوجود هذا الفارق الشاسع بين تلك المرتبة الحقيقية ومرتبة الألفاظ والمفاهيم، بحيث استخدموا تلك الصيغة: {وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ} [الحجر: ٦]، {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً} (الفرقان: ٣٢)، {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْشِيِّينَ عَظِيمٍ} [الزخرف: ٣١].

تظهر مثل هذه الموارد الأخر التي استخدمت فيها هذه الصيغة (وليس الآيات الشريفة التي لا يمكن أن تؤخذ فيها الكثرة بنظر الاعتبار)، وكأنَّ من جملة معاني صيغة التفعيل، وخاصة كلمة (التنزيل)، الدلالة على الكثرة، غير أنَّ هذا المعنى غير عام ولا شامل، وهذا الاختلاف غير ثابت.

وبذلك وبعد أن ذكرنا الآراء المختلفة حول الفارق بين كلمتي (الإنزال) و (التنزيل) وبيننا تهافتها، يُمكن القول بأنَّ هاتين الكلمتين لا فارق بينهما في الاستخدام القرآني، كما أوضحنا ذلك آنفاً نقلاً عن علماء اللغة. ومن حيث الآيات القرآنية فهذا الفارق لا وجود له أساساً، كما أسلفنا القول، بل يُمكن القول إنَّ الآيات تحمل دلالة واضحة على أنَّ كلمتي (الإنزال) و (التنزيل) عبارة عن صيغة متعدية لكلمة النزول، وهما مترادفتان في معناهما تقريباً ويصح استخدام كلِّ واحدة منهما بدل الأخرى. فالقرآن الكريم قد يُعبر عن موضوع معين بكلمة (الإنزال) تارة، أو بكلمة (التنزيل) تارة أخرى: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ} (الأنعام: ٣٧)، {وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ} (يونس: ٢٠).

ونحن نرى صواب آراء المفسرين الذين قالوا في ضوء ما فهموه من الآيات القرآنية الشريفة وبعد التدبّر في معاني الكلمات وكيفية استخدامها، أنَّ لكلمتي (الإنزال) و (التنزيل) معنى واحداً.

في القرآن الكريم في الآية الثانية من سورة آل عمران جاء التعبير عن نزول القرآن بكلمة (نَزَلَ)، وعَبَّرَ عن نزول التوراة والإنجيل بكلمة (أُنزِل)، وهذا ما دفع بعض المفسرين إلى الظن بأن هذا الاختلاف في التعبير يُعزى إلى أن القرآن نزل منجماً، ونزل الكتابان (التوراة والإنجيل) جمل^(١)، وقد كتب أبو حيان الأندلسي الأديب والمفسر المعروف في القرن الثامن، في نقد هذا الرأي: إن التعدية بالتضعيف لا تدلّ على التكرير ولا التنجيم، وقد جاء في القرآن (نَزَلَ) و (أُنزِل) بمعنى واحد.

وكتب الشيخ ابن عاشور: "ووقع في الكشاف هنا وفي مواضع متعددة أن قال: (نَزَلَ) يدلّ على التنجيم، وأن (أُنزِل) يدلّ على أن الكتابين أنزلا جملة واحدة. وهذا لا علاقة له بمعنى التقوية المُدعى للفعل المضاعف، إلا أن يعني أن (نَزَلَ) مستعمل في لازم التكرير، وهو التوزيع، وردّه أو حيان الأندلسي وبينه وهنه"^(٢).

وذكر ابن منظور في لسان العرب أن نزل وأنزل بمعنى واحد^(٣).

وعلى هذا فالتنزيل يدلّ على نزول آيات الله من موضع رفيع ومن مقام ملكوتي، وهذا لا يختلف عن الإنزال الذي يدلّ على هذا المعنى نفسه، وكما ذكرنا في بداية البحث أن هناك موارد متعددة في القرآن وردت فيها كلمة (التنزيل) لوصف كتاب الله، وقد اعتبر العلماء خمسة منها اسماً للقرآن أو وصفاً مباشراً له. وأحد هذه الموارد الآية (٤٣) من سورة الحاقة، حيث قال الله عَزَّ وَجَلَّ بعد القسم بكلّ ما يبصره الناس : {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَدَّكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ}، إذ تحمل (الحاقة) لهجة تهويل وتنبية وتوعية. وهي تبدأ بأحد أسماء يوم القيامة. وهي رمز وتعبير واضح لتمرد قوم ثمود على الحق وتكذيبهم لنبيهم والنهاية المهلكة التي انتهوا إليها، وكذلك العذاب الذي أصاب قوم عاد. وجرى وصف كلّ تلك الأحوال بكلمات مثيرة تفرع الأسماع، ثمّ تتحدث أيضاً عن مشهد يوم القيامة وعرض الناس للحساب، واستلام كلّ شخص صحيفة أعماله وما سُجّل عليها في الدنيا ونتيجة ذلك وموقف الإنسان في ذلك اليوم، ثمّ جاء القسّم بالأرض وما عليها أن كلّ ما جرى وصفه حق، وما هو بقول شاعر ولا كهانة كاهن، بل هو تنزيل من ربّ العالمين، لعلّ الإنسان يتنبّه ويتذكّر ويصغي إلى تعاليم القرآن وما فيه من رسالة موقظة للضمائر، عساه أن يدرك بكلّ وجوده حقيقة كلام الله وما ينطوي عليه بين سطور^(٤).

نستنتج مما سبق أنّ الحالات المتعددة لكلمة التنزيل التي وردت في الآيات الشريفة (وهي أربعة عشر مورداً) جاءت كوصف للقرآن الكريم. ونحن من جهة نعتبر كلّ هذه الكلمات وصفاً للقرآن وليست اسماً له، ومن جهة أخرى لا نرى أي فارق بين المواضع الخمسة التي وردت فيها هذه الكلمة وبين المواضع الأخرى. وأخيراً اتضح أنّ الاستخدام اللغوي والقرآني لكلمة التنزيل لا يختلف عن كلمة الإنزال^(٥).

رابعا:- مراحل جمع القرآن الكريم وترتيبه.

المراد بجمع القرآن عند العلماء أحد معنيين : أولهما الحفظ، وهذا المعنى هو الذي ورد في قوله عز وجل في خطابه لنبيه صلى الله عليه وسلم «لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه»^(٥).

(١) البحر المحيط ٣: ١٦.

(٢) التحرير والتنوير ٣: ١٤٨.

(٣) انظر: اللسان، "نزل".

(٤) المواضع الأخر التي وردت فيها كلمة التنزيل عدا ما ذكرناه سابقاً:

سورة السجدة: الآية ١٢، سورة الزمر: ١؛ سورة غافر: ٢؛ سورة الإسراء: ١٠٦؛ سورة الإنسان: ٢٣، وفي كلّ هذه المواضع جاءت كلمة التنزيل بمثابة وصف للقرآن الكريم.

(٥) ينظر: الإنزال والتنزيل في القرآن، محمد علي مهدي (مقال منشور في الشبكة الالكترونية). (بتصرف بسيط).

(٥) : القيامة الآيات : ١٦ - ١٧ - ١٨.

وثانيهما : الكتابة والتدوين، أي كتابة القرآن كله مفرق الآيات والسور، أو مرتب الآيات والسور في صحائف مجتمعة تضم السور جميعاً^(١).

وقد اجتمع للقرآن الكريم ما لم يجتمع لغيره من الكتب السابقة فاعتمد في طريقة نقله المشافهة والحفظ والكتابة والتدوين، وتعتبر مسألة المشافهة والحفظ وهي أولى مراحل الجمع، من أعظم خصيصة شرفت بها الأمة الإسلامية دون سائر الملل والنحل.

جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

اعتبرت طريقة الحفظ* والمشافهة الوسيلة الوحيدة التي اعتمد عليها في جمع القرآن الكريم في العهد النبوي، فالقرآن الكريم لما نزل بروعة نظمه ونقاء ألفاظه وشدة تأثيره على العقول والمشاعر اشتد اهتمام العرب به، وخاصة الذين كانوا من السابقين إلى الإيمان به، وكانوا يترقبون كل جديد ينزل به الوحي يجمعون بين حفظه والعمل به، وهكذا اهتم جم غفير من الصحابة كالخلفاء الأربعة ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت ... بجمع القرآن الكريم وحفظه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم كلما نزل عليه شيء من الوحي أمر كتابة الوحي بكتابه فوراً، سماعاً من فمه ثم ينتشر ما نزل بين الناس، فكانت العلاقة بين المسلمين وكتاب ربهم هي الحفظ استناداً لما سمعوه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه خصيصة خص الله بها الأمة المحمدية. قال بن الجزري : «إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على خط المصاحف والكتب أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة»^(٢).

ومع حرص الصحابة على مدارس القرآن واستظهاره، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشجعهم على ذلك، ويختار لهم من يعلمهم القرآن، عن عبادة بن الصامت قال : «كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل منا يعلمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ضجة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا»^(٣). وكان الصحابة يعرضون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لديهم من القرآن حفظاً وكتابة، ولم تكن الوثائق التي كتبوها في العهد النبوي مجتمعة في مصحف عام بل عند هذا ما ليس عند ذلك، وهذا يعزى إلى اختلاف قراءات الصحابة لكون القرآن أنزل على سبعة أحرف.

وقبض النبي عليه الصلاة والسلام والقرآن محفوظ في الصدور ومكتوب في الصحف، مفرق الآيات والسور، أو مرتب الآيات فقط وكل سورة في صحيفة على حدة، بالأحرف السبعة الواردة، ولم يجمع في مصحف عام، حيث كان القرآن ينزل فيحفظه القراء ويكتبه الكتبة، ولم تدع الحاجة إلى تدوينه في مصحف واحد، لأنه عليه الصلاة والسلام كان يترقب نزول الوحي من حين لآخر، وقد يكون منه الناسخ لشيء نزل من قبل، وكتابة القرآن لم يكن ترتبها بترتيب النزول بل تكتب الآية بعد نزولها حيث يشير صلى الله عليه وسلم إلى موضع كتابتها بين آية كذا وآية كذا في سورة كذا قال الزركشي: «وإنما لم يكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مصحف لئلا يقضي إلى تغييره في كل وقت، فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته صلى الله عليه وسلم»^(٤)، وبهذا يفسر ما روي عن زيد بن ثابت قال : «قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع في شيء»^(٥) وقال الخطابي : " إنما لم يجمع صلى الله عليه وسلم القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله

(١) : أنظر مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ١١٩ وكذلك الإتيان للسيوطي.

* : المقصود به الحفظ في الصدور والسطور.

(٢) : مباحث في ع. القرآن ص ١٢٣.

(٣) : نفسه، ص ١٢١.

(٤) : مباحث في علوم القرآن ص ١٢٥.

(٥) : نفسه.

الخلفاء الراشدين ذلك، وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة* فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر^(١).

خلاصة القول أن الهدف من الجمع الأول كان هو حفظ القرآن واستظهاره خشية أن يفلت منه شيء، قال تعالى: «لا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقل ربي زدني علماً».

جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واستقرار نصوص الوحي دعت الضرورة إلى كتابة القرآن الكريم وترتيبه بمحضر من حفظته لاسيما بعد استشهاد كثير من حملته وظهور حركة الردة من جهة، ومن جهة أخرى دخول الناس في دين الله أفواجا وهم لا يعرفون من القرآن شيئا.

وبعد أن استحر القتل بالقراء في معركة اليمامة وخشية أن يضيع القرآن أو يلتبس الأمر على المسلمين في شأن من آياته أشار عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على الخليفة أبو بكر الصديق بجمع القرآن وكتابته خشية الضياع، فتردد أبو بكر في قبول ذلك خشية أن يفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد تردد شرح الله صدره لذلك، فكلف زيد بن ثابت -وهو ممن شهد العرصة الأخيرة مع النبي صلى الله عليه وسلم- بجمع القرآن ولا يخفى ما في هذا التكليف من مشقة قال زيد " والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان علي أثقل مما أمرت به من جمع القرآن"^(٢).

ويتجلى جمع أبي بكر في جمع الوثائق التي كتبها كتبه الوحي في حضرة رسول الله، بمعنى تنسيق وثائق كل سورة مرتبة آياتها على نسق نزولها، ولا معنى لهذا الجمع إلا ما تم ذكره، وإطلاق وصف المصحف عليه إطلاق مجازي القصد منه أن يكون مرجعا موثوقا به عند اختلاف الحفاظ.

ومما يجب التنبيه إليه أن الجمع في هذه المرحلة لم يصف شيئا أو يحذفه من تلك الوثائق الخطية التي تم تدوينها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وإملاء منه على كتبه وحيه الأمناء الصادقين.

وكان عمل الصديق رضي الله عنه محل إكبار الصحابة كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه " أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله"^(٣).

جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وامتد سلطانها واختلطت شعوبها، وتداخلت لغاتها وأخذ كل إقليم يلتفت حول صحابي ليعلمه القرآن، فكان من الطبيعي أن تتعدد القراءات وتتباعد اللهجات ويقع الاختلاف في القرآن خاصة في وجود مصاحف الصحابة التي لم يمكن ترتيبها وضبط تلاوتها ورسمها لتباعد الأمصار الإسلامية عن المدينة، وخشي بعض الصحابة أن تتسع دائرة الخلاف فطلبوا من الخليفة أن يوحد الناس على مصحف واحد قال حذيفة ابن اليمان لعثمان: " يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى"^(٤). فأدرك عثمان عظم الأمر وقال للصحابة، اجتمعوا يا أصحاب محمد واكتبوا للناس إماما. فأرسل إلى حفصة أن أرسل إلينا بالمصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأمر طائفة من الصحابة (كزيد بن ثابت، عبد الله بن الزبير، سعيد بن العاص...) فنسخوها في المصاحف وقام عثمان بإرسال نسخ منها إلى كل الأمصار^(٥).

* : إشارة إلى قوله عز وجل : " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " .

(١) : مباحث في علوم القرآن ص ١٢٥ .

(٢) : مباحث في علوم القرآن ص ١٢٧ .

(٣) : www.al-islam.com/articles/articles.asp?fname=ALISLAM_L11_A

(٤) : مباحث في علوم القرآن ص ١٣٠ .

(٥) : أنظر مباحث في علوم القرآن لمناع القطان وصبحي الصالحي، والإتقان للسيوطي.

واتفق الصحابة رضي الله عنهم على هذا العمل وعدوه من مفاخر عثمان وحسناته، من ذلك قول الإمام علي رضي الله عنه- " لا تقولوا في عثمان إلا خيرا فو الله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا على ملا منا"^(١).

وكان هدف عثمان من هذا الجمع هو توحيد الأمة على القراءات الصحيحة التي قرأها النبي عليه الصلاة والسلام في العرضة الأخيرة على جبريل، وهذا ما يؤكد الباقلائي من أن ما قصد عثمان هو جمع المسلمين على القراءات الثابتة المعروفة وإلغاء ما ليس كذلك وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير^(٢). وهكذا عمل الخليفة عثمان على " حمل الناس على القراءة بوجه واحد، على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار، لما خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات"^(٣) وبهذا قطع عثمان دائرة الفتنة وحسم مصدر الاختلاف، وحض القرآن من أن يتطرق إليه شيء من الزيادة والتحريف على مر العصور وتعاقب الأزمان.

(١) : www.al-islam.com/articles/articles.asp?fname=ALISLAM_L11_A

(٢) : أنظر إعجاز القرآن للباقلاني.

(٣) : أنظر مباحث في علوم القرآن ص ١٢٩ - ١٣٠.

خامساً:- إعجاز القرآن

الإعجاز - لغة واصطلاحاً :

الإعجاز لغة : أصله التأخر عن الشيء ، وهو ضد القدرة ، بمعنى الضعف ، يقال : أعجزه الأمر إذا حاوله فلم يستطعه ولم تتسع له قدرته وجهده ^(١) يقول تعالى : {وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ} [سبأ: ٥].
والإعجاز اصطلاحاً : كون القرآن الكريم أمراً خارقاً للعادة لم يستطع أحداً معارضته برغم تصدي الناس له ^(٢) ، أو هو ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن ^(٣) .

أ- الإعجاز البياني :

يعتبر الإعجاز البياني من أعظم وجوه الإعجاز لأنه ينتظم في القرآن كله ، فلا تخلو منه سورة على قصرها أو على طولها ، بل هو في كل آية من آيات القرآن الكريم ، وقد تحدث العلماء والمفسرون عن الإعجاز القرآني قديماً وحديثاً حيث أجمع هؤلاء أن القرآن الكريم معجزة بيانية تحدى الله بها العرب وغيرهم فثبت عجز البشر جميعاً أمام إعجازه ^(٤) ، وقد سجل القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله : {قُلْ لئن اجتمعت الأنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً} [الإسراء ٨٨] .

والاعجاز البياني هو بيان القرآن وفصاحته وبلاغته ، وفي أسلوبه المتميز عن باقي أساليب العرب حيث جاء القرآن الكريم بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف ، متضمناً أصح المعاني ، كذلك ترتيب ألفاظ القرآن الكريم في آياته وجمله ، ثم ترتيب هذه الجمل للآيات في السورة ^(٥) .

ويمثل الإعجاز البياني في حروف القرآن وأصواتها ، والكلمات ومخارجها ^(٦) ، يقول ابن عطية : "وكتاب الله تعالى لو نزعته منه لفظة في أدير لسان العرب على لفظة غيرها لم يوجد" ^(٧) .
وكذلك يمثل الإعجاز البياني في طريقة التعبير التي انفرد بها القرآن الكريم ، وأيضاً يتمثل في وجود الفاصلة القرآنية التي تعني مناسبة ختم الآية لما سبق ^(٨) .

ونزل القرآن الكريم على العرب وكانوا أصحاب وأرباب البلاغة والبيان وذلك لأنهم تميزوا بسلامة السليقة وسرعة البديهة ، فعندما تحداهم القرآن على أن يأتوا بمثله لم يستطيعوا ووقفوا عاجزين حائرين لا يستطيعون ذلك على الرغم من أن القرآن الكريم نزل باللغة التي يعرفونها ويتكلمون بها ، لذا نجد أن القرآن تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن ، يقول تعالى {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ} [الطور : ٣٤] .

ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور فقال تعالى : {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [هود : ١٣-١٤] .
فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة قال تعالى : {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوَرَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [يونس : ٣٨] .

(١) لسان العرب لابن منظور - ح ٢٣٦/٧ .

(٢) فكرة الإعجاز - نعيم الحمصي - ص ٩ .

(٣) إعجاز القرآن للرافعي - ص ١٣٩ .

(٤) مباحث في إعجاز القرآن الكريم - ص ١٦٥ بتصرف ، أ. د. مصطفى مسلم ص ١٥٤ .

(٥) موجز في إعجاز القرآن - المرجع السابق ص ١٥٤ .

(٦) موجز في إعجاز القرآن - أ. د. مصطفى مسلم ص ١٥٤ .

(٧) فكرة الإعجاز - نعيم الحمص - ص ٩٥ .

(٨) إعجاز القرآن - د. فضل عباس - ص ٦٥ وما بعدها .

ثم أخيراً تحداهم أن يأتوا بسورة تشبه القرآن فقال سبحانه وتعالى : {وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله} [البقرة : ٢٣-٢٤] (١) .

ب- الإعجاز التشريعي :

- التشريع لغة : مصدر شرع : بمعنى سنّ ، وقد سمي ما شرع الله لعباده شريعة كالصلاة والصوم والزكاة والحج وغير ذلك (٢) .

- التشريع اصطلاحاً : هو شرعة الله لعباده من أحكام اعتقادية أو عملية أو خلقية (٣) .

- الإعجاز التشريعي : هو سمو التشريعات القرآنية وشمولها وكمالها إلى الحد الذي تعجز عنه كل القوانين البشرية مهما بلغت على أن تأتي بمثل تشريعات القرآن الكريم (٤) .

أو هو عجز البشر محاكاة التشريع القرآني ، وإدارتهم كل ما فيه من أسرار تشريعية (٥) .

ومن نماذج من الإعجاز التشريعي :

١- في العبادات : الوضوء والتيمم والغسل : أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بالوضوء عند القيام إلى الصلاة ، وجعل الوضوء شرطاً للصلاة ، فإذا لم يتمكنوا من استعمال الماء فعليهم بالتيمم قال تعالى : {يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة} [المائدة : ٦] .

وتشير الآية إلى الحكمة من هذا التشريع يقول تعالى : { ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج} [المائدة : ٦] .

إن اشتراط الاغتسال للجنب هو تطهيره ولتيمم عليه ، وحتى يشكره على نعمه الكثيرة ، والحكمة من الوضوء والتيمم والغسل ليس النظافة فحسب بل العبادة (٦) ، يقول سيد قطب : (يبدو أن حكمة الوضوء أو الغسل ليست هي مجرد النظافة ، وإلا فإن البديل من أحدهما أو من كليهما لا يحقق هذه الحكمة فلا بد إذن من حكمة أخرى للوضوء أو الغسل تكون متحققة

كذلك في التيمم . وأما حكمة الاغتسال من الجنابة {وإن كنتم جنباً فاطهروا ...} [المائدة : ٦] . فهي حركة عملية عن معنى نفسي ، إن الإنسان عندما يقضي شهوته فإنه يحقق حاجة فطرية ونفسية أصيلة في كيانه ، ثم إن كل جزء من أعضاء جسمه متلذذ من قضاء الشهوة ويشترك في هذه العملية الجنسية ، لذا كان الاغتسال شكر لله الذي يسر له قضاء شهوته ، شكر لله

لأن كل جزء شارك في الاستمتاع والتلذذ عند قضاء الشهوة ، لذلك ختمت الآية بقوله : {ولعلمكم تشكرون} (٧)

٢- في المعاملات : تحريم الربا : حرم الله الربا في آيات صريحة وأعلن الحرب على المرابين ، وتوعد بمحق الربا يقول تعالى : {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذرّوا ما بقي من الربا ...} [البقرة : ٢٧٨-٢٧٩] ، على الرغم أن الربا هو السمة البارزة للاقتصاد العالمي المعاصر ، وقاعدة التعامل الاقتصادي بين الدول ، إلا أن التشريع الإسلامي هو الحق والصواب في تحريم الربا ومحاربتة وتحريمه ، فالربا بلاء وآفة ، يدمر الاقتصاد ويقطع الروابط ، ويوقع العداوة والبغضاء بين الناس ، والربا يقضي على إنسانية الإنسان

(١) إعجاز القرآن - د. فضل عباس - ص ٣١-٣٢ .

(٢) لسان العرب - ح ٢٣٨/٣ .

(٣) التشريع الإسلامي - مصادره وأدواته - د. سفيان إسماعيل - ص ٧ .

(٤) الإعجاز التشريعي في معالجة مشكلة الفقر - ص ٦ .

(٥) القرآن وإعجازه - ص ١٠٢ .

(٦) مباحث في إعجاز القرآن - أ. د. مصطفى السباعي - ص ١٥٥ .

(٧) الظلال - سيد قطب - ج ٢٢٥٢١/٥ .

وقلبه ودينه وإيمانه ، والمرابون مصاصي الدماء والأموال^(١) . يقول سيد قطب : "إن النظام الربوي نظام معيب من الوجهة الاقتصادية البحتة ..."^(٢) .

٣- في الحدود : شرع الله تبارك وتعالى الحدود حتى يعيش الإنسان المسلم وغير المسلم أميناً على نفسه وماله وعرضه وعقله ، لذلك حرم على المسلم قتل أخيه المسلم ، يقول تعالى : {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِماً إِلَّا خَطأً} [النساء : ٩٢] . فإذا اعتقد القاتل بأنه سيقتل فإنه لا يقدم على القتل ، وكذلك عندما حرم السرقة ، فإنه حفظ للناس أموالهم ، فعندما يعتقد المؤمن أنه إذا سرق سوف تقطع يده ، فإنه لا يسرق وبذلك حفظ للناس أموالهم . وكذلك عندما شرع عقوبة الزنا مائة جلدة لغير المتزوج كما قال تعالى : {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي...} [النور: ٢] ، والرجم حتى الموت للمتزوج رجلاً كان أو أنثى .

وكذلك عندما شرع عقوبة الخمر الجلد ثمانين جلدة ليحفظ العقل^(٣) ، يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- : "إذا شرب إنسان الخمر فاجلدوه ثمانين جلدة ، إذا شرب سكر ، وإذا سكر هذى ، وإذا هذى افتري ، وخذ المفترى ثمانون"^(٤) .

يقول الأستاذ رشيد رضا : "يشتمل القرآن الكريم على العلوم الإلهية وأصول القواعد الدينية ، وأحكام العبادات ، وقوانين الفضائل والآداب وقواعد التشريع السياسي والمدني والاجتماعي الموافقة لكل زمان ومكان ، وبذلك يفضل على كل ما سبقه من الكتب السماوية والشرائع الأرضية والآداب الفلسفية"^(٥) .

ت- الإعجاز العلمي :

لقد حث الإسلام على العلم والتعلم ، فأيات القرآن الأولى في النزول تأمر باستخدام القلم وتشجع على القراءة وذلك لما للقلم والقراءة من أهمية في حياة الأمم والشعوب . قال تعالى : {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)}

[العلق : ١ - ٥] .

الأمة الإسلامية منوط بها قيادة البشرية بأسرها في جميع مناحي الحياة ، لذلك ينبغي أن تتصدر الأمم والشعوب في مجال العلم والإيمان والأخلاق حتى تصل إلى ذلك المركز القيادي الذي أعدت له . لذلك جاءت التوجيهات القرآنية في العديد من الآيات تشجع الأمة كل الأمة على العلم والبحث والتحري عن المجهول في هذا الكون الفسيح . قال تعالى : {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر: ٩] . وجعل الحق تبارك وتعالى شهادة العلماء مع شهادته وشهادة الملائكة في الإقرار بالوحدانية لله في الألوهية والربوبية ، قال تعالى : {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران : ١٨] ، وأمر -صلى الله عليه وسلم- بطلب العلم النافع للبشرية وشجع على تحصيله ، قال -صلى الله عليه وسلم- : "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" ، وجاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : "من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة"^(٦) .

والاعجاز العلمي: هو ما يتعلق بإشارة القرآن في كثير من آياته إلى حقائق علمية ثابتة كشف عنها العلم الحديث ، ووافقت أحدث ما انتهى إليه الكشف العلمي في هذا العصر ، مع أنها كانت مجهولة في عصره النبوة وما بعده لقرون عديدة^(٧) .

(١) مباحث في إعجاز القرآن - أ.د. مصطفى السباعي - ص ١٦٢ .

(٢) الظلال ح/٢٥٢/٢٢٥٢ .

(٣) الإعجاز القرآني في تشريع الحدود .

(٤) الموطأ للإمام مالك - ح/٦٤٢/٢ كتاب الأشربة باب حد الخمر - ص ٢٥ .

(٥) تفسير المنار - ح/٢٠٦/١ ، ٢٠٧ .

(٦) رواه الترمذي (جزء من حديث طويل) وقال عنه : حديث حسن .

(٧) انظر ثقافة الداعية للقرضاوي - ص ١٥ .

- وقد ذكر د. عبد السلام تعريفاً فقال : "تلك الموافقة بين المكتشفات الحديثة للسنن الإلهية ، وبين ما أشار إليه القرآن مع تمام المطابقة بينهما"^(١).
- ب- الضوابط العلمية المنهجية للإعجاز العلمي :
- ١- اعتقاد أن القرآن كتاب هداية وإرشاد أولاً وليس كتاب علوم وكونيات .
 - ٢- عدم الإفراط والتفريط عند النظر في الآيات الكونية ، والاكتفاء بالحقائق العلمية في الاستدلال وعدم الاستدلال بالنظريات والفرضيات العلمية .
 - ٣- الوقوف على مرونة الأسلوب القرآني في توضيح المضامين العلمية بحيث يحتمل ذلك الأسلوب وجوهاً من التأويل .
 - ٤- عدم حصر دلالة الآية القرآنية على الحقيقة الواحدة ، بل إبقاء الآية مفتوحة الدلالة بحيث تحتمل كل ما يتفق مع معناها .
 - ٥- اليقين باستحالة التصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية .
 - ٦- اتباع المنهج القرآني في طلب المعرفة من خلال النظر في الآيات الربانية في الكون والنفس والآفاق والتعرف على سنن الله في هذا الوجود .
 - ٧- الإعجاز العلمي يُثبت عالمية رسالة القرآن الكريم ، وذلك لأن القرآن يدعو الناس في كل عصر لدين الله^(٢).

أمثلة على الإشارات العلمية في القرآن :

- أ- قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: ٥٦] هذه الآية فيها من التهديد والوعيد بعذاب اليم للكافرين يوم القيامة وجاء هذا العذاب في صورة تعذيب للجلود ، فلماذا اختار الله سبحانه التعبير بعذاب الجلود دون غيره من ألوان العذاب ، إن في ذلك لحكمة حيث استطاع العلم التوصل إلى وجود أوعية ناقلة للإحساس وهي تحت الجلد مباشرة وتصل على خمسة عشر نوعاً كل نوع له وظيفته وطبيعته ، لهذا فإن الألم الذي يحصل لجسم الإنسان يذوقه كل الجسم .
 - ب- قال تعالى : {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّما يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ} [الأنعام: ١٢٥] ، بفضل الطيران والبالونات استطاع الإنسان التعرف على ظاهرة طبيعية وهي نقص أوكسجين الهواء في طبقات الجو العليا حيث إن الصاعد يشعر بصعوبة وضيق في التنفس والآية القرآنية صرحت بهذه الظاهرة منذ زمن بعيد ، وهذا يدعونا إلى الإيمان الراسخ بأن ما جاء به محمدٌ إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى^(٣).
 - ت- قال تعالى : {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ} [البقرة: ٢٣٣] ، الرضاعة أوجبها الله سبحانه على الأم لأطفالها حفاظاً على الأطفال من الناحية الجسدية والنفسية والعقلية فقد تحدث الطب الحديث عن مقارنة بين الإرضاع الطبيعي والحليب الصناعي وذكر الآتي :-
- ١- أن مميزات اللبن الطبيعي أنه يتناسب من يوم لآخر عند الأم مع حاجة الطفل على مدار العامين الذي يرضع فيها الطفل .

(١) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم - ص ١٤ .

(٢) انظر هذه الضوابط بالتفصيل - الإعجاز العلمي - د. عبد السلام اللوح - ص ١٦٢-١٦٥ .

(٣) انظر روح الدين الإسلامي - ص ٥٤ ، وانظر بالتفصيل أمثلة متنوعة - الإعجاز العلمي - د. عبد السلام اللوح - ص ١٦٦-٢٣٤ .

- ٢- أما الإرضاع الصناعي فهو ثابت التركيز ولا يتناسب مع نمو الطفل ، لذلك أشار الأطباء إلى أهمية إرضاع الطفل من أمه وخاصة في الأيام الأولى من ولادته لأن اللبن في هذه الفترة يحتوي على عناصر ومواد لها دخل كبير في تكوين المناعة من الأمراض عند الطفل .
- ٣- إن حليب الأم لا يحتاج إلى تعقيم ولا تعلق به الجراثيم بينما الحليب الصناعي فهو عرضة من خلال أي إساءة في استعمال الأدوات .
- ٤- لبن الأم أسهل في الهضم على الطفل من اللبن الصناعي حيث إن اللبن الصناعي يحتاج هضمه من ثلاث إلى أربع ساعات^(١) .
- هذا بالإضافة لهذه الأنواع من الإعجاز يوجد أنواع أخرى منها : الإعجاز التاريخي ، والإعجاز الأخلاقي ، والإعجاز النفسي والروحي ، والإعجاز التربوي ، والإعجاز بأخبار الغيب والمستقبل وغير ذلك (٢) .
- فيمكن القول بأن أوجه إعجاز القرآن هي:**

- ١- النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب.
- ٢- الأسلوب العجيب المخالف لجميع الأساليب العربية.
- ٣- الجزالة التي لا يمكن لمخلوق أن يأتي بمثلها.
- ٤- التشريع الدقيق الكامل الذي يفي بحاجات البشر.
- ٥- الإخبار عن المغيبات الماضية والمستقبلية، التي لا تعرف إلا بالوحي.
- ٦- الوفاء بكل ما أخبر عنه القرآن من وعد ووعد.
- ٧- عجز المخلوقين عن أن يأتوا بمثله.
- ٨- كونه محفوظاً من الزيادة والنقصان ومن التبديل والتغيير {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩].

- ٩- تيسيره للحفظ {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} [القمر: ١٧].
 - ١٠- تأثيره في قلوب الأتباع والأعداء حتى قال قائلهم(٣) ، «والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر وإنه ليعلو وما يعلى عليه وما تقوله بشر».
 - ١١- كونه لا يمله قارئه ولا سامعه على كثرة التردد بخلاف سائر الكلام(٤).
- والقرآن أولاً وآخرًا هو الذي صير العرب رعاة الشاء والغنم ساسة شعوب وقادة أمم، وهذا وحده إعجاز، والقرآن الكريم هو أساس الدين ومصدر التشريع وحجة الله البالغة في كل عصر ومصر، بلغه رسول الله لأمة امتثالاً لأمر ربه واحتوى القرآن على الأمر الصريح بوجوب اتباعه والعمل بما تضمنه من الأحكام في غير موضع وبغير أسلوب {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ} [الأعراف: ٣] {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِّن كِتَابٍ} [العنكبوت: ٤٥].

- كما وقد احتوى القرآن الكريم على كثير من نواحي الحياة المختلفة من ذلك ما يأتي:
- ١- العقائد التي يجب الإيمان بها في الله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهي الحد الفاصل بين الإيمان والكفر.
 - ٢- الإرشاد إلى النظر والتفكر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء لتعرف أسرار الله في كونه وإبداعه في خلقه فتمتلئ القلوب إيماناً بعظمته عن نظر واستدلال لا عن تقليد ومجاورة.

(١) انظر لمحات في إعجاز القرآن - ص ٤٤-٤٥ .

(٢) إعجاز القرآن - أ.د. فضل عباس - ص ٢٥٠ .

(٣) هو: الوليد بن المغيرة المخزومي.

(٤) التبيان في علوم القرآن للصابوني (١٠٣) وانظر: البيان في إعجاز القرآن ومقدمة تفسير ابن جزي (١/ ٢٣).

- ٣- قصص الأولين أفرادا وأمما، فقد ورد في القرآن كثير من القصص الذي يثير الاعتبار والاعتاظ ويرشد إلى سنن الله في خلقه نجاة للمصالحين وهلاكاً للمفسدين.
- ٤- الأخلاق الفاضلة التي تهذب النفوس وتصلح من شأن الفرد والجماعة كالصبر والصدق والوفاء وأداء الأمانة مع التحذير من الأخلاق السيئة التي تؤدي بمعاني الحياة الإنسانية الفاضلة وتسبب لها الشقاء كالكذب والخيانة وإخلاف الوعد ونقض العهد.
- ٥- العبادات على اختلاف أنواعها من صلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد وجاء في ذلك ما يقرب من مائة وأربعين آية.
- ٦- نظام الأسرة كأحكام الزواج والطلاق وما يتبعها من مهر ونفقة وحضانة ورضاع ونسب وعدة ووصية وإرث، وجاء في ذلك ما يقرب من سبعين آية.
- ٧- أحكام المعاملات المالية كالبيع والإجارة والرهن والمداينة والتجارة، جاء في ذلك ما يقرب من سبعين آية أيضاً.
- ٨- أحكام الجنايات والحدود والسرقة والزنا والقذف ومحاربة الله في أرضه وجاء في ذلك ما يقرب من ثلاثين آية.
- ٩- أحكام الحرب والسلام وما يتبع ذلك من جهاد وغنيمة وأسر وعهود وجزية.
- ١٠- نظام الحكم فيما يجب على الحكام من الشورى والعدل والمساواة والحكم بما أنزل الله وما يجب على الناس لهم من طاعة.
- ١١- تنظيم الحياة الاجتماعية في علاقة الأغنياء بالفقراء فيما يحقق العدل الاجتماعي بين الناس، ولم يتفق العلماء على عدد آيات الأحكام وقيل إنها: خمس مائة آية أو قريب منها^(١) والله سبحانه وتعالى أعلم.
- وقد قال صلى الله عليه وسلم- «إنها ستكون فتنة» قيل: وما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم»^(٢)، وورد في الحديث ما معناه: أن القرآن اشتمل على ذكر الحلال والحرام والمحكم والمتشابه والأمثال، فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه، وعملوا بمحكمه وأمنوا بمتشابهه واعتبروا بأمثاله، وقال بعضهم: اشتمل القرآن على تسعة أشياء:
- فقال: لا إنما القرآن تسعة أحرف سأنبئكما في بيت شعر بلا خلل
- حلال حرام محكم متشابه بشير نذير عظة قصة مثل
- وأصل علوم القرآن ثلاثة: توحيد وتذكير وأحكام، فالتوحيد يدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله، والتذكير منه الوعد والوعيد والجنة والنار.
- والأحكام منها التكليف كلها وتبيين المنافع والمضار والأمر والنهي والندب، ولهذا كانت الفاتحة أم القرآن لأن فيها الأقسام الثلاثة، وسورة الإخلاص ثلثه لأن فيها أحد الأقسام وهو التوحيد^(٣).
- وقال ابن جزي في مقدمة تفسيره: معاني القرآن سبعة:
- ١- علم الربوبية، ومنه إثبات وجود الباري جل جلاله والاستدلال عليه بمخلوقاته.
- ٢- والنبوة وإثبات نبوة الأنبياء عليهم السلام على العموم وإثبات نبوة نبينا محمد على الخصوص وإثبات الكتب التي أنزلها الله عليهم ووجود الملائكة الذين كانوا وسائط بين الله وبينهم.

(١) تاريخ التشريع والفقهاء الإسلامي للشيخ مناع خليل القطان (٦٧، ٦٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٠٦): ص ١٧٢/٥.

(٣) «مختصر الإتيان في علوم القرآن» (٩٦-٩٨).

- ٣- المعاد: وهو إثبات الحشر وذكر ما في الآخرة من الحساب والجزاء وصحائف الأعمال وكثرة الأهوال والجنة والنار.
- ٤- الأحكام: وهي الأوامر والنواهي وتنقسم خمسة أنواع، واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح، ومنها ما يتعلق بالأبدان كالصلاة والصيام، وما يتعلق بالأموال كالزكاة وما يتعلق بالقلوب كالإخلاص والخوف والرجاء وغير ذلك.
- ٥- الوعد: ومنه وعد بخير الدنيا كالنصر على الأعداء والحياة الطيبة والأمن والاستقرار ومنه وعد بخير الآخرة كأوصاف الجنة ونعيمها.
- ٦- الوعيد: ومنه تخويف بالعقاب في الدنيا كالخوف والمرض والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات، ومنه وعيد، بعقاب الآخرة كعذاب القبر، وأهوال يوم القيامة، وشدة الحساب، ودخول النار، وتأمل القرآن تجد الوعد مقرونا بالوعيد كقوله: {إِنَّ الْأُبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ* وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} [الانفطار: ١٣، ١٤] ليبعث على الخوف والرجاء.
- ٧- القصص: وذكر أخبار الأنبياء مع قومهم وما جرى لهم من نجات المصدقين وهلاك المكذابين ليعتبر اللاحقون بالسابقين فلا يعملون مثل عملهم فيصيبهم ما أصابهم^(١).
- وبعد فإن القرآن أولاً وآخرًا هو الذي صير العرب رعاة الشاء والغنم ساسة شعوب وقادة أمم، وهذا وحده إعجاز، والقرآن الكريم هو أساس الدين ومصدر التشريع وحجة الله البالغة في كل عصر ومصر، بلغه رسول الله لأمته امتثالاً لأمر ربه واحتوى القرآن على الأمر الصريح بوجوب اتباعه والعمل بما تضمنه من الأحكام في غير موضع وبغير أسلوب {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ} [الأعراف: ٣] {اتلُّ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ} [العنكبوت: ٤٥].

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٩ / ١).

المحور الثاني: التعريف بأسماء القرآن والسور، وبيان فضائل القرآن
أولاً:- أسماء القرآن الكريم وأوصافه.
ثانياً:- أسماء السور
ثالثاً:- فضائل القرآن الكريم

أولاً:- أسماء القرآن الكريم وأوصافه:

من خصائص القرآن الكريم أن له أسماء عدة وهذا يدل على شرفه وعلو منزلته، فكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى وعلو قدره. ولقد اختار الله لوحيه أسماء جديدة مخالفة لما سمي العرب به كلامهم جملة وتفصيلاً.

وروعيت في تلك الألقاب أسرار التسمية وموارد الاشتقاق. وقد بلغت هذه الأسماء خمسة وخمسين اسماً ذكرها كل من الزركشي ونسب هذا التعداد إلى القاضي أبي المعالي المعروف بشيذلة. ولكل اسم من هذه الأسماء تفسير وبيان وهي برمتها معالم جامعة لكتاب الله تعالى.

وفيما يأتي نذكر أشهر تلك الأسماء، مستدلاً عليها بنصوص من القرآن الكريم:

١- القرآن:

وهو من أشهر الأسماء قاطبة، ولم يسم به كتابٌ آخر ، كلفظ الجلالة - الله - لم يسم به أحد من البشر.

وقد اختلفت آراء العلماء في سبب تسمية القرآن بهذا الاسم ومعناه، فبعض العلماء يرون أن كلمة قرآن هي اسم علم غير مشتق وهي كلمة خاصة بكلام الله وحده، وأنها تكتب غير مهموزة فتكتب "القران"، لأنه غير مشتق من كلمة قرأ.

وقال بعض العلماء أن كلمة "قرآن" مشتقة من قرن الشيء بالشيء ، وأنه سمي كذلك لأنه لقران السور والآيات والحروف فيه.

وقال البعض أن كلمة قرآن مشتقة من "القرائن" لأن كل آيات القرآن يصدق بعضها بعض، ويشبه بعضها بعض وهي قرائن.

وقال البعض أن كلمة قرآن تكتب مهموزة لأنها مشتقة من كلمة "القرء" وتعني الجمع وقد سمي بذلك لأنه جمع السور بعضها مع بعض.

وقد ورد لفظ "قرآن" في القرآن الكريم تسعة وستين مرة في (٣٨) سورة ، وقد تكرر لفظ " قرآن" في سورة الإسراء (١٠) مرات، وفي سورة النمل (٤) مرات وفي سورة القمر(٤) مرات، وفي كل مرة ذكر فيها لفظ "قرآن" كان يقصد به كلام الله الذي أنزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، إلا في آيتين وهما: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} [الإسراء : ٧٨]. والموضع الآخر في سورة القيامة: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قُرْآنُهُ قَائِمٌ فَرَأَى (١٨) [القيامة : ١٧ - ١٨].

وقد ورد لفظ "قرآن" في عدة سياقات مختلفة منها:

- سياق الوحي والتنزيل.
 - سياق الكتب السماوية التي أنزلت على الأنبياء والرسل عليهم السلام.
 - سياق التلاوة والترتيل والتدبر والاستماع.
 - سياق الإشارة إلى مضمون القرآن وما فيه من الحكم والمواعظ.
- فسمي قرآناً، لجمعه الأحكام والقصاص والمواعظ والأمثال وغير ذلك، قال تعالى: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ} [البروج: ٢١]، {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء: ٩].

٢- الفرقان:

وهو مصدر، من: فرق يفرق. سمي به القرآن، لأنه كلام فارق بين الحق والباطل والمسلم والكافر والمؤمن والمنافق. كما أنه مفروق بعضه عن بعض في النزول، حيث لم ينزل جملة واحدة كما هو الحال في الكتب الأخرى، وذلك ليسهل حفظه ويكون أعون على الفهم. يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَفَوَّأ لَّيَجْعَلِ اللَّهُ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الأنفال :

[٢٩]. ويقول: {وَفَرَأْنَا فَرَقَانَهُ لِنَفْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} [الإسراء : ١٠٦]، وقال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان : ١]، سمي بذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال والحلال والحرام.

٣- الكتاب:

وهو مصدر: كتب يكتب كتابة، وأصلها: الجمع. وسميت الكتابة لجمعها الحروف فاشتق منها لذلك لأنه يجمع أنواعاً من القصص والآيات والأحكام والأخبار على أوجه مخصوصة. ويسمى المكتوب كتاباً مجازاً. قال الله تعالى: {فِي كِتَابٍ مَكْتُونٍ} [الواقعة : ٧٨]، أي: اللوح المحفوظ. فهو الكتاب على الحقيقة الجامع لما تفرق في غيره، قال تعالى: {الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ١، ٢].

٤- الذكر:

وهو الشرف كما يفيد معنى الموعدة التحذير والأخبار عن الأمم الماضية، يقول الله تعالى: {لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الأنبياء : ١٠]. وقال تعالى: {وَأَنذَرْتُكُمْ لَئِن لَّمْ تَؤْمِنُوا بِآيَاتِنَا لَأَكْثَرُ لَكُمْ سَعِيرًا} [الزخرف: ٤٤]، أي: وإن القرآن لشرف لك ولقومك، وقيل فيه ذكركم أي ذكر أمر دينكم وأحكام شرعكم وما تصيرون إليه من ثواب أو عقاب.

٥- التنزيل:

وسمي بذلك لأنه منزل من عند الله تعالى على لسان جبريل عليه السلام ولأن الله تعالى أسمع جبريل كلامه وفهمه إياه كما شاء من غير وصف ولا كيفية نزل به على نبيه «صلى الله عليه وسلم»، فأداه هو كما فهمه وعلمه يقول الله تعالى: {وَأَنزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا} [الشعراء : ١٩٢]، وقال تعالى: {تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ} [يس : ٥]، وقال تعالى: {تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [فصلت : ٢]، {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت : ٤٢].

٦- المجيد:

أي: الشريف، لأنه محفوظ عن التغيير والتبديل والزيادة والنقصان وجعله معجزاً في نفسه عن أن يؤتى بمثله. يقول الله تعالى: {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ} [ق : ١]، {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ} [البروج : ٢١].

٧- الوحي:

أي: الموحى به من عند الله وقد ورد ذكره في خمس وأربعين آية. يقول الله: {إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم : ٤].

هذا والأسماء كثيرة. وبعضهم خلط بين الاسم والصفة وجعل لهما مفهوماً واحداً. فمن ذلك مثلاً: نور، هدى، شفاء، رحمة، موعظة، مبارك، مبین، بشري، العزيز، البشير، النذير، القصص، الروح، المثاني، البيان، التبيان، الحكيم، وغيرها كثير^(١). وقد أوصلها بعضهم إلى نيف وتسعين اسماً. وكل تسمية أو وصف إنما هو باعتبار معنى من معاني القرآن الكريم.

(١) وقد قسم جلال الدين السيوطي أسماء القرآن الكريم إلى ٥٥ اسم، كلها وردت في آياته، وهذه الأسماء هي:

١. الكتاب
٢. والمبين: {حم والكتب المبين} [سورة الدخان ١-٢].
٣. كلام الله: {حتى يسمع كلم الله} سورة التوبة ٦
٤. قرآن
٥. والكريم: {إنه لقرآن كريم} الواقعة ٧٧.
٦. نوراً " [وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً] (النساء ١٧٤)
٧. هدى.
٨. ورحمة: {ووهدي ورحمة للمؤمنين} [يونس ٥٧].

٩. الفرقان: {نزل الفرقان على عبده} {الفرقان ١}.
١٠. شفاء: {وننزل القرآن ما هو شفاء} {الإسراء ٨٢}.
١١. موعظة: {قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور} {يونس ٥٧}.
١٢. ذكر
١٣. ومباركا: {وهذا ذكر مبارك أنزلناه} {الأنبياء ٥٠}.
١٤. عليًا: {وإنه في أم الكتب لدينا لعلي} {الزخرف ٤}.
١٥. حكمة: {حكمة بلغه} {القمر ٥}.
١٦. حكيمًا: {تلك آيات الكتاب الحكيم} {يونس ٢}.
١٧. مهيمنا: {مصدقًا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليه} {المائدة ٤٨}.
١٨. جبل الله {واعتصموا بحبل الله} {آل عمران ١٠٣}.
١٩. صراطًا مستقيماً: {وأن هذا صراطي مستقيماً} {الأنعام ١٥٣}.
٢٠. قيما: {قيما لتنذر بأسا شديداً} {الكهف ٢}.
٢١. قولًا
٢٢. وفصلًا: {إنه لقول فصل} {الطارق ١٣}.
٢٣. نبأ
٢٤. وعظيم: {سورة النبأ ١-٢}.
٢٥. أحسن الحديث
٢٦. ومتشابهًا
٢٧. ومثاني: وردت جميعها في [سورة الزمر أية ٢٣].
٢٨. تنزيلاً: [سورة الشعراء أية ١٩٢].
٢٩. روحًا: [سورة الشورى ٥٢].
٣٠. وحياً [سورة الأنبياء ٤٥].
٣١. عربياً: [سورة يوسف ٢].
٣٢. بصائر: [الأعراف ٢٠٣].
٣٣. بيانا: [آل عمران ١٣٨]
٣٤. علما: [البقرة ١٤٥]
٣٥. حقًا: "آل عمران ٦٢]
٣٦. هديًا" [الإسراء ٩]
٣٧. عجبًا [الجن ١]
٣٨. تنكرة: {الحاقة ٤٨}
٣٩. العروة الوثقى: [البقرة ٢٥٦].
٤٠. صدقًا: [الزمر ٣٣]
٤١. عدلًا: [الأنعام ١١٥]
٤٢. أمرًا: [الطلاق ٥]
٤٣. منادياً: [آل عمران ١٩٣]
٤٤. بشري: [النمل ٢]
٤٥. مجيد: [البروج ٢١]
٤٦. زيورا: [الأنبياء ١٠٥]
٤٧. بشيراً: [فصلت ٣-٤]
٤٨. نذيراً: [فصلت ٣-٤]
٤٩. عزيزاً [فصلت ٤١]
٥٠. بلاغا: [إبراهيم ٥٢]
٥١. قصصاً [يوسف ٣]
٥٢. صحف

أما تسمية القرآن بالمصحف فقد كانت زمن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، حكى المظفري في تاريخه قال: "لما جمع أبو بكر القرآن قال: سموه فقال بعضهم: سموه إنجيلاً فكرهوه وقال بعضهم: سموه سفراً فكرهوه من يهود. فقال ابن مسعود: رأيت بالحبيشة كتاباً يدعونه المصحف فسموه به"، فكان أبو بكر -رضي الله عنه- أول من جمع القرآن في المصحف^(١).
وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة اقتداءً بنبيه «صلى الله عليه وسلم» بقي القرآن محفوظاً في حرز إنجازاً لوعده الله الذي تكفل بحفظه فلم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التبديل والتحريف وانقطاع السند.

٥٣ . مكرمة
٥٤ . مرفوعة
٥٥ . مطهرة : أربعة أسماء وردت في سورة عبس، قال تعالى: {فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤)} [عبس : ١٣ - ١٤].
(١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/٢٨١ - ٢٨٢)، والإتقان في علوم القرآن: ١/٤٨١.

ثانياً:- أسماء السور

١- السورة-لغة واصطلاحاً-

أ-السورة لغة:

يرجع اشتقاق كلمة "السورة" إلى: سُور البناء، وقد جاء في لسان العرب أن السورة من البناء هي: كلّ ما حَسُنَ وطال، وقيل: إنها كلّ منزلة من البناء^(١). وقيل: إنها من سور المدينة؛ لإحاطته بآياتها واجتماعها، كاجتماع البيوت بالبيوت، ومنه السَّوار؛ لإحاطته بالساعد^(٢).

وقيل أن "السورة" من مادة "س أ ر" لتكون "سُورَة" بهمز الواو، والتي تدلّ على بقية الشيء، يقول ابن منظور: «وَمَنْ هَمَزَ السُّورَةَ مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ جَعَلَهَا بِمَعْنَى بَقِيَّةٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَقِطْعَةً»^(٣). ويذكر الزبيدي هذا المعنى، ويضيف إليه ما قيل من أن (سورة) مأخوذة من "سورة المال"، أي: المال الجيّد، وأنه «تُرِكَ هَمَزُهَا لَمَّا كَثُرَ الْإِسْتِعْمَالُ»^(٤).

ب-السورة اصطلاحاً:

السورة-اصطلاحاً:- هي قطعة من القرآن معينة بمبدأ ونهاية لا يتغيران، مسمّاة باسم مخصوص، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر، في غرض تام ترتكز عليه معاني آياتها، ناشيء عن أسباب النزول أو مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المتناسبة^(٥).

ومناسبة هذه التسمية للقطعة من القرآن أنها مأخوذة من السور، وهو الجدار المحيط بالمدينة أو بمحلة قوم، وزادوه هاء تأنيث في آخره مراعاة لمعنى القطعة من الكلام. وقيل: مأخوذ من السور، وهو البقية مما يشرب الشارب، بمناسبة أن السور جزء مما يشرب، ثم خففوا الهمزة الساكنة بعد الضمة فصارت واوا، وهذه التسمية من مبتكرات القرآن أيضاً.

وفائدة التسوير، كما يقول صاحب الكشاف، أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع، كان أحسن وأنبئ من أن يكون شيئاً واحداً، وأن القارئ إذا ختم سورة ثم أخذ في أخرى كان أنشط له وأهز لعطفه، كالسافر إذا علم أنه قطع ميلاً أو طوى فرسخاً^(٦).

وتسوير القرآن من السنة في زمن النبي-صلى الله عليه وسلم-، فقد كان القرآن يومئذ مقسماً إلى مئة وأربع عشرة سورة بأسمائها، ولم يحفظ عن جمهور الصحابة حين جمعوا القرآن أنهم تردّدوا ولا اختلفوا في عددها، إلا ما روي من آثار لا تصح عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - من إنكاره الموعودتين، وإثباته دعاء القنوت في مصحفه.. وقد نهض علماءنا من قديم لدحض هذه المرويّات السقيمة - سندا ومتنا - ، وبقي الأمر على الإجماع على سور القرآن العظيم التي بين دفتي المصحف^(٧).

(١)لسان العرب، ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم)، مادة (س و ر)، تحقيق: علي عبد الله الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م

(٢)الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، المجلد الأول، ص ١٥٠.

(٣)لسان العرب، ابن منظور، مادة "س أ ر".

(٤)تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني)، مادة "س أ ر"، الجزء الحادي عشر، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، وزارة الإعلام، الكويت، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

(٥)مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل بن محمد أبو العلاء: ٢٤.

(٦)انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، تصوير دار الفكر - بيروت، ١/ ٢٤٠، ٢٤١.

(٧)انظر في براءة هذا الصحابي الجليل مما نسب إليه من إنكار السورتين، وأنه لا خلاف في شيء من كتاب الله تعالى: الانتصار للقرآن، أوبكر الباقلائي، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بألمانيا، ١٩٨٦م، (وهي نسخة مصورة عن مخطوطة الكتاب الوحيدة في استانبول، بعناية الأستاذ فؤاد سزكين). و: إعجاز القرآن، للباقلاني أيضاً، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف - القاهرة، ص ٤٤١، ٤٤٥ ومقدمتان في علوم القرآن، نشرهما: آرثر جفري، الخانجي، ط ٢،

٢- ترتيب السور

وأما ترتيب السور^(١)؛ فالجمهور على أنه بتوقيف كذلك عن النبي -صلى الله عليه وسلم- غير أن بعض العلماء نازع في ذلك، ومنهم الإمام القاضي أبو بكر الباقلاني في كتابه العظيم "الانتصار للقرآن"، غير أنه نفى أن يكون لذلك مدخل للطعن فيه، بل ما أداه إلى القول بهذا إلا الرد على مطاعن الملحة والمتشككين في أمر القرآن الكريم^(٢)، غير أن الصحيح هو ما ذهب إليه الجمهور، وأما ما تعلق به المتشككون فله أجوبة شافية، ولكن لا مجال هنا لتفصيل القول فيها^(٣).

٣- أقسام سور القرآن:

قسم العلماء سور القرآن إلى أربعة أقسام:

أولاً:- السبع الطوال، وهي: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف، واختلف في السابعة أهي الأنفال وبراءة لعدم الفصل بينهما بالبسمة؟ أو هي سورة يونس؟
ثانياً:- المئون: وهي السور التي تزيد آياتها عن مئة آية أو تقاربها.
ثالثاً:- المثاني: وهي التي تلي المثين في عدد الآيات.
رابعاً:- المفصل: وهي من سورة الحجرات إلى آخر القرآن، وهو ثلاثة أقسام: طوال المفصل وهو من سورة الحجرات إلى سورة النبأ، وأوساط المفصل من سورة النبأ إلى سورة الضحى وقصار المفصل من سورة الضحى إلى آخر القرآن.

عن واثلة بن الأسقع أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المثين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل» رواه الطبراني بإسنادين أحدهما صحيح قال ابن جرير الطبري: وبمثل ما جاءت به الرواية عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأسماء السور جاء شعر الشعراء، فقال بعضهم:

حلفت بالسبع اللواتي طولت وبمئين بعدها قد أمئت^(٤)

وبمئان ثنيت فكررت وبالطواسين التي قد ثلثت^(٥)

وبالحواميم اللواتي سبعت وبالمفصل اللواتي فصلت^(٦)

وسمي المفصل لكثرة الفصول التي بين السور ببسم الله الرحمن الرحيم.

٤- ورود السور:

تنوع موقع ورود اسم السورة في القرآن الكريم من السورة على النحو الآتي:

١٩٧٢م، ولاسيما الفصل الرابع من المقدمة الأولى ص ٧٨: ١١٧. وانظر كذلك: مساعد النظر، للبقاعي، ٣/٣١١: ٣١٦.. وسوى ذلك كثير جداً، لا سبيل إلى استقصائه في هذا المقام.

(١) وكذلك ترتيب الآيات: الإجماع على أن اتساق الحروف والآيات كله بالتوقيف عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والذي تلقاه عن جيريل - عليه السلام -، عن رب العزة - سبحانه وتعالى - وليس في ذلك خلاف بين أحد من أهل القبلة، ولكن لما كان تعيين الآيات التي أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بوضعها في موضع معين غير مروى إلا في البعض منها، كان حقا على المفسر أن يتطلب مناسبات لمواقع الآيات، ما وجد إلى ذلك سبيلا موصلا، وإلا فليعرض عنه، ولا يكن من المتكلفين، فالإجماع على صحة الترتيب يكفينا عن التكلف في إظهار أسبابه.

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتابه (الانتصار للقرآن) ص ١٦٥: ١٨٣.

(٣) انظر في ذلك: لإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، د. محمد أحمد يوسف قاسم، ط ١/١٩٧٩م، ص ٢٥٧: ٢٨٦.

(٤) أكمل عددها حتى بلغت مئة آية.

(٥) يعني: طسم الشعراء، وطس النمل، وطسم القصص.

(٦) الحواميم التي سبعت: سبع سور من سورة غافر إلى سورة الأحقاف.

- أ- وردت بعض أسماء السور أول كلمة في السورة، وذلك في إحدى وعشرين سورة، هي: طه، ويس، والصفات، و(ص)، و(ق)، والذاريات، والطور، والنجم، والرحمن، والحاقة، والمرسلات، والنازعات، وعبس، والفجر، والشمس، والليل، والضحى، والتين، والعاديات، والقارعة، والعصر.
- ب- جاءت بعض أسماء السور ضمن الآية الأولى للسورة، لكن ليس أول كلمة فيها، وذلك في ثلاث وأربعين سورة، هي: النساء، والأنفال، والإسراء، والمؤمنون، والفرقان، وفاطر، والفتح، والقمر، والواقعة، والمجادلة، والمنافقون، والطلاق، والتحريم، والمُلْك، والقلم، ونوح، والجن، والمزمل، والمدثر، والقيامة، والإنسان، والتكوير، والانفطار، والمطففين، والانشقاق، والبروج، والطارق، والأعلى، والغاشية، والبلد، والشرح، والقدر، واليَئنة، والزلزلة، والتكاثر، والهَمزة، والفيل، وقريش، والكوثر، والكافرون، والنصر، والفلق، والناس.
- ت- وردت بعض أسماء السور ضمن الآية الأخيرة للسورة، وذلك في أربع سور، هي: النساء، والماعون، والمسد، والناس.
- ث- جاءت بعض أسماء السور داخل السورة، وذلك في سبع وأربعين سورة، هي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والتوبة، ويونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، والنحل، والكهف، ومريم، والحج، والنور، والشعراء، والنمل، والقصاص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة، والأحزاب، وسبأ، والزمر، وغافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجنات، والأحقاف، ومحمد، والحجرات، والحديد، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والتغابن، والمعارج، والنبأ، والعلق.

ه-صيغ اسماء السور:

- لقد اتسمت صيغ أسماء سور القرآن الكريم بالتنوع والتعدد، ومن أهم الظواهر ما يأتي:
- أ- شملت أسماء سور القرآن الكريم جميع أنواع الكلمة؛ إذ تنوعت بين الحرف والفعل والاسم. وقد ورد في نوع (الحرف) اسمان لسورتين، هما: سورة (ص)، وسورة (ق). واخْتُصَّتْ سورتان بحرفين في اسم كلٍّ منهما، وهما: سورة طه، وسورة يس، والحرفان في كلٍّ منهما من الأحرف المُقطَّعة. وجاء في نوع (الفعل) اسمان لسورتين، أحدهما: في صيغة الفعل الماضي المبني للمفعول، وذلك في اسم: سورة (فُصِّلَتْ)، والثاني: في صيغة الفعل الماضي المبني للفاعل، وذلك في اسم: سورة (عَبَسَ). وأنت أسماء باقي السور في نوع (الاسم)، ويبلغ عدد السور التي وردت تحت هذا النوع مائة وثمان سور. وهكذا فإن أسماء سور القرآن الكريم لم تترك نوعاً من أنواع الكلام الثلاثة: (الاسم، والفعل، والحرف)، وإن كانت الغلبة لنوع (الاسم)، وتضمنت أسماء السور (الفعل، والحرف) للدلالة على أن القرآن الكريم يشتمل على جميع أنواع الكلام العربي.
- ب- جاءت بنية أسماء جميع السور في كلمة واحدة، ما عدا سورة واحدة ورد اسمها في صيغة التركيب الإضافي المكون من كلمتين: (مضاف ومضاف إليه)، وهي: سورة (آل عمران).
- ت- من الظواهر اللافتة في أسماء سور القرآن الكريم ورود عدد منها في صيغة المصدر، وذلك في ثمان عشرة سورة: التوبة، والرعد، والإسراء، والحج، والفتح، والمجادلة، والحشر، والتغابن، والطلاق، والتحريم، والتكوير، والانفطار، والانشقاق، والشرح، والزلزلة، والتكاثر، والنصر، والإخلاص.
- ث- ذُكر اسم السورة في متن بعض السور بصيغة مختلفة، وهذه السور جاءت أسماؤها جميعاً في صيغة المصدر. ووردت معظم الكلمات المرتبطة باسم السورة في المتن بصيغة الفعل الماضي؛ ففي سورة الإسراء نجد: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ} [الإسراء: 1]، حيث جاء الفعل (أسرى) في صيغة الماضي، في حين أن اسم السورة (الإسراء) في صيغة المصدر. كما ورد الفعل الماضي

المرتبط بأسماء السور في كل من: سورة التكوير، وسورة الانفطار، وسورة الانشقاق، وسورة الزلزلة. وجاءت صيغة الفعل المضارع المرتبط باسم السورة، في سور: المجادلة، والتحريم، والشرح^(١). وجاء الفعل بصيغة الأمر في سورة الممتحنة، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠].

ج- تنوعت صيغ الجموع في أسماء سور القرآن الكريم، فقد جاءت صيغة جمع المذكر السالم في أسماء أربع سور، هي: المؤمنون، والمنافقون، والمطففين، والكافرون. ووردت صيغة جمع المؤنث السالم في ست سور، هي: الصافات، والحجرات، والذاريات، والمرسلات، والنازعات، والعديات. وكانت الغلبة لصيغة جمع التكسير، حيث جاءت في تسع سور، هي: الأنعام، والأعراف، والأنفال، والأنبياء، والشعراء، والقصص، والأحزاب، والأحقاف، والمعارج. وجاءت بعض أسماء السور في صيغة (اسم الجمع)، وذلك على نوعين؛ الأول: ما يدل على أكثر من اثنين وليس له مفرد من لفظه ومعناه، كما في اسم سورة: النساء (مفردة: المرأة). والثاني: ما له مفرد، ولكن عند عطفه على المفرد المماثل لا يدل على الكثرة، كما في اسم سورة: قريش (المفرد: قرشي)^(٢). ووردت بعض أسماء سور القرآن الكريم في صيغة (اسم الجنس الجمعي)، وذلك على نوعين؛ الأول: ما يُفَرِّق بينه وبين المفرد بتاء التانيث، وذلك في سورتي: النحل (مفردتها: النحلة)، والنمل (مفردتها: النملة). والثاني: ما يُفَرِّق بينه وبين المفرد بياء النسب، وذلك في سورة: الروم (مفردتها: الرومي).

ح- تضمنت سور القرآن الكريم خمسة من أسماء الله الحسنى، منها ثلاثة مُعَرِّفَةٌ بالألف واللام، هي: النور^(٣)، والرحمن، والأعلى. والاسمان الرابع والخامس بدون الألف واللام، وذلك في سورتي: فاطر^(٤)، وغافر.

(١) الفعل في هذه السورة في صيغة المضارع، لكن المعنى يدل على الماضي؛ لدخول أداة النفي (لم) عليه، وذلك في قوله تعالى: ﴿الْمُتَشَرِّحُ لَكَ صَدْرُكَ﴾ [الشرح: ١].

(٢) يشير الأستاذ عباس حسن إلى أنه «يدخل في اسم الجمع ما له مفرد من لفظه، ولكن إذا عطف على هذا المفرد مماثلان أو أكثر كان معنى المعطوفات مخالفاً لمعنى اللفظ الدال على الكثرة، نحو: قريش، فإن مفردة قرشي. فإذا قيل: قرشي، وقرشي، وقرشي... كان معنى هذه المعطوفات، هو: جماعة منسوبة إلى قبيلة (قريش)، وهو معنى يختلف اختلافاً واسعاً عن معنى (قبيلة قريش)، فليس مدلول قبيلة قريش مساوياً مدلول: جماعة منسوبة إلى قريش». النحو الوافي، عباس حسن، الجزء الرابع، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٦٨٠.

(٣) حدث اختلاف حول تفسير كلمة (نور) الواردة في قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]. وأشار الزجاج إلى وجود فريقين؛ الأول: يقول: (الله ذو نور السماوات)، أي: إنه خالق هذا النور الذي في الكواكب كلها، لا أنه ضياء له وأنوار لأجسامها، والثاني: يرى أن المعنى في الآية أنه بما بيّن وأوضح بحججه وبراهين وحدانيته نُورُ السماوات والأرض. تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج (أبو إسحق إبراهيم بن السري)، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، الطبعة الثانية، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، ص ٦٢. ورد القرطبي على المجسمة الذين قالوا: إن الله نور لا كالأنوار وجسم لا كالأجسام، وأوضح أن «هذا محال على الله تعالى عقلاً ونقلاً». الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الجزء الخامس عشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص ٢٥٥.

(٤) ذكره البيهقي ضمن الأسماء التي تتبع إثبات الإبداع والاختراع لله عز وجل. كتاب أسماء الله وصفاته، المعروف بـ: الأسماء والصفات، البيهقي (الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين)، حققه وعلق عليه: محمد محب الدين أبو زيد، الجزء الأول، مكتبة التوعية، دار الشهداء، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ١٥٨. وأشار إليه الغزالي عند حديثه عن أن أسماء الله الحسنى من حيث التوقيف غير مقصورة على تسعة وتسعين. المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، الغزالي (أبو حامد)، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ١٤٧. وأوضح الكردي أن اسم الله تعالى (الفاطر) معناه: «موجد السماوات والأرض وما فيهن وكل ما يؤثر فيهن، لا على مثال سابق على وجه السرعة والتكوين»، انظر: أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم، عبد الحميد راجح الكردي، دار المأمون، عمان، ٢٠٠٦م، ص ١٣٦.

خ- اشتملت أسماء سور القرآن على ثمانية أعلام، منها ستة أنبياء، وذلك في سور: يونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، ومحمد، ونوح. والاسمان المتبقين، أولهما لمريم والدة نبي الله عيسى -عليه السلام-، وثانيهما للقمان الحكيم.

د- وردت ستة أسماء خاصة بأسماء الدواب ضمن سور القرآن الكريم، منها ثلاثة للحيوانات، هي: البقرة، والأنعام، والفيل. وثلاثة للحشرات، هي: النحل، والنمل، والعنكبوت.

٦- دلالات أسماء السور:

هناك بعض الدلالات التي نلاحظها من خلال النظر في أسماء سور القرآن الكريم، منها ما يأتي:

أ- جاءت أسماء سور القرآن الكريم مُتَضَمِّنَةً في المتن، فيما عدا ثلاث سور؛ هي: الفاتحة، والأنبياء، والإخلاص؛ إذ يدل اسم كل منها على معنى السورة دون أن يرد فيها لفظاً؛ فاسم (الفاتحة) دالٌّ على أن آيات السورة هي التي تفتتح سور القرآن الكريم، وتتضمن المعاني والمقاصد التي يشتمل عليها الكتاب العظيم، وقد أشار السيوطي إلى عدة أسباب واحتمالات لتسميتها بهذا الاسم، إذ يقول: «وسميت بذلك لأنه يفتتح بها في المصاحف، وفي التعليم، وفي القراءة في الصلاة، وقيل: لأنها أول سورة نزلت، وقيل: لأنها أول سورة كُتبت في اللوح المحفوظ»^(١). وقريب من هذا ما ذكره (القرطبي) من أنها سميت فاتحة الكتاب: «لأنه تفتتح قراءة القرآن بها لفظاً، وتفتتح بها الكتابة في المصحف خطأً، وتفتتح بها الصلوات»^(٢). وأما سورة الأنبياء، فقد ورد فيها الحديث عن عدد من الأنبياء دون ذكر اسم (الأنبياء) فيها. وفيما يخص سورة الإخلاص، فقد أشار (الرازي) إلى أنها سميت بهذا الاسم؛ لأنه ذُكرت فيها صفات الجلال، ومن اعتقد بما فيها كان مخلصاً في دين الله، ومن مات على هذا الإخلاص يكون جزاؤه الخلاص من النار^(٣).

ب- جاءت بعض الأسماء دالة على أوقات اليوم، وذلك في أربع سور، هي: الفجر، والليل، والضحي، والعصر.

ت- السورة الوحيدة التي دل اسمها على يوم من أيام الأسبوع، هي: سورة الجمعة؛ وذلك لقدر وعظمة هذا اليوم عند الله -عز وجل-.

يتضح مما سبق أن أسماء سور القرآن الكريم تتميز بالتنوع، وأنها وردت ضمن بعض آيات السورة، فيما عدا ثلاث سور لم ترد فيها مطلقاً، هي: الفاتحة، والأنبياء، والإخلاص، وتنوع موقع ورود اسم السورة في المتن، حيث ترد أحياناً أول كلمة في السورة، أو في الآية الأولى ولكن ليس أول كلمة، أو في الآية الأخيرة، أو داخل السورة. وتبين أن أسماء السور شملت جميع أنواع الكلمة، فقد تنوعت بين الحرف والفعل والاسم. وتكونت بنية أسماء السور من كلمة واحدة، ما عدا سورة واحدة، هي: آل عمران. وتنوعت الصيغ الصرفية في أسماء سور القرآن؛ فمنها ما جاء في صيغة المصدر، ومنها ما ورد في صيغ الجموع. وتضمنت أسماء السور: بعض أسماء الله الحسنى، وأسماء أعلام؛ منهم ستة أنبياء، إضافة إلى أسماء دواب، وأسماء دالة على الوقت، واسم دالٌّ على يوم واحد هو يوم الجمعة الذي اخُص بإحدى سور القرآن الكريم لعظمته ومكانته بين أيام الأسبوع.

(١) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، الجزء الأول، ص ١٥١.

(٢) تفسير القرطبي: ١٧٢/١.

(٣) تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الرازي (فخر الدين بن ضياء الدين عمر)، الجزء الثاني والثلاثين، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ص ١٧٥.

ويحتاج البحث في موضوع أسماء سور القرآن إلى مزيد من التوسّع والنظر والدراسة، لا سيما أن هناك أسماء أخرى للسور غير الواردة في المقال، وأن هناك أقوالاً حول الأسماء وهل هي من باب التوقيف أم الاجتهاد؟^(١).

ويمكن عند البحث اللغوي المفصّل في أسماء سور القرآن الكريم أن نتبين مدى صلة معنى اسم السورة بالسورة نفسها، وكيفية بناء اسم السورة، وهو ما يحتاج إلى المزيد من الدرس^(٢).

اشكالية في تسمية السور:

اختلف العلماء في جواز تسمية السور، بسورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة النساء، وهكذا.. فالفقهاء الصحيح جواز أن يقال سورة البقرة: وآل عمران والنساء، والأعراف، وهكذا بدون كراهة، وثبت عن بعض السلف كراهة أن يقال في تسمية السورة باسمها المباشر، كأن يقال: سورة البقرة، سورة آل عمران، ونحو ذلك، ورأى هؤلاء أن يقال: السورة التي تذكر فيها البقرة، وهكذا.

روى البخاري عن الأعمش، قال: "سمعت الحجاج، يقول على المنبر: السورة التي يذكر فيها البقرة، والسورة التي يذكر فيها آل عمران، والسورة التي يذكر فيها النساء. قال: فذكرت ذلك لإبراهيم، فقال: حدثني عبد الرحمن بن يزيد أنه كان مع ابن مسعود رضي الله عنه حين رمى جمرة العقبة، فاستبطن الوادي، حتى إذا حاذى بالشجرة اعترضها، فرمى بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة ثم قال: من ها هنا، والذي لا إله غيره، قام الذي أنزلت عليه سورة البقرة صلى الله عليه وسلم"^(٣).

وبوب البخاري في صحيحه باباً فقال: "باب من لم ير بأساً أن يقول: سورة البقرة، وسورة كذا وكذا"^(٤)، وأورد فيه عدة أحاديث، منها:

١- عن أبي مسعود الأنصاري، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه»^(٥).

٢- عن حديث المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن عبد القاري، أنهما سمعا عمر بن الخطاب، يقول: "سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة، لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أساوره في الصلاة، فانتظرت حتى سلم، فلببته فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت له: كذبت فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهو أقرأني هذه السورة، التي سمعتك فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أفوده، فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وإنك أقرأني سورة الفرقان، فقال: "يا هشام اقرأها"، فقرأها القراءة التي سمعته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هكذا أنزلت"، ثم قال: (اقرأ يا عمر) فقرأتها التي أقرأنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هكذا أنزلت"، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه"^(٦).

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الأول، مكتبة دار التراث، القاهرة، د. ت.، ص ٢٧٠، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، المجلد الأول، ص ١٥٠ و ١٥١، والسورة القرآنية، د. عبد البديع أبو هاشم، بحث في: الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص ٢٢١ و ٢٢٢.

(٢) انظر: أسماء سور القرآن، د. إبراهيم عبدالمعطي (بحث منشور في الشبكة الإلكترونية).

(٣) صحيح البخاري (١٧٥٠): ص ١٧٨/٢.

(٤) صحيح البخاري: ١٩٤/٦.

(٥) صحيح البخاري (٥٠٤٠): ص ١٩٤/٦.

(٦) صحيح البخاري (٥٠٤١): ص ١٩٤/٦.

٣- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: " سمع النبي صلى الله عليه وسلم قارئاً يقرأ من الليل في المسجد، فقال: " يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا وكذا" (١).
قال ابن حجر: " أشار بذلك إلى الرد على من كره ذلك وقال لا يقال إلا السورة التي يذكر فيها كذا " (٢).

وقال الإمام النووي: " يجوز أن يقول : سورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة النساء، وسورة العنكبوت، وكذلك الباقي، ولا كراهة في ذلك. وقال بعض السلف: يُكره ذلك، وإنما يُقال: السورة التي تُذكر فيها البقرة، والتي يُذكر فيها النساء، وكذلك الباقي. والصواب الأول، وهو قول جماهير علماء المسلمين من سلف الأمة وخلفها، والأحاديث فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من أن تحصر، وكذلك عن الصحابة فمن بعدهم" (٣).

ولا يصح في هذه المسألة حديث مرفوع، وإنما هو اجتهاد لبعض السلف، خالفه من هو أولى وأكثر ، مع دلالة السنة الصحيحة على خلافه أيضاً.

وأما الحديث الوارد عن أنس بن مالك مرفوعاً: " لا تقولوا: سورة البقرة، ولا سورة آل عمران، ولا سورة النساء، وكذا القرآن كله، ولكن قولوا: السورة التي يذكر فيها البقرة، والتي يذكر فيها آل عمران، وكذا القرآن كله" : فلا يصح، قال ابن كثير: " هذا حديث غريب لا يصح رفعه، وعيسى بن ميمون هذا هو أبو سلمة الخواص، وهو ضعيف الرواية، لا يحتج به" (٤).
وشرع ابن كثير في إيراد بعض الأحاديث التي ثبت فيها إطلاق سورة البقرة ، سورة آل عمران ، ونحو ذلك.

وقال السيوطي عن الحديث السابق: " وإسناده ضعيف، بل ادعى ابن الجوزي أنه موضوع، وقال البيهقي: إنما يعرف موقوفاً على ابن عمر، ثم أخرجه عنه بسند صحيح. وقد صح إطلاق سورة البقرة وغيرها عنه صلى الله عليه وسلم، وفي الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: " هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة ومن ثم لم يكرهه الجمهور" (٥).

وقال الشيخ أبو شهبه: " والصحيح جواز أن يقال سورة البقرة: وآل عمران والنساء، والأعراف، وهكذا بدون كراهة، ولا يشترط أن يقال السورة التي يذكر فيها البقرة، وهكذا سائر السور" (٦).
والخلاصة : أن الصحيح جواز أن يقال سورة البقرة: وآل عمران والنساء، والأعراف، وهكذا بدون كراهة. والله أعلم.

ادراج أسماء السور في المصاحف:

يظهر أن تسمية السور كان قديماً جداً ، حيث كان مع بدايات النزول ، فالتسمية كانت مكية المنشأ ؛ لأن الصحابة المكيين قد رواوا أحاديث كثيرة فيها أسماء للسور ، ومن ذلك حديث جعفر الطيار مع النجاشي ملك الحبشة ، حيث قرأ عليه سورة مريم. والمقصود من التسمية تمييز المسمى عن مشابهه، ويمكن تقسيم التسميات - من حيث المسمي - إلى ثلاثة أقسام:
القسم الأول : ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا كثير ، ومن أمثلته:

(١) صحيح البخاري (٥٠٤٢): ص ١٩٤/٦.

(٢) فتح الباري: ٨٧ / ٩.

(٣) الأذكار: ١٠٩.

(٤) تفسير ابن كثير: ١ / ١٥٦.

(٥) "الإتقان" (١/ ١٨٧)، "معترك الأقران" (٢/ ٢٧٦).

(٦) المدخل لدراسة القرآن: ٣١٨.

- ما رواه مسلم عن أبي أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم- : "اقرأوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه . اقرأوا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان - أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف - تحاجان عن أصحابهما . اقرأوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة"^(١) .
- وما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم"^(٢) .
- القسم الثاني : ما ثبتت تسميته عن الصحابي ، ومثال ذلك ما رواه البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال : "قلت لابن عباس: **سورة الحشر ، قال: «قل سورة النضير»**"^(٣) .
- القسم الثالث : تسمية من دون الصحابي إلى وقتنا هذا ، وغالب تسمياتهم تأتي حكاية لبداية السورة ؛ كقولهم : سورة (أرأيت) ، سورة (لم يكن) ، وهكذا ؛ حيث إنه لم يرد النهي عن تسمية السور بأسماء تدل عليها ، وعلى هذا مضى السلف والخلف ، حتى صار ما رأيت من تسمية السورة بحكاية أولها ، وذلك هو الغالب على الكتابين ، ودور تحفيظ القرآن الكريم .
- ومما يحسن علمه في هذا الموضوع ما يأتي:
- ١- أن بعض السور لها أكثر من اسم ، وهي إما أن تكون مما أخذ عن الصحابة ، أو يكون شيء منها مما ثبت عنهم أو عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ، ثم اشتهر عند المتأخرين اسم آخر .
 - ٢- أن تسميات السور لها علاقة بشيء مذكور في السورة ، وهي على أقسام:
- منها ما يكون موضوعه مذكوراً في السورة ؛ كسورة (التوبة)؛ سميت بهذا الاسم لورود موضوع التوبة على النبي -صلى الله عليه وسلم- والذين معه والذين خلفوا ، في قوله تعالى: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ تَبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨)} [التوبة: ١١٧ - ١١٨] .
- ومنها ما يكون لفظ الاسم وارداً فيها ، وعلى هذا أغلب التسميات ؛ كتسمية سورة (التوبة) بسورة (براءة) ؛ لأن افتتاحها بهذا اللفظ في قوله تعالى: {بِرَاءةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [التوبة : ١] .
- ومنها ما يكون حكاية لمطلع السورة ، وهو على قسمين:
- الأول : أن يكون حكاية لألفاظ أول السورة بنصّها ؛ كقولهم : سورة قل هو الله أحد .
- الثاني : أن يُشتق اسم من ألفاظ أول السورة ؛ كقولهم : سورة الزلزلة .
- ٣- أن بعض السور التي تعددت أسماؤها قد يكون بسبب من الأسباب المذكورة في الفقرة السابقة ، وقد تكون واردة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وقد تكون واردة عن الصحابة ، وقد تكون عن دونهم .
- ومن الواردة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ما سبق في تسمية "الفاتحة" ، إذ قال -صلى الله عليه وسلم- : " هي السبع المثاني ، والقرآن العظيم الذي أوتيته"^(٤) ، وهي تسمى بهذه الأسماء الثلاثة .

(١) صحيح مسلم (٨٠٤) :ص٥٣/١ .

(٢) صحيح البخاري (٤٧٠٤) :ص٨١/٦ .

(٣) صحيح البخاري (٤٠٢٩) :ص٨٨/٥ .

(٤) صحيح البخاري (٤٤٧٤) :ص١٧/٦ .

وهذا التعدد في الأسماء يرجع إلى ذات واحدة ، لكن كل اسم فيها يحمل من الصفة ما لا يحمله الاسم الآخر ، وهذا هو سبب تعدد المسميات للشيء الواحد ، والله أعلم.
ومن الوارد عن الصحابة ، ما رواه مسلم بسنده عن سعيد بن جبير : " قلت لابن عباس: سورة التوبة، قال: آلتوبة قال: «بل هي الفاضحة ما زالت تنزل، ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى منا أحد، إلا ذكر فيها»، قال: قلت: سورة الأنفال، قال: «تلك سورة بدر» قال: قلت: فالحشر قال: «نزلت في بني النضير»^(١).

ولا شك أن المتأمل في أسماء السور يجد لطائف من العلم ، وتبرز له استفسارات تدعوه إلى البحث ، فعلى سبيل المثال : لم سُميت سورة النمل بهذا الاسم ، ولم تُسمَّ بسورة سليمان ، وهو نبي عظيم من أنبياء بني إسرائيل؟! ومثل هذا النظر مدعاة للتدبير في أسماء السور ، لكن لا يخفك أنه قد لا يخلو من تكلف^(٢)، والله أعلم.

وقد اختلف المؤرخون في أول من نقط المصحف: فمنهم من يرى أن الإعجام^(٣) كان معروفاً قبل الإسلام لتميز الحروف المتشابهة، غير أنه ترك عند كتابة المصاحف لما ذكرنا، ومنهم من يرى أن الإعجام لم يعرف إلا من طريق أبي الأسود الدؤلي، ثم اشتهر ووضع في القرآن في عهد عبد الملك بن مروان والظاهر الأول، لأنه يبعد جداً أن لا يكون للحروف علامات تميز المتشابهات بعضها عن بعض. ومهما يكن من شيء فقد اشتدت الحاجة إليه حينما اتسعت رقعة الإسلام، واختلط العرب بالعجم، وبدأ اللبس والإشكال في قراءة المصاحف، حتى ليشق على الكثير منهم أن يميزوا بين حروف القرآن وقراءاته في مثل قوله تعالى: {فَتَبَيَّنُوا}، و{فَتَنَبَّأُوا}، فاهتم عبد الملك بن مروان بذلك وأمر الحجاج أن يعنى بهذا الأمر الجليل، فاختار الحجاج له رجلين من خيرة المسلمين نصر بن عاصم الليثي، ويحيى بن يعمر العدواني، تلميذي أبي الأسود الدؤلي، وكانا من الورع والصلاح؛ وبلوغ الغاية في العربية، والقراءات بمكان، فوضعا النقط من واحدة إلى ثلاث للحروف المتشابهة، وكان في هذا توفيق عظيم للأمة إلى هذا العمل الذي يتوقف عليه حفظ القرآن الكريم.

وقيل أن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي وأن ابن سيرين كان له مصحف نقطه له يحيى بن يعمر، ويمكن التوفيق بين هذا وما تقدم بأن أبا الأسود أول من نقط المصحف بصفة شخصية، وتبعه في ذلك ابن سيرين، وأما عبد الملك فأول من أمر بنقط المصحف بصفة عامة رسمية شاعت وذاعت بين الناس قاطبة.

ومن المعلومات المشتهرة جداً أن الحجاج بن يوسف الثقفي الطاغية المبير كان أول من نقط المصحف، وعمدة من قال هذا رواية مرسله معضلة في كتاب "التصحيف" للعسكري أن الناس غبروا يقرؤون في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه نيفاً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق، ففرع الحجاج بن يوسف الثقفي إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات، فيقال: إن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفراداً وأزواجاً وخالف بين أماكنها، فغير الناس بذلك زماناً لا يكتبون إلا منقوطة، فكان مع استعمال النقط أيضاً يقع التصحيف، فأحدثوا الإعجام، فكانوا يتبعون النقط الإعجام، وكذا أوردها دون إسناد وتشكك في بعض حيثياتها.

(١) صحيح البخاري (٣٠٣١): ص ٢٣٢٢/٤.

(٢) انظر: المحرر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان الطيار ، ص ١٦٩ - ١٧٢ ، ط ٢ ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م ، نشر مركز الدراسات بمعهد الإمام الشاطبي.

(٣) الإعجام هو ما يدل على ذوات الحروف، وتميز الحروف المتماثلة في الرسم بعضها عن بعض.

قال الداني في كتابه "المحكم في نقط المصحف": "أخبرنا يونس بن عبد الله قال نا مُحَمَّد بن يحيى قال نا أحمد بن خالد قال نا علي بن عبد العزيز قال نا القاسم بن سلام قال نا حجاج عن هارون عن مُحَمَّد بن بشر عن يحيى بن يعمر وكان أول من نقط المصاحف" (١).

أخبرنا عبد بن أحمد بن مُحَمَّد في كتابه قال نا أحمد بن عبدان قال نا مُحَمَّد بن سهل قال نا مُحَمَّد بن إسماعيل قال قال حسين بن الوليد عن هارون بن موسى: أول من نقط المصحف يحيى بن يعمر" (٢).

أخبرنا خلف بن إبراهيم بن مُحَمَّد المقرئ في الإجازة قال نا مُحَمَّد بن عبد الله الأصبهاني قال أخبرت عن أبي بكر مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الفضل التستري قال نا مُحَمَّد بن سهل بن عبد الجبار قال نا أبو حاتم قال قرأ يعقوب على سلام أبي المنذر وقرأ سلام على أبي عمرو وقرأ أبو عمر على عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وعلى نصر بن عاصم الليثي ونصر أول من نقط المصاحف وعشرها وخمسها" (٣).

قال أبو عمرو يحتمل أن يكون يحيى ونصر أول من نقطها للناس بالبصرة وأخذ ذلك عن أبي الأسود إذ كان السابق إلى ذلك والمبتدئ به، وهو الذي جعل الحركات والتنوين لا غير على ما تقدم في الخبر عنه ثم جعل الخليل بن أحمد الهمز والتشديد والروم والإشمام وقفا الناس في ذلك أثرهما واتبعوا فيه سنتهما وانتشر ذلك في سائر البلدان وظهر العمل به في كل عصر وأوان والحمد لله على كل حال" (٤).

وقيل: أنه أبو الأسود الدؤلي:

قال الداني حدثناه مُحَمَّد بن أحمد بن علي البغدادي قال ثنا مُحَمَّد بن القاسم الانباري قال ثنا ابي قال حدثنا أبو عكرمة قال قال العنبي كتب معاوية رضي الله عنه إلى زياد يطلب عبيد الله ابنة فلما قدم عليه كلمه فوجدته يلحن فرده إلى زياد وكتب إليه كتابا يلومه فيه ويقول أمثل عبيد الله يضيع فبعث زياد إلى ابي الأسود فقال يا أبا الأسود إن هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب الله تعالى فأبى ذلك أبو الأسود وكره إجابة زياد إلى ما سأل فوجه زياد رجلاً فقال له أقعد في طريق أبي الأسود فإذا مر بك فاقراً شيئاً من القرآن وتعمد اللحن فيه ففعل ذلك فلما مر به أبو الأسود رفع الرجل صوته فقال {أن الله بريء من المشركين ورسوله} فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال عز وجه الله أن يبرأ من رسوله ثم رجع من فوره إلى زياد فقال يا هذا قد أجبتك إلى ما سألت ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن إلي ثلاثين رجلاً فأحضرهم زياد فاختار منهم أبو الأسود عشرة ثم لم يزل يختار منهم حتى اختار رجلاً من عبد القيس فقال خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف وإذا ضممتها فأجعل النقطة إلى جانب الحرف وإذا كسرتهما فأجعل النقطة في أسفله فإن اتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين، فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك" (٥).

ولم يذكر الداني في كتابه هذا الحجاج نهائياً.

وقال ابن أبي داود في "المصاحف" حدثنا مُحَمَّد بن عبد الله المخزومي، حدثنا أحمد بن نصر بن مالك، حدثنا الحسين بن الوليد، عن هارون بن موسى قال: "أول من نقط المصاحف يحيى بن يعمر" (٦).

ولم أجد أي رواية تقول أن يحيى فعل ذلك بأمر من الحجاج وإنما لفق الناس تليفاً بين رواية العسكري وهذه الرواية، وبعضهم يذكر الحسن البصري في كتاب الحجاج الذين نقطوا! وهذا مستبعد جداً،

(١) المحكم في نقط المصحف: ٥.

(٢) المحكم في نقط المصحف: ٥.

(٣) المحكم في نقط المصحف: ٦-٥.

(٤) المحكم في نقط المصحف: ٦.

(٥) المحكم في نقط المصحف: ٣-٤.

(٦) سبق تخريجه.

وقال العسكري في "الأوائل": "أن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي". فهو نفسه لا يعتد بتلك الرواية التي أرسلها بلا إسناد.

نستنتج بأن هناك ثلاثة أقوال في أول من نقط المصحف:

الأول: أن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي.

الثاني: نصر بن عاصم الليثي، وذلك في رواية معضلة أنه فعل ذلك بأمر الحجاج وهي رواية ممرضة بـ"يقال".

الثالث: يحيى بن يعمر، ولا ذكر للحجاج في روايته ولكن بعض المتأخرين وهم وخلق بينه وبين نصر الذي سبقه.

من هذا نعرف أن القول بأن الحجاج أول من نقط المصحف لا يصح، لأنها رواية معضلة معارضة بروايات متصلة أخرى-والله أعلم-.

والخلاصة: أن أول من وضع النقط في المصحف هو أبو الأسود الدؤلي ولكنه للشكل والضبط. أما

نقط الإعجام الذي بين أيدينا فأول من وضعه هو الخليل بن أحمد.

وأما ما استحدث في كتابة المصاحف من التحزيب والتجزئة والتخميس والتعشير وكتابة فواتح السور وخواتمها، ونحو ذلك فكل ذلك مما زيد لغرض التيسير على القارئ، ولكن ليس له من الأهمية ما للشكل والنقط قال قتادة: بدعوا فنقطوا ثم خمسوا وعشروا، وقال غيره: أول ما أحدثوا النقط عند آخر الآي ثم الفواتح والخواتم.

وقد جزأ العلماء القرآن تجزئات شتى: منها التجزئة إلى ثلاثين جزءاً وأطلقوا على كل واحد منها اسم الجزء بحيث لا يخطر بالبال عند الإطلاق غيره، فإذا قال قائل: قرأت جزءاً من القرآن تبادر للذهن أنه قرأ جزءاً من الأجزاء الثلاثين، ثم جزؤا كل واحد من هذه الأجزاء الثلاثين إلى جزءين، وقد أطلقوا على كل واحد منها اسم الحزب؛ فصارت الأحزاب ستين حزبا، فمثلا من أول الفاتحة إلى قوله تعالى: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ} جزء: ومن {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ} إلى {تِلْكَ الرُّسُلُ} جزء وهكذا، ومن أول الفاتحة إلى قوله: {وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} {حزب، ومن {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ} إلى {وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} {حزب، وهكذا وجعلوا الجزء ثمانية أرباع، والحزب أربعة أرباع؛ وقد جرت عادة كثير من نساخ المصاحف أن يذكروا اسم الأجزاء والأحزاب والأرباع في حاشية المصحف غير أنهم يكتبون ذلك بخط مخالف لخطه ومداد مخالف لمداده تحوطا من أن يظن أنه من القرآن.

وفيما يأتي بعض الآثار في هذه المسألة عن الصحابة والتابعين:

- قال أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٣١٦هـ): حدثنا إسحاق بن وهب ، حدثنا يزيد قال : أخبرنا حماد، عن أبي حمزة قال: أتيت إبراهيم بمصحف لي مكتوب فيه سورة كذا، وكذا آية، فقال إبراهيم: امح هذا؛ فإن ابن مسعود كان يكره هذا، ويقول: لا تخطوا بكتاب الله ما ليس منه" (١).

- قال أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٣١٦هـ): حدثنا محمد بن حاتم بن بزيع ، حدثنا أبو الجواب ، حدثنا عمار، عن الأعمش قال : سألت إبراهيم -وهو النخعي- عن التعشير في المصحف، وتكتب سورة كذا وكذا؛ فكرهه ، وكان يقول: جردوا القرآن" (٢).

(١)المصاحف: ٥١٢/٤.

(٢)المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

- قال أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت: ٢٢٤هـ): "حدثنا يحيى بن سعيد، عن أبي بكر السراج، قال: قلت لأبي رزين: أكتب في مصحفي سورة كذا وكذا؟ قال: لا، إني أخاف أن ينشأ قوم لا يعرفونه فيظنوا أنه من القرآن" (١).
- قال أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٣١٦هـ): "حدثنا عبد الله حدثنا محمد بن بشر، حدثنا يحيى، حدثنا أبو بكر قال: قلت لأبي رزين: أكتب في مصحفي خاتمة سورة كذا وكذا؟ قال: أخشى أن ينشأ نشوء يحسبون أنه نزل من السماء. أبو بكر هو الزبرقان السراج" (٢).
- أقوال العلماء في هذه المسألة**
- قال محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ): "وإثبات نحو أسماء السور والأعشار من بدع الحجاج" (٣).
- قال محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)- في حديثه عن البسمة: "واحتج أصحابنا بأن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على إثباتها في المصحف جميعاً في أوائل السور سوى براءة بخط المصحف بخلاف الأعشار وتراجم السور؛ فإن العادة كتابتها بحمرة ونحوها، فلو لم تكن قرآناً لما استجازوا إثباتها بخط المصحف من غير تمييز لأن ذلك يحمل على اعتقاد أنها قرآن فيكونون مغررين بالمسلمين حاملين لهم على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآناً فهذا مما لا يجوز اعتقاده في الصحابة رضي الله عنهم. قال أصحابنا: هذا أقوى أدلتنا في إثباتها" (٤).
- قال أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ): "ولهذا أمر الصحابة والعلماء بتجريد القرآن وأن لا يكتب في المصحف غير القرآن فلا يكتب أسماء السور ولا التخميس والتعشير ولا أمين ولا غير ذلك، والمصاحف القديمة كتبها أهل العلم على هذه الصفة، وفي المصاحف من قد كتبت ناسخها أسماء السور والتخميس والتعشير والوقف والابتداء وكتب في آخر المصحف تصديقه ودعا وكتب اسمه ونحو ذلك وليس هذا من القرآن" (٥).
- قال إسماعيل بن عمر بن كثير الفريسي (ت: ٧٧٤هـ): "واختلفوا في الشكل والنقط فمن مرخص ومن مانع، فأما كتابة السور وآياتها والتعشير والأجزاء والأحزاب فكثير في مصاحف زماننا، والأولى اتباع السلف الصالح" (٦).
- قال محمد الشريبي الخطيب (ت: ٩٧٧هـ) في حديثه عن البسمة: "وهي آية من كل سورة إلا براءة لإجماع الصحابة على إثباتها في المصحف بخطه أوائل السور سوى براءة دون الأعشار وتراجم السور والتعوذ" (٧).
- قال محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): "واعلم أن الصحابة لم يثبتوا في المصحف أسماء السور بل اكتفوا بإثبات البسمة في مبدأ كل سورة علامة على الفصل بين السورتين، وإنما فعلوا ذلك كراهة أن يكتبوا في أثناء القرآن ما ليس بأية قرآنية، فاختاروا البسمة لأنها مناسبة للافتتاح مع كونها آية من القرآن وفي «الإتقان» أن سورة البينة سميت في مصحف أبي سورة أهل الكتاب،

(١) فضائل القرآن: ٢٣٣/٢.

(٢) المصاحف: ٥١٣/٤، ٥١٤.

(٣) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: ٤٧٩/١.

(٤) المجموع: ٣٣٦/٣.

(٥) مجموع الفتاوى: ١٠٥/١٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٣٥/١.

(٧) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع: ١٣٣/١.

وهذا يؤذن بأنه كان يسمي السور في مصحفه. وكتبت أسماء السور في المصاحف باطرادٍ في عصر التابعين ولم ينكر عليهم ذلك. قال المازري في «شرح البرهان» عن القاضي أبي بكر الباقلاني: إن أسماء السور لما كتبت المصاحف كتبت بخط آخر لتتميز عن القرآن، وإن البسمة كانت مكتوبة في أوائل السور بخط لا يتميز عن الخط الذي كتب به القرآن^(١). وهكذا فإن العلماء في الصدر الأول كانوا يرون كراهة نقط المصحف وشكله ونحوهما مبالغة منهم في المحافظة على القرآن من التزديد، وكتابته في المصاحف على هيئة ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم.

ولكن الحال قد تغيرت عما كان في العهد الأول: فاضطر المسلمون إلى نقطه وشكله للمحافظة على القرآن من اللحن والتغيير والتصحيف، وللتيسير على الحفاظ والقارئ، وبعد أن كانوا يكرهون ذلك صار واجباً أو مستحباً، لما هو مقرر في علم الأصول من أن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً، قال الإمام النووي في التبيان ما نصه: قال العلماء: ويستحب نقط المصحف وشكله، فإنه صيانة من اللحن فيه وتصحيفه، وأما كراهة الشعبي والنخعي النقط فإنما كرها ذلك في ذلك الزمان خوفاً من التغيير فيه، وقد أمن ذلك اليوم، فلا منع، ولا يمنع من ذلك لكونه محدثاً، فإنه من المحدثات الحسنة فلا يمنع منه كنظائره، مثل تصنيف العلم وبناء المدارس والرباطات، وغير ذلك والله أعلم والخطب في هذا ونحوه مثل التنبيه على الوقوف والسكات سهل ما دام الغرض هو التيسير والتسهيل على القارئ، وما دام الأمر بعيداً عن اللبس والتزديد والاختلاق وما دام الأمن متوفراً.

ثالثاً:- فضائل القرآن:

إن للقرآن في حياتنا فضائل عظيمة، ينبغي أن نغتنمها من أجل الانتفاع بها في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة. فنكون ممتثلين لتعاليم ديننا الحنيف، المؤسسة حثماً على قرآننا العظيم، ولقد صحَّ عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أحاديث كثيرة، تناول فيها، صلوات الله وسلامه عليه، فضل تلاوة القرآن، والعمل به، باعتبارهما من أعظم القربات إلى الله. ولم لا، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ (٢٩) لِيُوقِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) { [فاطر: ٢٩-٣٠]، قال القرطبي: "هذه آية القراء العاملين العالمين، الذين يقيمون الصلاة: الفرض والنفل، وكذا في الإنفاق"^(٢).

وحول موضوع الفضائل القرآنية، وردت بالخصوص عدة أحاديث نبوية. بعضها من الصحيح، وفي بعضها الآخر الكثير من الضعيف، بل من الموضوع أيضاً، خصوصاً في شأن بعض السور والآيات، لدرجة يضيق المقام هنا للتفصيل فيها، لكن من أبلغ التعبيرات عن هذا الواقع الغريب، أن أحد الوضّاعين لأحاديث في فضل القرآن وسوره، سئل: لم تضع أحاديث؟، فقال: رأيت الناس زهدوا في القرآن فأحببت أن أرغبهم فيه. فقيل له: إن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار"^(٣)، فقال: أنا ما كذبت عليه، إنما كذبت له!^(٤).

(١) التحرير والتنوير: ٩١/١.

(٢) تفسير القرطبي: ٣٤٥/١٢٤.

(٣) متفق عليه، في صحيح البخاري (١٠٧): ص ٣٣/١، كتاب العلم-باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، وفي صحيح مسلم (١): ص ٩/١، باب في التحذير من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٤) والحق الكذب من رذائل الصفات وقبائح الأخلاق، وقد حرمه الله عز وجل في كتابه الكريم، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وهو من أقصر الطرق إلى النار، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) (رواه البخاري. قال المناوي): "وإياكم والكذب (اجتنبوه واحذروا الوقوع فيه، فإنه مع الفجور.

قال القرطبي في كتابه: "المفهم" لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم "في شرح حديث علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "لا تكذبوا علي، فإنه من يكذب علي يلج النار"، قال: "صَدْرُ هذا الحديث نهي، وعجزه وعيدٌ شديد، وهو عامٌ في كلِّ كاذبٍ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومطلقٌ في أنواع الكذب، ولما كان كذلك، هاب قومٌ من السلف الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كعمر، والزبير بن العوام، وأنس بن مالك، وابن هرمرز رضي الله عنهم، فإن هؤلاء سمعوا كثيراً وحَدَّثوا قليلاً، كما قد صرَّح الزبير رضي الله عنه بذلك لما قال له ابنه عبد الله رضي الله عنه: إني لا أسمعك تحدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ كما يُحدِّث فلانٌ وفلان؟ فقال: أما أني لم أفارقه، ولكن سمعته يقول: مَنْ كَذَبَ علي، فليتبوأ مقعده من النار. وقال أنس: إنَّه يمنعني أن أهدنكم حديثاً كثيراً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من كَذَبَ علي... الحديث، ومنهم: مَنْ سَمِعَ وسكت، كعبد الملك بن إياس، وكأنَّ هؤلاء تخوَّفوا من إكثار الحديث الوقوع في الكذب والغلط، فقلَّوا، أو سكتوا.. غير أن الجمهور: خصَّصوا عموم هذا الحديث، وقيدوا مطلقه بالأحاديث التي دُكرَ فيها: متعمداً، فإنَّه يُفهم منها أن ذلك الوعيد الشديد، إنما يتوجَّه لمن تعمَّد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه الطريقة هي المرضية، فإنَّها تجمع بين مختلفات الأحاديث.. هذا مع أن القاعدة الشرعية القطعية تقتضي أن المخطيء والناسي غير آثمين، ولا مؤاخذين، لا سيما بعد التحرز والحدز" (١).

وفي "فتح الباري" في شرح حديث عبد الله بن الزبير، قال: قلت للزبير: إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان؟ قال: أما إني لم أفارقه، ولكن سمعته يقول: من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار، - قال ابن حجر -: "وفي تمسك الزبير بهذا الحديث على ما ذهب إليه من اختيار قلة التحديث دليل للأصح في أن الكذب هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه، سواء كان عمداً أم خطأ، والمخطيء وإن كان غير مأثوم بالإجماع، لكن الزبير خشي من الإكثار أن يقع في الخطأ وهو لا يشعر، لأنه وإن لم يَأثم بالخطأ لكن قد يَأثم بالإكثار، إذ الإكثار مظنة الخطأ، والثقة إذا حدَّث بالخطأ فحُمِلَ عنه وهو لا يشعر أنه خطأ يعمل به على الدوام للوثوق بنقله، فيكون سبباً للعمل بما لم يقله الشارع، فمن خشي من الإكثار الوقوع في الخطأ لا يؤمن عليه الإثم إذا تعدد الإكثار، فمن ثم توقف الزبير وغيره من

أي: الخروج عن الطاعة، وهما في النار يُدخان نار جهنم". والكذب هو إخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه، قال النووي في كتابه "الأذكار": "واعلم أن مذهب أهل السنة أن الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو، سواء تعدت ذلك أم جهلته، لكن لا يَأثم في الجهل، وإنما يَأثم في العمد". وإذا كان الكذب حرام على عموم الناس، فإن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد وأعظم، فإنه من أقيح المنكرات، ومن أكبر الكبائر، فمن خصائصه صلوات الله وسلامه عليه أن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره، لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن كذباً علي ليس ككذب على أحد، من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (رواه البخاري). قال القاضي عياض: "وإذا كان الكذب ممنوعاً في الشرع جملةً فهو على النبي عليه السلام أشد، لأن حقه أعظم، وحق الشريعة أكد، وإباحة الكذب عليه ذريعة إلى إبطال شرعه، وتحريف دينه".

وقد توعَّد رسول الله صلى الله عليه وسلم من يكذب عليه متعمداً بأشد العذاب، وقد تواترت الأحاديث في بيان عظم حرمة وجريمة الكذب عليه صلى الله عليه وسلم، وأن الكذب عليه ليس ككذب على أحد، وأن من كذب عليه متعمداً فقد تبوأ مقعده من النار. فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن كذباً علي ليس ككذب على أحد، من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (رواه البخاري)، ورواه مسلم في مقدمة صحيحه. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تكذبوا علي، فإنه من كذب علي فليلج النار" (رواه البخاري). وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن من أعظم الفرى أن يدعي الرجل إلى غير أبيه، أو يري عينه ما لم تر، أو يقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل" (رواه البخاري). وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من حدَّث عني حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين" (رواه ابن ماجه وصححه الألباني).

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم: ٢٩٥/١

الصحابة عن الإكثار من التحديث، وأما من أكثر منهم فمحمول على أنهم كانوا واثقين من أنفسهم بالثبوت، أو طالت أعمارهم فاحتيج إلى ما عندهم فسئلوا فلم يمكنهم الكتمان - رضي الله عنهم -^(١).
 نبينا صلى الله عليه وسلم أكمل البشر في جميع أقواله وأحواله، فما تركه من قول وفعل فتركه أولى من فعله، وما فعله ففعله أكمل من تركه، ومن ثم فليحذر المسلم من أن ينسب ولو من قبيل الخطأ للنبي صلى الله عليه وسلم حديثاً وكلاماً لم يقله، أما الذي يكذب عليه صلى الله عليه وسلم متعمداً فهو على خطر عظيم، لقوله صلوات الله وسلامه عليه: "إن كذباً عليّ ليس ككذب على أحد، من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"، ومن المعلوم أن من حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على المسلم نصرته وتحقيق محبته واتباعه، ولا شك أن من صور ذلك: تحري الصواب والصدق في نقل أقواله وأخباره صلى الله عليه وسلم، والمحافظة على نقاء شريعته وسنته..

فكان من المفارقات، انتشار كثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة بين المسلمين، خاصة في فضائل السور والآيات، رغم أن في الصحيح ما يُغني. لذا، لزم التركيز في هذا المبحث، على الصحيح من فضائل القرآن عموماً. وحيث قد يتعذر استقراؤها كلها، يُكتفى بإيراد أغلبها أو أهمها، وذلك كالآتي:

١- عن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال: "خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أبشروا وأبشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالوا: نعم، قال: فإن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً"^(٢). [صحيح]

٢- عن عمران بن حصين، أنه مر على قارئ يقرأ، ثم سأل فاسترجع، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوام يقرءون القرآن يسألون به الناس»^(٣). [حسن]

٣- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا الأعرابي والأعجمي فقال: "اقرأوا فكل حسن وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدر يتعجلونه ولا يتأجلونه"^(٤). [حسن]

٤- عن أبو هريرة رضي الله عنه قال: "حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل إذا كان يوم القيامة نزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل يقتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي، قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما علمت، قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الله له كذبت، وتقول الملائكة له: كذبت، فيقول الله عز وجل: أردت أن يقال: فلان قارئ فقد قيل، ويؤتى بصاحب المال فيقول: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد، قال: بلى، قال: فماذا عملت فيما آتيتك، قال: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جواد فقد قيل ذلك، ويؤتى بالرجل الذي قتل في سبيل الله فيقال له: فيم قتلت، فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة له: كذبت ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جريء فقد قيل ذلك، ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه

(١) فتح الباري: ٢/٢٦٨.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه: حديث/ ١٢٢، ١/ ٣٢٩، وابن أبي شيبة: حديث/ ٣٠٠٠٦، ٦/ ١٢٥، والطبراني في الكبير: حديث/ ٤٩١، ٢٢/ ١٠٨، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢٠١، ٢/ ٣٥٢. [صحيح].

(٣) أخرجه الترمذي: حديث/ ٢٩١٧، ٥/ ١٧٥، والطبراني في الكبير: حديث/ ٣٧٤، ١٨/ ١٦٧، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢٦٢٧، ٢/ ٥٣٣. [حسن]

(٤) أخرجه أبو داود: حديث/ ٨٣٠، ١/ ٢٢٠، وأحمد: حديث/ ١٤٨٩٨، ٣/ ٢٥٧، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢٦٤٢، ٢/ ٨٣٥. [حسن].

وسلم على ركبتي فقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة" (١).
[حسن]

٥- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً جاءه، فقال: أوصني، فقال: "سألتني عما سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبلك، أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنها رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض" (٢).
[حسن]

٦- عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الطهور شرط الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها" (٣).

٧- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب، وريحها طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب، ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب، وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر، ولا ريح لها" (٤).

٨- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" (٥).
[صحيح]

٩- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله أهلين من الناس، قالوا يا رسول الله: من هم، قال: هم أهل القرآن أهل الله وخاصته" (٦).
[صحيح]

١٠- عن أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيابتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة... قال معاوية: بلغني أن البطلة السحرة" (٧).

(١) أخرجه الترمذي: حديث/ ٢٣٨٢، ٤/ ٥٩١، وقال حسن غريب، والحاكم: حديث/ ١٥٢٧، ١/ ٥٧٩، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وابن حبان: حديث/ ٤٠٨، ٢/ ١٢٥. [صحيح].

(٢) أخرجه أحمد: حديث/ ١١٧٩١، ٣/ ٨٢، [حسن].

(٣) أخرجه مسلم: حديث/ ٢٢٣، ١/ ٢٠٣، وابن حبان: حديث/ ٨٤٤، ٣/ ١٢٤، والترمذي: حديث/ ٣٥١٧، ٥/ ٥٣٥ والنسائي في الكبرى: حديث/ ٢٢١٧، وابن ماجه: حديث/ ٢٨٠، ١/ ١٠٢، والدارمي: حديث/ ٦٥٣، ١/ ١٧٤.

(٤) أخرجه البخاري: حديث/ ٤٧٣١، ٤/ ١٩١٧، ومسلم: حديث/ ٧٩٧، ١/ ٥٤٩، وابن حبان: حديث/ ٧٧٠، ٣/ ٤٧، والترمذي: حديث/ ٢٨٥٦، والنسائي في الكبرى: حديث/ ١١٧٦٩، ٦/ ٥٣٨، وأبو داود: حديث/ ٤٨٢٩، وابن ماجه: حديث/ ٢١٤، ١/ ٧٧، وأحمد: حديث/ ١٩٦٣٠، ٤/ ٤٠٣، والدارمي: حديث/ ٣٣٦٤، ٢/ ٥٣٥.

(٥) أخرجه الترمذي بهذا المتن: حديث/ ٢١٩٠، ٥/ ١٧٥، وقال حديث حسن صحيح غريب، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ١٩٨٤، ٢/ ٣٤٢. [صحيح].

(٦) أخرجه ابن ماجه: حديث/ ٢١٥، ١/ ٧٨، وأحمد، حديث/ ١٣٥٦٦، ٢/ ٢٤٢، والدارمي: حديث/ ٣٣٢٦، ٢/ ٥٢٥، والطيالسي في مسنده: حديث/ ٢١٢٤، ١/ ٢٨٣، ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢٦٨٨، ٢/ ٥٥١. [صحيح].

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه: حديث/ ٨٠٤، ١/ ٥٥٣، وأحمد: حديث/ ٢٢٢٤٦، ٥/ ٢٥٤، والبيهقي في الصغرى: حديث/ ٩٩٨، ١/ ٥٤٧، والطبراني في الأوسط: حديث/ ٤٦٨، ١/ ١٥٠.

١١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان، قلنا: نعم، قال فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان"^(١).

١٢- عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"^(٢).

١٣- عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"^(٣). [صحيح]

١٤- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها"^(٤).

١٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حلّه، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب أرض عنه فيرضى عنه، فيقال له اقرأ وارق وتزاد بكل آية حسنة"^(٥). [حسن]

١٦- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصفة فقال: "أيكم يحب أن يغدو كل يوم بطحان أو العقيق فيأتي بناقتين كوماوين في غير إثم بالله ولا قطع رحم؟ فقلنا: يا رسول الله كلنا نحب ذلك فقال: فلئن يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل"^(٦).

١٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من لم يتغن بالقرآن وزاد غيره يجهر به"^(٧).

١٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم ما معه من القرآن فأتى على رجل منهم من أحدثهم سنا، فقال: ما

(١) أخرجه مسلم: حديث/ ٨٠٢، ١/ ٥٥٢، وابن ماجه: حديث/ ٣٧٨٢، ٢/ ١٢٤٣، وأحمد: حديث/ ٩١٤١، ٢/ ٢٩٦، والدارمي: حديث/ ٣٣١٤، ٢/ ٥٢٣.

(٢) أخرجه البخاري: حديث/ ٤٧٣٩، ٤/ ١٩١٩، وابن حبان: حديث/ ١١٨، ١/ ٣٢٤، والترمذي: حديث/ ٢٩٠٧، والنسائي في الكبرى: ٨٠٣٧، ٥/ ١٩، وأبو داود: حديث/ ١٤٥٢، ٢/ ٧٠، ٥/ ١٧٣، وأحمد: حديث/ ٥٠٠، ١/ ٦٩، والدارمي: حديث/ ٣٣٣٧، ٢/ ٥٢٨. وفي رواية عند البخاري أيضاً: عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه.

(٣) أخرجه أحمد: حديث/ ١٣١٧، ١/ ١٥٣، والدارمي: حديث/ ٣٣٣٧، ٢/ ٥٢٨، وابن أبي شيبة: ٣٠٠٧٢، ٦/ ١٣٢. [صحيح]

(٤) أخرجه الترمذي: حديث/ ٣٩١٤، ٥/ ١٧٧، وأبو داود: حديث/ ١٤٦٤، ٢/ ٧٣. [صحيح].

(٥) أخرجه الترمذي: حديث/ ٢٩١٥، ٥/ ١٧٨، وقال حسن صحيح، والحاكم في المستدرک: حديث/ ٢٠٢٩، ١/ ٧٣٨، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والدارمي: حديث: ٣٣١١، ٢/ ٥٢٢، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢٩٩٦، ٢/ ٣٤٦. [حسن].

(٦) أخرجه مسلم: حديث/ ٨٠٣، ١/ ٥٥٢، وابن حبان: حديث/ ١١٥، ١/ ٣٢١، والنسائي في السنن الصغرى: حديث/ ٩٨٥، ١/ ٥٤٢، وأبو داود: حديث/ ١٤٥٦، ٢/ ٧١، وأحمد في المسند: حديث/ ١٥٤٤٤، ٤/ ١٥٤.

(٧) أخرجه البخاري: حديث/ ٧٠٨٩، ٦/ ٧٣٧، وابن حبان: حديث/ ١٢٠، ١/ ٣٢٦، والنسائي في الصغرى: حديث: حديث/ ١٠٤٢، ١/ ٥٥٨، وأبو داود: حديث/ ١٤٦٩، وأحمد: حديث/ ١٥١٢، والدارمي: حديث/ ١٤٩١، ١/ ٤١٧، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢٦١٣، ٢/ ٥٢٨.

معك يا فلان قال معي كذا وكذا وسورة البقرة، قال: أمعك سورة البقرة، فقال: نعم قال فاذهب فأنت أميرهم، فقال رجل من أشرفهم: والله يا رسول الله ما منعي أن أتعلم سورة البقرة إلا خشية ألا أقوم بها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تعلموا القرآن فاقروه وأقروه فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثله جراب محشو مسكا يفوح بريحه كل مكان، ومثل من تعلمه فبرقد وهو في جوفه كمثله جراب وكى على مسك" (١). [حسن]

١٩- عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أتت النبي صلى الله عليه وسلم امرأة فقالت: إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، فقال: "ما لي في النساء من حاجة، فقال رجل: زوجنيها، قال: أعطها ثوبا، قال: لا أجد، قال: أعطها ولو خاتما من حديد، فاعتل له، فقال: ما معك من القرآن: قال: كذا وكذا قال: فقد زوجتكها بما معك من القرآن" (٢).

٢٠- نافع بن عبد الحارث لقي عمر رضي الله عنه بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة فقال: من استعملت على أهل الوادي، فقال: بن أبزي، قال: ومن بن أبزي، قال: مولى من مولينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى، قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض، قال: عمر أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين" (٣).

٢١- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل نسي واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم" (٤).

٢٢- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تعلموا كتاب الله وتعاهدوا واقتنوه وتغنوا به فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من المخاض في العقل" (٥).

٢٣- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنما مثل صاحب القرآن كمثله صاحب الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت" (٦).

٢٤- عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: "حسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا" (٧). [صحيح]

(١) أخرجه الترمذي: حديث/ ٢٨٧٦، ١٥٦ / ٥، وقال: حديث حسن، والنسائي في الصغرى: حديث/ ٨٧٤٩. [حسن].
(٢) أخرجه البخاري: حديث/ ٤٧٤١، ١٩١٩ / ٤، والترمذي/ ١١١٤، ٤٢١ / ٣، والنسائي في الصغرى: حديث/ ٣٢٠٠، ٦ / ٥٤، وأبو داود: حديث/ ٣١١١، ٢٣٦ / ٢، وابن ماجه: حديث/ ١٨٨٩، ٦٠٨ / ١، وأحمد: حديث/ ٦٦٨٠، ١٧٩ / ٢، ومالك في الموطأ: حديث/ ١٠٩٦، ٥٢٦ / ٢، والدارمي: حديث/ ٢٢٠١، ٢ / ١٩٠.
(٣) أخرجه مسلم: حديث/ ٨١٧، ١ / ٥٥٩، وابن ماجه: حديث/ ٢١٨، ٧٩ / ١، وأحمد: حديث/ ٢٣٢، والدارمي: حديث/ ٣٣٦٥، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢٦٨٢، ٢ / ٥٥٠.
(٤) أخرجه البخاري: حديث/ ٤٧٤٤، ١٩٢١ / ٤، ومسلم: حديث/ ٧٩٠، ١ / ٥٤٤، وابن حبان: حديث/ ٧٦٣، ٣ / ٤١، والترمذي: حديث/ ٢٩٤٢، ١٩٣ / ٥، والنسائي في الكبرى: حديث/ ١٠١٥، ٣٢٧ / ١، وأحمد: حديث/ ٣٦٢٠، ١ / ٣٨١، والدارمي: حديث/ ٥٧٥، ١ / ١٥٢.
(٥) أخرجه النسائي في الكبرى: حديث/ ٨٠٤٩، ٥ / ٢١، وأحمد: حديث/ ١٧٣٥٥، ٤ / ١٤٦، والدارمي: حديث/ ٣٣٤٩، ٢ / ٥٢١.
(٦) أخرجه البخاري: حديث/ ٤٧٤٣، ٤ / ١٩٢٠، ومسلم: حديث/ ٧٨٩، ١ / ٥٤٣، وابن حبان: حديث/ ٧٦٤، ٢ / ٤١، والنسائي في الصغرى: حديث/ ٩٤٢، ٢ / ١٥٤، وأحمد: حديث/ ٥٣١٥، ٢ / ٦٤، ومالك في الموطأ: حديث/ ٤٧٤، ١ / ٢٠٢.
(٧) أخرجه الدارمي: حديث/ ٣٥٠١، ٢ / ٥٦٥، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢١٤١، ٢ / ٣٦٨. وفي رواية عند ابن حبان والنسائي، وابن ماجه والحاكم والبيهقي: زينوا القرآن بأصواتكم. [صحيح].

- ٢٥- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "حسن الصوت زينة القرآن" ^(١). [حسن]
- ٢٦- عن أسيد بن حضير رضي الله عنه أنه كان يقرأ وهو على ظهر بيته، وهو حسن الصوت، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "بيننا اقرأ إذ غشيني شيء كالسحاب والمرأة في البيت والفرس في الدار فتخوفت أن تسقط المرأة وتنفلت الفرس فانصرفت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأ يا أسيد فإنما هو ملك استمع القرآن" ^(٢). [صحيح]
- ٢٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا حسد إلا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق فقال رجل ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل" ^(٣).
- ٢٨- عن عبد الرحمن بن شبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "تعلموا القرآن فإذا علمتموه فلا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به" ^(٤). [صحيح]
- ٢٩- عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تَقْدُمُهُ سورة البقرة وآل عمران، وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما حزقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما" ^(٥).
- ٣٠- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أقراني جبريل على حرف فراجعته ثم لم أزل أستزيده فيزيديني حتى انتهى إلى سبعة أحرف" ^(٦).
- ٣١- عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن وهو يشدد عليه له أجران" ^(٧).
- ٣٢- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من نام عن حزه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتِبَ له كأنما قرأه من الليل" ^(٨).

(١) أخرجه الطبراني في الكبير: حديث/ ١٠٠٢٣، ١٠ / ٨٢. [حسن].

(٢) أخرجه عبد الرزاق: ٤١٨٢، ٢ / ٤٨٦، والحاكم في المستدرک: ٥٢٥٩، ٣ / ٣٢٦، والطبراني في الكبير: حديث/ ٥٦٣، ١ / ٢٠٧. [صحيح].

(٣) أخرجه البخاري: حديث/ ٤٧٣٨، ٤ / ١٩١٩، ومسلم: حديث/ ٨١٥، ١ / ٥٥٩، وابن حبان: حديث/ ٩٠، ١ / ٢٩٢، والترمذي: حديث/ ١٩٣٦، ٤ / ٣٣٠، والنسائي في الكبرى: حديث/ ٥٨٤١، ٣ / ٤٢٦، وابن ماجه: حديث/ ٤٢٠٩، ٢ / ١٤٠٨، وأحمد: حديث/ ٤٥٥٠، ٢ / ٨.

(٤) أخرجه النسائي: حديث/ ٩٩٠، ١ / ٥٤٤، وأحمد: حديث/ ١٥٥٦٨، ٣ / ٤٢٨، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢٦٨٧، ٢ / ٥٥١. [صحيح].

(٥) أخرجه مسلم: حديث/ ٨٠٥، ١ / ٥٥٤، والترمذي: حديث/ ٢٨٨٣، ٥ / ١٦٠.

(٦) أخرجه البخاري: حديث/ ٣٠٤٧، ٣ / ١١٧٧، ومسلم/ ٨١٨، ١ / ٥٦١، وابن حبان: حديث/ ٧٣٧، ٣ / ١١، والنسائي في الصغرى: حديث/ ١٠٤٥.

(٧) أخرجه البخاري: حديث/ ٤٦٥٣، ٤ / ١٨٨٢، ومسلم: حديث/ ٧٩٨، ١ / ٥٤٩، وابن حبان: حديث/ ٧٦٧، ٣ / ٤٤، والترمذي/ ٢٩٠٤، ٥ / ١٧١، والنسائي في الصغرى: حديث/ ٩٨٦، ١ / ٥٤٢، وأبو داود: حديث: ١٤٥٣، ٢ / ٧٠، وابن ماجه: حديث/ ٣٧٧٩، ٢ / ١٢٤٢، وأحمد: حديث/ ٢٤٢٥٧، والدارمي: حديث/ ٣٣٦٨.

(٨) أخرجه مسلم: حديث/ ٧٤٧، ١ / ٥١٥، وابن حبان: حديث/ ٢٦٤٣، ٦ / ٣٦٩، والترمذي: حديث/ ٥٨١، ٢ / ٤٧٤، والنسائي في الكبرى: حديث/ ١٦٤٣، ١ / ٤٥٧، وأبو داود: حديث/ ١٣١٣، ٢ / ٣٤، وابن ماجه: حديث/ ١٣٤٣، والدارمي:

- ٣٣- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إقرأ القرآن في شهر، قلت إني لأجد قوة حتى قال: إقرأه في سبع ولا تزيد على ذلك" (١).
- ٣٤- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه" (٢). [صحيح]
- ٣٥- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة" (٣).
- ٣٦- عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ قطع آية آية الحمد لله رب العالمين، ثم يقف، الرحمن الرحيم، ثم يقف، قال بن أبي مليكة: وكانت أم سلمة تقرأها ملك" (٤). [صحيح]
- ٣٧- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه، والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط" (٥). [حسن]
- ٣٨- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سيخرج أقوام من أمتي يشربون القرآن كشربهم اللبن" (٦). [حسن]
- ٣٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الجدال في القرآن كفر" (٧). [صحيح]
- ٤٠- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: "أيهم أكثر أخذًا للقرآن، فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد" (٨).

حديث/ ١٤٧٧، ١/ ٤١٢.

(١) أخرجه البخاري: حديث/ ٤٧٦٧، ٤/ ١٩٢٤، ومسلم: حديث/ ١١٥٩، ٢/ ٤١٨، وابن حبان: حديث/ ٧٥٧، ٣/ ٣٤، والنسائي في الصغرى: حديث/ ١٠٣٥، ١/ ٥٦١، وأبو داود: حديث/ ١٣٩٠، ٣/ ٥٤، وابن ماجه: حديث/ ١٣٤٦، ١/ ٤٢٨، وأحمد: حديث/ ٦٥٤٦، ٢/ ١٦٥.

(٢) أخرجه الترمذي: حديث/ ٢٩٤٦، ٥/ ١٩٦، والنسائي في الصغرى: حديث/ ١٠٣٧، وابن ماجه: حديث/ ١٣٤٧، ١/ ٤٢٨، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢١٦٨، ٢/ ٣٩٤. [صحيح].

(٣) أخرجه البخاري: حديث/ ٦، ١/ ٦، ومسلم: حديث/ ٢٣٠٨، ٤/ ١٨٠٣، وابن حبان: حديث/ ٣٤٤٠، ٨/ ٢٢٥، والنسائي في الكبرى: حديث/ ٢٤٠٦، ٢/ ٦٤، وأحمد: حديث/ ٢٠٤٢، ١/ ٢٣٠.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک: حديث/ ٢٩١٠، ٢/ ٢٥٢، وأبو داود: حديث/ ٤٠٠١، ٤/ ٣٧، وأحمد: حديث/ ٢٦٦٢٥، ٦/ ٣٠٢، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢٥٨٧، ٢/ ٥٢٠. [صحيح].

(٥) أخرجه أبو داود: حديث/ ٤٨٣٤، ٤/ ٢٦١، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢٦٨٥، ٢/ ٥٥٠، والبخاري: حديث/ ٣٠٧٠، ٨/ ٧٤، والطبراني في الأوسط: حديث/ ٦٧٣٦، ٧/ ٢١. [حسن].

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير: حديث/ ٨٢١، ١٧/ ٢٩٧، والرويانى في المسند: حديث/ ٢٤٩، ١/ ١٨٨. [حسن].

(٧) أخرجه أبو داود: حديث/ ٤٦٠٣، ٤/ ١٩٩، والحاكم في المستدرک: حديث/ ٢٨٠٣، ٢/ ٢٤٣، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢٢٥٦، ٢/ ٤١٦. [صحيح].

(٨) أخرجه البخاري: حديث/ ١٢٨٢، ١/ ٤٥٢، ومسلم: حديث/ ٢٢٩٦، وابن حبان: حديث/ ٣١٨٣، ٧/ ٤٥٦، والترمذي: حديث/ ١٠٣٦، ٣/ ٣٥٤، والنسائي: حديث/ ٢٨٠٢، ١/ ٦٣٥، وغيرهم.

بسم الله الرحمن الرحيم سورة «الفاتحة»

هي السورة الأولى من حيث الترتيب في المصحف الشريف، التي جمع الله فيها كل مقاصد القرآن، وأجمل معانيه في تلك الآيات السبع المثاني، بالأسلوب المعجز؛ واللفظ الموجز، والقول السلس الذي لا يحتاج إلى كثير معاناة بحث، ولا يستدعي عميق فهم وعويص تفكير؛ فهي نموذج القرآن الذي يرسم أسسه وحقائقه في كل نفس، ويصور معانيه في كل قلب: العلماء والدهماء على اختلاف منازلهم، وتباين درجاتهم، إذا ما لفتوا أفهامهم بعض اللفت، ووجهوا قلوبهم نوع توجيه، أتتهم هذه الفاتحة المباركة ذلك النموذج القرآني، وتلك الصورة الحقة لمقاصد الكتاب الحكيم.

وأما عدد آياتها، "فهي سبع آيات كما دلَّ عليه قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي} [الحجر: ٨٧]، وفسرها النبي -صلى الله عليه وسلم- بالفاتحة، ونقل غير واحد الاتفاق على أنها سبع، منهم ابن جرير^(١) وغيره^(٢).

واختلف أهل العلم في الآي التي صارت بها سبع آيات، وفيه قولان^(٣): أحدهما: أنها صارت سبع آيات بـ{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، وها قول عظم أهل الكوفة. قال الطبري: "وقد روي ذلك عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين"^(٤). والثاني: أنها سبع آيات، وليس منهن {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} ولكن السابعة {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}. وذلك قول عظم قراء أهل المدينة ومُتَقَبِلِهِمْ. وفي عددها قولان شاذان^(٥):

أحدهما: أنها ست آيات، حكى عن حسين الجعفي^(٦). والثاني: أنها ثمان آيات، وأن: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} آية. قاله عمرو بن عبيد^(٧). قال ابن رجب: "نقل عن عمرو بن عبيد أنها ثمان آيات، ولا يعبا به"^(٨). قال أبو حيان: "وَشَذَّ عمرو بن عبيد، فجعل آية {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، فهي على عده ثمان آيات"^(٩). قال ابن عطية: "وقول الله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي} [الحجر: ٨٧] هو الفصل في ذلك"^(١٠).

وأما كلماتها: فهي خمس وعشرون كلمة^(١١).
وأما حروفها: فمائة وثلاثة عشر حرفاً^(١٢).

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٠٩/١-١١٠. تفسير الطبري: ٤٨/١.

(٢) تفسير سورة الفاتحة لابن رجب: ١٩.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٠٩/١.

(٤) تفسير الطبري: ١٠٩/١.

(٥) انظر: المحرر الوجيز: ٦١/١-٦٢، والبحر المحيط: ١٧/١، وتفسير سورة الفاتحة لابن رجب: ١٩-٢٠.

(٦) انظر: المحرر الوجيز: ٦١/١-٦٢، والبحر المحيط: ١٧/١، وتفسير سورة الفاتحة لابن رجب: ١٩-٢٠.

(٧) انظر: المحرر الوجيز: ٦١/١-٦٢، والبحر المحيط: ١٧/١، وتفسير سورة الفاتحة لابن رجب: ١٩-٢٠.

(٨) انظر: تفسير سورة الفاتحة لابن رجب: ١٩-٢٠.

(٩) البحر المحيط: ١٧/١.

(١٠) المحرر الوجيز: ٦١/١-٦٢.

(١١) انظر: تفسير سورة الفاتحة لابن رجب: ١٩-٢٠.

(١٢) انظر: تفسير سورة الفاتحة لابن رجب: ١٩-٢٠.

وإن هذه السورة العظيمة لها فضائلٌ وخصائصٌ عديدةٌ، قال ابن رجب: "ولم يثبت في فضائل شيءٍ من السور أكثر مما ثبت في فضلها، وفضل سورة (الإخلاص)"^(١).
ثم سرد مجموعة من فضائلها^(٢).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- أسماؤها التوقيفية:

ولهذه السورة أسماءٌ متعددةٌ، نذكر منها:

١- فاتحة الكتاب:

ورد في "الصحيحين" عن عبادة بن الصّامت أن النبيّ صلى الله عليه وسلم- قال: " لا صلاةَ لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"^(٣).

(١) تفسير سورة الفاتحة: ٣٥.

(٢) انظر: تفسير سورة الفاتحة لابن رجب: ٣٥ وما بعدها.

(٣) صحيح البخاري: (٧٥٦)، و صحيح مسلم: (٣٩٤). وقد احتج العلماء بهذا الحديث على أن الفاتحة ركن في الصلاة لابد منها في حق الإمام والمنفرد، وحاصل المسألة أن المنفرد والإمام يجب عليهما قراءة الفاتحة مطلقا في الصلاة السرية والجهرية ، أما المأموم فيجب عليه أن يقرأ حال الركعات السرية كالظهر والعصر والأخيرتين من العشاء وثالثة المغرب ، أما في الركعات التي يجهر فيها الإمام فلا يجب عليه القراءة ولا يجب عليه السكوت، ولكن المستحب المتأكد في حقه الإنصات والاستماع إلى قراءة الإمام ، فإن لم يسمع قراءة الإمام لبعد المكان أو لتعطل مكبر الصوت أو لصمم فيجب عليه قراءة الفاتحة عملا بالأصل.

وتجدر الإشارة بأن قراءة الفاتحة خلف الإمام حال الجهر للعلماء فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: ليس للمأموم أن يقرأ في الصلاة الجهرية إذا كان يسمع الإمام لا بالفاتحة ولا بغيرها وهذا قول جمهور العلماء من السلف والخلف وهو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد وأحد قولي الشافعي، وممن قال بهذا القول من المعاصرين العلامة الألباني والشيخ أبو بكر الجزائري والشيخ سيد سابق والشيخ محمود المصري.

القول الثاني: يجب على المأموم أن يقرأ الفاتحة في الصلاة الجهرية كالسرية وهو المذهب عند الشافعية وقول البخاري وابن حزم من الظاهرية ، وقال بصحته القرطبي، وممن قال بهذا القول من المعاصرين : العلامة ابن باز وابن عثيمين ، والشيخ عبد الله بن قعود ، والشيخ عبد الله بن غديان والشيخ عبد الرزاق عفيفي و الشيخ محمد بن عبد المقصود.

القول الثالث: يستحب للمأموم قراءتها وهو قول جماعة من أهل العلم منهم الأوزاعي.

والذي يبدو لي أن أعدل الأقوال وأقربها للصواب هو القول الأول قول الجمهور وأن المأموم لا يقرأ في حال الجهر لا بالفاتحة ولا بغيرها إذا كان يسمع قراءة الإمام هذا ما يدل عليه عمل أكثر الصحابة رضي الله عنهم وتنفق عليه أكثر الأحاديث ولأن الله تعالى أمر بالإنصات لقراءة الإمام في الصلاة فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] ويؤيد دلالة الآية على وجوب الإنصات لقراءة الإمام ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبنا فبين لنا سنتنا وعلمتنا صلاتنا فقال: أقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم أحدكم فإذا كبر فكبروا.. وذكر الحديث الطويل" وزاد بعض رواته: "وإذا قرأ فأنصتوا" وقد ذكرها في صحيحه. وقد رواها أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة مرفوعاً: "إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا قرأ فأنصتوا" وقد سئل مسلم بن الحجاج عن حديث أبي هريرة هذا فقال: هو عندي صحيح. ومما يدل على منع المأموم من القراءة حال جهر الإمام ما رواه أصحاب السنن وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه "أن النبي صلى الله عليه وسلم انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة فقال: هل قرأ معي أحد منكم أنفاً؟ فقال رجل: نعم يا رسول الله. فقال: إني أقول: مالي أنازع القرآن قال: فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جهر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلوات بالقراءة حين سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وقد تكلم في هذا الحديث بعض أهل العلم من جهة ابن أكيمة الراوي عن أبي هريرة وليس ذلك بشيء فقد قال عنه يحيى بن سعيد عمرو بن أكيمة ثقة وثقه غير واحد من أهل العلم. كما أنه طعن في الحديث من جهة أن قوله في الحديث: "فانتهى الناس... مدرج من كلام الزهري كما قاله البخاري والذهلي وأبو داود وغيرهم والجواب عن هذا أن ذلك لا يسقط الاحتجاج بالحديث سواء كان ذلك من قول أبي هريرة أو من قول الزهري، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٢٣ / ٢٧٤): "وهذا إذا كان من كلام الزهري فهو من أدل الدلائل على أن الصحابة لم يكونوا يقرؤون في الجهر مع النبي صلى الله عليه وسلم فإن الزهري من أعلم أهل زمانه أو أعلم أهل زمانه بالسنة وقراءة الصحابة خلف النبي صلى الله عليه وسلم إذا كانت مشروعة واجبة أو

وإنما سُميت "فاتحة الكتاب" لافتتاح سُور القرآن بها كتابةً، وقراءةً في الصلاة، وهذا ممَّا استدلَّ به من قال: إن ترتيب سُور القرآن منصوصٌ عليه كترتيب الآيات إجمالاً. وفي سبب تسميتها بـ"فاتحة الكتاب" أقوال^(١):

مستحبة تكون من الأحكام العامة التي يعرفها عامة الصحابة والتابعين لهم بإحسان فيكون الزهري من أعلم الناس بها فلو لم يبينها لاستدل بذلك على انتفاؤها فكيف إذا قطع الزهري بأن الصحابة لم يكونوا يقرؤون خلف النبي في الجهر" انتهى كلامه رحمه الله.

ومما يستأنس به في عدم وجوب القراءة على المأموم في الجهرية الحديث المشهور "من كان له إمام فقرأه الإمام له قراءة" وهذا الحديث أخرجه جمع من الأئمة بطرق متعددة مسنداً ومرسلاً عن جماعة من الصحابة أمثلها حديث جابر على ضعف فيه وكثرة كلام النقاد فيه ومع ذلك فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله في مجموع الفتاوى (٢٧١/١٨-٢٧٢): "وهذا الحديث روي مرسلاً ومسنداً لكن أكثر الأئمة الثقات رووه مرسلاً عن عبد الله بن شداد عن النبي صلى الله عليه وسلم وأسند بعضهم ورواه ابن ماجه سندا وهذا المرسل قد عضده ظاهر القرآن والسنة وقال به جماهير أهل العلم من الصحابة والتابعين ومثل هذا المرسل يحتج به باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم". وممن استوعب الكلام في الحديث وطرقه الدار قطني رحمه الله في علله ومما تقدم يبين أن ما رواه البخاري ومسلم وغيرها من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" ليس على عمومها بل هو مخصوص بما تقدم من النصوص ومثله ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثا غير تمام" فكل هذا وأمثاله محمول على غير المأموم جمعاً بين الأحاديث ومما يؤيد عدم العموم فيها ما حكاه الإمام أحمد رحمه الله من إجماع. قال رحمه الله: "ما سمعنا أحداً من أهل الإسلام يقول: إن الإمام إذا جهر بالقراءة لا تجزئ صلاة من خلفه إذا لم يقرأ".

أما حديث عبادة بن الصامت "أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فتقلت عليه القراءة فلما انصرف قال: إنني أراكم تقرؤون وراء إمامكم قلنا: يا رسول الله إي والله. قال: لا تفعلوا إلا بأم القرآن فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها" وقد أخرجه أحمد وأصحاب السنن إلا ابن ماجه وفيه محمد بن إسحاق وقال عنه أحمد: لم يرفعه إلا ابن إسحاق. وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٣/٢٨٦): "هذا الحديث معلل عند أئمة الحديث بأمر كثيرة ضعفه أحمد وغيره من الأئمة". وقال بعد ذكر من صحح الحديث وحسنه (٢٣/٣١٥): "ففي هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم هل يقرؤون وراءه بشيء أم لا؟ ومعلوم أنه لو كانت القراءة واجبة على المأموم لكان قد أمرهم بذلك وأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز ولو بين ذلك لهم لفعله عامتهم ولم يكن يفعل الواحد أو الاثنان منهم. ولم يكن يحتاج إلى استقهامه فهذا دليل على أنه لم يوجب عليهم القراءة خلفه حال الجهر ثم إنه لما علم أنهم يقرؤون نهاهم عن القراءة بغير أم الكتاب وما ذكر من التباس القراءة عليه تكون بالقراءة معه حال الجهر سواء كان بالفاتحة أو غيرها فالعلة متناولة للأمرين فإن ما يوجب ثقل القراءة والتباسها على الإمام منهي عنه".

ولذلك فالذي يظهر لي أن المأموم لا يجوز له القراءة حال جهر الإمام بالقراءة لما تقدم من الأدلة ولما في حديث عبادة من معنى النهي لكن إن تمكن المأموم من القراءة في سكتات الإمام فهذا المطلوب وإلا فلا شيء عليه لتركه القراءة أخذ بما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم" وهذا الحديث أخرجه أحمد ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والله تعالى أعلم .

(انظر في هذه المسألة: مجموع الفتاوى لابن تيمية مجلد ٢ ص ١٤١- ١٥٠ مسألة القراءة خلف الإمام دار الفكر ١٤٠٣هـ. ١٩٨٣م، ومجموع فتاوى ورسائل العثيمين : ١٣ / ١٣١، انظر مبحث ألفاظ العموم ودلالة العام في علم أصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خالف ٢١٠- ٢١٢ دار الحديث ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م ، وفي الوجيز في أصول الفقه د.عبد الكريم زيدان ٣٠٥- ٣١٠ مؤسسة الرسالة الطبعة السابعة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م ، وفي علم أصول الفقه د. محمد الزحيلي ٢٥٦- ٢٦١ دار القلم الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م وفي شرح الأصول من علم الأصول لابن عثيمين ١٩٠- ٢٠٥ المكتبة التوفيقية وفي مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي ١٩٥- ١٩٨ مكتبة العلوم والحكم الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م).

وينبغي أن ينتبه أن هذه المسألة هي من مسائل الاجتهاد ، فمن كان عنده القدرة على النظر في الأدلة والترجيح بينها : فإنه يعمل بما ترجح لديه ، ومن لم يكن عنده القدرة على ذلك فإنه يقلد عالماً يثق في دينه وعلمه ، ولا يجوز أن تتخذ هذه المسألة الاجتهادية مثاراً للطعن في العلماء ، أو الجدال المؤدي إلى التعصب والتفرق واختلاف القلوب. والله تعالى أعلم.

(١) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشر، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي/ دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م: ١/٢٦٦، وتفسير الطبري: ١/١٠٧.

أحدها: أنها سميت بذلك، لأنه يفتح بها في المصاحف والتعليم والقراءة في الصلاة، وهي مفتحة بالآية التي تفتتح بها الأمور تيمناً وتبركاً وهي التسمية.

قال الطبري: "فهي فواتح لما يتلوها من سور القرآن في الكتابة والقراءة"^(١).

الثاني: أنها سميت بذلك، لأن الحمد فاتحة كل كتاب كما هي فاتحة القرآن.

الثالث: أنها سميت بذلك، لأنها أول سورة نزلت من السماء. قاله الحسين بن الفضل^(٢).

وتجدر الإشارة بأن الأمة الإسلامية أجمعت على أن ترتيب الآيات في سورها على ما هو عليه المصحف اليوم توقيفي بأمر من النبي-صلى الله عليه وسلم-، فقد كانت الآيات تنزل عليه، وجبريل يدلّه على مواضعها، ويبلغها رسول الله صحابته، ويأمر كتاب الوحي بنسخها في مواضعها، وكان جبريل يعارضه بالقرآن في رمضان كل عام مرة، حتى عارضه في السنة التي توفي فيها رسول الله مرتين مرتباً الآيات كما هي عليه الآن، وقد حفظه الصحابة بعده وأجمعوا على هذا الترتيب^(٣).

ولقد نقل غير واحد من العلماء الإجماع في ذلك، فلقد جاء في البرهان للزركشي قوله: "فأما الآيات في كل سورة، ووضع البسملة في أوائلها، فترتيبها توقيفي بلا شك، ولا خلاف فيه، ولهذا لا يجوز تعكسها"^(٤)، وممن نقل الإجماع أيضاً حول هذه المسألة أبو جعفر ابن الزبير الغرناطي، حيث قال: "ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم، وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين"^(٥).

فالإجماع والنصوص المترادفة كلها على أن ترتيب الآيات توقيفي، لا شبهة في ذلك، قال مكي^(٦) وغيره: ترتيب الآيات في السور بأمر النبي-صلى الله عليه وسلم-، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بدون بسملة، وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: "ترتيب الآيات أمر واجب، وحكم لازم، فقد كان الرسول بأمر من جبريل-عليه السلام- يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا"^(٧).

ويقول السيوطي: "والذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر بإثبات رسمه، ولم ينسخه، ولا رفع تلاوته بعد نزوله، هو الذي بين الدفتين، الذي حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقص منه شيئاً، ولا زيد فيه، وأن ترتيبه، ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى، ورتبه عليه رسوله من أي السور، لم يقدم من ذلك مؤخر ولم يؤخر مقدم، وأن الأمة ضبطت على النبي ترتيب أي كل سورة وموضعها وعرفت موقعها، كما ضبطت عنه نفس القراءات، وذات التلاوة، وأنه يمكن أن يكون الرسول-صلى الله عليه وسلم- قد رتب سورته، وأن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده، ولم يتول ذلك بنفسه"^(٨).

كما أن ترتيب السور في القرآن فيه خلاف بين أهل العلم على خلاف ترتيب الآيات، فيقول: "...وإنما اختلف في ترتيب السور على ما هي عليه، وكما ثبت في مصحف عثمان بن عفان الذي بعث بنسخه^(٩) إلى الأفاق، وأطبقت الصحابة على موافقة عثمان في ترتيب سورته وعمله فيه"^(١٠)، ثم قال: "فكيفما

(١) تفسير الطبري: ١٠٧/١.

(٢) انظر: تفسير الثعلبي: ١٢٦/١.

(٣) الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، محمد أحمد القاسمي، ط ١، ١٩٧٩م، مصر، ص: ٢٤٤.

(٤) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، دار النشر بيروت، (د، ط)، ج ١، ص: ٢٥٦.

(٥) البرهان في ترتيب سور القرآن، ابن الزبير الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني، طبعة وزارة الأوقاف المغربية، سنة: (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص: ١٨٢.

(٦) هو مكي بن أبي طالب حمش بن محمد بن مختار، أبو سمر القيسي، كان من أهل التنجر في علوم القرآن والعربية، حسن الفهم، كثير التأليف في علوم القرآن، محسناً لذلك، توفي سنة: ٤٧٣ هـ، أنظر ابن بشكوال، الصلة: ق ٢، ص: ٦٣١.

(٧) الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد أحمد زمولي، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م، بيروت، ص: ١٦٣.

(٨) الإتيان في علوم القرآن: ١٦٣.

(٩) والراجح أنها أربع نسخ، وقال أبو عمر الداني في: "المقنع في رسم القرآن، ص: ١٠: «قيل أربع وقيل خمس، والأول أصح، وعليه الأمة». انظر: السيوطي الإتيان، ص: ١٥٩، و-الزركشي: البرهان، ج ١، ص: ٢٤٠. والداني هو: الحافظ الإمام

دار الأمر فمنه صلى الله عليه وسلم عُرفَ ترتيب السور، وعلى ما سمعوه منه بنوا جليل ذلك النظر^(٢)، وإنما الخلاف وقع في فعلهم في ترتيب السور هل كان بتوقيف قولي، أو بمجرد استناد فعلي حيث بقي لهم فيه مجال نظر؟ وحتى لو كان هذا الأمر اجتهادا من الصحابة، فإن الأمر مسلم فيه أيضا، لأنه لا يوجد من هو أفصح، وأعلم بكتاب الله، وبآياته، وسوره، ونزوله من الصحابة رضي الله عنهم، كما أنهم أعملوا في ذلك اجتهادهم الأقصى، وهم الأعلىاء بعلمه، والمسلم لهم في وعيه، وفهمه، وهم العارفون بأسباب النزول، ومواقع الكلمات، وإنما أفوه على ما كانوا يسمعون منه، وهو رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وقد كان نظرهم هذا في ما استقر عليه النبي-صلى الله عليه وسلم- من كان فعله الأكثر، والسند في ذلك بان الترتيب في السور قد روعي فيه التناسب، وإن كان لم يُراعى فيه أسباب النزول، وزمانه ومكانه، بأدلة، وأحاديث رويت منها في صحيح مسلم^(٣)، وما روى في مصنف ابن أبي شيبة^(٤)، وما نُقل عن الخطابي^(٥) والقاضي ابن العربي^(٦)، والتأمل بالعقل في ذلك التناسب الموجود بين عدة سور كالأنفال، وبراءة، والتناسب الموجود بين الطلاق، والتحريم، والضحي، والشرح...مما لا يتوقف في وضوحه من له أدنى نظر، كما نقل عن أبي

شيخ الإسلام، أبو عمر عثمان بن سعيد الأموي، مولا هم القرطبي المقرئ، صاحب التصانيف، عُرف بالداني لمسكنه بدانية، قال: «ولدت سنة: ٣٧١هـ، وبدأت طلب العلم سنة: ٣٨٦هـ، ورحلت إلى المشرق سنة: ٣٩٧هـ، وسكنت القيروان أربعة أشهر، ودخلت مصر في شوال فمكثت بها سنة، ثم حججت، ورجعت إلى الأندلس في ذي القعدة سنة: ٣٩٩هـ»، قرأ على عبد العزيز بن جعفر الفارسي، وابن غلبون، وسمع من أبي مسلم، واليزار، وابن النحاس، كان أحد الأئمة في القراءات، ورواية الحديث والتفسير، كان مالكي المذهب، له ١٢٠ مصنف، كانت وفاته بدانية في النصف من شوال، سنة ٤٤٤هـ. مقدمة كتاب التيسير.

(١) البرهان في ترتيب سور القرآن، ابن الزبير الغرناطي: ١٨٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٨٣.

(٣) إشارة إلى حديث حذيفة في صلاة القيام: عن حذيفة رضي الله عنه قال: (صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَأَفْتَحَ الْبَقْرَةَ فَلَمَّ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ ثُمَّ مَضَى فَلَمَّ يَصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى فَلَمَّ يَرْكَعُ بِهَا ثُمَّ افْتَتَحَ النَّسَاءَ فَقَرَأَهَا ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عُمَرَانَ فَقَرَأَهَا مَثْرَسًا إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ وَإِذَا مَرَّ بِتَعْوِذٍ تَعَوَّذَ ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى فَكَانَ سُجُودَهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ...) رواه مسلم (٧٧٢).

(٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم: "كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ سُورَةَ الْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ" (أخرجه مسلم: ٨٩٧).

وقد روى محمد بن أحمد بن حبان البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط ٢، ٥ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤ هـ)، ح ١٨٤١، كتاب الصلاة باب صفة الصلاة، ذكر ما يستحب أن يقرأ به من السور ليلة الجمعة في صلاة المغرب والعشاء، ١٤٩، من حديث جابر بن سمرة قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة بقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، ويقرأ في العشاء الآخرة ليلة الجمعة، الجمعة، والمنافقين). والحديث ضعفه الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، ح ٥٥٩، والأرنؤوط في تعليقه على ابن حبان.

(٥) هو الإمام أحمد بن إبراهيم ابن الخطاب السبتي، أبو سليمان الفقيه، المحدث اللغوي، وله عدة مصنفات، من آثاره: "معالم السنن"، و"إصلاح غلط المحدثين"، و"غريب الحديث" وله شرح على البخاري، توفي سنة: ٣٨٨هـ. أنظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص: ١٠١٨، حيث نُقل عنه قوله: «أن الصحابة لما اجتمعوا على القرآن وضعوا سورة القدر عقب العلق، واستدلوا بذلك على أن المراد بها الكتابة في قوله: {إنا أنزلناه في ليلة القدر} القدر آية ١، إشارة إلى قوله: إقرأ».

(٦) ابن العربي هو محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي الأشبيلي، المالكي، ولد بالأندلس، ورحل إلى المشرق، وعاد إلى وطنه سنة ٤٩١هـ، وتولى القضاء، وذكر ابن بشكوال في الصلة أن له مصنفات عديدة منها: "عارضة الأحوذى" و"أحكام القرآن" و"العواصم، وشرح موطأ مالك، و"قانون التأويل"، توفي سنة: ٥٤٣هـ بفاس، ونُقل عنه قوله: «..وهذا بديع جدا، قلت ومن ظن ممن اعتمد القول بأن ترتيب السور اجتهاد من الصحابة، أنهم لم يراعوا في ذلك التناسب، والإشتباه، فقد سقطت مخاطبته، وإلا فما المرعى في ترتيب النزول؟ وهو غير واضح في ذلك بالقطع، بل هذا معلوم في ترتيب أي القرآن الواقع ترتيبه بأمره عليه الصلاة والسلام، وتوقيفه بغير خلاف...». (أنظر ابن الزبير، البرهان، ص: ١٨٤. و تاريخ قضاة الأندلس، ص: ١٠٥. ونفح الطيب، ج ٢، ص: ١٩٩. و الأعلام، ج ٦، ص: ٢٣٠).

محمد بن عطية^(١) قوله بتفصيل في المسألة، وساق له ابن الزبير في كتابه البرهان بعض ما يؤيد هذا الرأي، منه قول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "اقرأوا الزهروان البقرة، وآل عمران"^(٢)، وحديث يؤتى بالقرآن يوم القيامة تقدمه سورة البقرة^(٣)، وحديث: صلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بالسبع الطوال في ركعة^(٤)، وحديث كان يجمع المفصل في ركعة^(٥)، وحديث رواه البخاري من طريق عائشة: "أن النبي كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة قرأ المعوذتين.." ^(٦)، وكأنه يؤيد الرأي القائل بأن ترتيب السور، إن لم يكن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قد أمر به بلسان المقال، فإنه قد أشار إليه بلسان الحال، وهو ما كان عليه أكثر عمله، وأن العبرة بما ورد على الأكثر والإجمال، لا على القلة والتفصيل، وقليل بقي فيه الخلاف.

٢- أم الكتاب:

جاء في "المسند" و"سنن ابن ماجه" عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْكِتَابِ فَهِيَ خِدَاجٌ"^(٧). وفي "سنن أبي داود" من حديث أبي هريرة: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" أمُّ الْقُرْآنِ، وَأُمُّ الْكِتَابِ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي"^(٨).

وفي هذا الاسم خلاف، جوزّه الجمهور^(٩)، وقد سمّاها ابنُ عَبَّاسٍ وغيره: أمُّ الْكِتَابِ. وكرهه أنس والحسن، وابن سيرين^(١٠)، قال الحسن: "أمُّ الْكِتَابِ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ"^(١١). قال القرطبي: "يشيرُ إلى قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ} [آل عمران: ٧]، وربما وجه بأنَّ أمُّ الْكِتَابِ هو اللوحُ المحفوظ، كما في قوله تعالى: {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد: ٣٩]، وقوله تعالى: {وَأَنزَلْنَا فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَعْنَةً حَكِيمَةً} [الزخرف: ٤]"^(١٢).

(١) هو عبد الحق بن غالب ابن عبد الرحمن ابن عطية الأندلسي المحاربي الغرناطي، كان فقيها نبهها مفسرا أدبيا شاعرا ذكره صاحب الصلة، وقال: كان مولده سنة: ٤٨١هـ، وتوفي في ٢٥ رمضان، سنة ٥٤١هـ، بمدينة بورقة، من أشهر مصنفاة: "المحرر الوجيز" أنظر: تاريخ قضاة الأندلس، ص: ١٠٩. و- الأعلام، ج ٣، ص: ٢٨٢.

(٢) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، برقم: (٨٠٤) من حديث معاوية بن سلام عن أخيه زيد، ورواه الحاكم في المستدرک، كتاب: فضائل القرآن، أخبار في فضل سورة البقرة، برقم: (٢٠٧١)، ورواه أحمد في المسند من حديث أبي أمامة البهلي، برقم: (٢١٧١٠ / ٢١٦٤٢ / ٢١٦٥٣)، و- في شعب الإيمان فصل في إيمان تلاوة القرآن برقم: (١٩٨٠).

(٣) رواه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين باب فضل قراءة القرآن الكريم، برقم: (٨٠٥)، ورواه أحمد في المسند من حديث النواس بن سمان، برقم: (١٧١٨٥)، ورواه في الشعب، الكتاب: التاسع عشر، باب: تعظيم القرآن برقم: (٢٣٧٣).

(٤) المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، تحقيق: عامر العمري الأعظمي، الدار السلفية بندي بازار بومباي، الهند، في كتاب: الصلوات في الرجل يقرن السورة في الركعة: ٣٦٧/١.

(٥) المصدر نفسه: ٣٦٨/١.

(٦) أخرجه البخاري، ج ٩، ص: ٦٢، وأبو داود في سننه برقم: (٥٠٥٦)، والترمذي في الجامع ج ٤، ص: ٢٣١، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم: (٧٨٨)، وابن ماجه برقم: (٣٨٧٥)، وأخرجه الإمام أحمد ج ٦، ص: ١١٦-١٥٤، وابن حبان برقم: (٥٥٤٣-٥٥٤٤).

(٧) المسند: (١٤٣/٦)، و سنن ابن ماجه: (٨٤٠).

(٨) سنن أبي داود: (١٤٥٢).

(٩) انظر: تفسير القرطبي: ١١١/١.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤٦/١، وتفسير القرطبي: ١١١/١.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٤٦/١، وتفسير القرطبي: ١١١/١.

(١٢) تفسير القرطبي: ١١١/١.

وقال أنس وابن سيرين: "أم الكتاب: اسم اللوح المحفوظ. قال الله تعالى: {وإنه في أم الكتاب} [الزخرف: ٤]"^(١).

وهذا لا يدلُّ على مَنع تسمية الفاتحة بذلك. والله أعلم. وقد اختلف في معنى تسميتها بأم الكتاب، على ثلاثة أقوال^(٢): أحدهما: أنها سميت بذلك، لأنها تتقدم على بقية سور الكتاب في الخطِّ، فهي تؤمُّ السور بتقدمها عليها، فالكتاب كله راجع إلى معانيها، فهي كالأصل له، كما سُميت مكة أم القرى، لأن البلدان دُحيت من تحتها. والقرآن سميت بذلك لأنها أول القرآن والكتب المنزلة، فجميع ما أودعها من العلوم مجموع في هذه السورة فهي أصل لها كالأم للطفل. الثاني: أنها سميت بذلك، لأنها أفضل سور القرآن كما أن مكة سميت أم القرى لأنها أشرف البلدان. الثالث: أنها سميت بذلك، لأنها مجمع العلوم والخيرات، كما أن الدماغ يسمى أم الرأس لأنها مجمع الحواس والمنافع.

يقول أبو بكر البريدي: "الأم في كلام العرب: الراية ينصبها العسكر، قال قيس بن الخطيم: نصبنا أمنا حتى ابذعروا وصاروا بعد إلفتهم شلالا فسميت أم القرآن لأن مفزع أهل الإيمان إليها كمفزع العسكر إلى الراية. ومنه قول ذي الرمة^(٣):

وَأَسْمَرُ ، قَوْمًا إِذَا نَامَ صُحْبَتِي ، خَفِيفِ النَّيَابِ لَا تُؤَارِي لَهُ أَرْزَا
عَلَى رَأْسِهِ أُمَّ لَنَا نَقْتَدِي بِهَا ، جِمَاعُ أُمُورٍ لَا تُعَاصِي لَهَا أَمْرًا
إِذَا نَزَلَتْ قَبِيلٌ : انزَلُوا ، وَإِذَا غَدَتْ غَدَتَ ذَاتَ بَرْزِيقٍ نَنَالُ بِهَا فُخْرًا
يعني بقوله : على رأسه أمُّ لنا ، أي على رأس الرمح راية يجتمعون لها في النزول والرحيل وعند لقاء العدو^(٤).

والعرب تسمي الأرض: أمًا، لأنَّ معاد الخلق إليها في حياتهم وبعد مماتهم، قال أمية بن أبي الصلت^(٥): والأرض نوَّخها الإله طروقه للماء حتى كلَّ زند مسفد والأرض معقلنا وكانت أمنا فيها مقابرنا وفيها نولد وأنشد أحمد بن عبيدة^(٦):

نَأْوِي إِلَى أُمَّ لَنَا تَعْتَصِبُ كَمَا وَلَهَا أَنْفَ عَزِيزٍ وَذَنْبُ
وَحَاجِبُ مَا إِنْ نَوَارِيهَا الْغُصْبُ مِنْ السَّحَابِ تَرْتَدِي وَتَنْتَقِبُ
يعني: نصبه كما وصف لها. وسميت الفاتحة أمًا لهذه المعاني.

وقال الحسين بن الفضل: "سميت بذلك لأنها لإمام لجميع القرآن تقرأ في كل صلاة و تقدم على كل سورة، كما أن أم القرى إمام لأهل الإسلام، وقال ابن كيسان: سميت بذلك لأنها تامة في الفضل"^(٧).

(١) تفسير القرطبي: ١١١/١.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٥/١-٤٦، وتفسير الطبري: ١٠٧/١.

(٣) ديوانه: ١٨٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٠٧/١-١٠٨.

(٥) ديوان أمية بن أبي الصلت ٣٥٦، والأول في اللسان والتاج (سغد) ، والثاني في المخصص ١٨٠/١٣، وبلا نسبة في المذكر والمؤنث للأنباري ١٨٧، في ديوانه: (نوَّخها: أبركها. والطروقه: أنثى الفحل، شبه الماء والأرض بالأنثى والفحل) والبيت الثاني ذكره القرطبي في تفسيره، انظر: تفسير القرطبي: ١١٢/١.

(٦) لسان العرب: ١٥/١٦٨.

(٧) تفسير الثعلبي: ١٢٧/١.

وقيل: أصالتها من حيث أنها محكمة لم يتطرق إليها نسخ، من قوله تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧] (١).
٣- أم القرآن:

واختلف فيه أيضا، فجوزه الجمهور ومنهم الحسن الذي كره تسميتها بأُم الكتاب، وكرهه أنس وابن سيرين، والأحاديث الثابتة ترد هذين القولين (٢).
 وقد ورد تسميتها بذلك في أحاديث كثيرة:

منها حديث أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "كُلُّ صَلَاةٍ لَا يُقْرَأُ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ" خرَّجه مُسْلِمٌ (٣).

وخرَّج من حديث عبادة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا صلاة لمن لم يقرأ بأَمِّ الْقُرْآنِ" (٤).

٤- السبع المثاني:

وقد فسرها النبي -صلى الله عليه وسلم- بالفاتحة كما سيأتي ذكره، وذكر وكيع في "كتابه" عن سفيان عن عمرو بن ميمون عن أبي مسعود الأنصاري عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ" [الحجر: ٨٧]، قال: فاتحة الكتاب.

وممن قال "الفاتحة هي السبع المثاني": ابن عباس وابن عمر والحسن ومجاهد وعكرمة وخلق كثير.

واختلف في سبب تسميتها بالمثاني على أقوال:

أحدها: إذ هي سبع آيات اتفاقاً (٥)، وليس في القرآن ما هو كذلك سواها (٦)، إن غيّر بعضهم عد التسمية آية دون {صراط الذين أنعمت عليهم}، وبعضهم عكس (٧)، وهذا القول هو المشهور (٨).

(١) انظر: تفسير الفاتحة، الحافظ أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الدمشقي الحنبلي: ١٦.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١١٢/١.

(٣) صحيح مسلم: (٣٩٥).

(٤) صحيح مسلم: (٣٩٤).

(٥) اتفق القراء والمفسرون بأنها سبع آيات، ولم يشذ عن ذلك إلا الحسن البصري فقال هي ثمان آيات، وإلا الحسين الجعفي فقال هي ست آيات، وقال البعض أنها تسع آيات، ويتعين حينئذ كون البسملة ليست من الفاتحة لتكون سبع آيات ومن عد البسملة أدمج الآيتين. (انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١/١٣٥).

(٦) ليس في القرآن سورة هي سبع آيات سوى " الفاتحة "، و " رأيت " ولا ثالث لهما.

قال جعفر بن أحمد بن الحسين السراج البغدادي في أرجوزته التي نظم فيها النظائر:

فَسُورَةُ الْحَمْدِ لَهَا تَطْيِيرَةٌ أَرَأَيْتَ إِنْ أَنْتَ قَرَأْتَ السُّورَةَ

كِلَاهِمَا إِذَا عَدَدْتَ سَبْعٌ وَلَيْسَ لِلْحَقِّ الْيَقِينُ دَفْعٌ

(انظر: أرجوزة في نظائر القرآن العظيم ل ٢٠ نسخة مكتبة بلدية الإسكندرية، ومنها نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم

١١٤٣) وهو جعفر بن أحمد بن الحسين أبو محمد السراج البغدادي القارئ، كان عالما بالقراءات والنحو واللغة، كثير التصنيف، توفي سنة خمسمائة. سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٨٨ وبغية الوعاة ١/ ٤٨٥.

(٧) انظر في: البيان في عد أي القرآن، لأبي عمرو الداني ١٣٩.

(٨) وأما تأويل اسمها أنها " السَّبْعُ "، فإنها سبع آيات، لا خلاف بين الجميع من القراء والعلماء في ذلك، وإنما اختلفوا في الآي التي صارت بها سبع آيات:

القول الأول: فقال معظم أهل الكوفة ومكة: صارت سبع آيات بـ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ورؤي ذلك عن جماعة من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والتابعين والشافعي يعد البسملة آية منها.

القول الثاني: قالوا هي سبع آيات، وليس منهن (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ولكن السابعة (أنعمت عليهم)، وذلك قول معظم قُرَاة أهل المدينة والبصرة والشام ومُتَقَنِّيهِمْ ومنهم الإمام مالك.

قال الطيبي: وعد التسمية أولى؛ لأن (أنعمت عليهم) لا يناسب وزانه وزان فواصل السور، ولما روى البيهقي (هو الحسن بن مسعود بن محمد محيي السنة أبو محمد البيهقي الشافعي المفسر، كان سيدي إماما، عالما علامة، زاهدا قانعا بالسير، توفي سنة

وتجدر الإشارة بأن الإمام أبو عمر ابن عبد البر قد ألف رسالة في البسمة سماها "الإنصاف فيما بين علماء المسلمين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب من الاختلاف" سرد فيها مذاهب العلماء في البسمة، في قرآنيتهما وعدم قرآنيتهما، في الجهر بها والإسرار بها، وساق فيها ما استدل به كل على مذهبه، ولم يمل فيها إلى مذهب الشافعي كما قاله المؤلف، وسبقه إليه عبد الرحمن بن إسماعيل شهاب الدين أبو محمد المشهور بأبي شامة في كتاب البسمة، بل مال إلى مذهب إمامه مالك بن أنس، فإنه قال فيها^(١): أجمع علماء المسلمين على أنها سبع آيات، فدل هذا الحديث على أن أنعمت عليهم آية، وبسم الله الرحمن الرحيم ليست آية من أول السورة، وهذا عد أهل المدينة والشام والبصرة، وأما أهل مكة وأهل الكوفة من العلماء والقراء فيعدون بسم الله الرحمن الرحيم أول آية من أم القرآن، وليست أنعمت عليهم بآية عندهم، فهذا حديث قد رفع الإشكال في سقوط: بسم الله الرحمن الرحيم، ورجاله ثقات: أبو حامد الغزالي^(٢)، والفقيه سلطان بن إبراهيم المقدسي^(٣)، وأبو الفتح سليم بن أيوب الرازي، وأبو المعالي مجلي صاحب^(٤) "الذخائر"، والحافظ أبو شامة^(٥).

وعليه قراء مكة: كابن كثير^(٦) والكوفة: كعاصم^(٧) حمزة^(٨) والكسائي^(٩).
وممن خالفهم من قراء المدينة: كنافع^(١)، والبصرة: كأبي عمرو^(٢)، والشام كابن عامر^(٣).

ست عشرة وخمسائة. سير أعلام النبلاء ١٩ / ٤٣٩ وطبقات الشافعية الكبرى ٧ / ٧٥. في "شرح السنة" عن ابن عباس أنه قال: "بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة" (رواه الشافعي في المسند ٧٩ ومن طريقه البغوي في شرح السنة ٣ / ٥٠ من طريق عبد المجيد، والطبري في تفسير الطبري ١٤ / ٥٥ من طريق يحيى الأموي، والحاكم في المستدرک ٢ / ٢٥٧ من طريق حفص بن غياث، والبيهقي في السنن الكبرى ٢ / ٤٤ من طريق حجاج بن محمد الأعور، وحفص بن غياث، والطحاوي في شرح معاني الآثار ١ / ٢٠٠ من طريق أبي عاصم كلهم (عبد المجيد، ويحيى وحفص، وحجاج، وأبو عاصم) عن ابن جريج عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وصح السيوطي سنده في الإتقان ١ / ٢٤٦ وفي التصحيح نظر، فإن في سنده عبد العزيز بن جريج، قال الحافظ بن حجر عنه: لين، التقريب ٦١١).

- (١) في صفحة: ١٩٢.
- (٢) سرد العلامة محمد بن محمد الحسيني الزبيدي في مقدمة شرح إحياء علوم الدين "إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين" مؤلفات الغزالي، ثم ألف عبد الرحمن بدوي كتابا حافلا في مؤلفات الغزالي، ولم يرد في واحد من الكتابين كتاب مفرد للغزالي في البسمة، بيد أن الغزالي تعرض لمسألة البسمة في كتابه "المستصفى" ٢ / ١٣ - ٢٣ وذكر أنه أورد أدلة كون البسمة من القرآن في كتاب حقيقة القولين، فلعله التصنيف الذي عناه السيوطي.
- (٣) هو سلطان بن إبراهيم بن المسلم أبو الفتح المقدسي، كان من أئمة الفقهاء بمصر، تفقه عليه صاحب الذخائر، توفي سنة خمس وثلاثين وخمسائة. طبقات الشافعية الكبرى ٧ / ٩٤ وحسن الخاضرة في أخبار مصر والقاهرة ١ / ٤٠٥.
- (٤) هو مجلي بن جميع بضم الجيم بن نجا أبو المعالي المخزومي، صاحب الذخائر وغيره من المصنفات، له إثبات الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، توفي سنة خمسين وخمسائة. سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٣٢٥ وطبقات الشافعية الكبرى ٧ / ٢٧٧.
- (٥) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم شهاب الدين أبو شامة الدمشقي، كان أحد الأئمة، برع في فنون العلم، توفي سنة خمس وستين وستمائة. طبقات الشافعية الكبرى ٨ / ١٦٥ وبغية الوعاة ٢ / ٧٧.
- (٦) هو عبد الله بن كثير بن عمرو أبو معبد الكناني المكي المقرئ، انتهت إليه الإمامة بمكة في تجويد الأداء، توفي سنة اثنتين وعشرين ومائة. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ١ / ١٩٧ وغاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٤٤٣.
- (٧) هو عاصم بن أبي النجود بهدلة أبو بكر الأسدي الكوفي المقرئ، واسم أبيه بهدلة على الصحيح، وقيل هي أمه، وليس ذا بشيء، انتهت إليه الإمامة في القراءة بالكوفة، توفي سنة سبع وعشرين ومائة. معرفة القراء الكبار ١ / ٢٠٤ وغاية النهاية ١ / ٣٤٦.
- (٨) هو حمزة بن حبيب بن عمار أبو عمار القارئ، كان إماما حجة، قيما بحفظ كتاب الله، توفي سنة ست وخمسين ومائة. معرفة القراء ١ / ٢٥٠ وغاية النهاية ١ / ٢٦١.
- (٩) هو علي بن حمزة بن عبد الله أبو الحسن الكسائي الكوفي المقرئ النحوي، انتهت إليه الإمامة في القراءة والعربية، توفي سنة تسع وثمانين ومائة. معرفة القراء ١ / ٢٦٩ وغاية النهاية ١ / ٥٣٥.

أما سبب الاختلاف في البسمة فمرده " أنه قد وقع الإجماع على استحباب ذكر الله تعالى عند ابتداء كل أمر له بال حين الشروع فيه، وقد ورد فيه خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد كانت العرب في الجاهلية تفعل ذلك فيقولون: باسمك اللهم، ويدلّ عليه ما في قصة هدنة الحديبية^(٤)، ثم إنه شرع للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك لفظ البسمة. وذكر الله تعالى في كتابه حكاية عن كتاب سليمان عليه السلام أنها كانت في أوله. ثم أثبتتها الصحابة في المصحف خطأ في أول كل سورة سوى براءة، فاختلف العلماء هل كان ذلك لأنها أنزلت حيث كتبت، أو فعل ذلك للتبرك كما في غيره، ولم يكتف بها في أول الفاتحة، بل أعطيت كل سورة حكم الاستقلال إرشادا لمن أراد افتتاح أي سورة منها إلى البسمة في أولها، ولما فقد هذا المعنى حين التلاوة بوصل السورة اختلف القراء فيه: فمنهم من اتبع المصحف فيسمل مستمرا على ذلك، إذ القراءة في اتباع الرسم شأن يُخالفُ لأجله قياس اللغة، على ما قد عرف في علم القراءة، فما الظن بهذا؟ وقد كان تقرر عندهم أن المصحف لم تكتبه الصحابة إلا ليرجع إليه فيما كانوا اختلفوا فيه، ومنهم من فهم المعنى فلم يبسمل إلا في أول سورة يبتدئ بها^(٥)، وقد صحّ أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أنزلت الكوثر وتلاها على الناس بسمل في أولها^(٦)، وكذا لما قرأ سورة حم السجدة على عتبة بن ربيعة^(٧)، ولما تلا سورة المجادلة على امرأة^(٨) أوس بن الصامت^(٩)، ولما قرأ سورة الروم على

(١) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المقرئ المدني، قرأ على سبعين من التابعين، توفي سنة تسع وستين ومائة. معرفة القراء ٢٤١/ وغاية النهاية ٢/ ٣٣٠.

(٢) هو زيان بن العلاء بن عمار أبو عمرو البصري المقرئ النحوي، شيخ القراء بالبصرة، توفي سنة أربع وخمسين ومائة. معرفة القراء ٢٢٣/١ وغاية النهاية ١/ ٢٨٨.

(٣) هو عبد الله بن عامر بن يزيد أبو عمران الحصبني الدمشقي، إمام الشاميين في القراءة، توفي سنة ثمان عشرة ومائة. معرفة القراء ١٨٦/١ وغاية النهاية ١/ ٤٢٣.

(٤) يضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنة وياء موحدة مكسورة وياء اختلفوا فيها، فمنهم من شدها، ومنهم من خفها، قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحتها، وبين الحديبية ومكة مرحلة، ويقال لها اليوم: الشميسي. معجم البلدان ٢/ ٢٢٩ وصحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ٢/ ١٣٩ وانظر هدنة الحديبية في صحيح البخاري ٤/ ١٥٢٤ وصحيح مسلم ٣/ ١٤١٠.

(٥) قال أبو شامة في إبراز المعاني من حزر الأمانى ١/ ٢٢٧ في شرح بيت:

وبسمل بين السورتين بسنة رجال نموها درية وتحملا

لمبسلون من القراء هم الذين رمز لهم في هذا البيت من قوله: بسنة، رجال، نموها، درية [وهم قالون والكسائي، وعاصم، وابن كثير] وعلم من ذلك أن الباقيين لا يبسلون، لأن هذا من قبيل الإثبات والحذف.

(٦) رواه مسلم ١/ ٣٠٠ ح ٥٤ وأبو داود ١/ ٥٠٧ ح ٧٨٠ والنسائي ٢/ ١٣٤ ح ٩٠٤ من حديث أنس.

(٧) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٤/ ٢٩٥ وعنه عبد بن حميد في مسنده (المنتخب ٣/ ٦٢) وأبو يعلى في مسنده ٣/ ٣٤٩ من طريق علي بن مسهر، عن الأجلح، عن الذيال بن حرملة، عن جابر بن عبد الله قال. فذكره. ورواه أبو نعيم في دلائل النبوة ١/ ٢٩٩ من طريق منجاب بن الحارث، عن علي بن مسهر، ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٢٠٢ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٨/ ٢٤٢ من طريق يحيى بن معين، عن محمد بن فضيل، عن الأجلح، ورواه الحاكم في المستدرک ٢/ ٢٥٣ من طريق جعفر بن العون، عن الأجلح. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/ ١٧ فيه الأجلح الكندي، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات. وقال الحافظ ابن حجر: صدوق شيعي. التقريب ١٢٠ قلت: الحديث حسن إذن.

(٨) هي: خولة بنت ثعلبة، ويقال: خويلة، وخولة أكثر، وقيل: خولة بنت حكيم، وقيل: خولة بنت مالك بن ثعلبة، وقيل: جميلة، وقيل: بل هي خولة بنت دليج، ولا يثبت شيء من ذلك، والله أعلم، والذي قدما أثبت وأصح إن شاء الله. الاستيعاب ٤/ ١٨٣٠ والإصابة ٧/ ٦١٨.

(٩) هو أوس بن الصامت بن قيس الأنصاري، أخو عبادة بن الصامت، شهد بدرًا وأحداً وسائر المشاهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهو الذي ظاهر من امرأته فوطئها قبل أن يكفر، مات في أيام عثمان، وله خمس وثمانون سنة. الاستيعاب ١/ ١١٨ والإصابة ١/ ١٥٦. وقصة ظهاره من امرأته رواها أحمد ٤٥/ ٣٠٠ وأبو داود ٣/ ٨٣ ح ٢٢٠٩ وابن حبان (الإحسان ١٠/ ١٠٧) والطبري في تفسير الطبري ٢٨/ ٥ من طريق يوسف بن عبد الله بن سلام، عن خولة. وليس فيها

المشركين^(١)، ولإيلاف قریش -أخرج البيهقي حديثهما في " الخلافيات "^(٢) - ولما قرأ سورة الحجر أخرج ابن أبي هاشم^(٣) بسنده^(٤).

البسمة، ورواه ابن أبي حاتم -وفيها البسمة- في تفسير القرآن العظيم (تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٨ / ٨) والبيهقي في السنن الكبرى ٣٨٥ / ٧ عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية مرسلًا. وزاد السيوطي في الدر المنثور ٧٧ / ٧ نسبه إلى عبد بن حميد -ولم أرها في المسند المنتخب- وابن مردويه.

(١) رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد ١ / ٤٠٤ ومن طريقه البيهقي في الخلافيات ل ٤٤ وأبو القاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة ١ / ٢٩١ من طريق محمد بن يحيى، عن سريج بن النعمان، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عروة بن الزبير، عن نيار بن مكرم مرفوعاً. وفيه البسمة.

ورواه البخاري في كتاب التاريخ الكبير ٨ / ١٣٩ من طريق إسماعيل بن أبي أويس، وأبو الحسن بن قانع في معجم الصحابة ٣ / ١٧٢ والطحاوي في شرح مشكل الآثار ٧ / ٤٤٢ من طريق محمد بن سليمان لوين، والطبراني في المعجم الأوسط ٧ / ٢٠٠ من طريق ابن جريج، وعبد الله بن أحمد في كتاب السنة ١ / ١٤٣ ومن طريقه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات ١ / ٥٨٥ وفي الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ١٠ / ١٠٨ من طريق أبي معمر الهذلي، عن سريج بن النعمان، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٥ / ٢٧٠٤ من طريق محمد بن العباس المؤدب، عن سريج بن النعمان كلهم عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه به، وليس في هذه الطرق البسمة، وهي المحفوظة.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک ٢ / ٥٣٦ وعنه البيهقي في الخلافيات ل ٤٤ من طريق يعقوب بن محمد الزهري والبسمة في روايته والبخاري في التاريخ الكبير ١ / ٣٢١ والطبراني في المعجم الكبير ٢٤ / ٤٠٩ وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ١ / ٢٦٠ من طريق أبي مصعب الزهري، كلاهما (يعقوب بن محمد، وأبو مصعب الزهري) عن إبراهيم بن محمد، عن عثمان بن عبد الله بن أبي عتيق، عن سعيد بن عمرو بن جعدة، عن أبيه، عن جدته أم هانئ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الذهبي: يعقوب ضعيف، وإبراهيم صاحب مناكير، هذا أنكرها. تلخيص المستدرک. وخالفه سليمان بن بلال فروى البخاري في التاريخ الكبير من طريق سليمان بن بلال، عن عثمان بن عبد الله بن أبي عتيق، عن ابن جعدة المخزومي، عن ابن شهاب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - نحوه. قال أبو عبد الله: هذا بإرساله أشبه. قال الحافظ العراقي في محجة القرب إلى محبة العرب ٢٣٣: هذا حديث حسن، ورجاله كلهم ثقات معروفون إلا عمرو بن جعدة بن هبيرة فلم أجد فيه تعديلاً ولا جرحاً، وهو ابن ابن أخت علي بن أبي طالب، وهو أخو يحيى بن جعدة بن هبيرة أحد الثقات.

وهنا وقات:

الأولى: إن رواية البسمة في الحديث ضعيفة، تفرد بها يعقوب بن محمد الزهري، قال الحافظ ابن حجر عنه: صدوق كثير الوهم والرواية عن الضعفاء. التقريب ١٠٩٠.

الثانية: إن إبراهيم بن محمد اختلف فيه، فقال عنه ابن عدي في الكامل: مدني، روى عنه عمرو بن أبي سلمة وغيره مناكير، وقال أيضاً: وأحاديثه صالحة محتملة، ولعله أتى ممن قد روى عنه. وقال عنه الذهبي: ذو مناكير. الميزان ١ / ٥٦ وسبق قوله فيه في تلخيص المستدرک. ثم إنه خالف سليمان بن بلال الثقة، فروايته حينئذٍ منكرة، ورواية سليمان معروفة، ولهذا رجح البخاري رواية سليمان فقال: هذا بإرساله أشبه.

الثالثة: قول الحافظ العراقي: هذا حديث حسن ورجاله كلهم ثقات معروفون. فيه نظر يعرف مما سبق، لكن يشهد لمرسل ابن شهاب هذا حديث الزبير الذي رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٩ / ٧٦ من طريق عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن الزبير نحوه. قال الحافظ العراقي فيه: هذا حديث يصلح أن يخرج للاعتبار والاستشهاد، فإن عبد الله بن مصعب بن ثابت ذكره ابن حبان في الثقات، وضعفه ابن معين.

قلت: وخلاصة القول أن رواية البسمة في حديث أم هانئ ضعيفة، وباقي الحديث حسن لغيره. (نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار: ٥٦/١).

(٣) هو عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم أبو طاهر البغدادي المقرئ، انتهى إليه الحدق بأداء القرآن، قرأ بالروايات على ابن مجاهد، له كتاب البيان، وكتاب الفصل بين أبي عمرو والكسائي، ورسالة في الجهر بالبسمة، توفي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة. معرفة القراء الكبار ٢ / ٦٠٣ وغاية النهاية ١ / ٤٧٥ وإيضاح المكنون ٥ / ٥٦٢.

(٤) رواه الطبري في تفسير الطبري ١٤ / ٢ من طريق علي بن سعيد بن مسروق الكندي، وأبو بكر ابن أبي عاصم في السنة ١ / ٥٨٢ والطبراني في المعجم الكبير (تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ / ٥٢٥) والحاكم في المستدرک ٢ / ٢٤٢ وعنه البيهقي في كتاب البعث والنشور القسم الثاني ١ / ٢٠٧ من طريق أبي الشعثاء علي بن الحسن كلاهما عن خالد بن نافع

الثاني: أن تلك الآيات تنثى في كل ركعة أي تضم إليها السورة في كل ركعة. اختاره ابن عاشور قائلاً: "وجه الوصف به أن تلك الآيات تنثى في كل ركعة كذا في الكشف^(١) قيل وهو مأثور عن عمر بن الخطاب^(٢)، وهو مستقيم لأن معناه أنها تضم إليها السورة في كل ركعة"^(٣)(٤).

الثالث: وإما لأنها تنثى نزولها، فمرة بمكة حين فرضت الصلاة وأخرى بالمدينة حين حوّلت القبلة^(٥)، قال ابن عاشور: "وهذا قولٌ بعيدٌ جداً وتكرّرُ النزولُ لا يُعتبرُ قائله، وقد اتفقَ على أنها مكّيةٌ فأبي معنّى لإعادة نزولها بالمدينة"^(٦).

الرابع: وإما لاشتمال كل من آياتها السبع على الثناء عليه جلّ شأنه؛ إما تصريحاً أو تلويحاً، وهو مبنيٌّ على ما هو الصحيح من عدّ التسمية آية منها، وعدّ {صراط الذين أنعمت عليهم} بعضاً من السابعة، وإلا فتضمنها الثناء غير ظاهر .

الخامس: وإما لتكرّر ما تضمّنته من المقاصد: فالثناء عليه سبحانه قد تكرر في جملتي البسمة والحمد له. وتخصيصه عزّ وعلا بالإقبال عليه وحده والإعراض عمّا سواه قد تكرر في جملتي العبادة والإستعانة. وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم مُكرّر {صراط الذين أنعمت عليهم}، كما أنّ سؤال البُعد عن الطريق غير القويم مُكرّر بذكر {المغضوب عليهم ولا الضالين}^(٧).

فهذه وجوه خمسة في تسميتها بالسبع المثاني.

والمثاني تحتل واحداً من ستة معان:

أحدها: المثاني من الثناء، والثناء لا يكون إلا على الله.

الأشعري، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن أبي موسى مرفوعاً، وليس فيه البسمة قال الحافظ ابن كثير: ورواه ابن أبي حاتم من حديث خالد بن نافع به، وزاد فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. قال الهيثمي: وفيه خالد بن نافع الأشعري، قال أبو داود: متروك. مجمع الزوائد ٧/ ١٣١، قال الذهبي: وهذا تجاوز في الحد، فإن الرجل قد حدث عنه أحمد بن حنبل، ومسدد، فلا يستحق الترك، ميزان الاعتدال ١/ ٦٤٤.

(١) يقول الامام الزمخشري: "وسورة الحمد والمثاني لأنها تنثى في كل ركعة"^(١) عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٧م:ص(١/١).

(٢) قال السيوطي في حاشيته على تفسير البيضاوي: "أخرجه ابن جرير في تفسيره بسند حسن عنه قال: "السبع المثاني الكتاب تنثى في كل ركعة"، ولم أر هذا اللفظ في تفسير الطبري عن عمر، ولكن رأيت فيه: ما لهم رغبة عن فاتحة الكتاب، وما ينتهي بعد المثاني: ١٤ / ٥٤. انظر: نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية (٣ رسائل دكتوراة)، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٥ م:ص(٤٩/١).

(٣) تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد بن الطاهر ابن عاشور، دار التنوير للنشر، تونس، ١٩٨٤:ص(١٣٥/١).

(٤) وقيل أن في كلام صاحب (الكتاف): "لأنها تنثى في كل ركعة"، وهو بظاهره غير صحيح، ووجه التكاليف لتوجيه مشهورة، أجودها حمل الركعة على الصلاة تسمية للكّل باسم الجزء، ولا يردّ عليه الوثر إذ ليست في مذهبه، ولا صلاة الجنازة، وإن جُعِلت صلاة حقيقة لعدم إطلاقه الركعة عليها .

(٥) قال السيوطي في الإتيان: الأكثرون على أنها مكية ... واستدل لذلك بقوله تعالى "ولقد آتيناك سبعاً من المثاني" وفسرها - صلى الله عليه وسلم - بالفاتحة كما في الصحيح، وسورة الحجر مكية بالإتيان، وقد امتن على رسوله فيها بها، فتدل على تقدم نزول الفاتحة عليها، إذ يبعد أن يمتن عليه بما لم ينزل بعد.

وانظر في: صحيح البخاري ٤/ ١٥٢٥ ح ٣٩١٩ وتفسير الطبري ٢٦/ ٦٩ والمحرر الوجيز ١٣/ ٤٢٧ وزاد المسير ٧/ ٤١٨ والتفسير الكبير ١/ ١٧٧ وتفسير القرآن العظيم ٧/ ٣٢٥ والإتيان في علوم القرآن ١/ ٣٤.

(٦) تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد بن الطاهر ابن عاشور، دار التنوير للنشر، تونس، ١٩٨٤:ص(١٣٥/١).

(٧) انظر: الإتيان في علوم القرآن: ١/ ١٥٠.

والثاني: المثنائي من الثنيّ والإنثناء، وهذه لا تكون إلا في أطراف الأشياء، وأيضا تعني المعاني الخفية أو المتخفية في الإنثناءات، أو المعاني الباطنة، أو المعاني غير الظاهرة للعيان أنيا، أو هي تلك التي لم يأن أو أن ظهورها بعد، والتي سوف تظهر تباعا في القادم من الأزمنة.
والثالث: المثنائي من الإزدواجية، أي ثنائية التكوين.
والرابع: المثنائي من الثنائية، أي العد مثنى مثنى، أو إثنيتين إثنيتين.
والخامس: وهو امتداد أو هو تفصيل للمعنى الثاني (من الإنثناء)، وحيث تكون المثنائي من ظهور معنى ثان لها، وهذا المعنى بدوره يظهر له معنى جديد وهكذا ، إلى سبعة أعماق، أو سبعة أبعاد، أو سبعة معاني وكلها صحيح، مما يشير إلى معني المتشابه من الآيات.
والسادس: وهو معنى لا يخص المثنائي بذاتها، لكنه يخص العددية الدالة عليها (سبعة)، مما يعني أن مجرد ظهور خاصية معينة متميزة في آيات وسور كتاب الله، في سبعة أشكال أو سبعة تكرارات، أو سبعة سور، أو سبعة آيات، أو سبعة خصال، يصون لها احتمال كونها من السبع المثنائي.
وقيل "أنّ المثنائي يُطلقُ باعتبار معنيين:

أحدهما: باعتبار ما تُثني لفظه وكرّر.
والثاني: باعتبار ما تُثني أنواعه وأقسامه، وكرّرت، فإنّ الثنائية يُرادُ بها مطلقُ العدد من غير تخصيص بعدد الاثنين، كما في قوله تعالى: {ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ} [الملك: ٤]، أي: مرّة بعد مرّة" (١).
والقرآن نوعان:

أحدهما: ما كرّر لفظه لفائدة مجدّدة، فهذا هو المتشابه.
والثاني: ما نُوع وُقسم ولم يُكرّر لفظه، فهذا المثنائي، وقد جمَعَ الله بين هذين الوصفين في قوله تعالى: {نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي} [الزمر: ٢٣]، فوصف الكتاب كلّهُ بأنّه متشابهٌ ومثاني، فإمّا أن يكون تنويحاً إلى هذين النوعين، وهما: النظائر المتماثلة، والمثنائي في الأنواع، وإمّا أن يكون المراد أنّ آياته المتماثلة تُثنيّت فيه في مواضع لحكم وفوائد متجدّدة، وسورةُ الفاتحة على المثنائي بهذين التفسيرين، لأنّها تضمنت الأنواع والأقسام المعدّدة وذكر العبادة والاستعانة، وذكر المغضوب عليهم والضالين، وتضمنت ذكر النظائر المتماثلة، وتُثنيّت فيها تكرير {إِيَّاكَ}، و{الصِّرَاطِ}، و{عَلَيْهِمْ}، وتكرير: {الرَّحْمَنَ الرَّحِيمِ} على قول من يقول إنّ البسملة منها، فإن قيل: قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي} [الحجر: ٨٧] يدلّ على أنّها من جملة المثنائي لا كلّها، وفي الحديث: أنّ النبيّ -صلى الله عليه وسلم- قال في الفاتحة: "هي السبع المثنائي" (٢).

فالجواب: أنّ القرآن كلّهُ أربعة أقسام: السبع الطول، والمئون، والمثنائي، والمفصل، كما في "المسند" وغيره عن واثلة بن الأسقع أنّ النبيّ -صلى الله عليه وسلم- قال: "أعطيتُ مكان التوراة السَّبْعَ الطَّوْلَ، وأعطيتُ مكان الزبور المئين، وأعطيتُ مكان الإنجيل المثنائي، وفُضِّلْتُ بالمفصل" (٣)، وقد رُوِيَ نحو ذلك عن ابن عبّاس وغيره (٤).

والسَّبْعَ الطَّوْلَ هي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس، كذا قال ابن عبّاس وسعيد بن جبير، وقيل: إنّ السابعة: الأنفال وبراءة.
والمئون: ما كان بعد ذلك من السور يبلغ عدده مائة، مائة، أو يزيدُ عليها قليلاً أو ينقصُ قليلاً.

(١) تفسير الفاتحة، ابن رجب: ١٨.

(٢) عن أبي سعيد بن المعلى ... "الحمد لله رب العالمين هي السبع المثنائي والقرآن العظيم الذي أوتيته" رواه البخاري ٤/ ١٦٢٣ ح ٤٢٠٤ وأبو داود ٢/ ٢٧٠ ح ١٤٥٢ والنسائي ٢/ ١٣٩ ح ٩١٣ وابن ماجه ٣/ ٥٨٧ ح ٣٨٥٣.

(٣) المسند: (١٠٧/٤).

(٤) تفسير سورة الفاتحة، ابن رجب: ١٩.

والمثاني: ما سوى ذلك، وسوى المفصل، وسُمِّيَ مثاني قيل: لأنه يتلو المئين، فكان المئين أوائل وهذه ثواني، وقيل: لأنه تُتلى فيه القصص والأمثال والفرائض والحدود، ونقل عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة.

فالفاتحة من قِسْمِ المثاني، لأنها ليست من السَّبْعِ الطَّوَالِ، وليست من المئين، ولا من المفصل، فتعین أنها من المثاني، وإنما سماها النبي -صلى الله عليه وسلم- السبع المثاني لاختصاصها من بين بقية سور المثاني بمعاني آخر تقتضي أنها أحق بهذا الاسم من غيرها من السور كتثنيها في الصلاة وغير ذلك، فصارت نوعاً مستقلاً بنفسه فذلك سُمِّيَتْ: "السبع المثاني"، مع أن في لفظ الترمذي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته"^(١).

٥- القرآن العظيم:

وذلك لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- في الفاتحة: "هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته"^(٢)، ففسر السبع المثاني والقرآن العظيم بالفاتحة، فيكون هذا العطف حينئذٍ من باب: عطف الصفات على الصفات، لا من: عطف الموصوفات على الموصوفات، ونظيره قوله سبحانه وتعالى: {سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أخرجَ المَرَعَى} [الأعلى: ١-٤]، وكذلك قراءة عائشة وغيرها من الصحابة: (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاح العصر)، ومن المفسرين من قال: إن القرآن العظيم المراد به بقية القرآن، فجعله من باب ذكر الخاص قبل العام هو قليل، والمعروف عكسه، وهو ذكر الخاص بعد العام.

٦- الصلاة:

فقد ثبت في حديث أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "قال الله تعالى: فُسِّمَتِ الصَّلَاةُ بَيْنِي وَبَيْنَ عِبْدِي نَصْفَيْنِ، فَنَصَفْتُهَا لِي، وَنَصَفْتُهَا لِعِبْدِي، وَلِعِبْدِي مَا سَأَلَ" خرجه مسلم^(٣).
وإنما سُمِّيَتْ "صلاة" لأن الصلاة لا تخلو عنها، ولا تصح إلا بها، فُسِّمَتْ "صلاة"، كما تسمى الصلاة "قرآناً"، كما في قوله تعالى: {وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً} [الإسراء: ٧٨].
وقد سماها بهذا الاسم جماعة من الأئمة.

قال أبو شامة في أثناء كلام له: "هذا إذا سلمنا توجه التنصيف إلى آيات الفاتحة، وذلك ممنوع من أصله، وإنما التنصيف متوجه إلى الصلاة بنص الحديث، فإن قيل: المراد قراءة الصلاة، قلنا: بل المراد قسمة ذكر الصلاة، أي: الذكر المشروع فيها وهو ثناء ودعاء، فالثناء: منصرف إلى الله تعالى، سواء ما وقع منه في القراءة، وما وقع منه في الركوع والسجود، وغيرهما، والدعاء منصرف إلى العبد، سواء ما وقع منه في القراءة والسجود وغيرهما.

وأقره عليه النووي مع تسميته الفاتحة بـ (الصلاة)"^(٤).

السابع:- رقية الحق:

وقد ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال للذي رقى بالفاتحة: "وما يدريك أنها رقية"، وثبت أنه قال: "لقد أكلت برقية حق"^(٥).

(١) الجامع: (٢٨٧٥).

(٢) صحيح البخاري: (٤٤٧٤).

(٣) صحيح مسلم: (٣٩٥).

(٤) "المجموع"، وقد نقل كلام أبي شامة (٣٣٩/٣)، وانظر تسميته الفاتحة بـ "الصلاة" فيه (٣٣١/٣)، وفي "شرح مسلم" (١٠٣/٤).

(٥) أخرجه أبو داود (٣٨٩٧، ٣٨٩٦، ٣٤٢٠)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (١٠٣٢)، وعنه ابن السني (رقم: ٦٢٤)، والطحاوي في "شرح المعاني" (٢٦٩/٢)، والحاكم (٥٥٩/١-٥٦٠)، والطيالسي (١٣٦٢)، وأحمد (٢١٠/٥-٢١١)، من طريق الشعبي بن خارجة بن الصلت عن عمه أنه مرَّ بقوم فأتوه فقالوا: إنك جئت من عند هذا الرجل بخير فارق لنا هذا الرجل فأتوه

٨- سورة الحمد:

وقد اشتهر تسميتها بذلك، وحَمَلَ كثيرٌ من النَّاسِ حديثاً: (كان يفتتحُ الصَّلَاةَ بـ {الحمد لله رب العالمين} على أنه أريد ذكر اسم السُّورة).
فإن قيل: ففي القرآن سُورٌ كثيرةٌ أولُّها: {الحمد لله}، فما وجهُ تسمية الفاتحة بـ "سورة الحمد" دون غيرها؟

فالجواب: أنَّ الثناء على الله سبحانه في هذه السُّورة هو المقصودُ الأعظم من سائر معانيها، وقد استوعب نحو شطرها، فهو الغالب عليها، فسميت بما غلبَ عليها، بخلاف غيرها.

■ ثانياً:- أسماؤها الاجتهادية:

١- الشفاء:

ذكره غيرُ واحدٍ، وذكروا من حديث ابن سيرين عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ أنَّ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "فاتحة الكتابِ شفاءٌ من كلِّ داءٍ"^(١)، وفي رواية: "من كلِّ شيءٍ إلا السَّامَ"^(٢)، وهو الموت، وقيل: إن الدارمي خرَّجه^(٣)، وروي مرسلًا عن عبد الملك بن عمير أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "في فاتحة الكتاب: شفاء من كلِّ داءٍ"^(٤)، وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري: "فاتحة الكتاب شفاء من السم"^(٥).
وتُسمَّى "الشافية" أيضاً.

قال الرَّازيُّ: "وأقول: الأمراضُ منها ما هو روحانيَّة، ومنها ما هو جسمانيَّة، بدليل تسميته تعالى الكفرَ مرضاً، في قوله تعالى: {في قلوبهم مَرَضٌ} [البقرة: ١٠]، وهذه السورة مشتملة على معرفة الأصول والفروع والمكاشفات، فهي في الحقيقة شفاءٌ، بل الشفاء^(٦) في هذه المقامات الثلاثة"^(٧).

وقال ابن القيم: "فقد أثر هنا الدواء في هذا الداء وأزاله، حتى كأنه لم يكن، وهو أسهل دواء وأيسره، ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة لرأى لها تأثيراً عجبياً في الشفاء، ومكثت بمكة مدة تعتريني أدواء، ولا أجد طبيباً ولا دواءً، فكنيت أعالج نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيراً عجبياً، فكنيت أصف ذلك لمن يشتكي ألماً، فكان كثير منهم يبرأ سريعاً"^(٨).

ولكن هاهنا أمر ينبغي التفتن له، وهو أن الأذكار والآيات أو الأدعية التي يُستشفى بها، ويُرقى بها هي نفسها نافعة شافعة، ولكن تستدعي قبول المحل، وقوة همة الفاعل، وتأثيره، فمتى تخلف الشفاء كان

يرجلُ معنوه في الفيود فرقاه بأَمِّ القرآن ثلاثة أيامَ غُدوةً وَعَشِيَّةً وَكَلَّمَا حَنَمَهَا جَمَعَ بَرَأَقَهُ ثُمَّ تَقَلَّ فَكَأَنَّمَا أُنْشِطَ مِنْ عَقَالٍ فَأَعْطُوهُ سَنِيئًا فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَهُ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ فَلَعْمَرِي لِمَنْ أَكَلَ بِرُقِيَّةً بَاطِلًا لَقَدْ أَكَلَتْ بِرُقِيَّةً حَقًّا" وقال الحاكم: "صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. قال الألباني: وهو كما قالوا إن شاء الله، فإن رجاله ثقات رجال الشيخين غير خارجة بن الصلت، فروى عنه مع الشعبي عبد الأعلى بن الحكم الكلبي، وذكره ابن حبان في "الثقات"، لكن قال ابن أبي خيثمة: "إذا روى الشعبي عن رجل وسماه فهو ثقة، يحتج بحديثه". ذكره الحافظ في "التهذيب" وأقره، و كانه لذلك قال الذهبي في "الكاشف": "ثقة". (قاله الألباني في: "السلسلة الصحيحة" ٥ / ٤٤).

(١) حديث ضعيف: ضعيف الجامع الصغير: ٣٩٤٩.

(٢) أخرجه الخلعي في فوائده، من حديث جابر بن عبد الله: (تهذيب وترتيب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، محمد بن عمر بن سالم بزمول، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ٤٠).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (٨٠/١).

(٤) سنن الدارمي من كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب، رقم الحديث (٣٢٤٧): (٤٤٥/٢). أخرجه البيهقي في "الشعب" (٢٣٧٠)، وحكم الألباني بضعفه في ضعيف الجامع الصغير: ٨٨/٤.

(٥) حديث موضوع (ضعيف الجامع الصغير: ٨٨/٤).

(٦) في التفسير الكبير: (فيها في الحقيقة سبب لحصول الشفاء)

(٧) التفسير الكبير: (١٤٧/١).

(٨) الجواب الكافي: ٣

لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المنفعل، أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجح فيه الدواء، كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية، فإن عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة (أي طبيعة البدن) لذلك الدواء، وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه أثره، فإن الطبيعة (أي الأجسام) إذا أخذت الدواء لقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول، فكذلك القلب إذا أخذ الرقى والتعاويد بقبول تام، وكان للراقي نفساً فعالة، وهمة مؤثرة في إزالة الداء .

٢- الوافية:

حكى عن سفيان بن عيينة، لأنها لا تقبل الحذف، فلا بد من الإتيان بها وافية تامة، وقال الزمخشري: إنما سُميت وافية لاشتغالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله عز وجل بما هو أهله، ومن التعبد بالأمر والتَّهي، ومن الوعد والوعيد^(١).

٣- الأساس:

رُوي عن الشعبي أنه سمّاها: الأساس، وأنه قال: "سمعتُ ابنَ عباسٍ يقول: أساسُ الكُتُبِ القرآن، وأساسُ القرآن الفاتحة، وأساسُ الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم"^(٢).

قال الرازي: وسُميت أساساً لوجهين: أحدهما: أنها أولُ سورةٍ من القرآن، فهي كالأساس، والثاني: [أن أشرف العبادات بعد الإيمان هو الصلاة]^(٣)، وهذه السورة مشتملة على^(٤) ما لا بد منه في الإيمان، والصلاة لا تتم إلا بها^(٥).

٤- الكنز

واستدل بذلك بما رواه أنس بن مالك-رضي الله عنه- عن النبي-صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله أعطاني فيما منّ به عليّ، أي أعطيتك فاتحة الكتاب، وهي من كنوز عرشي، ثم قسمتها بيني وبين عبدني نصفين"^(٦).

وأخرج الواحدي في أسباب النزول عن علي قال: "نزلت فاتحة الكتاب بمكة عن كنز تحت العرش"^(٧)، وعنه -رضي الله عنه- أنه سئل عن فاتحة الكتاب، فقال: "حدثنا نبي الله-صلى الله عليه وسلم- أنها أنزلت من كنز تحت العرش"^(٨).

وقد ذكرت هذا التسمية في بعض كتب التفسير وعلوم القرآن^(٩).

(١) الكشف: (٤٥/١).

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١١٣/١، والدر المنثور: ٣/١، ونسبه للثعلبي، قال ابن كير: إن في كتب الثعلبي من الغرائب الشيء الكثير". [البداية والنهاية: ٤٠/١٢].

(٣) ما بين المعكوفتين بياض بالأصل، واستدرك من التفسير الكبير: وقد ذكر الرازي وجها ثالثا أيضا، ولكنه ذكره بعد الوجه الأول، فقال: (الثاني: أنها مشتملة على أشرف المطالب) ثم ذكر هذا الوجه، والله أعلم.

وجاء في هامش الأصل: (الثالث عشر: الكافية، سمّاها به لأنها تكفي عن غيرها، فإن أم القرآن عوض من غيرها، وليس غيرها منها عوضا) .هـ ولا أدري هل هذا الهامش من إلحاقات المصنف، أم أنه من الناسخ؟

(٤) في التفسير الكبير: (على كل).

(٥) التفسير الكبير: (١٤٧/١).

(٦) أخرجه البيهقي في الشعب، باب تعظيم القرآن، فصل(في فضائل السور والآيات) حديث رقم(٢٣٦٣): (٦٤٨/٢)، وابن الضريس في فضائله، باب(في فضائل فاتحة الكتاب)، حديث رقم(١٤٣): ص٧٩، وانظر: كنز العمال حديث رقم(٢٥٢١):

ص٥٦٠/١.

(٧) أخرجه الثعلبي في تفسيره، مخطوطة-الكشف والبيان-: ٣٥/١، والواحدي في أسباب النزول: ١٩.

(٨) أورده السيوطي في الدر: ١٦/١، وعزاه إلى إسحاق بن راهويه في مسنده.

(٩) انظر في هذه التسميات في كتب التفسير وعلوم القرآن كتفسير: الزمخشري: ٤/١، والنسفي: ٣/١، وابن كثير: ١٥/١، والبيضاوي: ٥/١، والشوكاني: ٢٣/١، والألوسي: ٣٨/١، وذكرها السيوطي في الإتيان: ١٧٠/١، والبقاعي في نظم الدرر في

تناسب الآيات والسور: ١٩/١، والزرکشي في البرهان: ٢٧٠/١.

وقيل سميت بذلك لاشتمالها على المعاني التي في القرآن، وهي بمثابة الجواهر المكنوزة فيه^(١). وهذه الأحاديث التي وردت في التسمية لم يصرح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم- بتسميتها بالكنز، إنما ذكر أنها نزلت من كنوز العرش، فهي وصف للسورة وليست اسما لها^(٢).

٥- الشكر

ذكر هذه التسمية بعض المفسرين كالرازي^(٣)، وأبي مسعود^(٤)، والألوسي^(٥)، كما ذكرها السيوطي^(٦)، والبقاعي^(٧). ووجه التسمية بذلك لاشتمالها على الشكر، قال الرازي: وذلك لأنها ثناء على الله بالفضل والكرم والإحسان^(٨).

وتجدر الإشارة بأن هذه التسمية مجرد أجتهد من السادة المفسرين لما تضمنته السورة من معاني الشكر والثناء لله، دون الاستناد في تسميتها إلى حديث أو أثر صحيح.

٦- الثناء:

قال بهذه التسمية الفيروزآبادي^(٩)، ولك لاشتمال السورة على الثناء على الله تعالى في قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ (٣) مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ (٤)} [الفاتحة : ٢ - ٤]، دون أن يذكر مستنده في ذلك.

٧- المناجاة:

ذكر هذا الاسم كل من السيوطي^(١٠)، والألوسي^(١١)، وعللا بأن العبد يناجي فيها ربه بقوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)} [الفاتحة : ٥]، وهذه التسمية من باب الإجتهد ولم يثبت ذلك عن الرسول-صلى الله عليه وسلم- ولا صحابته الكرام-رضي الله تعالى عنهم-.

٨- التفويض:

ذكره كل من السيوطي^(١٢) والألوسي^(١٣)، فقالوا أنها سميت بذلك، لأنه يحصل بها التفويض^(١٤) فهي مشتملة عليه في قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)} [الفاتحة : ٥]، وها أيضا اجتهد منها -رحمهما الله- دون استناد على دليل.

٩- الدعاء:

وردت هذه التسمية في بعض كتب التفسير: كتفسير الرازي^(١)، والبيضاوي^(٢)، وأبي مسعود^(٣)، والألوسي^(٤)، كما ذكرها البقاعي في نظمه^(٥)، والسيوطي في الإتيان^(٦)، وعللوا في وجه تسميتها : "

(١) انظر: الإتيان في علوم القرآن: ١٧٠/١، وتفسير الألوسي: ٣٨/١.
(٢) انظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، دمنيرة محمد ناصر الدوسري، دار ابن الجوزي، رسائل جامعة (٤٧)، ط ١، ١٤٢٦هـ: ص ١٤١.
(٣) انظر تفسيره: ٤٧/١.
(٤) انظر تفسيره: ٨١/١.
(٥) انظر تفسيره: ٣٨/١.
(٦) انظر الإتيان: ١٧٠/١.
(٧) انظر تفسيره: ١٩/١.
(٨) مفاتيح الغيب: ١٤٧/١.
(٩) انظر: بصائر ذوي التمييز، فيروزآبادي: ١٢٩/١.
(١٠) انظر: الإتيان في علوم القرآن: ١٧١/١.
(١١) تفسير الألوسي: ٣٨/١.
(١٢) انظر: الإتيان في علوم القرآن: ١٧١/١.
(١٣) تفسير الألوسي: ٣٨/١.
(١٤) جاء في الصحاح: "فوض إليه الأمر، أي رده إليه". مادة: "ف و ض": (١٠٩٩/٣).

لاشمئلا عليها في قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)} [الفاتحة : ٦]، وأخرج أبو عبيد عن مكحول: "أم القرآن قراءة ومسألة ودعاء"^(٧).

قلت: لا شك بأن الدعاء من المعاني التي اشتملت عليها سورة الفاتحة، أما كون الدعاء اسما لها، فلم يثبت ذلك عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، بل مجرد اجتهاد واستنباط من السادة العلماء-رحمهم الله تعالى-.

١٠- النور

ذكرها كل من السيوطي^(٨)، والألوسي^(٩)، وعلل هذا الأخير سبب تسميتها بذلك، لظهورها بكثرة استعمالها أو لتتويرها القلوب لجلالة قدرها، أو لأنها لما اشتملت عليه من المعاني عبارة عن النور بمعنى القرآن.

وهذا اجتهاد، ولم اجد سندا صحيحا في تسميتها بالنور، إنما هو وصف للسورة كما في حديث ابن عباس: "قال فيه جبريل: أبشر بنورين أوتيتها لم يؤتها نبي قبلك: فتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة.." ^(١٠).

أوردت هذه التسمية، كل من: البيضاوي^(١١)، وأبي مسعود^(١٢)، والألوسي^(١٣)، كما ذكرها السيوطي في الإتيان^(١٤)، ونسب إلى المرسي قوله في وجه التسمية: "لأن فيها آداب السؤال، لأنها بدئت بالثناء قبله"^(١٥).

وقد أخرج أبو عبيد عن مكحول قوله: "أم القرآن قراءة ومسألة ودعاء"^(١٦). قلت: وهذه التسمية أيضا من باب الاجتهاد، لأن تعليم المسألة هو من المعاني التي تضمنتها السورة، ولم يرد حديث عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- في ذلك.

١١- السؤال:

سامها بذلك كل من: الرازي^(١٧)، والسيوطي^(١٨)، والألوسي^(١٩)، ووجه التسمية بك لكونها اشتملت على الدعاء الذي هو السؤال لله تعالى.

- (١) انظر تفسيره: ١٤٧/١.
- (٢) انظر تفسيره: ٥/١.
- (٣) انظر تفسيره: ٨/١.
- (٤) انظر تفسيره: ٣٨/١.
- (٥) انظر: الإتيان: ١٩/١.
- (٦) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٧١/١.
- (٧) باب(فضل فاتحة الكتاب): ١١٨.
- (٨) انظر تفسيره: ١٧٠/١.
- (٩) انظر تفسيره: ٣٨/١.
- (١٠) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها - باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة (٨٠٦) (ج ١ / ص ٥٥٤).
- (١١) انظر تفسيره: ٥/١.
- (١٢) انظر تفسيره: ٨/١.
- (١٣) انظر تفسيره: ٣٨/١.
- (١٤) انظر الإتيان: ٧٠/١.
- (١٥) اسماء سور القرآن وفضائلها: ١٤٥.
- (١٦) باب(فضل فاتحة الكتاب): ١١٨.
- (١٧) انظر: تفسيره: ١٤٧/١.
- (١٨) انظر: الإتيان: ١٧١/١.
- (١٩) انظر: تفسيره: ٣٨/١.

قال الرازي: " روي أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حكى عن رب العزة-سبحانه وتعالى- أنه قال: "من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين"^(١)، وقد فعل الخليل-عليه السلام- ذلك حيث قال: {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ} [الشعراء : ٧٨]، إلى أن قال: {رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [الشعراء : ٨٣]، ففي هذه السورة أيضا وقعت البداية بالثناء عليه سبحانه وتعالى، وهو قوله: {الحمد لله} إلى قوله: {مالك يوم الدين}، ثم ذكر العبودية وهو قوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)} [الفاتحة : ٥]، ثم وقع الختم على طلب الهداية وهو قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)} [الفاتحة : ٦]، وهذا يدل على أن أكمل المطالب هو الهداية في الدين.."^(٢).

قلت وهذه التسمية أيضا من اجتهاد العلماء-رحمهم الله- وهو مشابه للاسم الذي قبله. هذه كانت أسماء سورة الفاتحة التي ذكرها المفسرون التوفيقية والاجتهادية وأشهرها وأكثرها تداولاً هي: (فاتحة الكتاب، والسبع المثاني، وأم الكتاب، وأم القرآن، وأشهر هذه الأسماء هي "الفاتحة")، أما باقي التسميات فهي من باب الاجتهاد لكون السورة تضمنت لمعانيها. والله تعالى أعلم.

■ مكية السورة ومدنيتها:

اختلف العلماء في مواضع نزول "سورة الفاتحة"، وفيه ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنها نزلت بمكة.

نُقل عن عليّ وابن عباس وأبي هريرة والأكثرين، حتى قال أبو ميسرة: "هي أول سورة نزلت من القرآن بمكة، وأنها ابتدئت بـ {بسم الله الرحمن الرحيم}"^(٣). وهذا قول جمهور العلماء، ودليلهم^(٤):

أولاً: ما أخرجه أبو بكر بن الأنباري في المصاحف عن عبادة قال: "فاتحة الكتاب نزلت بمكة"^(٥). ثانياً: أخرج الواحدي في أسباب النزول عن عليّ، قال: "نزلت فاتحة الكتاب بمكة عن كنز تحت العرش"^(٦)، وعنه رضي الله عنه- أنه سئل عن فاتحة الكتاب، فقال: "حدثنا نبي الله-صلى الله عليه وسلم- أنها أنزلت من كنز تحت العرش"^(٧).

الثالث: أخرج أبو نعيم في الدلائل عن رجل من بني سلمة قال: "لما أسلمت فتيان بني سلمة... فسأله فقراً عليه: الحمد لله رب العالمين، وكان ذلك قبل الهجرة"^(٨).

الرابع: وقالوا: لم تكن صلاة في الإسلام بدون فاتحة الكتاب، ومن المعلوم أن الصلاة شرعت في الأيام الأولى من البعثة، وفرضت الصلوات الخمس في ليلة الإسراء والمعراج، وكانت قبل الهجرة بثلاث سنوات. قال جلال الدين: "ولم يحفظ صلاة بغير فاتحة الكتاب"^(٩).

(١) حديث ضعيف، أخرجه البخاري في "التاريخ" (١/ ٢ / ١١٥) ، والبيهقي في "الشعب" (١/ ٣٣٧) من طريقين عن صفوان بن أبي الصهباء ، عن بكير بن عتيق عن سالم ابن عبد الله بن عمر عن أبيه عن جده . (الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني: (٤٩٨٩).

(٢) انظر: تفسيره: ١٤٧/١.

(٣) انظر: دلائل النبوة: (١٥٨/٢).

(٤) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني: ١٥/١.

(٥) فتح القدير: ١٥/١.

(٦) أخرجه الثعلبي في تفسيره، مخطوطة-الكشف والبيان-: ٣٥/١، والواحدي في أسباب النزول: ١٩، وانظر: الإتيقان: ١٢/١.

(٧) أورده السيوطي في الدر: ١٦/١، وعزاه إلى إسحاق بن راهويه في مسنده.

(٨) فتح القدير: ١٥/١.

(٩) الإتيقان: ١٢/١.

قال ابن كثير: "وهي مكية قاله ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-، وقتادة، وأبو العالية، لقوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي} [الحجر: ٨٧]"^(١).

ووجه الاستدلال بهذه الآية على أن سورة الفاتحة مكية، هو أن هذه الآية من سورة الحجر، وسورة الحجر سورة مكية، فهي تتحدث عن الفاتحة، فهذا دليل من القرآن على أن سورة الفاتحة نازلة بمكة، وهذا هو المعروف عند أهل العلم، ولا يلتفت إلى غيره.

واختلف في أول ما نزل من القرآن على أقوال:

أحدها: أن أول ما نزل: {بسم الله الرحمن الرحيم} منفردة.

قال الفخر الخطيب^(٢): "وهو قول الأكثرين من الذين قالوا: لم تنزل (المدثر) و(اقرأ) أولاً"^(٣).

ونقله في موضع آخر عن ابن عباس^(٤).

الثاني: أن أول ما نزل: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [المدثر: ١]، كما جاء في حديث جابر الصحيح^(٥).

والثالث: وقيل: {اقرأ باسم ربك الذي خلق}، وهذا هو الصحيح، فإنه لما أنزل عليه: {اقرأ باسم ربك الذي خلق} رجع فتدثر، فنزل: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}^(٦).

واتفق العلماء أن أول ما نزل القرآن على وجه الإطلاق قطعاً الآيات الخمس الأولى من سورة

العلق، وهي قوله تعالى: {اقرأ باسم ربك الذي خلق} (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣)

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) [العلق: ١ - ٥]، ثم فتر الوحي مدة، ثم نزلت الآيات

الخمس الأولى من سورة المدثر، وهي قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) فُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبُّكَ فَكْبَرٌ (٣)}

وَيَبَّاكَ فَطَهَّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) [المدثر: ١-٥]، ففي الصحيحين: عن عائشة رضي الله عنها في بدء

الوحي قالت: "أول ما بُدئ به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الوحي هو الرؤيا الصالحة في النوم،

فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلو، وكان يخلو في غار حراء،

يتحنن [يتعبد] فيه الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود

لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني

فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال فغطني الثانية حتى بلغ مني

الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: {اقرأ باسم ربك

الذي خلق الإنسان من علق} * اقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ [العلق ١-٣]، فرجع رسول الله -صلى الله عليه

وسلم- يرجف فؤاده، فدخل على زوجته خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها-، فقال: زملوني، زملوني،

فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله

أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت

به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل ابن عمها، وكان امرأً تنصر بالجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني من

الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله له أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من

ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ما ذا ترى؟ فأخبره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما رأى، فقال

له ورقة: هذا الناموس (جبريل عليه السلام) الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا (شاباً)، ليتني

(١) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٢) هو الرازي، والمعروف أنه يلقب: (بابن الخطيب) أو (ابن خطيب الري).

(٣) مفاتيح الغيب: ١٤٧/١.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب: ١٤٧/١.

(٥) صحيح البخاري: (٦٧٦/٨-٦٧٧-رقم: ٤٩٢٢).

(٦) انظر: تفسير الخطيب الشربيني: ٤/٤٢٥.

أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال: أو مُخرجي هم؟، قال نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا، ثم لم ينشب (يلبث) ورقة أن توفي، وفتر الوحي (١).

وفيها عن جابر رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو يحدث عن فترة الوحي : "بَيْنَا أَنَا أُمِّيئِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَعَبْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَعَبْتُ بَصْرِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءِ جَالِسٌ عَلَيَّ كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمَلُونِي زَمَلُونِي " فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ٢] إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥]. فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ تَابَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَتَابَعَهُ هِلَالُ بْنُ رَدَادٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَقَالَ يُوسُفُ، وَمَعْمَرٌ بِوَادِرَةَ" (١) ، وفيه ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢)﴾ إِلَى ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ١-٥].

وتمت آيات يقال فيها : أول ما نزل، والمراد أول ما نزل باعتبار شيء معين ، فتكون أولية مقيدة مثل : حديث جابر رضي الله عنه في الصحيحين، إن أبا سلمة بن عبد الرحمن سأله: أي القرآن أنزل أول؟ قال جابر: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١]، قال أبو سلمة : أنبئت أنه {اقرأ باسم ربك الذي خلق} [العلق: ١] فقال جابر : لا أخبرك إلا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "جاورت في حراء فلما قضيت جواربي هبطت ... " فذكر الحديث وفيه : "فأتيت خديجة فقلت : دثروني ، وصبوا علي ماء بارداً ، وأنزل علي : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١] إلى قوله : ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ١-٥]" (٢).

فهذه الأولية التي ذكرها جابر رضي الله عنه باعتبار أول ما نزل بعد فترة الوحي ، أو أول ما نزل في شأن الرسالة ؛ لأن ما نزل من سورة اقرأ ثبتت نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وما نزل من سورة المدثر ثبتت به الرسالة في قوله { قُمْ فَأَنْذِرْ } [المدثر: ٢]. ولهذا قال أهل العلم : إن النبي صلى الله عليه وسلم نبي (اقرأ) [العلق: ١] ، وأرسل (ب) (المدثر: ١).

القول الثاني: أنها أنزلت بالمدينة.

قاله أبو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزهري (١)، روى منصور عن مجاهد قال: "إن إبليس رنَّ أربع رناتٍ حين لعن، وحين أهبط من الجنة، وحين بعث النبي صلى الله عليه وسلم، وحين أنزلت فاتحة الكتاب، وأنزلت بالمدينة" (٢).

قال الحسين بن الفضل: "هذه هفوة من مجاهد، لأن العلماء على خلاف قوله" (٣).

وروى الطبراني في "الأوسط": "حدثنا عبيد بن غنم ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا أبو الأحوص عن منصور عن مجاهد عن أبي هريرة: أن إبليس رنَّ حين أنزلت فاتحة الكتاب، وأنزلت بالمدينة، وقال: لم

(١) أخرجه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب ١ : كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ، أصول في التفسير ، حديث رقم ٣ ؛ ومسلم كتاب الإيمان باب ٧٣: بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حديث رقم ٤٠٣ (٢٥٢) ١٦٠ .

(١) أخرجه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب ١ : كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حديث رقم ٤ ؛ ومسلم كتاب الإيمان باب ٧٣: بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حديث رقم ٤٠٦ { ٢٥٥ } ١٦١ .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب التفسير ، باب ٣ قوله : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) حديث رقم ٤٩٢ ؛ ومسلم كتاب الإيمان باب ٧٣: بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حديث رقم ٤٠٩ { ٢٥٧ } ١٦١ .

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ١٠١/١، ومجمع البيان: ١٧/١.

(٢) انظر: الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ار الفكر - بيروت: ١١/١.

(٣) الإقتان: ١٢/١.

يروه عن منصور إلا أبو الأحوص، تفرّد به أبو بكر بن أبي شيبة^(١)، ورواه سفيان وغيره عن منصور ووقفوه على مجاهد.

واستدلوا على هذا بحديث مشهور في صحيح مسلم: "بينما جبريل قاعد عند النبي -صلى الله عليه وسلم- سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة"^(٢).

فإن قيل: هذا كان في المدينة، فكيف جاء بفاتحة الكتاب وهي نزلت بمكة؟ يقال: هو لم يأت بها أصلاً، وإنما بشر النبي -صلى الله عليه وسلم- بذلك، والبشارة يمكن أن تكون أيضاً على أمر قد مضى، فبين له المزية لسورة الفاتحة وآخر آيتين أوتيتهما -صلى الله عليه وسلم- من سورة البقرة، فالبشارة يمكن أن تكون عن شيء كان في الماضي، وهو كذلك، فلا يفهم منه أنه هو الذي نزل بها كما قال بعض المعاصرين: إن بعض القرآن قد ينزل به غير جبريل، فالأمر واضح أن جبريل هو الذي نزل به كما قال تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} [الشعراء: ١٩٣]، فالقول بأن هذا في الجملة ولا يؤثر على ذلك أن ينزل غيره بأية أو نحو هذا، فهذا قول غير صحيح.

ومعروف قطعاً أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يصلي بمكة، وكان يقرأ الفاتحة، وآية الحجر تدل على نزولها بمكة.

القول الثالث: أنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة:

أراد بعض أهل العلم أن يوفق وأن يجمع فقال: نزلت مرتين، مرة بمكة ومرة بالمدينة. قال الشوكاني: "وقيل: إنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة جمعاً بين هذه الروايات"^(٣). قال الزركشي (ت: ٧٩٤هـ): "وقد ينزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه، وتذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه، وهذا كما قيل في الفاتحة نزلت مرتين، مرة بمكة، وأخرى بالمدينة"^(٤).

قال أحمد بن عبد الكريم بن محمد الأشموني (ت: ق ١١هـ): "مكية مدنية؛ لأنها نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حولت القبلة"^(٥).

القول الرابع: أن نصفها الأول نزل بمكة ونصفها الآخر نزل بالمدينة:

وحكى أبو الليث السمرقندي: "أن نصفها نزل بمكة ونصفها الآخر نزل بالمدينة"^(٦).

قال ابن كثير: "وهو غريب جداً، نقله القرطبي عنه"^(٧)،^(٨).

والصحيح أنها أنزلت بمكة، وذلك لأمرين^(٩):

أحدهما: فإن سورة (الحجر) مكية بالإجماع، وقد أنزل الله فيها: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} [الحجر: ٨٧]، وقد فسرها النبي -صلى الله عليه وسلم- بالفاتحة، فعلم أن نزولها متقدماً على نزول (الحجر).

(١) المعجم الأوسط: (١٠٠/٥ - رقم: ٤٧٨٨).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها - باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة (٨٠٦) (ج ١ / ص ٥٥٤).

(٣) فتح القدير: ٧٣/١ - ٧٤.

(٤) البرهان في علوم القرآن: ٢٧/١.

(٥) منار الهدى: ٢٧.

(٦) بحر العلوم: ٣٩/١، وتفسير ابن كثير: ١٠١/١، وتفسير القرطبي: ١١٥/١.

(٧) انظر: تفسير القرطبي: ١١٥/١.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٠١/١.

(٩) انظر: أسباب النول للواحدى: ٢١.

والثاني: وأيضاً فإن الصلاة فرضت بمكة، ولم يُنقل أن النبي صلى الله عليه وسلم - وأصحابه صلوا صلاةً بغير فاتحة الكتاب أصلاً، فدلَّ على أن نزولها كان بمكة.

قال ابن رجب: "وأما الرواية بأنها أول سورة أنزلت من القرآن فالأحاديث الصحيحة تردُّه"^(١).

سبب نزول السورة:

بيان سبب نزول {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، وأنها للفصل بين السور.

روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما؛ قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يعرف

ختم السورة؛ حتى ينزل عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"^(٢). [صحيح]

(١) تفسير سورة الفاتحة لابن رجب: ١٨.

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (١/ ٢٠٩ رقم ٧٨٨) -ومن طريقه البيهقي في "السنن الكبرى" (٢/ ٤٢)، و"السنن الصغير" (١/ ١٥٢، ١٥٣ رقم ٣٩٠)، و"شعب الإيمان" (٥/ ٢٧١، ٢٧٢ رقم ٢١٢٥)، وابن طاهر المقدسي في "مسألة التسمية" (ص ٦٤)، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ٣١٥ رقم ٣٣٦) -، والطحاوي في "مشكل الآثار" (٣/ ٤٠٥، ٤٠٦ رقم ١٣٧٥)، والبخاري في "مسنده" (٣/ ٤٠ رقم ٢١٨٧ - "كشف")، والطبراني في "المعجم الكبير" (١٢/ ٦٤ رقم ١٢٥٤٤ - ١٢٥٤٦)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٠)، و"الوسيط" (١/ ٦١، ٦٢)، والحاكم في "المستدرک" (١/ ٢٣١، ٢/ ٦١١) -وعنه البيهقي في "معرفه السنن والآثار" (١/ ٥١٤ رقم ٧٠٦)، و"شعب الإيمان" (٥/ ٢٧٢ رقم ٢١٢٦، ٢١٢٧) -، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ٣١٦، ٣١٧ رقم ٣٣٧ - ٣٣٩)، وغيرهم من طرق عن عمرو بن دينار وسالم الأفيطس، عن سعيد بن جبیر، عن عبد الله بن عباس به.

قال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه".

وقال الذهبي: "أما هذا؛ فتأيت".

وأخرجه الحاكم (٢/ ٦١١) من طريق مثنى عن عمرو بن دينار به.

وقال: "صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". وتعقبه الذهبي بقوله: "مثنى؛ قال النسائي: متروك".

قلنا: لكنه لم ينفرد؛ فقد توبع.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٤/ ١٠٩، ١٠٦ / ٣١٠): "اقتصر أبو داود منه على قوله: "لا يعرف خاتمة السورة حتى تنزل بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، رواه البزار بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح".

قلنا: وقد فاته -رحمه الله- أنه عند الطبراني؛ فليستدرک؛ فإنه على شرطه.

وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في "تفسير القرآن العظيم" (١/ ١٧): "وفي "سنن أبي داود" بإسناد صحيح عن ابن عباس (ونكره)".

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في "العجاب" (١/ ٢٢٤): "وهذا رواه ثقات".

وقال في "فتح الباري" (٩/ ٤٢): "أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان والحاكم".

وقال شيخنا الألباني -رحمه الله- في "صحيح أبي داود" (٧٠٧): "صحيح".

قلنا: وهو كما قالوا.

ورواه الحميدي في "مسنده" (١/ ٢٤٢ رقم ٥٢٨)، والطحاوي في "مشكل الآثار" (٣/ ٤٠٧ رقم ١٣٧٦)، وأبو داود في "سننه" (رقم ٧٨٨)، و"المراسيل" (٩٠/ ٣٦) -ومن طريقه ابن طاهر المقدسي في "مسألة التسمية" (ص ٦٤) - وغيرهم من

طريق عمرو بن دينار عن سعيد بن جبیر به مرسلًا.

قلنا: والوصل زيادة؛ فالحكم لها، وبخاصة أن الذي يرجح الوصل هو الكثرة، وهو كذلك في حديثنا.

قال أبو داود: "قد أسند هذا، وهذا أصح".

وكلامه متعقب بأن جمع من الثقات روه عن عمرو بن دينار موصولاً، أضف إلى هذا: أن عمراً لم يتفرد بالوصل بل تابعه سالم الأفيطس؛ فالحكم للوصل.

وللحديث شاهدان:

١ - حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: أخرجه الواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٠)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٥/ ٤٧٤ رقم ٢١٢٩).

٢ - حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: أخرجه الواحدي في "أسباب النزول" (ص ١١).

قال الحافظ في "العجاب" (١/ ٢٢٤، ٢٢٥): "وأورد الواحدي له شاهدين بسندين ضعيفين".

قلنا: وهو كمال قال، وفي الصحيح غنية عن غيره.

مناسبة السورة في ترتيب القرآن:

من جماليات الترتيب السور في القرآن الكريم: علاقة أول الفاتحة بنهاية المصحف، إذ ترى في سورة "الفاتحة": {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة : ٢]، و في "سورة الناس": {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} [الناس : ١]، فقد بدأ المصحف برب العالمينو اختتم المصحف برب الناس.
أغراض السورة ومقاصدها^(١):

اشتملت سورة الفاتحة على مقاصد القرآن الكريم إجمالاً رغم قصر حجمها، وقلة آياتها، فهي تتناول أصول الدين وفروعه، والتشريع، والإيمان باليوم الآخر، وإفراد الله تعالى بالعبادة، والاستعانة والدعاء، والتوجه إليه جل وعلا بطلب الهداية إلى الدين الحق، والصراف المستقيم، والتضرع إليه بالثبوت على الإيمان ونهج سبيل الصالحين، وتجنب طريق المغضوب عليهم والضالين، وفيها الإخبار عن قصص الأمم السابقين، والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الأشقياء، وفيها شفاء للقلوب والأبدان.
وفيما يأتي اهم مقاصد السورة الكريمة:

١- توحيد الله سبحانه : اشتملت السورة على التعريف بالمعبود جل في علاه، على توحيد الخالق سبحانه، وتضمنت سورة الفاتحة خلاصة وجيزة لعقائد الإسلام، واجتثاث جذور الشرك التي كانت فاشية في الأمم، ومقتضى ذلك توحيد العبادة، والتوجه بها إلى الله سبحانه، فهو جل شأنه المعبود بحق دون سواه، يرشد إلى ذلك قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، ففيها تعليم وإرشاد إلى كيفية التمجيد والثناء والحمد لله تعالى، ولا يكون ذلك إلا عن نعمة، وأهمها نعمة الخلق والإيجاد، ومن كان كذلك فهو جدير بالعبادة وحده؛ ولذلك فقد اشتملت السورة على ثلاثة أسماء لله تعالى، هي مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا، وعليها مدارها، وهي: "الله، الرب، الرحمن"، والحمد يتضمن الاعتراف بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات وتوحيدها... إلخ، وربوبيته سبحانه لخلقه ليست مبنية على القهر والجبروت، بل مبنية على الرحمة، فهو سبحانه الرحمن الرحيم، وهذا بيان لحقيقة العلاقة بين الله تعالى وبين خلقه، وأنها مبنية على الرحمة التي تغمر الخلق كلهم، وبخاصة العبد المؤمن.

وقد فصل القرآن الكريم جانب التوحيد، ونهى عن الشرك في عشرات السور منه، واعتنى بذلك أيما عناية، حيث كان التوحيد هو المهمة الأساس في الفترة المكية، وهي أطول مدتي الرسالة.
٢- الإيمان باليوم الآخر : واشتملت السورة على أهم أركان الإيمان، بعد الإيمان بالله تعالى؛ وهو إثبات المعاد والجزاء على الأعمال، والإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وسؤال وحشر ونشر وحساب

(١) لقد اشتملت السورة على كل معاني القرآن وهذا هو سر الفاتحة. فمعاني القرآن ثلاثة: (١- العقيدة: " الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم" ٢- العبادة: " إياك نعبد وإياك نستعين" ٣- مناهج الحياة: "اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم"، و كل ما بعد الفاتحة من قرآن يشرح هذه المحاور الثلاثة، و الفاتحة تذكرنا بكل أساسيات الدين:
١- نعم الله: "الحمد لله رب العالمين" ٢- الإخلاص: " إياك نعبد وإياك نستعين" ٣- الصحبة الصالحة" صراط الذين أنعمت عليهم" ٤- التحذير من صحبه السوء: " غير المغضوب عليهم" ٥- أسماء الله الحسنى: " الرحمن الرحيم" ٦- أصل صلة الله بك: "الرحمن الرحيم" ٧- الاستقامة: " اهدنا الصراط المستقيم" ٨- الآخرة: "الصراط" ٩- أهمية الدعاء. ١٠- وحدة الأمة: " نعبد..... نستعين" فجاءت بالصيغة هنا جماعة و ليست مفرداً للتأكيد على وحدة الأمة.
و الفاتحة تعلمنا كيف نتعامل مع الله: فجاءت نصفها ثناء والنصف الآخر دعاء، فحتى لو قسمت حروفها لوجدت أن نصف الحروف ثناء والنصف الثاني دعاء. فعند دعائنا لله تعالى يجب أن نبدأ بالثناء على الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته ثم نتوجه بما نريد من الدعاء.

ومن جماليات الأسلوب القرآني: علاقة أول الفاتحة بنهاية المصحف، إذ ترى في سورة الفاتحة " الحمد لله رب العالمين" و في سورة الناس " قل أعوذ برب الناس" فقد بدأ المصحف برب العالمينو اختتم المصحف برب الناس.

وجنة ونار، وغير ذلك مما فصله القرآن الكريم في العديد من السور والآيات، لاسيما القرآن المكي، الذي يُعنى بغرس العقيدة في النفوس أولاً، في مثل جزأي "عم، وتبارك".
 وإذا كان في الدنيا نوع من التقاضي بين الناس، وألوان من الجزاء على الأعمال، فإن الله سبحانه هو المتفرد بالحكم العادل يوم القيامة، وهو سبحانه ملك هذا اليوم ومالكة، ومن يملك مصير العباد، ومآلهم الدائم يوم الآخرة، فهو المالك الحقيقي لما قبله في الدنيا من باب أولى، وإذا كان في الدنيا نوع ملك لبعض ملوك الأرض، فإن الملك كله لله تعالى في الدنيا والآخرة، وهو ملك حقيقي لا يحول ولا يزول وإلى هذا يشير قوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}. ويوم الدين هو يوم الحساب والجزاء، الذي يُدان فيه العباد إلى رب الأرض والسماء. وقد أشار القرآن الكريم إلى الإيمان بالله تعالى والإيمان باليوم الآخر، إلى جوار العمل الصالح في كثير من آياته، وبين أن ذلك هو أساس الفوز بالسعادة الأخروية، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٦٢]

والمراد : إيمان كل أمة برسولها قبل أن تنتسخ رسالته، ولا يقبل الله تعالى إيمان أي من أرباب الشرائع السابقة بعد مجيء الرسالة الخاتمة، إلا بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والعمل بشريعته. قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا قُلْنَا لَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: ٨٥]. وما من أحد يسمع برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ثم لا يؤمن بها إلا مات كافراً والعياذ بالله.

٣- التكاليف الشرعية : أما جانب العبادات : مما يتعلق بالصلاة والزكاة والصيام والحج والأذان والذبح والنذر والدعاء والاستغاثة والاستعاذة والرجاء والخوف والتوكل والاستعانة وما إلى ذلك، وتوجيه هذه العبادات إلى الله تعالى وحده، فقد أشار إليه قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، وقد تضمنت هذه الآية عهداً وثيقاً بين الناس وربهم، يحقق رسالتهم في الوجود، فلا عبادة إلا لله، ولا توكل إلا على الله، ولا استعانة إلا بالله، وقد فصل القرآن الكريم أنواع العبادة في أكثر سورته، في حديثه عن أركان الإسلام الأربعة، وفصل القرآن الاستعانة بالله تعالى في آيات التوكل والإنابة ونحوها.

٤- قصص الأنبياء والمرسلين : أما جانب النبوات والرسالات في سورة الفاتحة، فيشير إليه قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}، فالقرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، يهدي للتي هي أقوم، ويدعو إلى الطريق المستقيم، ويأمر بالعدل والقسط والوسطية والاستقامة، والسعادة في الدارين لا تتم إلا بترك الانحراف والضلال وسبل الغواية والاعوجاج، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الرسل والكتب المنزلة، والرسل هم أول الذين أنعم الله عليهم، ولا سبيل إلى هداية البشر، ولا إلى معرفة الحق من الضلال، والخير من الشر، إلا عن طريق الرسل.

وقد فصل القرآن الكريم ما أجملته سورة الفاتحة من الحديث عن أنبياء الله ورسله في عشرات السور، إلى جانب الحديث عن الصديقين والشهداء والصالحين، مما يأخذ بيد المسلم إلى طريق الهداية وسبيل الرشاد، وطريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وهذا الجانب من قصص الأنبياء والمرسلين تناولته السور المكية، فالهداية هي التطبيق العملي لدعوة الأنبياء، وهي طريق الإنسان إلى معرفة ربه سبحانه، ولعل هذا هو السر في اختيار هذه السورة؛ ليقراها المسلم في صلاته وجوباً في اليوم الواحد سبع عشرة مرة، ثم يُكثر منها في النوافل وغيرها ما شاء الله له.

٥- أهل الكتاب: أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين فصل القرآن الكريم الحديث عنهم في سورة المدنية، وأوضح زيغهم وضلالهم، وأسباب غضب الله تعالى عليهم، فقد أجملت سورة الفاتحة هذه المعاني في قوله تعالى: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}. ومعلوم أن مقاصد القرآن الكريم تتناول جانب العقيدة والنبوة والرسالة والعبادة والهداية، التي هي الهدف من القصص والأخبار القرآنية، وهذا ما أجملته سورة الفاتحة، وفصله القرآن الكريم. وبعد فإن هذه السورة المباركة قد اشتملت على كل معاني القرآن وهذا هو سر الفاتحة. فمعاني القرآن ثلاثة:

- ١- العقيدة: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة : ٢]، {الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ} [الفاتحة : ٣].
- ٢- العبادة: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة : ٥].
- ٣- مناهج الحياة: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة : ٦]، {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} [الفاتحة : ٧].

وكل ما بعد الفاتحة من قرآن يشرح هذه المحاور الثلاثة، و الفاتحة تذكرنا بكل أساسيات الدين:

- ١- نعم الله: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة : ٢].
- ٢- الإخلاص: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة : ٥].
- ٣- الصحبة الصالحة: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}
- ٤- التحذير من صحبه السوء: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} [الفاتحة : ٧]
- ٥- أسماء الله الحسنى: {الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ} [الفاتحة : ٣].
- ٦- أصل صلة الله بك: {الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ} [الفاتحة : ٣].
- ٧- الاستقامة: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة : ٦]،
- ٨- الآخرة: "الصراط".
- ٩- أهمية الدعاء.
- ١٠- وحدة الأمة: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة : ٥]، فجاءت الصيغة هنا جماعة و ليست مفردا للتأكيد على وحدة الأمة.

والفاتحة تعلمنا كيف نتعامل مع الله: فجاءت نصفها ثناء والنصف الآخر دعاء، فحتى لو قسمت حروفها لوجدت أن نصف الحروف ثناء والنصف الثاني دعاء. فعند دعائنا لله تعالى يجب أن نبدأ بالثناء على الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته ثم نتوجه بما نريد من الدعاء.

قال الفيروزآبادي: "المقصود من نزول هذه السورة تعليم العباد التيمن والتبرك باسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء الأمور، والتلقين بشكر نعم المنعم؛ والتوكل عليه في باب الرزق المقسوم، وتقوية رجاء العبد برحمة الله تعالى، والتنبيه على ترقب العبد الحساب والجزاء يوم القيامة، وإخلاص العبودية عن الشرك، وطلب التوفيق والعصمة من الله، والاستعانة والاستمداد في أداء العبادات، وطلب الثبات والاستقامة على طريق خواص عباد الله، والرغبة في سلوك مسالكهم، وطلب الأمان من الغضب، والضلال في جميع الأحوال، والأفعال، وختم الجميع بكلمة أمين، فإنها استجابة للدعاء، واستنزال للرحمة، وهي خاتم الرحمة التي ختم بها فاتحة كتابه"^(١).

الناسخ والمنسوخ:

وأما الناسخ والمنسوخ فليس فيها شيء منهما.

قال هبة الله بن سلامة: "ليس في أم الكتاب شيء، لأن أولها ثناء وآخرها دعاء"^(٢).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١٢٩/١.

(٢) الناسخ والمنسوخ: ٣٠.

فضائل السورة:

إن لسورة الفاتحة أهمية عظيمة، وفضائلها كثيرة ، فمن ذلك:

- أنها ركن من أركان الصلاة ، لا تصح الصلاة إلا بها ؛ فروى عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ"^(١).

-أنها أفضل سورة في القرآن ؛ فروى عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي بِن كَعْبٍ : "أَحَبُّ أَنْ أَعْلَمَكَ سُورَةَ لَمْ يَنْزَلْ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ ؟ قَالَ : فَقَرَأْتُ أُمَّ الْقُرْآنِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلْتُ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا"^(٢).

- عَنْ أَبِي بِن كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مِثْلَ أُمَّ الْقُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي». قَالَ اللَّهُ: «وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»^(٣).

-أنها السبع المثاني التي قال الله فيها : {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} [الحجر: ٨٧]، روي عن أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى -رضي الله عنه-: أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : "لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةَ هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ"، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ : أَلَمْ تَقُلْ لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةَ هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي ، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيْتَهُ"^(٤).

- عن ابن عباس، قال: "بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: "هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبَشِّرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيْتَهُمَا لَمْ يُوتِيْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيْتَهُ"^(٥).

- عن أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَمَرُّوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمْ، فَعَرَضَ لِإِنْسَانٍ مِنْهُمْ فِي عَقْلِهِ - أَوْ لِدَعٍ - قَالَ: فَقَالُوا لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: نَعَمْ، فَأَتَى صَاحِبَهُمْ فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ قَبْرًا، فَأَعْطِيَهُ قَطِيعًا مِنْ غَنَمِ قَائِبِي أَنْ يَقْبَلَ، حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَقِيتُهُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، قَالَ: فَضَحِكَ، وَقَالَ: " مَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقِيَةٌ؟ " قَالَ: ثُمَّ قَالَ: " خُذُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ "^(٦).

(١) رواه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٧٥) وصححه.

(٣) رواه الترمذي (٣١٢٥) وصححه.

(٤) رواه البخاري (٤٤٧٤).

(٥) صحيح مسلم (٨٠٦).

"نقيضا"، أي: صوتا كصوت الباب إذا فتح.

(٦) أخرجه أحمد في المسند (١٠٩٨٥): ص٥/١٧، إسناده صحيح على شرط الشيخين. هشيم: هو ابن بشير، وقد صرح، بالتحديث، فانتفتت شبهة تدليسه، وأبو بشر: هو جعفر بن أبي وحشية، وأبو المتوكل: هو الناجي على بن داود، ويقال: ابن دؤاد.

وأخرجه مسلم (٢٢٠١) (٦٥) ، والنسائي في "الكبرى" (١٠٨٦٨) -وهو في "عمل اليوم والليلة" (١٠٢٩) -، وابن ماجه (٢١٥٦) ، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" ١٢٦/٤-١٢٧ من طريق هشيم، بهذا الإسناد.

(تنبيه: وقع في إسناد المطبوع من ابن ماجه زيادة: عن ابن أبي المتوكل، بين أبي بشر وأبي المتوكل، وهو خطأ) .

وتابع هشيمًا أبو عوانة، فأخرجه البخاري (٢٢٧٦) و (٥٧٤٩) ، وأبو داود (٣٤١٨) و (٣٩٠٠) ، والبيهقي في "السنن" ١٢٤/٦ ، وفي "شعب الإيمان" (٢٥٧٢) من طريق أبي عوانة، عن أبي بشر، به.

وتابعهما شعبة أيضاً فأخرجه مسلم (٢٢٠١) ، والترمذي (٢٠٦٤) ، والنسائي في "الكبرى" (١٠٨٦٧) ، - وهو في "عمل اليوم والليلة" (١٠٢٨) - ، وابن ماجه (٢١٥٦) ، من طريق شعبة، عن أبي بشر، به.
قال الترمذي: هذا حديث صحيح، وهذا أصح من حديث الأعمش، عن جعفر بن إياس، وهكذا روى غير واحد هذا الحديث عن أبي بشر، عن أبي المتوكل، عن أبي سعيد.
قلنا: حديث الأعمش هو عن أبي بشر، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، يعني بذكر أبي نضرة بدل أبي المتوكل، وسيرد برقم (١١٠٧٠) وتكلم عليه هناك.

وفي الباب عن ابن عباس عند البخاري (٥٧٣٧) ، والبيهقي في "السنن" ١٢٤ / ٦ .
وعن عم خارجة بن الصلت عند أبي داود (٣٩٠١) ، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (١٠٣٢) ، سيرد ٢١١/٥ .
وقد ذكر الحافظ في "الفتح" ٤٥٥/٤ و ١٩٩/١٠ أن حديث أبي سعيد وحديث ابن عباس إنما هما في قصة واحدة وقعت لهم مع الذي لدغ، وحديث عم خارجة بن الصلت في قصة أخرى مع رجل مصاب بعقله.

قال السندي: قوله: بحي من أحياء العرب، أي: بقبيلة من قبائلهم.
فاستضافوهم: أي: طلبوا منهم الضيافة على عادة ذلك الوقت.
فأبوا أن يضيفوهم: بتشديد الياء، أو تخفيفها، من ضيفه أو أضافه: أي: أنزله، وجعله ضيفاً.
فعرض لإنسان: على بناء المفعول، أي: عرض له عارض.

أو لدغ: شك من الراوي، والمشهور هو الثاني. قلنا: قد قال الحافظ في "الفتح" ٤٥٥/٤: ما وقع في رواية هشيم أنه مصاب في عقله. أو لدغ شك من هشيم، وقد رواه الباقر فلم يشكوا في أنه لدغ، ولا سيما تصريح الأعمش بالعقرب. قلنا: قد مر أن حديث من أصيب في عقله إنما هو في قصة أخرى.
من راق: يعرض الرقية.

فبرأ: في "المشارك بفتح الراء، أي: صح، مهموز، وقال ابن دريد: بُهمز ولا يُهمز، وهذا على لغة أهل الحجاز، وأما تميم فيقولون بكسر الراء، وحكي بالضم، ويروى غير مهموز، وأما من الدين وغيره، فبالكسر لا غير.
فأعطي: على بناء المفعول، ونائب الفاعل ضمير الراقي.

قطع: بالنصب، وكتابته على صورة غير المنسوب على عادة أهل الحديث، ويحتمل أن يكون بالرفع على أنه نائب الفاعل، والمفعول الأول ضمير منصوب محذوف راجع إلى الراقي.
والقطع: طائفة من الغنم، من عشرة إلى أربعين، والمراد ثلاثون.

واضربوا لي بسهم معكم: قاله تطبيقاً لقلوبهم، وليبان أنه حلال طيب. وأخذ منه حل أجره تعليم القرآن، وضعف بأنه لا يدل إلا على حل أجره الطب بالقرآن. والله تعالى أعلم.

قلنا: وقد جاء في تعليق المحققين أحمد شاكر وحامد الفقي على "مختصر المنذري" ٧١/٥ ما نصه: ليس في الحديث دلالة على أخذ الأجر لا على قراءة القرآن، ولا على تعليمه، فإن أهل الحي ما طلبوا أبا سعيد ليقرأ لهم قرآناً ولا ليعلمهم، وإنما طلبوه ليعالج مريضهم، فطلبوه طبيباً لا قارئاً ولا معلماً وهو لم يجهر بما قرأ، ولم يُعلمهم ما قرأ، ولم يكن يعلم أن في ذلك شفاء المريض، ولكنه أيقن أن الله عاقب أهل الحي على منعهم أبا سعيد ورفقته حقهم من الضيافة، فسلط على رئيسهم ما لسعه من الهوام ليلجئهم إلى أبي سعيد ورفقته، ويضطرهم إلى أن يرضخوا لحكمه في ما يطلب من الجعل لأنه ورفقته بأشد الحاجة إلى الطعام، كل هذا فهمه أبو سعيد وصحبه، وعلى ذلك لم يقع من أبي سعيد ولا غيره من صحبه أنهم فعلوا مرة أخرى ولو أنهم فهموا ذلك على أنه قاعدة مضطردة لفعلوه، وتتابعوا على فعله ولاشتهر ذلك، والله أعلم.

قلنا: وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم النهي عن أخذ الأجر على تلاوة القرآن، وعلى تعليمه، فقد روى ابن أبي شيبه ٤٠٠/٢ ، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" ص ٢٠٥ ، وأحمد ٤٢٨/٣ و ٤٤٤ ، وأبو يعلى (١٥١٨) ، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٤٣٣٢) ، وفي "شرح معاني الآثار" ١٨/٣ عن عبد الرحمن بن شبل الأنصاري، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اقرأوا القرآن، ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به" وإسناده قوي كما قال الحافظ في "الفتح" ١٠١/٩ .

وروى أحمد ٣٢٤/٥ ، والحاكم ٣٥٦/٣ عن عبادة بن الصامت، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسْغَلُ، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، دفعه إلى رجل منا يُعلمه القرآن، فدفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً، وكان معي في البيت أعشيه عشاء أهل البيت، فكنت أقرئه القرآن، فانصرف انصرافاً إلى أهله، فرأى إن عليه حقاً، فأهدى إلي قوساً لم أر أجود منها عوداً ولا أحسن منها عطفاً، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: ما ترى يا رسول الله فيها؟ قال: "جمرة بين كتفيك تقلدتها أو تعلقتها". وإسناده صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

قال ابن رجب: "ولم يثبت في فضائل شيءٍ من السُّور أكثر مما ثبت في فضلها، وفضل سورة (الإخلاص)"^(١).

وانظر "صحيح البخاري" كتاب فضائل القرآن: باب إثم من راعى بقراءة القرآن أو تأكل به، أو فجر به.
وانظر أيضا الرسالة السابعة من مجموعة رسائل ابن عابدين الموسومة بـ "شفاء العليل وبل الغليل في حكم الوصية بالختامات والتهاليل".
(١) تفسير سورة الفاتحة: ٣٥.

سورة «البقرة»

سورة «البقرة»: هي السورة الثانية من حيث الترتيب في المصحف الشريف، وعدد آياتها مائتان وست وثمانون آية، وعدد كلماتها سبعة آلاف كلمة، ومائة وإحدى وعشرون كلمة، وحروفها خمس وعشرون ألفاً وخمسمائة حرف، وبها أطول آية في القرآن وهي آية «الدين» رقم (٢٨٢)، مجموع فواصل (نهايات) آياتها (ق م ل ن د ب ر) وجمعها (قم لندبر)، وعلى اللام آية واحدة: {أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} [البقرة: ١٠٨]، وعلى القاف آية واحدة: {وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ} [البقرة: ٢٠٠]، آخر الآية المائتين^(١).

■ أسماء السورة:

أولاً:- أسماؤها التوقيفية:

١- سورة «البقرة»:

سميت "سورة البقرة" بهذا الاسم، بسبب ما ورد فيها من قصة موسى عليه السلام مع قومه، بشأن القتل الذي لم يعرف قاتله، فأمر الله موسى أن يأمر قومه أن يذبحوا بقرة أياً كانت، ويبين ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَنْتَخَذْنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [البقرة: ٦٧]، ولكنهم كعادتهم في صد الحق شددوا في طلب أوصافها فشدد الله عليهم وهذه القصة مما انفردت بها هذه السورة.

ومن السنة جاءت التسمية في أحاديث منها:

- حديث أبي مسعود البدر^(٢) رضي الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" الأيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه"^(٣).

- وعن أبي هريرة: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من النبئت الذي تقرأ فيه سورة البقرة"^(٤).

- وعن أبي أمامة^(٥) تعالى قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة: ص١/١٣٣-١٣٤.

(٢) قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء "ولم يشهد بدرا على الصحيح، وإنما نزل ماء بيدر، فشهد بذلك. وكان ممن شهد بيعة العقبة، وكان شاباً من أقران جابر في السن. روى أحاديث كثيرة. وهو معدود في علماء الصحابة. نزل الكوفة. واسمه: عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عسيرة الأنصاري. وقيل: يسيرة بن عسيرة - بضمهما - بن عطية بن خدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج

(٣) البخاري رقم/٣٧٠٧- باب شهود الملائكة بدر، ومسلم رقم/١٣٤٠- باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة.

(٤) مسلم رقم(١٣٠٠): باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوارها في المسجد.

(٥) أبو أمامة الباهلي صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونزيل حمص. روى: علما كثيرا. وحدث عن: عمر، ومعاذ، وأبي عبيدة. روى عنه: خالد بن معدان، والقاسم أبو عبد الرحمن، وسالم بن أبي الجعد، وشرحبيل بن مسلم، وسليمان بن حبيب المحاربي، ومحمد بن زياد الألهاني، وسليم بن عامر، وأبو غالب حزور، ورجاء بن حيوة، وآخرون. وروي: أنه بايع تحت الشجرة-سير أعلام النبلاء للذهبي مختصراً.(٣/٣٥٩).

غَمَامَتَانِ (١) أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَابَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ (٢) تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابَيْهَا أَقْرَعُوا سُورَةَ الْبَقْرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ (٣).

- روي في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: " هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة" (٤).
٢- سورة الزهراء:

كما واشتهرت تسمية السورة مع آل عمران بالزهراوين، والزهراوان أي: المضيئتان، واحدها زهراء (٥)، ووجه تسميتهما بذلك لنورها وهدايتهما وعظيم أجرهما (٦).

وقد وردت تسميتها بذلك في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فيما رواه أبو أمامة الباهلي، إذ قال: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَقْرَعُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ أَقْرَعُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقْرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ .. الْحَدِيثُ" (٧).

وذكر القرطبي في وجه التسمية ثلاثة أقوال (٨):

أحدها: إنهما النيرتان، مأخوذ من الزهر والزهرة؛ فإما لهدايتهما قارئهما بما يزهر له من أنوارهما، أي من معانيهما.

الثاني: وإما لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة.

الثالث: سميتا بذلك لأنهما اشتركتا فيما تضمنه اسم الله الأعظم (٩)؛ كما ذكره أبو داود وغيره عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين {وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} والتي في آل عمران {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} (١٠) (١١).

(١) قال أهل اللغة: الغمامة والغياية، كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما. قال العلماء: المراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين.

(٢) قال النووي في شرح مسلم " ومعناها واحد، وهما قطيعان وجماعتان، يقال في الواحد: فرق وحزق وحزيقة أي جماعة".
(٣) أخرجه مسلم برقم/ ١٣٣٧- باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: (١٧٤٨): ٨٧/٩، والحديث بتمامه (عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ رَمَى الْجَمْرَةَ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي فَجَعَلَ النَّبِيُّ عَنْ يَسَارِهِ وَمَيِّ عَنْ يَمِينِهِ ثُمَّ قَالَ هَذَا مَقَامَ الَّذِي أَنْزَلْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ الْبَقْرَةِ).

(٥) انظر: اللسان، مادة (ز ه ر): ٣٣٢/٤.

(٦) انظر: شرح النووي لمسلم: ٨٩/٦.

(٧) أخرجه مسلم برقم/ ١٣٣٧- باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة.

(٨) أنظر: تفسير القرطبي: ٣/٤.

(٩) ورد في خصوص " اسم الله الأعظم " عدة أحاديث، أشهرها:

١- عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اسمُ الله الأعظمُ في سورِ من القرآن ثلاثُ: في " البقرة " و " آل عمران " و " طه). رواه ابن ماجه (٣٨٥٦) وحسنه الألباني في " صحيح ابن ماجه ".

٢- عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي ثُمَّ دَعَا " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ " ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ. (رواه الترمذي (٣٥٤٤) وأبو داود (١٤٩٥) والنسائي (١٣٠٠) وابن ماجه (٣٨٥٨) ، وصححه الألباني في " صحيح أبي داود ").

٣- عن بُرَيْدَةَ بِنْتِ الْحَصِيبِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ " ، فَقَالَ : (لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالْإِسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ. (رواه الترمذي (٣٤٧٥) وأبو داود (١٤٩٣) وابن ماجه (٣٨٥٧) ، وصححه الألباني في " صحيح أبي داود. " قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله: - وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك. (فتح الباري : ١١ / ٢٢٥).

٤- عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اسمُ الله الأعظمُ في هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ : { وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } ، وَقَاتِحَةَ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ (الم . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. (رواه الترمذي (٣٤٧٨) وأبو داود (١٤٩٦) وابن ماجه (٣٨٥٥).

والحديث ضعيف ، فيه عبيد الله بن أبي زياد وشهر بن حوشب ، وكلاهما ضعيف .
ثانياً: قد اختلف أهل العلم في " اسم الله الأعظم " من حيث وجوده على أقوال:
القول الأول: إنكار وجوده أصلاً ! لا اعتقادهم بعدم تفضيل اسم من أسماء الله تعالى على آخر ، وقد تأول هؤلاء الأحاديث الواردة السابقة فحملوها على وجوه:

الوجه الأول : من قال بأن معنى " الأعظم " هو " العظيم " وأنه لا تفاضل بين أسماء الله تعالى.
قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله: - وقد أنكره قوم كأبي جعفر الطبري وأبي الحسن الأشعري وجماعة بعدهما كأبي حاتم بن حبان والقاضي أبي بكر الباقلائي فقالوا : لا يجوز تفضيل بعض الأسماء على بعض ، ونسب ذلك بعضهم لمالك ؛ لكرهيته أن تعاد سورة أو تردد دون غيرها من السور لئلا يُظن أن بعض القرآن أفضل من بعض فيؤذن ذلك باعتقاد نقصان المفضل عن الأفضل ، وحملوا ما ورد من ذلك على أن المراد بالأعظم : العظيم ، وأن أسماء الله كلها عظيمة ، وعبارة أبي جعفر الطبري : " اختلفت الآثار في تعيين الاسم الأعظم والذي عندي : أن الأقوال كلها صحيحة إذ لم يرد في خبر منها أنه الاسم الأعظم ، ولا شيء أعظم منه " ، فكأنه يقول : كل اسم من أسمائه تعالى يجوز وصفه بكونه أعظم ، فيرجع إلى معنى عظيم كما تقدم.

الوجه الثاني : أن المراد بالأحاديث السابقة بيان مزيد ثواب من دعا بذلك الاسم .
قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله: - وقال ابن حبان : الأعظمية الواردة في الأخبار : إنما يراد بها مزيد ثواب الداعي بذلك ، كما أطلق ذلك في القرآن ، والمراد به : مزيد ثواب القارئ.
الوجه الثالث : أن المراد بالاسم الأعظم حالة يكون عليها الداعي ، وهي تشمل كل من دعا الله تعالى بأي اسم من أسمائه ، إن كان على تلك الحال.

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله: - وقيل : المراد بالاسم الأعظم : كل اسم من أسماء الله تعالى دعا العبد به مستغرفاً بحيث لا يكون في فكره حائلتذ غير الله تعالى ، فإن من تأتى له ذلك : استجيب له ، ونقل معنى هذا عن جعفر الصادق ، وعن الجنيد، وعن غيرهما.

القول الثاني: قول من قال بأن الله تعالى قد استأثر بعلم تحديد اسمه الأعظم ، وأنه لم يُطلع عليه أحداً من خلقه، قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله: - وقال آخرون : استأثر الله تعالى بعلم الاسم الأعظم ولم يطلع عليه أحداً من خلقه. انظر: " فتح الباري " ، للحافظ ابن حجر (١١ / ٢٢٤).

القول الثالث: قول من أثبت وجود اسم الله الأعظم وعيَّنه ، وقد اختلف هؤلاء المعينون في الاسم الأعظم على أربعة عشر قولاً ! وقد ساقها الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه " فتح الباري " (١١ / ٢٢٤ ، ٢٢٥) وهي:
١. هو ! ٢. الله ٣. الله الرحمن الرحيم ٤. الرحمن الرحيم الحي القيوم ٥. الحي القيوم ٦. الحنان المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام الحي القيوم ٧. بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام ٨. ذو الجلال والإكرام ٩. الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ١٠. رب رب ١١. دعوة ذي النون في بطن الحوت " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين " ١٢. هو الله الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم ١٣. هو مخفي في الأسماء الحسنى ١٤. كلمة التوحيد " لا إله إلا الله " .

قال الشيخ الألباني رحمه الله: واعلم أن العلماء اختلفوا في تعيين اسم الله الأعظم على أربعة عشر قولاً ، ساقها الحافظ في " الفتح " ، وذكر لكل قول دليله ، وأكثرها أدلتها من الأحاديث ، وبعضها مجرد رأي لا يلتفت إليه ، مثل القول الثاني عشر ؛ فإن دليله : أن فلاناً سأل الله أن يعلمه الاسم الأعظم ، فرأى في النوم ؛ هو الله ، الله ، الله ، الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم. !!

وتلك الأحاديث منها الصحيح ، ولكنه ليس صريح الدلالة ، ومنها الموقوف كهذا ، ومنها الصريح الدلالة ؛ وهو قسمان:
قسم صحيح صريح ، وهو حديث بريدة : (الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ...) إلخ ، وقال الحافظ : " وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك " ، وهو كما قال رحمه الله ، وأقره الشوكاني في " تحفة الذاكرين " (ص ٥٢) ، وهو مخرج في " صحيح أبي داود " (١٣٤١).

والقسم الآخر : صريح غير صحيح ، بعضه مما صرح الحافظ بضغفه ؛ كحديث القول الثالث عن عائشة في ابن ماجه (٣٨٥٩) ، وهو في " ضعيف ابن ماجه " رقم (٨٤١) ، وبعضه مما سكت عنه فلم يحسن ! كحديث القول الثامن من حديث معاذ بن جبل في الترمذي ، وهو مخرج في " الضعيفة " برقم (٤٥٢٠).

وهناك أحاديث أخرى صريحة لم يتعرض الحافظ لذكرها ، ولكنها واهية ، وهي مخرجة هناك برقم (٢٧٧٢ و ٢٧٧٣ و ٢٧٧٥). سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة " (١٣ / ٢٧٩).

ثانياً:-أسمائها الاجتهادية:

ولهذه السورة عدة تسميات اجتهادية:

١-سنام القرآن:

سنام كل شيء أعلاه، والجمع:«أسنة»^(٣).وردت تسميتها بـ«سنام القرآن»، لدى بعض العلماء كالألوسي^(٤) والسيوطي^(٥)، ولعل وجه التسمية تعود إلى كون سورة البقرة أطول سور القرآن، ومن أوله، وهي تشمل على العديد من المقاصد والأحكام الشرعية والمواعظ والعبر والله أعلم، وهو بذلك وصف تشرifi للسورة.

واستدلوا بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحاديث منها:

-عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن لكل شيء سناماً وإن سنام القرآن البقرة وإن من قرأها في بيته ليلة لم يدخله الشيطان ثلاث ليال ومن قرأها في بيته نهاراً لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام"^(٦).

-عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " البقرة سنام القرآن وذروته، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً، واستخرجت " اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ " [آل عمران:٢] من تحت العرش فوصلت بها - أو فوصلت بسورة البقرة - ويس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له، وقرأوها على موتاكم"^(٧).

ثالثاً: لعل الأقرب من تلك الأقوال أن الاسم الأعظم هو " الله " ؛ فهو الاسم الجامع لله تعالى الذي يدل على جميع أسمائه وصفاته تعالى ، وهو اسم لم يُطلق على أحد غير الله تعالى ، وعلى هذا أكثر أهل العلم.

١- قال ابن القيم - رحمه الله: - اسم " الله " دالٌّ على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا بالدلالات الثلاث. ... (مدارج السالكين : ١ / ٣٢).

٢- وقال ابن أمير حاج الحنفي - رحمه الله: - عن محمد بن الحسن قال : سمعتُ أبا حنيفة رحمه الله يقول : اسم الله الأعظم هو " الله " ، وبه قال الطحاوي وكثير من العلماء ، وأكثر العارفين. " التقرير والتحبير " (١ / ٥)

٣-وقال أبو البقاء الفتوحى الحنبلي - رحمه الله: - فاندتان:

الأولى : أن اسم " الله " علم للذات ، ومختص به ، فيعم جميع أسمائه الحسنى.

الثانية : أنه اسم الله الأعظم عند أكثر أهل العلم الذي هو متصف بجميع المحامد. (شرح الكوكب المنير: ٤)

٤- وقال الشربيني الشافعي - رحمه الله: - وعند المحققين أنه اسم الله الأعظم ، وقد ذكر في القرآن العزيز في ألفين وتلثمائة وستين موضعاً. "مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج" (١ / ٨٨ ، ٨٩).

٥- وقال الشيخ عمر الأشقر - رحمه الله: - والذي يظهر من المقارنة بين النصوص التي ورد فيها اسم الله الأعظم أنه : (الله) ، فهذا الاسم هو الاسم الوحيد الذي يوجد في جميع النصوص التي قال الرسول صلى الله عليه وسلم إن اسم الله الأعظم ورد فيها.

ومما يُرَجِّحُ أن (الله) هو الاسم الأعظم أنه تكرر في القرآن الكريم (٢٦٩٧) سبعاً وتسعين وستمائة وألفين - حسب إحصاء المعجم المفهرس - وورد بلفظ (اللهم) خمس مرات ، في حين أن اسماً آخر مما يختص بالله تعالى وهو (الرحمن) لم يرد ذكره إلا سبعاً وخمسين مرة ، ويرجحه أيضاً : ما تضمنه هذا الاسم من المعاني العظيمة الكثيرة " . العقيدة في الله " (ص ٢١٣).

ويأتي في الدرجة الثانية من القوة في كونه اسم الله الأعظم " الحي القيوم " ، وهو قول طائفة من العلماء ، ومنهم النووي ، ورجحه الشيخ العثيمين رحمه الله. والله أعلم

(١) تفسير القرطبي: ٤/٣.

(٢) رواه الترمذي (٣٤٧٨) وأبو داود (١٤٩٦) وابن ماجه (٣٨٥٥)

(٣) اللسان: مادة (س ن م): ٣٠٦/١٢.

(٤) ينظر تفسيره: ٩٨/١.

(٥) انظر: الإقتان في علوم القرآن: ١٧١/١، والبصائر: ١٣٤/١.

(٦) رواه ابن حبان في صحيحه (١٨٨/١).

(٧) رواه النسائي في اليوم والليلة ص: ٢٠١.

- روى الترمذي من حديث حكيم بن جببر وفيه ضعف عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لكل شيء سنام وإن سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة أي القرآن آية الكرسي" (١).

- عن عبد الله بن مسعود: " أنه قال: إنَّ لكلِّ شيءٍ سناماً، وإنَّ سنامَ القرآن سورةُ البقرة، وإنَّ لكلِّ شيءٍ لباباً، وإنَّ لبابَ القرآنَ المفصلُ" (٢).

قال ابن منظور: " سنام كل شيء أعلاه؛ وفي شعر حسَّان (٣):

وإن سنامَ المجدِّ من آل هاشمٍ بئو بنتِ مخزومٍ ووالدك العبدُ

أي : أعلى المجد، وقوله أنشده ابن الأعرابي: "قضى الفضاة أنها سنامها " فسره فقال معناه خيارها لأن السنام خيار ما في البعير سم الشيء رقعته" (٤).

٢- ذروة القرآن:

وتعود هذه التسمية لحديث معقل بن يسار سبق ذكره: " البقرة سنام القرآن وذروته.. " (٥).

٣- فسطاط القرآن:

الفسطاط- بالضم والكسر- المدينة التي فيها مجتمع الناس، وكل مدينة فسطاط (٦)، وسميت هذه السورة بفسطاط القرآن، وذلك لعظمتها وبهائنها، ولإحاطتها بأحكام ومواظ كثيرة لم تذكر في غيرها (٧)، ولهذا قيل بأن " ابن عمر تعلم سورة البقرة في أربع سنين" (٨).

(١) سنن الترمذي الحديث رقم (٢٨٧٨).

(٢) رواه الدارمي رقم الحديث (٣٣٧٢).

(٣) ديوانه ط بيروت: ٨٩، ولسان العرب: ٣٠٦/١٢.

(٤) لسان العرب (٣٠٦/١٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤٠٩/٢).

(٥) رواه النسائي في اليوم والليلة ص: ٢٠١.

(٦) انظر: النهاية: ٤٤٥/٣. وفي الفائق: "الفسطاط ضرب من الأبنية في السفر دون السرادق". (١١٦/٣).

(٧) انظر: المحرر الوجيز: ٨١/١، تفسير القرطبي: ١٥٢/١، الإتيان: ١٧١/١.

(٨) قاله ابن سعد في الطبقات، طبعة دار صادر: ١٦٤/٤. وهنا تجب الإشارة إلى أمرين:

١- أن الخبر المشهور أن عمر تعلم البقرة في اثنتي عشرة سنة: وهذا الخبر مشهور جداً وتتداوله الألسنة والأقلام والصحيح أنه لا يثبت؛ فقد روى البيهقي في الشعب (٣١/٤) ط. وزارة الأوقاف القطرية: (٨٠٥)، وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، حدثنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن الصواف، حدثنا بشر بن موسى حدثنا أبو بلال الأشعري، حدثنا مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر قال: (تعلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزوراً). أقول: إسناده ضعيف بسبب أبي بلال الأشعري فقد نص على ضعفه الدارقطني في سننه (حديث رقم ٨٤٦ ط. دار الفكر)، وقد سقطت في نسخة المكتبة الشاملة الموافقة للمطبوع كلمة حدثنا بين بشر بن موسى الأسدي وأبي بلال الأشعري- والتصحيح من المطبوع- فلينتبه لهذا. فعليه الأثر لا يثبت.

٢- أثر تعلم عبد الله بن عمر البقرة في ثماني سنين قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مقدمة التفسير (ص ٣١ تحقيق عدنان زرزور): "وأقام ابن عمر على حفظ البقرة عدة سنين قيل ثمان سنين ذكره مالك". أقول: الخبر الذي فيه أن ابن عمر رضي الله عنه حفظها في ثمان سنين جاء بلاغاً في موطأ مالك؛ فعن مالك (٤٨٨ تحقيق خليل مأمون) أنه بلغه أن عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها، وهذا لا يثبت من وجه مسند-بحسب بحثي وتصدير ابن تيمية له بقيل يُشعر أنه لا يثبت عنده-وقد أشار السيوطي في تنوير الحوالك (١٦٢/١) إلى خبر موصول عند ابن سعد في الطبقات حيث قال ابن سعد في الطبقات (١٦٤/٤ ط دار صادر): أخبرنا أخبرنا عبد الله بن جعفر قال: حدثنا أبو المليح، عن ميمون أن ابن عمر تعلم سورة البقرة في أربع سنين. أقول: وهذا إسناد صحيح ولا يضر الكلام عن اختلاط عبد الله بن جعفر الرقي فقد نص ابن حبان أنه كان يسيراً. والله أعلم.

والعلة في أنه حفظها في أربع سنين ليس لبطء حفظ فهو أحد الحفاظ المكثرين من حديث المطصفي صلى الله عليه وسلم لكن كما قال الباجي فيما نقل عنه السيوطي في التنوير: " ليس ذلك لبطء حفظه معاذ الله بل لأنه كان يتعلم فرائضها وأحكامها وما يتعلق بها" ولهذا أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في المقدمة فبعدهما قال ما نقلته عنه أولاً قال (ص ٣١-٣٢): "وذلك أن الله تعالى قال: (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته) وقال: (أفلا يتدبرون القرآن) وقال: (أفلم يدبروا القول) وتدبر الكلام بدون فهم

وقد ذكر هذا الاسم جماعة من المفسرين مثل: ابن عطية^(١) والقرطبي^(٢)، والثعالبي^(٣)، والألوسي^(٤)، كما ذكره الكرمانى^(٥) في العجائب، والسيوطي في الإتقان. واستدلوا في قولهم على:
- ما رواه الديلمي عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: " السورة التي تذكّر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها؛ فإن تعلمها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة"^(٦).
- وما روى الدارمي عن خالد بن معدان قال: "سورة البقرة تعليمها بركة وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة وهي فسطاط القرآن"^(٧).

و(الفسطاط) بالضم والكسر: "المدينة التي فيها مجتمع الناس. وكل مدينة فسطاط، وقال الزمخشري: هو ضرب من الابنية في السفر دون السراق وبه سُميت المدينة. ويقال لمصر والبصرة: الفسطاط"^(٨).

٤- سيدة سور القرآن:

روي عن علي مرفوعاً: " سيدُ البشر آدمُ وسيدُ العربِ محمدٌ ولا فخرٌ وسيدُ الفرسِ سلمانٌ وسيدُ الرومِ صهيبٌ وسيدُ الحبشةِ بلالٌ وسيدُ الجبالِ الطورُ وسيدُ الأيامِ يومُ الجمعةِ وسيدُ القرآنِ سورةُ البقرةِ وسيدُ البقرةِ آيةُ الكرسي"^(٩).

٥- كرسي القرآن

تفرد بهذا الاسم الفيروزآبادي^(١٠)، وعلل في تسميتها بهذا الاسم لاشتغالها على آية الكرسي وهي أعظم آيات القرآن، دون أن يذكر مستنده في ذلك.
نستنتج مما سبق بأن الأسماء التوفيقية للسورة هي (البقرة والزهراء)، أما بقية الأسماء فهي اجتهادية ومستنبطة من الأحاديث التي وردت فيها.

مكية السورة ومدنيتها:

اتفق أهل العلم على أنها مدنية^(١١)، وأنها أول سورة أنزلت بها^(١٢).

معانيه لا يمكن"اه كلامه رحمه الله، فهو يشير رحمه الله أن هذه المدة التي قضاها ابن عمر في حفظ القرآن كان يحفظ ألفاظها ويتعلم أحكامها ويعمل بما فيها لا كما يفعل كثير من الجهلة اليوم الذين يتعاملون مع مسألة حفظ القرآن وكأنه لعبة من الألعاب من ينتهي قبل الثاني في أسرع وقت ممكن !!! فيخرج هذا الجاهل حافظاً للألفاظ فقط فلا علم ولا عمل فلم يزد إلا أن أقام حججاً عليه بعدد الآيات التي حفظها والله المستعان.

(١) انظر: تفسيره: ٨١/١.

(٢) انظر: تفسيره: ١٥٢/١.

(٣) انظر: تفسيره الجواهر الحسان: ٢٨/١.

(٤) انظر تفسيره: ٩٨/١.

(٥) انظر غرائب التفسير وعجائب التأويل: ١٠٧/١.

(٦) في مسند الفردوس ص: ٥٥.

(٧) سنن الدارمي رقم الحديث (٣٣٧١).

(٨) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤٤٥/٣) لسان العرب (٣٧٢/٧).

(٩) مفاتيح الغيب للرازي (٥٦/٢).

(١٠) انظر: البصائر: ١٣٤/١.

(١١) ذكر الاتفاق على مدنيتها: الماوردي في النكت والعيون: ٦٣/١، والعز بن عبد السلام في تفسير القرآن: ٩٣/١، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم: ٤٩/١ و ٥٠، وحكاة السيوطي في الإتقان: ١٤١-١٥٠ عن أبي الحسن بن الحصار في كتابه الناسخ والمنسوخ، كما ذكر الاتفاق على مدنيتها القاسمي في محاسن التأويل: ٣١/٢، وابن عاشور في التحرير والتنوير: ٢٠١/١. والقول بمدنيتها قول ابن عباس وزيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير والحسن ومجاهد وعكرمة وجابر بن زيد وقتادة ومقاتل. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥٠/١، زاد المسير لابن الجوزي: ١٩/١-٢٠، الدر المنثور للسيوطي: ٤٦/١ والإتقان له: ١٥٠-١٢١. وقد قال بذلك أيضاً: ابن عطية في المحرر الوجيز: ٩٣/١، والزرکشي في البرهان في علوم القرآن: ١٩٤/١، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ١٥٢/١، والألوسي في روح المعاني: ٩٨/١. واستثنى الماوردي في النكت والعيون: ٦٣/١، والعز في تفسير القرآن: ٩٣/١ وقوم كما ذكر ذلك ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠/١ قوله-عز وجل:-

قالت عائشة^(٢)-رضي الله تعالى عنها-: "ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده صلى الله عليه وسلم"^(٣)، ولم يدخل عليها إلا بالمدينة^(٤).

ويجدر القول بأن سورة البقرة قد استمر نزولها في العهد المدني، لذا لا يتصور إمكانية حصر أسباب نزولها في سبب واحد لتعدد الأسباب في نزول الآيات، وسوف نذكر أسباب النزول إن وجدت في سياق تفسير الآيات ومرجعيتنا في ذلك، والله المستعان.

■ مناسبة السورة لما قبلها:

- ومن وجوه المناسبة بين هذه السورة وبين سورة «الفاتحة» التي قبلها:
- ١- أن «الفاتحة» مشتملة على بيان وصوف الربوبية أولاً، وأحكام العبودية ثانياً، وطلب الهداية في الدنيا والآخرة لسبيل الفالحين وصراط المهتدين ثالثاً. وكذلك سورة «البقرة» مشتملة على بيان معرفة الرب؛ وأدب المعاملة معه سبحانه؛ والأمر بتوحيده والتحذير من الكفر به، وتشتمل على العبادات وتفصيلها وما يتعلق بها، وعلى بيان ما يحتاج العبد إليه في الدنيا والآخرة لهدايته الصراط المستقيم الذي يطلبه المؤمنون في آخر سورة الفاتحة، وفي أول البقرة يومئذ السياق القرآني الحكيم إلى ذلك في قوله تعالى: {ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين} [البقرة: ٢].
 - ٢- لما افتتح سبحانه «الفاتحة» بالأمر الظاهر المحكم الذي يلتبس {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: ٢]؛ وكان وراء كل ظاهر في عالم الشهادة غيب وباطن يجب على المتقين الإيمان به. افتتح الله تعالى سورة «البقرة» بما بطن سره وخفي أمره إلا على من شاء الله تعالى فقال سبحانه: {الم} [البقرة: ١]، وهي الحروف المقطعة التي يجب الإيمان بحكمتها وتقويض معانيها للرب العلي إيماناً بالغيب الذي امتحن الله تعالى المتقين به ومدحهم على الإيمان به وبأمثاله من الغيب.. ولهذا قال الشعبي: " لكل كتاب سر، وسر القرآن: حروف التهجي في فواتح السور"^(٥)، وقال أيضاً: "سر الله تعالى فلا تطلبوه"^(١).

{وَأَنقُو يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} [البقرة: ٢٨١]، قالوا: فإنها أنزلت يوم النحر بمنى في حجة الوداع. وليست بمستثناة على التعريف المختار، وهو: أن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة، نبه على ذلك الزركشي في البرهان في علوم القرآن: ١٨٧/١، وانظر: الإتيان للسيوطي: ١١١/١-١٢. وإنما يدل ذلك على أن سورة البقرة لم تنزل جملة واحدة بل في مدد شتى كما ذكر ذلك ابن عطية في المحرر الوجيز: ٩٣/١ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ١٥٢/١. كما ذكر السيوطي في الإتيان: ١٩/١ أنه أستثنى منها آيتان: {فَاعْتُوا وَاصْفَحُوا} [البقرة: ١٠٩]، {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ} [البقرة: ٢٧٢] وهذا خلاف ما ذكره ابن كثير في تفسيره: ٤٩/١ من أن سورة البقرة جميعها مدنية بلا خلاف. وعلى القول بعدم مدنية هاتين الآيتين فإن ذلك لا يخرج السورة عن كونها مدنية، انظر: روح المعاني للألوسي: ٩٨/١. وقد ذكر الصابوني في تعليقه على معاني القرآن للنحاس: ٧٣/١ أن القول بمدنيتهما قول الجمهور، ولم يأت على ذكر مخالف.

(١) حكى الاتفاق على ذلك ابن عاشور في التحرير والتنوير: ٢٠١/١ وهو قول ابن عباس وعكرمة. انظر: زاد المسير لابن الجوزي: ١٩/١، والدر المنثور للسيوطي: ٤٦/١، وقال به ابن كثير في تفسيره: ٤٩/١، والزركشي في البرهان: ١٩٤/١.

(٢) هي: أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق القرشية التيمية، أم عبد الله، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وبنى بها في المدينة، وكانت أحب أزواجه إليه، ولم يتزوج بكرة غيرها، أعلم نساء الأمة وأفقههن على الإطلاق، توفيت عام: ٥٧ أو ٥٨ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٣٥/٢، البداية والنهاية لابن كثير: ٩١/٨، الإصابة لابن حجر: ٣٤٨/٤.

(٣) البخاري-فتح: ٦٥٥/٨ رقم: ٤٩٩٣.

(٤) ذكر ابن حجر في الفتح: ٦٥٧/٨ والسيوطي في الإتيان: ١٦/١ الاتفاق على ذلك، وكان بناء النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة بعد بدر في شوال من السنة الثانية من الهجرة، وقيل: في السنة الأولى. انظر: المصادر المذكورة في الهامش رقم: (١).

(٥) ذكره السمعاني في تفسيره: ١٦٣/٢، ونسبه إلى الشعبي، ونسبه البيهقي إلى أبي بكر الصديق، ولفظه: " لكل كتاب سر وسر القرآن هذه الحروف، ولا يعلم ما هي إلا واضعها سبحانه"، انظر: نظم الدرر: ٢٧٤/٢٠، وكذا الألوسي نسبه إلى الصديق، انظر: روح المعاني: ١٠٣/١. وانظر: تفسير الطبري: ٢٠٩/١، ولم ينسبه. وذكره القرطبي: ١/١٥٤، في تفسير سورة البقرة،

يقول ابن عاشور: " وإذ قد كان نزول هذه السورة في أول عهد بإقامة الجامعة الإسلامية واستقلال أهل الإسلام بمدينتهم كان من أول أغراض هذه السورة تصفية الجامعة الإسلامية من أن تختلط بعناصر مفسدة لما أقام الله لها من الصلاح سعياً لتكوين المدينة الفاضلة النقية من شوائب الدجل والدخل"^(٢)، ولعل هذا يدل على أهمية ومكانة سورة البقرة ما يجعلها السورة الثانية بعد الفاتحة.

أغراض السورة ومقاصدها:

تتكوّن سورة البقرة بوحدها الكاملة من مقدمة ثم أربعة مقاصد رئيسية تعقبها خاتمة، وفيها مقاصد الإسلام الكلية، ودلالات على أنّ القرآن الكريم كتاب هداية، وعلى لزوم الإيمان بالغيب. فأما مقدمتها فقد اعتنت بالتعريف بالقرآن الكريم وبيان ما فيه من هدىّ وفلاح للناس، وتأكيد أنّ ذلك بيّن واضح، لا يُنكره إلا من لا قلب له أو أن في قلبه مرض، وأما مقاصدها ففي ما يلي بيانها:

أولاً:- دعوة الناس جميعاً لدين الإسلام، وترك ما كانوا عليه من أديان وعقائد أخرى، وإرشادهم إلى أنّ دين الإسلام هو الدين الحق الوحيد المقبول عند الله تعالى.

ثانياً:- الحديث حول أهل الكتاب ودعوتهم إلى التزام الحق الذي يدعو إليه القرآن الكريم واتباعه، وترك أهوائهم وباطلهم واتباع دين الإسلام.

ثالثاً:- التفصيل في الكلام والشرح عن شرائع دين الإسلام.

رابعاً:- الحديث حول الدافع والوازع الديني الذي يدفع الإنسان للالتزام بشرع الله عز وجل، وينهاه عن تركه أو إهماله ومخالفته.

وقد خُتمت سورة البقرة بخاتمة تبين حقيقة الذين استجابوا واتبعوا هذه الدعوة الشاملة وهي دعوة الإسلام والتزموا بما فيها من مقاصد وتشريعات، وتوضّح ما يُرجى لهم في الدنيا وفي الآخرة.

وقد ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه " مكث على سورة البقرة، ثماني سنين يتعلمها"^(٣).

فظلّ الإمام ابن عمر ثماني سنين يتعلم ويحفظ سورة البقرة، ويسعى جاهداً لتحقيق ما فيها من أحكام وفرائض، وفي هذا دليل على أهمية مقاصد هذه السورة، وعظمة ما اشتملت عليه من أحكام في العبادات والمعاملات والعقيدة كذلك^(٤).

وقد ثبت عن ابن عمر رضي الله عنه بإسناد صحيح متصل أنه مكث أربع سنين في تعلم سورة البقرة ، فقد روي ابن سعد عن عبد الله بن جعفر حدثنا أبو المليح عن ميمون " أن ابن عمر تعلم سورة البقرة في أربع سنين"^(٥).

وهل التعلم في الأثرين هو الحفظ أم الفقه والفهم ؟ الأمر محتمل ، وقد كان هدي الصحابة ، وهمهم منصرفة إلى التفقه والفهم.

قال أبو عبد الرحمن السلمي - أحد أكابر التابعين - : " حدثنا الذين كانوا يُقرئونا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً"^(٦).

عن أبي بكر وعلي- رضي الله عنهما-، وفي هذا النسب ضعف، وذكره من أقوال عامر الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين فهو قول موقوف على هؤلاء العلماء إن صح عنهم.

(١) انظر: تفسير الألوسي ١/ ١٠٣.

(٢) التحرير والتنوير: ١/ ٢٠٢..

(٣) موطأ الإمام مالك (٦٩٥): ص ٢٨٧/٢. تحقيق: الأعمى.

(٤) انظر: مقاصد سورة البقرة، إسلام ويب. [بتصرف]

(٥) الطبقات الكبرى: (٤ / ١٦٤).

روى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : "كان الرجلُ منا إذا تعلمَ عشرَ آياتٍ لم يجاوزهن حتى يعرفَ معانيهن والعملَ بهن"^(٢).

وهذا يدلُّ على أن الصحابة - رضي الله عنهم - نقلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يتعلمون منه التفسير مع التلاوة^(٣) ؛ فبين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [النحل : ٤٤] ، فنقل معاني القرآن عنه صلى الله عليه وسلم كمثل ألفاظه سواء ، بدليل قوله - تعالى: {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [النور : ٥٤] ، وهذا يتضمن بلاغ المعنى ، وأنه في أعلى درجات البيان^(٤).

قال الزرقاني - رحمه الله - : " ليس ذلك لبطء حفظه - معاذ الله - بل لأنه كان يتعلم فرائضها وأحكامها وما يتعلق بها ، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كراهة الإسراع في حفظ القرآن دون التفقه فيه ، ولعل ابن عمر خلط مع ذلك من العلم أبواباً غيرها ، وإنما ذلك مخافة أن يتأوله على غير تأويله"^(٥).

الناسخ والمنسوخ:

ذكروا فيها ثلاثين آية منسوخة^(٦):

- أولها قوله تعالى: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [البقرة : ٣] ، اختلف أهل العلم في ذلك فقال طائفة وهم الأكثرون هي الزكاة المفروضة وقال مقاتل ابن حيان وجماعة هذا ما فضل عن الزكاة نسخته الزكاة المفروضة وقال أبو جعفر يزيد بن القعقاع نسخت الزكاة المفروضة كل صدقة في القرآن ونسخ صيام شهر رمضان كل صيام في القرآن ونسخ ذبيحة الأضحية كل ذبح.
- الآية الثانية قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا} [البقرة : ٦٢] ، والناس في ذلك قائلان فقالت طائفة منهم مجاهد والضحاك ابن مزاحم هي محكمة وقدرونها ويقروونها بالمحذوف المقدر فيكون التقدير على قولهما: إن الذين آمنوا ومن آمن من الذين هادوا والنصارى، وقال الأكثرون هي منسوخة وناسخة عندهم: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} [آل عمران : ٨٥].
- الآية الثالثة: قوله تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة : ٨٣] ، و{حسناً} فيها قولان:

قال عطاء بن أبي رباح وأبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: هي محكمة، واختلفا بعد ما أجمعا على إحكامها، فقال محمد بن علي رضي الله عنه {وَقُولُوا لِلنَّاسِ} أي: قولوا لهم إن محمداً رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وقال عطاء بن أبي رباح: "وقولوا للناس ما تحبون أن يقال لكم"^(٧).

وقال ابن جريج: "قلت لعطاء: إن مجلسك هذا قد يحضره البر والفاجر أفتأمرني أن أغلظ على الفاجر، فقال: لا، ألم تسمع إلى قول الله تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}"^(٨).

وقال جماعة هي منسوخة وناسخها عندهم قوله تعالى: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ}

[التوبة : ٥] الآية.

(١) الإتيان ، ٣٨٩/٢ ، التفسير الكبير ، ١٣٢/٢ .

(٢) تفسير الطبري(٨١):ص٨٠/١ .

(٣) التفسير الكبير ، ١٣٢/٢ .

(٤) الصواعق المرسله ، ٤٤٠ .

(٥) شرح الزرقاني على موطأ الامام مالك: ٢٧/٢ .

(٦) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٣١-٥٩ .

(٧) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٣٢ .

(٨) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٣٣ .

- الآية الرابعة: قوله تعالى: {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا} [البقرة : ١٠٩]، نسخ ما فيها من العفو والصفح بقوله تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} [التوبة : ٢٩] إلى قوله: {وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة : ٢٩]، وباقي الآية محكم.
- الآية الخامسة: قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ} [البقرة : ١١٥]، هذا محكم والمنسوخ منها قوله تعالى: {فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} [البقرة : ١١٥]، وذلك أن طائفة أرسلهم النبي -صلى الله عليه وسلم- في سفر فعميت عليهم القبلة فصلوا إلى غير جهتها فلما تبينوا ذلك رجعوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأخبروه فنزلت هذه الآية: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} [البقرة : ١١٥].
- وقال قتادة والضحاك وجماعة: "لما قدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المدينة صلى نحو بيت المقدس سبعة عشر شهرا ثم حول إلى الكعبة"^(١).
- قال هبة الله: " وهذا قول الأكثرين من أهل التاريخ منهم معقل بن يسار والبراء بن عازب وقال قتادة ثمانية عشر شهرا وفيها رواية أخرى عن ابراهيم الحربي قال فيها ثلاثة عشر شهرا وقال آخرون قالت اليهود بعد تحويل القبلة لا يخلو محمد من أمرين إما أن يكون كان على حق فقد رجع عنه وإما أن يكون على باطل فما كان ينبغي له أن يقيم عليه فأنزل الله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ}، الآية، ثم نسخت بقوله: {وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} [البقرة : ١٤٤]"^(٢).
- الآية السادسة: قوله تعالى: {وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ} [البقرة : ١٣٩]، نسخ هذا بآية السيف على قول الجماعة.
- الآية السابعة: قوله تعالى: {إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرَوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} [البقرة : ١٥٨]: هذا محكم، والمنسوخ قوله: {فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا} [البقرة : ١٥٨]، ومعناها: أن لا يطوف بهما، وكان على الصفا صنم يقال له إساف وعلى المروة صنم يقال له نائلة وكانا رجلا وأمرأة في الجاهلية فدخلا الكعبة فزنيا الكعبة فيها فمسخهما الله تعالى صنمين فوضعت المشركون الصنم الذي كان رجلا على الصفا والصنم الذي كان امرأة على المروة وعبدوهما من دون الله تعالى فلما أسلمت الأنصار تخرجوا أن يسعوا بينهما فأنزل الله تعالى: {إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرَوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} [البقرة : ١٥٨]، الآية، ثم نسخ الله تعالى ذلك بقوله: {وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِيَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ} [البقرة : ١٣٠]، الآية.
- الآية الثامنة: قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى} [البقرة : ١٥٩]، إلى قوله: {وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} [البقرة : ١٥٩]، نسخها الله تعالى عن أسلم بالاستثناء وهو قوله تعالى {إِنَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاوْا} [البقرة : ١٦٠].
- وقال أبو هريرة: " لولا هذه الآية ما حدثتكم بشيء"^(٣).
- قال هبة الله: " ويقال من ورع العالم أن يتكلم ومن ورع الجاهل أن يسكت"^(٤).
- الآية التاسعة: قوله تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ} [البقرة : ١٧٣] الآية، نسخ الله تعالى بالسنة بعض الميئة والدم بقوله عليه السلام: "أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال"^(٥)،

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٣٤ .

(٢) الناسخ والمنسوخ: ٣٤-٣٥.

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٣٧.

(٤) الناسخ والمنسوخ: ٣٨.

(٥) أخرجه أحمد (٩٧/٢) أو رقم (٥٧٢٣) - شاكر- وابن ماجه (٣٢١٨، ٣٣١٤) والبيهقي في «السنن» (١/٢٥٤) وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (٨٢٠) والبيهقي في «شرح السنة» (١١/٢٤٤) والشافعي في «مسنده»: (ص ٢٤٠ -

- ثم قال: {وَمَا أَهْلٌ بِهِ لَعْنَرِ اللَّهِ} [البقرة : ١٧٣]، ثم رخص للمضطر وللجانح غير الباغي والعادي بقوله تعالى {فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} [البقرة : ١٧٣].
- الآية العاشرة: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ} [البقرة : ١٧٨] الآية، وذلك أن حيين اقتتلا قبل الإسلام بقليل وكان لأحدهما على الآخر طول فلم يقتص أحدهما من صاحبه حتى جاء الإسلام فقال الأكثرون لا نرضى أن يقتل بالعبد منا إلا الحر منهم وبالمراة منا إلا الرجل منهم فسوى الله تعالى بينهما في القصاص ونزل: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى} [البقرة : ١٧٨] إلى ههنا موضع النسخ وباقي الآية محكم وأجمع المفسرون على نسخ ما فيها من المنسوخ واختلفوا في ناسخها قال العراقيون وجماعة ناسخها الآية التي في المائدة وهي قوله تعالى: {وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْفُسَ بِنَفْسٍ} [المائدة : ٤٥] الآية. فإن قيل هذا كتب على بني إسرائيل كيف يلزمنا حكمه فالجواب على ذلك أن آخر الآية ألزمتنا ذلك وهو قوله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المائدة : ٤٥].
- وقال الحجازيون وجماعة: إن ناسخها الآية التي في بني إسرائيل وهي قوله تعالى: {وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ} [الإسراء : ٣٣]، وقتل المسلم بالكافر إسراف وكذلك قتل الحر بالعبد لا يجوز عند جماعة من الناس.
- وقال العراقيون: يجوز واحتجوا بحديث ابن البيلمي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قتل مسلماً بكافر معاهد وقال أنا أحق من وفي بعهد.
- الآية الحادية عشرة: قوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ} [البقرة : ١٨٠]، نسخت بالكتاب والسنة فالكتاب قوله تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ} [النساء : ١١] الآية، والسنة قوله عليه السلام: "ألا لا وصية لوارث"^(١).

العلمية) والدارقطني (٢/ ٢٧١) وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٥٨٢). من طريق: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن ابن عمر مرفوعاً.
 وإسناده ضعيف؛ لأجل عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف جداً.
 وتابعه أخوه عبد الله عند الدارقطني (٢/ ٢٧٢) وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٥٠٣) والبيهقي (١/ ٢٥٤) وكذا أخوه أسامة.
 قال البيهقي: «أولاد زيد كلهم ضعفاء، جرحهم يحيى بن معين، وكان أحمد بن حنبل وعلي بن المديني يوثقان عبد الله بن زيد، إلا أن الصحيح من هذا الحديث الأول».
 قلت: يريد الموقوف على ابن عمر، فقد أخرجه (١/ ٢٥٤) من طريق: ابن وهب، عن سليمان بن بلال، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر موقوفاً.
 وأخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخه» (١٣/ ٢٤٥) من طريق: يحيى بن حسان، عن مسور بن الصلت، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً، بنحو منه.
 وإسناده ضعيف جداً لأجل مسور بن الصلت؛ فهو متروك كما قال النسائي وغيره.
 خلاصة القول أن الحديث لم يصح مرفوعاً، ولكنه صح موقوفاً والموقوف هنا له حكم المرفوع، لأن قول الصحابي: «أحل لنا كذا» أو «حرم علينا كذا». هو من نوع المرفوع كما هو مقرر في الأصول.
 والحديث صححه موقوفاً؛ أبو حاتم الرازي والدارقطني والبيهقي والنووي وابن حجر وأحمد شاكر والألباني وغيرهم.
 انظر «المجموع» (٩/ ٢٥) و«التلخيص الحبير» (١/ ٣٦) و«فتح الباري» (٩/ ٥٣٦) و«كشف الخفاء» (١/ ٦٠ - ٦١/ ١٤٨) و«نصب الراية» (٤/ ٢٠٢) وتعليق العلامة أحمد شاكر على «المسند» (٨/ ١٠٢ - ١٠٥/ ٥٧٢٣) فقد أسهب في الكلام على الحديث و«الصحيحة» (١١١٨).
 (١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٧) وأبو داود (٢٨٧٠) و (٣٥٦٥) والترمذي (٢١٢٠) وابن ماجه (٢٧١٣) وغيرهم، من حديث أبي أمانة الباهلي. وهو حديث صحيح، وفي الباب عن غيره من الصحابة تخريجها في «نصب الراية» (٤/ ٤٠٣).

وقال جماعة الآية كلها محكمة ذهب الى ذلك الحسن البصري وطاووس وقتادة والعلاء بن زيد ومسلم بن يسار^(١).

- الآية الثانية عشرة: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة : ١٨٣]، اختلف الناس في الإشارة إلى من هي فقال بعضهم الإشارة إلى الأمم الخالية وهو قول الأكثرين، وذلك أن الله تعالى ما أرسل نبيا إلا فرض عليه وعلى أمته صيام شهر رمضان فكفرت به الأمم كلها وأمنت به أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) فيكون التنزيل على هذا الوجه مدحا لهذه الأمة، وقال بعضهم الإشارة إلى النصارى وذلك أنهم كانوا إذا أفطروا وأكلوا وشربوا جامعوا النساء ما لم يناموا وكان المسلمون كذلك وزيادة عليهم كانوا إذا أفطروا وأكلوا وشربوا جامعوا النساء ما لم يناموا ويصلوا العشاء الآخرة فعمد أربعون رجلا من المهاجرين والأنصار فجامعوا نساءهم بعد النوم منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك أنه رواد امرأته عن نفسها فقالت إني كنت قد نمت وكان أي الزوجين إذا نام حرم على الآخر فلم يلتفت إلى قولها فجامعها فجاءت الأنصار فأقرت على أنفسها عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بفعالها وأقر عمر على نفسه بفعله فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) لقد كنت يا عمر جديرا أن لا تفعل فقام يبكي وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يمشي بالمدينة فرأى شيئا كبيرا من الأنصار يقال له صرمة بن قيس يبنى من بني النجار وهو يهادي بين رجلين ورجلاه تخطان الأرض خطأ فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) ما لي أراك يا أبا قيس طليحا قال الشيخ هبة الله والطيح الضعيف فقال يا رسول الله أني دخلت على امرأتي البارحة فقالت علي رسلك أبا قيس حتى أسخن لك طعاما قد صنعت لك فمضت لإسخانه فحملتني عينا ففجئتني بالطعام فقالت الخيبة الخيبة حرم والله عليك الطعام والشراب فأصبحت طويا وعملت في أرضي فغشي علي من الضعف فرق له النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى دمعت عيناه وكان قصة صرمة قبل قصة عمر والأنصار فبدأ الله بقصة عمر والأنصار لأن الجناح في الوطاء أعظم منه في الأكل والشرب فنزل: {أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةٌ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ} [البقرة : ١٨٧]، إلى قوله: {فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ} [البقرة : ١٨٧] في شأن عمر والأنصار، ونزل في قصة صرمة قوله تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا} [البقرة : ١٨٧]، إلى قوله: {ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ} [البقرة : ١٨٧]، فصارت هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} [البقرة : ١٨٣] الآية^(٢).

- الآية الثالثة عشرة: قوله تعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ} [البقرة : ١٨٤]، وهذه الآية نصفها منسوخ ونصفها محكم وقد قرأت "يطوقونه"، فمن قرأ {يطيقونه} أراد يطيقون صيامه ومن قرأ يطوقونه يعني يكلفونه وكان الرجل في بدء الإسلام مخيرا إن شاء صام وإن شاء أفطر وأطعم مكان يومه مسكينا حتى قال الله تعالى فمن تطوع خيرا وأطعم مسكينا بمكان يومه كان أفضل والإطعام مد من طعام على قول أهل الحجاز وعلى قول أهل العراق نصف صاع حتى أنزل الله تعالى الآية التي تليها وهي قوله تعالى: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} [البقرة : ١٨٥]، وهذا الظاهر يحتاج إلى كشف، ومعناه -والله أعلم- من شهد منكم الشهر حاضرا عاقلا بالغيا صحيحا فليصمه فصار هذا ناسخا لقوله تعالى {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ}

- الآية الرابعة عشرة: قوله تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعَدُّوا} [البقرة : ١٩٠]، أي: فقاتلوا من لا يقاتلكم كان هذا في الابتدء ثم نسخ الله تعالى ذلك بقوله تعالى: {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} [البقرة : ١٩٤]، وبقوله: {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ}

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٤٠.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٤٢-٤٣.

- كَاْفَةً { [التوبة : ٣٦]، أي: جميعاً، وبقوله: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ} [التوبة : ٥] الآية.
- الآية الخامسة عشرة: قوله تعالى: {وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ} [البقرة : ١٩١]، صارت هذه الآية منسوخة بآية السيف.
- الآية السادسة عشرة قوله تعالى: {فَإِنْ ائْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة : ١٩٢]، هذا من الأخبار التي معناها الأمر وتقديره: فاعفوا عنهم واصفحوا لهم صار ذلك العفو والصفح منسوخاً بآية سيف.
- الآية السابعة عشرة: قوله تعالى: {وَلَا تُحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ} [البقرة : ١٩٦]، نزلت في كعب بن عجرة الأنصاري وذلك أنه قال لما نزلنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- الحديبية مر بي النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنا أطبخ قدرا لي والقمل يتهافت على وجهي فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يا كعب بن عجرة لعلك يؤذيك هوام رأسك"، فقلت نعم يا رسول الله فقال: "ادع بحلق فاحلق رأسك"^(١)، ونزلت: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَدَى مِنْ رَأْسِهِ} [البقرة : ١٩٦]، وفي الكلام محذوف تقديره: فحلق فعليه ما في قوله تعالى: {فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٌ أَوْ تَسْلُكٌ} [البقرة : ١٩٦].
- الآية الثامنة عشرة: قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ} [البقرة : ٢١٥] الآية، كان هذا قبل أن يفرض الله الزكاة فلما فرضت الزكاة نسخ الله بها كل صدقة في القرآن فقال الله تعالى إنما الصدقات للفقراء والمساكين الآية قال أبو جعفر يزيد بن القعقاع نسخت الزكاة كل صدقة في القرآن ونسخ شهر رمضان كل صيام ونسخ ذباجة الأضحى كل ذبح فصارت هذه ناسخة لما قبلها.
- الآية التاسعة عشرة: قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ} [البقرة : ٢١٧]، وذلك أنهم كانوا يمتنعون عن القتال في الجاهلية في الأشهر الحرم حتى خرج عبد الله ابن جحش وأمره النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يخرج الى بطن نخله يلقي بها عمرو الحضرمي فقاتله فقتله فغير المشركون المسلمين بقتل هذا الرجل لعمرو بن الحضرمي وكان قد قتل في آخر يوم من جمادى الآخرة وكان ذلك في ابتداء رجب، فأنزل الله تعالى هذه الآية يعظم الله شأن الشهر الحرام والقتل فيه ثم صارت منسوخة بقوله: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة : ٥]، يعني: في الحل والحرام.
- الآية العشرون: قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ} [البقرة : ٢١٩]، فالخمر: كل ما خامر العقل وغطاه والميسر القمار كله وذلك أن الله تعالى حرم الخمر في اوطان خمسة فأولهن قوله تعالى: {وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا} [النحل : ٦٧]، فمعناها: وتتركون رزقا حسنا وهو تعبير من الله تعالى لهم فظاهرها تعدد النعم وليس كذلك فلما نزلت هذه الآية امتنع عن شربها قوم وبقي آخرون حتى قدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المدينة فخرج حمزة بن عبد المطلب وقد شرب الخمر فلقى رجل من الأنصار وبيده ناضح له والأنصاري يتمثل ببيتين لكعب بن مالك في مدح قومه وهما:
- جمعنا مع الإيواء نصرا وهجرة ... فلم ير حي مثلنا في المعاصر
فأحيأونا من خير أحياء من مضي ... وأماوتنا في خير أهل المقابر
- فقال له حمزة: أولئك المهاجرون، فقال له الأنصاري: بل نحن الأنصار فتنازعا فجرد حمزه سيفه وعدا على الأنصار فلم يمكن الأنصاري أن يقوم له فترك ناضحه وهرب فظفر حمزة بالناضح وجعل يقطعه فجاء الأنصاري الى النبي -صلى الله عليه وسلم- مستعديا فأخبره بخبر

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٤٦.

حمزه وفعاله بالناضح فغرم النبي -صلى الله عليه وسلم- له ناضحا، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله أما ترى الى ما نلقي من أمر الخمر إنها مذهبة للعقل متلفة للمال، فأنزل الله تعالى بالمدينة: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ} [البقرة : ٢١٩] ، وقد قرىء: "كثير"، والمعنيان متقاربان، {وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} [البقرة : ٢١٩]، وعلى هذا معارضة لقائل يقول أين المنفعة منها وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن الله تعالى: "لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها". فالجواب على ذلك أنهم كانوا يبتاعونها في الشام بالثمن اليسير ويبيعونها في الحجاز بالثمن الثمين وكانت المنافع فيها من الأرباح وكذلك قال الله تعالى { قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ}، فانتهى عن شربها قوم وبقي آخرون، حتى دعا محمد ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري قوما فأطعمهم وسقاهم حتى سكروا فلما حضر وقت الصلاة صلوا المغرب فقدموا رجلا منهم يصلي بهم وكان أكثرهم قرآنا يقال له ابن أبي جعونه حليف الأنصار فقرأ فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون فمن أجل سكره خلط فقال في موضع: {لَا أَعْبُدُ} [الكافرون : ٢]، "أعبد"، وفي موضع {أعبد} "لا أعبد"، فبلغ ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فشق عليه فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} [النساء : ٤٣] الآية، فكان الرجل منهم يشرب الخمر بعد العشاء الأخيرة ثم يرقد ويقوم عند صلاة الفجر وقد صحا ثم كان يشربها إن شاء بعد صلاة الفجر فيصحوا منها عند صلاة الظهر فإذا كان وقت الظهر لم يشربها البتة حتى يصلي العشاء الأخيرة حتى دعا سعد بن أبي وقاص الزهري وقد عمل وليمة على رأس جزور فدعا أناسا من المهاجرين والأنصار فأكلوا وشربوا وسكروا وافتخروا فعمد رجل والأنصار فأخذ أحد لحبي الجزور فضرب به أنف سعد ففزره وجاء سعد مستعديا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة : ٩٠]، وهذه الآية تدل على تحريم الخمر في القرآن لأن الله تعالى ذكره مع المحرمات واختلف المفسرون في موضع التحريم أهو ههنا أم غيره فقال الأكثرون ههنا وقال آخرون التحريم عند قوله تعالى: {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} [المائدة : ٩١]، فقالوا: أنتهينا يا رسول الله، والمعنى: انتهوا كما قال في "الفرقان" {أَنْصَبِرُونَ} [الفرقان : ٢٠]، والمعنى اتقوا اصبروا وفي "الشعراء" {قَوْمٌ فِرْعَوْنَ أَلَا يَنْقُونَ} [الشعراء : ١١]، والمعنى: اتقوا وأكد تحريمها بقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [الأعراف : ٣٣]، والإثم: الخمر، فهذا تحريم الخمر وانتقاله في مواطنه.

- الآية الحادية والعشرون: قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ} [البقرة : ٢١٩]، ومعنى العفو : الفضل من المال، وذلك أن الله تعالى فرض عليهم قبل الزكاة إذا كان للإنسان مال أن يمسك منه ألف درهم أو قيمتها من الذهب ويتصدق بما بقي وقال آخرون فرض عليهم أن يمسكوا ثلث أموالهم ويتصدقوا بما بقي وإن كان من أهل زراعة الأرض وعمارتها أمرهم أن يمسكوا ما يقيتهم حولا ويتصدقوا بما بقي وإن كان ممن يلي عمله بيديه أمسك ما يقوته يومه ويتصدق بما بقي فشق ذلك عليهم حتى أنزل الله تعالى الزكاة ففرض في المال الذهب والفضة إذا حال عليه الحول ربع عشرة إذا بلغ من الذهب عشرين دينارا أو من الورق مائتي درهم فيكون من كل عشرين دينارا نصف دينار ومن كل مائتي درهم خمسة دراهم فأسقط عنهم الفضل في ذلك فصارت آية الزكاة وهي قوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [التوبة : ١٠٣]، فبينت السنة أعيان الزكاة من الذهب والفضة والنخل والزرع والماشية فصارت هذه الآية ناسخة لما قبلها.
- الآية الثانية والعشرون: قوله تعالى: {وَلَا تَتَّكِبُوا الْمُشْرَكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ} [البقرة : ٢٢١]، هذا عام في جميع أنواع الكفر فنسخ الله تعالى بعض أحكامها من اليهوديات والنصرانيات بالآية التي في سورة المائدة وهي قوله تعالى: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ

- حَلُّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ} [المائدة : ٥] الى والطعام الذبائح فقط وهو عموم الآية، لأن الشرك يعم الكتابيات والوثنيات لأن المفسرين أجمعوا على نسخ الآية التي في سورة البقرة المذكورة وعلى إحكام الآية التي في المائدة غير عبد الله بن عمر فإنه يقول الآية التي في سورة البقرة محكمة والآية التي في سورة المائدة منسوخة وما تابعه على هذا القول أحد فإن كانت المرأة الكتابية عاهرة لم يجز نكاحها وإن كانت عفيفة جاز.
- الآية الثالثة والعشرون: قوله تعالى: {وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} [البقرة : ٢٢٨] الآية، أجمع الناس على إحكام أولها وآخرها إلا كلمات في وسطها وذلك أن الله تعالى جعل عدة المطلقة ثلاثة قروء إذا كانت ممن تحيض وإن كانت أيسة فتلاثة أشهر وإن كانت ممن لم تحض فمثل ذلك والحوامل وضع حملهن فجميع ذلك محكم وهو أي المنسوخ من الآية قوله تعالى: {وَيُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ} [البقرة : ٢٢٨]، وذلك أن الرجل كان يطلق المرأة وهي حامل وكان يخير في مراجعتها ما لم تضع نزلت في رجل من غفار أو من أشجع يعرف بإسماعيل بن عبد الله جنى على امرأته فطلقها وهي حامل ثم لم يطل حكمها كما طال في حكم المنسوخ فكان أحق برجعتها ما لم تضع يقال أنه لم تضع امرأته حتى نسخت وناسخها الآية التي تلتها وبعض الثالثة وهي قوله تعالى: {الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ} [البقرة : ٢٢٩]، فإن قال قائل فأين الثالثة قيل هي قوله تعالى: {فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} [البقرة : ٢٢٩]، يروى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال آخرون: بل نسخها الله تعالى بالآية التي تليها وهي قوله تعالى: {فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَتَّخِجَ زَوْجًا غَيْرَهُ} [البقرة : ٢٣٠].
- الآية الرابعة والعشرون: قوله تعالى: {وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْنًا} [البقرة : ٢٢٩]، ثم استثنى بقوله تعالى: {إِلَّا أَنْ يَخَافَا} [البقرة : ٢٢٩]، يعني: يعلما {أَلَّا يُفِيصَا حُدُودَ اللَّهِ} [البقرة : ٢٢٩]، وهو أن تقول المرأة تعني بعلها: والله لا أطأ لك فراشا ولا اغتسل لك جنبابة ولا أطيع لك أمرا، وإذا قالت ذلك فقد أحل الله له الفدية ولا يحل له أن يأخذ أكثر مما ساق إليها من المهر فصارت الآية ناسخة لحكمها بالاستثناء.
- الآية الخامسة والعشرون: قوله تعالى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ} [البقرة : ٢٣٣]، ثم نسخ الله الحولين بقوله: {فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا} [البقرة : ٢٣٣]، فصارت هذه الآية ناسخة للحولين الكاملين بالاتفاق.
- الآية السادسة والعشرون: قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ} [البقرة : ٢٤٠] - كان رجل إذا مات عن امرأته أنفق عليها من ماله حولا كاملا وهي في عدته ما لم تخرج فإن خرجت انقضت العدة ولا شيء لها وكانوا إذا أقاموا بعد الميت حولا عمدت المرأة فأخذت بعة فألقته في وجهه كلب تخرج بذلك من عدتها عندهم فنسخ الله تعالى ذلك بالآية التي قبلها في النظم وهي قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا} [البقرة : ٢٣٤]، فصارت الأربعة أشهر والعشر ناسخة للحول وليس في كتاب الله تعالى آية ناسخة في سورة إلا والمنسوخ قبلها إلا هذه الآية وآية أخرى في سورة الأحزاب وهي قوله تعالى: {لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ} [الأحزاب : ٥٢]، نسختها الآية التي قبلها وهي قوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ} [الأحزاب : ٥٠] الآية هذه الناسخة، والمنسوخة: {لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ} [الأحزاب : ٥٢]، ونسخ النفقة بالربع والثلث، فقال: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ} [البقرة : ٢٣٤]، الى قوله: {وَعَشْرًا} [البقرة : ٢٣٤]، جميعها محكم غير أولها.
- الآية السابعة والعشرون: قوله تعالى: {لَا إِخْرَآءَ فِي الدِّينِ} [البقرة : ٢٥٦] الآية، نسخها الله تعالى بآية السيف وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- لما أجلي اليهود إلى أذرعات من الشام كان لهم

- في أولاد الأنصار رضاع فقال أولاد الأنصار نخرج مع أمهاتنا أين خرجن فمنعهم أبأؤهم فنزلت هذه الآية: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، ثم صار ذلك منسوخا بنسخته آية السيف.
- الآية الثامنة والعشرون: قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا نَبَّأْتُمُ﴾ [البقرة : ٢٨٢]، فأمر الله بالشهادة وقد كان جماعة من التابعين يرون أن يشهدوا في كل بيع وابتياح منهم الشعبي وإبراهيم النخعي كانوا يقولون إنا نرى أن نشهد ولو على جرزة بقل ويروي حزمة ثم نسخت الشهادة بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ [البقرة : ٢٨٣].
- الآية التاسعة والعشرون: قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة : ٢٨٤] هذا محكم، والمنسوخ قوله: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُا يُحَاسِبِكُمْ بِهِ﴾ [البقرة : ٢٨٤] الآية، اختلف المفسرون في معناها فروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إن الله تعالى يخبر الخلق يوم القيامة بما عملوا في الدنيا سرا وجهرا فيغفر للمؤمن ما أسر ويعاقب الكافر على ما أسر، وقال ابن مسعود: هي عموم في سائر أهل القبلة". وقال المحققون: لما نزلت هذه الآية شق نزولها عليهم وقالوا إنه يجول الأمر في نفوسنا لو سقطنا من السماء إلى الأرض لكان ذلك أهون علينا وقال المسلمون يا رسول الله لا نطبق فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: " لا تقولوا كما قالت اليهود سمعنا وعصينا ولكن قولوا سمعنا واطعنا"^(١). فنزلت: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة : ٢٨٦] الآية.
- الآية الثلاثون: قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، علم الله تعالى أن الوسع لا يطاق فخفف الوسع بقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة : ١٨٥]، وقد قيل إن الله تعالى نسخ بأخر آية الدين أولها وقد روى عن النبي -صلى الله عليه وسلم- حجة لمن ذهب إلى نسخ قوله: ﴿أَوْ تُخْفَوُا﴾ [البقرة : ٢٨٤]، وهو قول النبي -صلى الله عليه وسلم- "إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يكلم به أو يعمل وعن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"^(٢)، فهذا ما ورد في منسوخ سورة البقرة -والله تعالى أعلم-.

فضائل السورة:

- ولسورة البقرة فضائل كثيرة وردت في القرآن والسنة الصحيحة منها:
- ١- أن فيها أعظم آية في القرآن وهي آية الكرسي قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(١) أخرجه مسلم (١٢٥) وأحمد (٤١٢ / ٢) وأبو عوانة في «مسنده» (١ / ٧٥ - ٧٦ / ٢٢٢) وابن حبان (١ / ٢٥٠ - ٢٥١ / ١٣٩) والواحدي في «أسباب النزول» (ص ٩٤) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٥٧٣ / ٣٠٦٠). من طرق؛ عن العلاء بن عبد الرحمن به.

(٢) الحديث: "إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه". حديث أبي ذر: أخرجه ابن ماجه (١ / ٦٥٩ / ٢٠٤٣) رقم ٢٠٤٣ قال الحافظ في التلخيص (١ / ٢٨٢) : فيه شهر بن حوشب، وفي الإسناد انقطاع. وقال البوصيري (٢ / ١٢٥) : هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف أبي بكر الهذلي.

حديث ابن عباس: أخرجه الطبراني (١١ / ١٣٣ / ١١٢٧٤)، رقم ١١٢٧٤، والدارقطني في الأفراد كما في أطراف ابن طاهر (٣ / ٢٢٠ / ٣) رقم ٣٤٧٩، والحاكم (٢ / ٢١٦ / ٢٨٠١) رقم ٢٨٠١ وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي (١٠ / ٦٠ / ١٩٧٩٨). وأخرجه أيضا: الطبراني في الصغير (٢ / ٥٢ / ٧٦٥).

وروي: "إن الله تجاوز لأمتي عما توسوس به صدورهم ما لم تعمل أو تتكلم به وما استكرهوا عليه". أخرجه ابن ماجه (١ / ٦٥٩ / ٢٠٤٤)، والبيهقي (١٠ / ٦١ / ١٩٧٩٩).

وعن أبي بن كعب^(١) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ ". قال: قلت الله ورسوله أعلم قال: " يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ ". قال: قلت {الله لا إله إلا هو الحي القيوم}، قال فضرب في صدري وقال: " والله ليهنك العلم أبا المنذر"^(٢).

٢- وهي حافظة وكافية من شياطين الأنس والجن ودليل ذلك:

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال "وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتاني أت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقص الحديث فقال إذا أويت إلى فراشك فاقرا آية الكرسي لن يزال معك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقك وهو كذوب ذاك شيطان"^(٣).

- وحديث أبي مسعود رضي الله عنه- قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه"^(٤).

٣- سورة البقرة وآياتها تطرد الشياطين من البيوت عند سماعها لأن وقعها عليهم شديداً ودليل ذلك: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَمْ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ النَّبِيِّ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ"^(٥).

٤- أنها تشفع للعبد يوم لا ينفع مال ولا بنون، إذ ثبت في السنة الصحيحة أنها تشفع للمسلم يوم القيامة لمن قرأها لبركتها ودليل ذلك:

حديث أبي أمامة^(٦) تعالى قال: " سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ اقْرَأُوا الرَّهْرَاقِينَ الْبَقْرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ^(٧) أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَائَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ^(٨) تُحَاجَّانِ عَنِ أَصْحَابِهِمَا اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقْرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ وَلَمْ تَسْتَطِعْهَا الْبَطْلَةُ"^(٩).

(١) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من الخزرج، أبو المنذر: صح أبي أنصاري. كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود، مطلعاً على الكتب القديمة، يكتب ويقرأ - على قلة العارفين بالكتابة في عصره - ولما أسلم كان من كتاب الوحي. وشهد بدرًا واحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يفتي على عهده. وشهد مع عمر بن الخطاب وقعة الجابية، وكتب كتاب الصلح لأهل بيت المقدس. وأمره عثمان بجمع القرآن، فاشترك في جمعه. وله في الصحيحين وغيرهما ١٦٤ حديثاً. وكان نحيفاً قصيراً أبيض الرأس واللحية. مات بالمدينة - الأعلام للزركلي بتصرف يسير.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٣٤٣) بَابُ فَضْلِ سُورَةِ الْكَهْفِ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ، وصحها الألباني في الصحيحة برقم (٣٤١٠).

(٣) أخرجه البخاري برقم/ ١٠٢ - باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازته الموكل.

(٤) البخاري رقم/ ٣٧٠٧ - باب شهود الملائكة بدر، ومسلم رقم/ ١٣٤٠ - بَابُ فَضْلِ الْفَاتِحَةِ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقْرَةِ.

(٥) مسلم رقم (١٣٠٠) - بَابُ اسْتِحْبَابِ صَلَاةِ النَّافِلَةِ فِي بَيْتِهِ وَجَوَازِهَا فِي الْمَسْجِدِ.

(٦) أبو أمامة الباهلي صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونزيل حمص. روى: علماً كثيراً. وحدث عن: عمر، ومعاذ، وأبي عبيدة. روى عنه: خالد بن معدان، والقاسم أبو عبد الرحمن، وسالم بن أبي الجعد، وشرحبيل بن مسلم، وسليمان بن حبيب المحاربي، ومحمد بن زياد الألهاني، وسليم بن عامر، وأبو غالب حزور، ورجاء بن حيوة، وآخرون. وروى: أنه بايع تحت الشجرة - سير أعلام النبلاء للذهبي مختصراً (٣/٣٥٩).

(٧) قال أهل اللغة: الغمامة والغياية، كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما. قال العلماء: المراد أن ثوابها يأتي كغمامتين.

(٨) قال النووي في شرح مسلم " ومعناها واحد، وهما قطيعان وجماعتان، يقال في الواحد: فرق وحزق وحزيقة أي جماعة".

(٩) أخرجه مسلم برقم/ ١٣٣٧ - بَابُ فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَسُورَةِ الْبَقْرَةِ.

- ٥- المواظبة علي قراءة آية الكرسي بعد الصلوات سبباً لدخول الجنة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت"^(١).
- وتجدر الإشارة بأن هناك عدة أحاديث منتشرة علي السنة العامة وهي ضعيفة لا تصح، وأذكر منها هنا علي سبيل المثال لا الحصر ما يلي:
- حديث "آيتان هما قرآن، وهما يشفعان، و هما مما يحبهما الله، الآيتان في آخر سورة البقرة"^(٢).
 - وحديث "من قرأ سورة البقرة، توج بتاج في الجنة"^(٣).
 - وحديث "إن لكل شيء سناماً، وإن سنام القرآن، سورة البقرة، من قرأها في بيته ليلاً لم يدخله الشيطان ثلاث ليال، و من قرأها في بيته نهاراً لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام"^(٤).

(١) انظر حديث رقم: ٦٤٦٤ في صحيح الجامع للألباني- رحمه الله.

(٢) (ضعيف جدا) انظر حديث رقم ١٨ في ضعيف الجامع للألباني- رحمه الله.

(٣) انظر حديث رقم: ١٠٦٩ في صحيح الجامع للألباني- رحمه الله.

(٤) أنظر: السلسلة الضعيفة و الموضوع " (٥٢٤/٣)، أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧٨٠) (ج ٣ / ص ٥٩)، والطبراني في الكبير (٥٨٦٤) (ج ٦ / ص ١٦٣) وأبو يعلى في مسنده (٧٥٥٤) (ج ١٣ / ص ٤٦٥)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (ج ٢ / ص ٨٧): حسن لغيره.

وهذا الحديث أيضاً فيه ضعف في الإسناد، ولكن الجملة الأولى: ((إن لكل شيء سناماً، وإن سنام القرآن البقرة)) ورد فيه أيضاً روايات أخرى ضعيفة عن ابن مسعود وعن ثلاثة من الصحابة أو أربعة، وكلها لا يخلو من ضعف، ولكن بعض أهل العلم يري أن هذه الجملة تنقوي بغيرها من الروايات، وهذه الروايات الضعيفة يقوي بعضها بعضاً، فيرون أن هذه الجملة: ((إن لكل شيء سناماً وإن سنام القرآن البقرة)) ترتقي إلى مرتبة الحسن.

سورة «آل عمران»

سورة «آل عمران»: هي السورة الثالثة من سور القرآن الكريم في ترتيب المصحف، وعدد آياتها مئتان بإجماع الفراء، وكلماتها: ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانون. وحروفها: أربعة عشر ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرون حرفاً^(١).

والآيات المختلف فيها سبع: {الم} {آل عمران : ١}، {الإنجيل} {آل عمران : ٤٨} [الثاني، {أنزل القرآن} {آل عمران : ٤}، {ورسولنا إلى بني إسرائيل} {آل عمران : ٤٩}، {مما تحبون} {آل عمران : ٩٢}، {مقام إبراهيم} {آل عمران : ٩٧}، {والإنجيل} {آل عمران : ٣} [الأول -في قول بعضهم^(٢).

ومجموع فواصل آياتها (ل ق د ا ط ن ب م ر) يجمعها قولي: (لقد أظنبت مر) والقاف آخر آية واحدة: {ذوقوا عذاب الحريق} {آل عمران : ١٨١}، والهمز آخر ثلاث آيات {إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء} {آل عمران : ٥}، {إنك سميع الدعاء} {آل عمران : ٣٨}، {كذلك الله يفعل ما يشاء} {آل عمران : ٤٠}^(٣).

أسماء السورة:

١- أسماؤها التوقيفية:

ولهذه السورة اسمان توقيفيان:

أحدهما: سورة «آل عمران»:

اشتهرت تسمية هذه السورة بـ«سورة آل عمران»، وبذلك عنونت في المصاحف وفي كتب التفسير والحديث، وقد ثبت تسميتها بهذا الاسم في حديث الرسول-صلى الله عليه وسلم-، وفي كلام الصحابة-رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

روي عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران"^(٤).

وروي عنه-صلى الله عليه وسلم-: "يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران ... الحديث"^(٥).

وقد سماها الإمام عثمان بن عفان سرور آل عمران، إذ أخرج الدارمي في سننه عنه، أنه قال: "من قرأ سورة آل عمران في ليلة كتب له قيام ليلة"^(٦).

وقد وردت هذه التسمية عن الإمام ابن عباس-رضي الله عنهما، إذ قال: "بت عند خالتي ميمونة فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع النبي - صلى الله عليه وسلم - وأهله في طولها فنام النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ثم استيقظ فجلس يمسح النوم عن وجهه بيديه ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران ثم قام إلى شن معلق فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلى فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقامت إلى جنبه فوضع يده على رأسي وأخذ بأذني يفتلها فصلى

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي: ١٥٨/١.

(٢) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٣) انظر: المصدر نفسه: ١٥٩/١.

(٤) أورده أبو عبيد في غريب الحديث (٩٣/١)، وأخرجه أحمد (٢٤٩/٥، رقم ٢٢٢٠٠)، وابن الضريس في فضائل القرآن

(ص ٥٩، رقم ٩٨)، وابن حبان (٣٢٢/١، رقم ١١٦)، والطبراني (١١٨/٨، رقم ٧٥٤٢)، والحاكم (٧٥٢/١)،

رقم ٢٠٧١)، والبيهقي (٣٩٥/٢، رقم ٣٨٦٢). وأخرجه أيضاً: مسلم (٥٥٣/١، رقم ٨٠٤)، والطبراني في الأوسط

(١٥٠/١، رقم ٤٦٨)، والرويانى (٣٠٥/٢، رقم ١٢٥٤) وأورده الغمارى فى المداوى (١٢٩/٢) وعزاه لحميد بن زنجويه..

(٥) أخرجه أحمد (١٨٣/٤، رقم ١٧٦٧٤)، ومسلم (٥٥٤/١، رقم ٨٠٥).

(٦) سنن الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب"في فضل آل عمران، حديث(٣٣٩٦):ص٥٤٤/٢.

ركعتين ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر فاضطجع حتى جاءه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح" (١).

ووجه تسميتها بسورة «آل عمران»، أنها ذكرت فيها أسرة آل عمران وفضائلها، وقد جاء ذكر «عمران» في هذه السورة مرتين في آيتين متاليتين، وذلك في قوله: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤) إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥)} [آل عمران: ٣٣ - ٣٥].

واختلف في «عمران» المذكور هنا، على قولين:

أحدهما: أنه موسى وهارون ابنا عمران. قاله مقاتل (٢).

والثاني: أنه المسيح، لأن مريم بنت عمران، وهذا قول الحسن (٣).

قال ابن كثير: " المراد بـ«عمران» هذا: هو والد مريم بنت عمران، أم عيسى ابن مريم، عليهم السلام" (٤).

قال الزمخشري: " وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران ابن يصهر. وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان، وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة" (٥).

قال الألوسي: " يرجح كون المراد به أبا مريم أن الله تعالى ذكر اصطفاءها بعد ونص عليه وأنه قال سبحانه: {إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ} [آل عمران: ٣٥]، والظاهر أنه شرح لكيفية الاصطفاء المشار إليه بقوله تعالى: {وَأَلَّ عِمْرَانَ} (١).

والثاني:- سورة «الزهراء»:

وهي تشترك بهذه التسمية مع سورة «البقرة»، وتسمى بذلك، لأنها كشفت عما التنبس على أهل الكتابين من شأن عيسى عليه السلام.

وقد وردت تسميتها بذلك في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فيما رواه أبو أمامة الباهلي، إذ قال: " اقرعوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرعوا الزهراوين البقرة وآل عمران .. الحديث" (٦). وذكر القرطبي في وجه التسمية ثلاثة أقوال (٨):

أحدها: إنهما النيرتان، مأخوذ من الزهر والزهرة؛ فإما لهدايتهما قارئهما بما يزهر له من أنوارهما، أي من معانيهما.

والثاني: وإما لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة.

والثالث: سميتا بذلك لأنهما اشتركتا فيما تضمنه اسم الله الأعظم؛ كما ذكره أبو داود وغيره عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين {وَالْهَكْمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} والتي في آل عمران {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} (١) (٢).

(١) أخرجه مالك (١٢١/١)، رقم (٢٦٥)، أخرجه عبد الرزاق (٣٧/٣)، رقم (٤٧٠٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١/ ٢٧١.

(٣) انظر: النكت والعيون: ١/ ٣٨٦.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٣.

(٥) الكشاف: ١/ ٣٥٤.

(٦) روح المعاني: ١٢٧/٢.

(٧) أورده أبو عبيد في غريب الحديث (٩٣/١)، وأخرجه أحمد (٢٤٩/٥)، رقم (٢٢٢٠٠)، وابن الضريس في فضائل القرآن (ص ٥٩، رقم ٩٨)، وابن حبان (٣٢٢/١)، رقم (١١٦)، والطبراني (١١٨/٨)، رقم (٧٥٤٢)، والحاكم (٧٥٢/١)، رقم (٢٠٧١)، والبيهقي (٣٩٥/٢)، رقم (٣٨٦٢). وأخرجه أيضا: مسلم (٥٥٣/١)، رقم (٨٠٤)، والطبراني في الأوسط (١٥٠/١)، رقم (٤٦٨)، والرويانى (٣٠٥/٢)، رقم (١٢٥٤) وأورده الغمارى فى المداوى (١٢٩/٢) وعزاه لحميد بن زنجويه.

(٨) أنظر: تفسير القرطبي: ٣/٤.

٢-أسمائها الاجتهادية:

ولهذه السورة عدة تسميات اجتهادية:

إحداها:- سورة «طيبة»

لم يثبت هذا الاسم عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، ولا عن الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-، وإنما وردت هذه التسمية في كتب المفسرين واستدلوا بما أخرجه سعيد بن منصور عن أبي عطف، قال: "اسم آل عمران في التوراة طيبة"^(٣).

وفي الدارمي عن ابي السليل، قال: "أصاب رجل دما، قال: فأوى إلى وادي مجنة-واد لا يمشي فيه أحد إلا أصابته حية-، وعلى شفير الوادي راهبان، فلما أمسى، قال أحدهما لصاحبه: هلك والله الرجل، قال: فافتتح سورة «آل عمران»، قال: فقرأ سورة طيبة لعله سينجو، قال: فأصبح سليما"^(٤).

ومن المفسرين الذين ذكروا هذا الاسم في كتبهم: ابن عطية^(٥)، وأبو حيان^(٦)، والقاسمي^(٧)، والسيوطي في الإتقان^(٨).

وتسمى بذلك، لجمعها من أصناف الطيبين في قوله: {الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالسَّحَارِ} [آل عمران : ١٧]^(٩).

ثانيا:-سورة «الكنز»

وردت هذه التسمية عند بعض المفسرين كأبي حيان^(١٠)، والألوسي^(١١)، وكما يبدو أنهم اقتبسوها من حديث عبدالله بن مسعود موقوفا، قال: "نعم كنز الصلوك سورة آل عمران، يقوم بها الرجل في آخر الليل"^(١٢)، كما ذكر القرطبي في تفسيره أنها كنز الصلوك^(١٣).

وسبب تسميتها بـ«الكنز»، لتضمنها الأسرار العيسوية^(١٤).

ثالثا:- سورة «الأمان»

سميت بذلك، لأن من تمسك بما فيها أمن من الغلط في شأنه^(١٥).

رابعا:- سورة «المجادلة»

وتسمى بذلك، لنزول نيف وثمانين آية منها في مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم نصارى نجران^(١٦).

خامسا:- سورة «الاستغفار»

(١) تفسير القرطبي: ٤/٣.

(٢) رواه الترمذي (٣٤٧٨) وأبو داود (١٤٩٦) وابن ماجه (٣٨٥٥)

(٣) سنن سعيد بن منصور، كتاب التفسير، تفسير "سورة آل عمران"، حديث رقم(٥٥٣):ص١١٣٨/٣.

(٤) سنن الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب "في فضل آل عمران"، حديث(٣٣٩٩):ص٥٤٤/٢.

(٥) انظر: المحرر الوجيز: ٣٩٦/١.

(٦) انظر: البحر المحيط: ٩/٣.

(٧) انظر: محاسن التأويل: ٧٤/٣.

(٨) انظر: الإتقان: ١٧٢/١.

(٩) انظر: تفسير المهامي: ١٠١/١.

(١٠) انظر: البحر المحيط: ٩/٣.

(١١) انظر: روح المعاني: ٧٣/٣.

(١٢) أخرجه الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب "في فضل آل عمران"، حديث(٣٣٩٨):ص٥٤٤/٢.

(١٣) انظر: تفسير القرطبي: ٢/٤.

(١٤) انظر: تفسير المهامي: ١٠١/١.

(١٥) انظر: تفسير المهامي: ١٠١/١.

(١٦) انظر: تفسير المهامي: ١٠١/١.

وذلك لما فيها من قوله: {وَالْمُسْتَعْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} [آل عمران: ١٧] (١).

سادسا: سورة «المعينة»

ذكرها الألوسي في تفسيره دون أن يورد وجه تسميتها بذلك (٢).
ويجدر القول بأن هذه التسميات التي ذكرها المفسرون لم ترد فيها أحاديث عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، ولا عن صحابته-رضوان الله عليهم-، وإنما هي اوصاف وصفت بها السورة، ولعلمهم اقتبسوها من القرطبي فيما ساقه من أوصاف هذه السورة في المسألة الثالثة، إذ يقول: "هذه السورة ورد في فضلها آثار وأخبار، فمن ذلك ما جاء أنها أمان من الحيات، وكنز للصعلوك، وأنها تحتاج عن قارئها في الآخرة، ويكتب لمن قرأ آخرها في ليلة كقيام ليلة، إلى غير ذلك" (٣).

مكية السورة ومدنيتها:

وهذه السورة مدنية باتفاق جميع المفسرين (٤).
أخرج الطبري وابن أبي حاتم (٥) عن الربيع: أن "النصارى أتو النبي صلى الله عليه وسلم، فخاصموه في عيسى ابن مريم، وقالوا: من أبوه؟ فقالوا على الله الكذب والبهتان، لا إله إلا الله لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: أستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت، وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا: بلى. قال: أستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يكأه ويحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى. قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيء؟ قالوا: لا، قال: أفلستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟ قالوا: بلى. قال: فهل يعلم عيسى من ذلك شيء إلا ما علم؟ قالوا: لا. قال: فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف يشاء، أستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث؟ قالوا: بلى، قال: أستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يغذي الصبي، ثم كان يطعم الطعام، ويشرب الشراب ويحدث الحدث؟ قالوا: بلى، قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟ فعرفوا ثم أبوا إلا جحودا، فأنزل الله: {الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم} (٦).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

فمن وجوه المناسبة بين هذه السورة وبين سورة «البقرة» التي قبلها:

أولاً:- تسميتهما بالزهرابين.

روى الإمام مسلم في "صحيحه" عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اقرأوا الزهراوين: البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما" (٧).

ففي هذا الحديث، وغيره من الأحاديث الواردة في حق هاتين السورتين، ما يدل على ترابط وتناسب وتلازم بين هاتين السورتين الكريمتين.

(١) انظر: تفسير المهاييمي: ١/١٠١.

(٢) انظر: روح المعاني: ٣/٧٣.

(٣) تفسير القرطبي: ٤/٢.

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي: ١/١٥٨.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣١٢٤): ص ٥٨٥/٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري (٦٥٤٤): ص ١٥٤/٦، وخرجه الطبري بنحوه عن جعفر بن الزبير، وفيه تسمية رؤساء وفد نجران،

انظر: تفسير الطبري (٦٥٤٣): ص ١٥١/٦-١٥٤، وانظر: النكت والعيون: ١/٣٦٧، وأسباب النزول، الواحدي: ٩٧-٩٨،

والعجاب في بيان الاسباب: ٢/٦٥٧-٦٥٨.

(٧) سبق تخريجه.

ثانياً:- أنهما افتتحنا بذكر الكتاب - وهو القرآن - فجاء في سورة البقرة مجملاً في قوله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ} [البقرة : ٢]، بينما جاء ذكر الكتاب في سورة آل عمران مؤكداً ومفصلاً لما في البقرة، قال تعالى: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} [آل عمران : ٣] .

ثالثاً:- ومن وجوه المناسبات بين السورتين، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: {وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} ، وفتحة سورة آل عمران: {الم . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}"^(١).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "اسمُ الله الأعظمُ في سورِ من القرآن ثلاثٌ : في «البقرة» و«آل عمران» و«طه»"^(٢).

وبذلك قد اشتملت السورتان الكريمتان على اسم الله الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب.

رابعاً: ولما كانت سورة البقرة قد عالجت شبهات اليهود وادعاءاتهم بشيء من البسط والتفصيل، وتعرضت لشبهات النصارى على وجه الإجمال؛ جاءت -بالمقابل- سورة آل عمران تواجه وتعالج شبهات النصارى بشيء من التفصيل، وبخاصة ما يتعلق منها بـ عيسى عليه السلام، وما يتعلق بعقيدة التوحيد الخالص، كما جاء به دين الإسلام. وتصح لهم ما أصاب عقائدهم من انحراف وخط وتشويه. وتدعوهم إلى الحق الواحد الذي تضمنته كتبهم الصحيحة التي جاء القرآن بتصديقها؛ مع إشارات وتقريعات لليهود، وتحذيرات للمسلمين من دسائس أهل الكتاب .

وقد قال أصحاب كتب أسباب النزول: إن الآيات الأولى من سورة آل عمران نزلت في وفد نجران، وكانوا يدينون بالنصرانية، وكانوا من أصدق قبائل العرب تمسكاً بدين المسيح عليه السلام .

وذكر الإمام السيوطي بناء على قاعدته، أن كل سورة تالية شارحة لمجمل ما جاء في السورة قبلها، العديد من أوجه المناسبات، نختار منها الأوجه التالية^(٣) :

أولاً:- أنه سبحانه ذكر في سورة البقرة إنزال الكتاب مجملاً، في قوله: {ذَلِكَ الْكِتَابُ} [البقرة: ٢] بينما ذكره في سورة آل عمران مفصلاً، قال تعالى: {منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهاً} [آل عمران: ٧].
ثانياً:- جاء في سورة البقرة قوله سبحانه: {وما أنزل من قبلك} [البقرة: ٤] مجملاً، في حين جاء في سورة آل عمران مفصلاً، قال تعالى: {وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس} [آل عمران: ٤]، فصرح هنا بذكر الإنجيل؛ لأن السورة خطاب للنفوس، ولم يقع التصريح بالإنجيل في سورة البقرة، وإنما صرح فيها بذكر التوراة خاصة؛ لأنها خطاب لليهود.

ثالثاً:- أنه تعالى ذكر الشهداء في سورة البقرة على وجه الإجمال، فقال تعالى: {ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات} [البقرة: ١٥٤]، بينما فصل القول في أحوالهم، وما صاروا إليه في سورة آل عمران، فقال سبحانه: {بل أحياء عند ربهم يرزقون} * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون} * يستبشرون بنعمة من الله وفضل} [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

رابعاً:- أنه سبحانه افتتح سورة البقرة بقصة آدم وخلق من تراب، دون أب ولا أم؛ وذكر في سورة آل عمران نظيره في الخلق من غير أب وهو عيسى عليه السلام؛ ولذلك ضرب له المثل بـ آدم. قالوا: وقد اختلفت سورة البقرة بذكر آدم عليه السلام؛ لأنها أول السور، وهو أول في الوجود وسابق؛ ولأنها الأصل، وهذه كالفرع والتممة لها، فاختلفت بالأغرب، ولأنها خطاب لليهود الذين قالوا في مريم عليها السلام ما قالوا، وأنكروا وجود ولد بلا أب؛ ففوتوا بقصة آدم؛ لتثبت في أذهانهم، فلا تأتي قصة عيسى عليه السلام،

(١) رواه الترمذي (٣٤٧٨)، وأبو داود (١٤٩٦)، وابن ماجه (٣٨٥٥). والحديث ضعيف ، فيه عيب الله بن أبي زياد وشهر بن حوشب ، وكلاهما ضعيف .

(٢) رواه ابن ماجه (٣٨٥٦) وحسنه الألباني في " صحيح ابن ماجه " .

(٣) انظر: تناسق الدرر في تناسب السور: ٧٠ وما بعدها [بتصرف].

إلا وقد دُكر عندهم ما يشهد لها من جنسها، ولأن قصة عيسى عليه السلام قيست على قصة آدم، والمقيس عليه لا بد وأن يكون معلوماً، لتتم الحجة بالقياس، فكانت قصة آدم، والسورة التي هي فيها، جديرة بالتقديم .
خامساً:-ومما يقوي المناسبة والتلازم بين السورتين الكريمتين، أن خاتمة سورة آل عمران جاءت مناسبة لفاتحة سورة البقرة؛ وبيان ذلك أن سورة البقرة افتتحت بذكر المتقين، وأنهم هم المفلحون، بينما خُتمت سورة آل عمران بقوله تعالى: ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [آل عمران: ٢٠٠] وأيضاً افتتحت سورة البقرة بقوله سبحانه: ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ [البقرة: ٤] وختمت سورة آل عمران بقوله سبحانه: ﴿إن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم﴾ [آل عمران: ١٩٩]

سادساً:- وقد ورد أن يهود لما نزل قول الله جلَّ وعلا: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرصاً حسناً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، قالوا: يا محمد، افتقر ربك يسأل عباده القرض، فنزل ردُّ الله عليهم: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ [آل عمران: ١٨١] وهذا مما يقوي التلازم بين السورتين أيضاً.

سابعاً: أنه وقع في سورة البقرة، حكاية قول إبراهيم عليه السلام: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك﴾ [البقرة: ١٢٩] ووقع في سورة آل عمران قوله سبحانه: ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ [آل عمران: ١٦٤] والتلازم بين الآيتين هنا في غاية الظهور .

ولا شك أن وراء ما ذكرنا من مناسبات بين السورتين، أموراً أخرى، لكن حسبنا ما أتينا عليه من أوجه المناسبات، كدلالة على التلازم والتناسب بين سور القرآن الكريم، والذي يدل قبل هذا على أن القرآن الكريم تنزيل من رب العالمين.

أعراض السورة ومقاصدها:

لقد تضمنت هذه السورة الكريمة جملة من المقاصد، نذكر منها :

أولاً:-تقرير أصول الشريعة المتمثلة في عقيدة التوحيد والعدل والنبوة والمعاد، دل على ذلك قوله سبحانه: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [آل عمران: ٢]، وقوله سبحانه: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط﴾ [آل عمران: ١٨]. وقوله عز وجل: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾ [آل عمران: ٣٣]. وقوله سبحانه: ﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد﴾ [آل عمران: ٩].

كما أنها قصدت إلى تقرير بعض الأحكام التكليفية كالحج: ﴿و الله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧]، والجهاد: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وغيرهما. وأيضاً فقد قصدت إلى بيان جملة من الآداب السلوكية، وهو ما قررته الآية الجامعة وهي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

ثانياً:- من المقاصد الرئيسية التي نزلت لأجلها هذه السورة مجادلة النصارى فيما هم فيه من عقائد باطلة، وإبطال مذهبهم، ونفي الشبهات التي تضمنتها معتقداتهم المنحرفة، أو التي تعمدوا نثرها حول صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم. وقصة عيسى عليه السلام -وما جاء من القصص مكمل لها- تؤكد هذه الحقيقة، وتنفي فكرة الولد والشريك، وتستبعدهما استبعاداً كاملاً؛ وتظهر زيف هذه الشبهة، وسخف تصورهما؛ وتبسط مولد مريم عليها السلام وتاريخها، ومولد عيسى عليه السلام وتاريخ بعثته وأحداثها، بطريقة لا تدع مجالاً لإثارة أية شبهة في بشريته الكاملة. فكان من مقاصد هذه السورة الأساسية، بيان فيصل التفرقة بين عقيدة التوحيد الخالصة الناصعة، وبين عقائد أصحاب الديانات المنحرفة والمضللة.

ثالثاً: من مقاصد هذه السورة كشف الصراع الأصيل والدائم بين أهل الإيمان والتوحيد وبين أهل الكفر والشرك. هذا الصراع الذي لم يفتر منذ ظهور الإسلام، بل هو صراع مستمر ومتطور، يبذل فيه أعداء هذا الدين ما وسعهم من جهد وحيلة ومكيدة وخداع وكذب وتدبير؛ للبس الحق بالباطل، وبث الريب والشكوك، وتبْيِيت الشر والضّر لهذه الأمة، من غير ملل ولا كلل. وقد بصّرت هذه السورة المؤمنين بحقيقة ما هم عليه

من الحق، وحقيقة ما عليه أعداؤهم من الباطل، وشرحت طباع أعداء هذه الأمة وأخلاقهم وأعمالهم ونياتهم، وفضحت ما يضيفونه على أنفسهم من مظاهر العلم والمعرفة والتقدم .

رابعاً: من مقاصد هذه السورة بيان حال المؤمنين مع ربهم؛ حيث عرضت جملة صالحة من أخبار النخبة المختارة من البشر، التي اصطفاها سبحانه لأداء رسالته، وجعلها ذرية بعضها من بعض. وتتمثل هذه الصور المشرقة في حديث امرأة عمران مع ربها، ومناجاته في شأن وليدتها. وفي حديث مريم مع زكريا عليه السلام. وفي دعاء زكريا عليه السلام ونجواه ربه. وفي رد الحواريين على نبيهم، ودعائهم لربهم.

خامساً: قصدت هذه السورة إلى ولوج ميدان النفس المؤمنة، من حيث تصوراتها، ومشاعرها، وأطماعها، وشهواتها، ودوافعها، وكوابحها. وقد عالجت السورة هذه النفس بكل رفق وتلطف وإرشاد وتوجيه، نلمس ذلك في الآيات التي تحدثت عن وقائع غزوة أحد، وما جرى فيها من تمحيص للنفوس، وفحص للقلوب، وتمييز للصفوف، وتحرير لكثير من آفات الفكر والسلوك والمشاعر في الصف المسلم؛ وذلك بتميز المناقنين من المؤمنين، وتوضيح سمات النفاق وسمات الصدق، في القول والفعل، وفي الشعور والسلوك، وتبيين تكاليف الإيمان، وتكاليف الدعوة إليه، ومقتضيات ذلك كله من الاستعداد بالعلم والعمل، والتزام الطاعة والاتباع بعد هذا كله، والتوكل على الله وحده، في كل خطوة من خطوات الطريق، ورد الأمر إلى الله وحده في النصر والهزيمة، وفي الموت والحياة، وفي كل أمر وفي كل اتجاه.

سادساً: هدفت هذه السورة إلى تقرير سنة بالغة الأهمية في حياة المسلم، وهي أن وقائع الحياة وأحداثها - نصراً وهزيمة، نجاحاً وفشلًا، تقدماً وتأخراً- إنما تجري وفق سنن الله الجارية التي أقام على وفقها هذا الكون، أنها سنة الأخذ بالأسباب الظاهرة، وهذا ما عبرت عنه الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿أولما أصابنكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم﴾ [آل عمران: ١٦٥]، فالأمور كلها منوطة بالعمل وفق سنن الله التي وضعها، فإذا أخذ بها المسلم نجح وتقدم، وإذا أعرض عنها أو تجاهلها خسر وتأخر، وما أصاب الإنسان من شر، إنما هو بما كسبت يده.

سابعاً: من مقاصد هذه السورة بيان أن هذا الكون كتاب مفتوح، يحمل بذاته دلائل الإيمان وآياته؛ ويوحى بأن وراء هذه الحياة الدنيا حياة أخرى وحساباً وجزاء. يرشد لهذا المقصد ما جاء من آيات في أواخر هذه السورة، التي ابتدأت بقوله سبحانه: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وختمت بقوله تعالى: ﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار﴾ [آل عمران: ١٩٣].

فجاءت هذه الآيات لتوجه القلوب والأنظار إلى هذا الكتاب المفتوح -كتاب الكون-؛ الذي لا تفتأ صفحاته تقلب على مر السنين والأيام، فتتبدى في كل صفحة آية موحية، تستجيب في الفطرة السليمة إحساساً بالحق المستقر في صفحات هذا الكتاب، وفي روعة صنع هذا النظام، ورغبة في الاستجابة لخالق هذا الكون^(١).

الناسخ والمنسوخ:

السورة تحتوي من المنسوخ على عشر آيات:

- الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ [آل عمران : ٢٠] هذا محكم، والمنسوخ قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ [آل عمران : ٢٠]، نسختها آية السيف
- الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : ٢٨] هذا محكم، والمنسوخ قوله تعالى: ﴿لَا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران : ٢٨]، نسختها آية السيف

(١) انظر: مقاصد سورة آل عمران، إسلام ويب.

- الآية الثالثة والرابعة والخامسة متصلات أولهن بآخرهن، قوله تعالى: {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ} [آل عمران : ٨٦] الى قوله تعالى: {وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ} [آل عمران : ٨٨]، نزلت في ستة رهط ارتدوا عن الإسلام ثم استثنى الله واحدا منهم يقال له سويد بن الصامت من الأنصار وذلك أنه ندم على فعاله وأرسل إلى أهله يسألون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هل له من توبة فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "نعم"، فصارت فيه وفي كل نادم إلى يوم القيامة.
- الآية السادسة: قوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ} [آل عمران : ٩٧]، قال السدي: فهذه على العموم ثم استثنى الله بما بعدها فصار ناسخا لها وهو قوله تعالى: {مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} [آل عمران : ٩٧]، فخص المستطيعين فسئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن السبيل ما هو فقال: "هو الزاد والراحلة"^(١).
- الآية السابعة: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ} [آل عمران : ١٠٢]، وذلك أنه لما نزلت الآية لم يعلموا ما تأويلها حتى سألوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقالوا: يا رسول الله ما حق تقاته؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "حق تقاته أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر"^(٢). فسق نزولها عليهم فقالوا يا رسول الله إننا لا نطبق ذلك فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا تقولوا كما قالت اليهود سمعنا وعصينا ولكن قولوا سمعنا وأطعنا"^(٣). ونزل وبعدها ببسبر: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} [الحج : ٧٨] ، فكان هذا أعظم عليهم من الأول، ومعناها: اعملوا حق عمله وكادت عقولهم تذهل حتى يسر الله تعالى ذلك وسهل فنزل: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن : ١٦]، فصارت ناسخة لما كان قبلها.
- الآية الثامنة: قوله تعالى: {لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَدَىٰ} [آل عمران : ١١١] الآية، نسختها: {فَاتَّقُوا اللَّهَ لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَدَىٰ} [التوبة : ٢٩].
- الآية التاسعة: قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوَجَّلًا} [آل عمران : ١٤٥] هذا محكم، والمنسوخ قوله تعالى: {وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا} [آل عمران : ١٤٥]، فنسخ ذلك قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ} [الإسراء : ١٨].
- الآية العاشرة: قوله تعالى: {لَتُنْبَلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ} [آل عمران : ١٨٦] هذا محكم الى قوله تعالى: {أَدَىٰ كَثِيرًا} [آل عمران : ١٨٦]، قوله تعالى: {وَأَنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [آل عمران : ١٨٦] نسخ ذلك بقوله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَدَىٰ} [التوبة : ٢٩]^(٤).

فضائل السورة:

- (١) حديث ابن عمر: أخرجه ابن جرير (١٦/٤) ، والبيهقي (٣٢٧/٤) ، رقم (٨٤٠٦) .
 حديث الحسن: أخرجه ابن جرير (١٦/٤) ، والبيهقي (٣٢٧/٤) ، رقم (٨٤٠٧).
 حديث الحسن عن أمه عن عائشة: أخرجه البيهقي (٣٣٠/٤) ، رقم (٨٤٢٣).
 (٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٦٢.
 وأخرج ابن أبي حاتم (٣٩٠٨): (٧٢٢/٣)، عن عبد الله: " {اتقوا الله حق تقاته}، قال: أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر. قال: قال ابن أبي حاتم: وروي عن مرة الهمداني والربيع بن خثيم، وعمر بن ميمون، والحسن، وطاوس، وقتادة، وإبراهيم النخعي وأبي سنان، والسدي نحو ذلك".
 (٣) . قال ابن كثير: هذا إسناد صحيح موقوف ٧١ / ٢
 (٣) سبق تخريجه.
 (٤) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٦٠-٦٤.

ورد في هذه السورة مجموعة من الفضائل:

أولاً:- عن النواس بن سمعان، عن النبي-صلى الله عليه وسلم:- " يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران كأنها غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنها فرقان من طير صاف يحاجان عن صاحبهما"^(١).

ثانياً:- عن أبي أمامه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أصحابهما... الحديث"^(٢).

ثالثاً:- عن عائشة- رضي الله عنها- أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: " من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر"^(٣).

ومعنى: «من أخذ السبع» قيل: حفظها، وعمل بها، وجعل تلاوتها ورداً له، وقيل معنى أخذها: المواظبة على تلاوتها، والتدبر في معانيها، والعمل بما فيها.

فهو حبر: أي: عالم. وفي بعض روايات الحديث: فهو خير. أي: في أخذها خير كثير وأجر عظيم. قال الإمام المناوي: "«من أخذ السبع»، أي: السور السبع الأول من القرآن كما في رواية أحمد وغيره «فهو خير له»، أي: من حفظها واتخذ قراءتها ورداً فذلك خير كثير، يعني بذلك: كثرة الثواب عند الله تعالى"^(٤).

والسور السبع الطوال من أول القرآن هي: «البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والتوبة»^(٥).

رابعاً:- وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "أعطيت السبع الطول مكان التوراة"^(٦).

قال الإمام المناوي: "«مكان التوراة»، أي: بدل ما فيها"^(٧).

خامساً:- عن مكحول، قال: " من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة، صلت عليه الملائكة إلى الليل"^(٨).

سادساً:- وقال عبدالله بن مسعود: " نعم كنز الصلوك سورة آل عمران، يقوم بها في آخر الليل"^(٩).

(١) أخرجه أحمد (١٨٣/٤)، رقم (١٧٦٧٤)، ومسلم (٥٥٤/١)، رقم (٨٠٥)..

(٢) أورده أبو عبيد في غريب الحديث (٩٣/١)، وأخرجه أحمد (٢٤٩/٥)، رقم (٢٢٢٠٠)، وابن الضريس في فضائل القرآن

(ص ٥٩، رقم ٩٨)، وابن حبان (٣٢٢/١)، رقم (١١٦)، والطبراني (١١٨/٨)، رقم (٧٥٤٢)، والحاكم (٧٥٢/١)، رقم

(٢٠٧١)، والبيهقي (٣٩٥/٢)، رقم (٣٨٦٢). وأخرجه أيضاً: مسلم (٥٥٣/١)، رقم (٨٠٤)، والطبراني في الأوسط (١٥٠/١)،

رقم (٤٦٨)، والرويانى (٣٠٥/٢)، رقم (١٢٥٤) وأورده الغمارى فى المداوى (١٢٩/٢) وعزاه لحميد بن زنجويه..

(٣) رواه أحمد (٢٤٤١٢) ورجاله ثقات سوى حبيب بن هند، وثق. ورواه الحاكم (٢١١٤) بلفظ (من أخذ السبع الأول من

القرآن فهو خير) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال المحدث الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٠٥): الحديث

حسن أو قريب منه. اهـ.

(٤) فيض القدير: ٤١/٦.

(٥) انظر: السلسلة الصحيحة للشيخ العلامة الألباني (٢٣٠٥).

(٦) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (١٢٠)، والطبراني في الكبير (١٨٧/١٧) والبيهقي في الشعب (٢٢٥٦)، قال المحدث

أحمد شاکر في تفسير الطبري (١٠٠/١): إسناد صحيح. وقال المحدث الألباني في الصحيحة (١٤٨٠): الحديث بمجموع طرقه

صحيح.

(٧) فيض القدير: ٥٦٥/١.

(٨) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرين، باب "في فضل آل عمران"، حديث (٣٣٩٧): ص ٥٤٤/٢، والحديث

رجاله كلهم ثقات.

(٩) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن باب "في فضل آل عمران"، حديث (٣٣٩٨): ص ٥٤٤/٢، كما أخرجه أبو

عبيد في فضائله: ص ١٢٧، باب "فضل سورة البقرة وآل عمران والنساء"، والبيهقي (٢٦١٦): ص ٥٢٩/٢، وعبدالرزاق في

مصنف: ٣٧٥/٣.
والحديث إسناده ضعيف، لاجل جابر بن زيد، وهو ضعيف كما قال الحافظ في التقریب: ١٣٧، وقال النسائي وغيره: متروك،
وقال يحيى: لا يكتب حديثه، واتهم بالكذب. انظر: الميزان: ٣٧٩/١، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه على الاعتبار ولا يحتج به،
وقال أبو زرعة: جابر الجعفي لين. انظر: الجرح والتعديل: ٤٩٧/٢.

سورة «النساء»

سورة «النساء»: هي الرابعة في ترتيب المصحف، فقد سبقتها سورة الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، وعدد آياتها: مائة وخمس وسبعون، في عدّ الكوفيّ، وستّ في عدّ البصريّ، وسبع في عدّ الشاميّ، وكلماتها: ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وأربعون، وحرّوفها: ستّة عشر ألفاً وثلاثون حرفاً^(١).

والآيات المختلف فيه منهما آيتان^(٢):

إحداهما: {أَنْ تَضَلُّوا السَّبِيلَ} [النساء: ٤٤].

وثانيتها: {عَذَابًا أَلِيمًا} [النساء: ١٧٣].

فالكوفيون يثبتون الأولى آية فقط، والشاميون يثبتون الثانية أيضاً، وأما علماء الحجاز والبصريون فيرون أن ما ذكره الكوفيون والشاميون إنما هو جزء من آية وليس آية كاملة.

ومجموع فواصل الآيات: «م، ل، ان»، يجمعها قولك: «ملنا»، فعلى اللام آية واحدة: {السَّبِيلَ} [النساء: ٤٤]، وعلى الثون آية واحدة: {مُهَيَّنٌ} [النساء: ١٤]، وخمس آيات منها على «الميم» المضمومة، وهي: الآيات: [١٢، ١٣، ٢٥، ٢٦، ١٧٦]، وسائر الآيات على «الألف».

أسماء السورة:

١- سورة النساء

عرفت السورة بـ«سورة النساء»، وهو اسم توقيفي عنونت به في المصاحف وكتب التفسير والسنة، وقد عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- تسميتها بهذا الاسم، فقد روي أنه قال لعمر-رضي الله عنه- لما كرر السؤال عن الكلالة: «تكفيك آية الصيف التي أنزلت في آخر سورة النساء»^(٣).

وعن أبي مليكة أنه سمع ابن عباس-رضي الله عنه- يقول: «سلوني عن سورة النساء، فغني قرأت القرآن وأنا صغير»^(٤).

وعن ابن عباس-أيضاً-: «من قرأ سورة النساء فعلم ما يحجب مما لا يحجب علم الفرائض»^(٥). كما جاءت في ملام بعض الصحابة رضوان الله عليهم كعائشة وابن عباس، فقد أخرج البخاري عن عائشة:- «ما نزلت سورة النساء إلا وأنا عنده»^(٦).

وسورة «النساء» سميت بهذا الاسم، لأن ما نزل منها في أحكام النساء أكثر مما نزل في غيرها.

٢- سورة النساء الطولى أو الكبرى

و يطلق عليها اسم «سورة النساء الكبرى»، تمييزاً لها عن سورة أخرى عرضت لبعض شئون النساء، وهي: «سورة الطلاق» التي كثيراً ما يطلق عليها اسم «سورة النساء الصغرى»^(٧).

وفي صحيح البخاري عن عبدالله بن مسعود: «أنزلت سورة النساء القصوى بعد الطولى»^(٨).

مكان نزول السورة:

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١٦٩/١، وروح المعاني، للأوسى: ٣٨٩/٢.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١٦٩/١، وروح المعاني، للأوسى: ٣٨٩/٢.

(٣) أخرجه الطبري(١٠٨٨٦): ص٤٤١/٩.

(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرک(٣١٧٨): ص٣٣٠/٢.

(٥) أخرجه ابن ابى شيبه فى مصنفه: ٢٣٤/١١.

(٦) صحيح البخاري(٤٩٩٣): ص٤٠/٢٤، والحديث ذكره ابن عطية فى «المحرر الوجيز»: ٣/٢، والسيوطى فى «الدر المنثور»: ٢/٢٠٥، وعزاه للبخاري، وانظر: تفسير القرطبي: ١/٥، وزاد المسير: ٣٦٦/١، والجواهر الحسان، للنعالبي: ١٥٩/٢.

(٧) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١٦٩/١، والتفسير الوسيط لطنطاوي: ٨/٣.

(٨) صحيح البخاري(٤٩١٠): ص٣٧٦/٦.

إن هذه السورة مدنية بإجماع القراء^(١)، وكان نزولها بعد سورة الممتحنة، وفي مكان نزولها أقوال: أحدها: أنها مكية، رواه عطية عن ابن عباس^(٢)، وهو قول الحسن^(٣)، ومجاهد^(٤)، وجابر بن زيد^(٥)، وقتادة^(٦)، واختاره النحاس^(٧)، والسمرقندي^(٨). والثاني: أنها مدنية، رواه عطاء عن ابن عباس^(٩)، وهو قول مقاتل^(١٠).

قال الطنطاوي: "والحق، أن الذي يقرأ سورة النساء من أولها إلى آخرها بتدبر وإمعان، يرى في أسلوبها وموضوعاتها سمات القرآن المدني. فهي زاخرة بالحديث عن الأحكام الشرعية: من عبادات ومعاملات وحدود. وعن علاقة المسلمين ببعضهم وبغيرهم. وعن أحوال أهل الكتاب والمنافقين، وعن الجهاد في سبيل الله. إلى غير ذلك من الموضوعات التي يكثر ورودها في القرآن المدني"^(١١).

والثالث: وقيل: إنها مدنية، إلا آية نزلت بمكة في عثمان بن طلحة حين أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذ منه مفاتيح الكعبة، فيسلمها إلى العباس، وهي قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا} [النساء : ٥٨]. ذكره الماوردي^(١٢)، وابن عطية^(١٣).

واختاره القرطبي، وقال: "هي مدنية إلا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح في عثمان بن طلحة الحنظلي وهي قوله: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا} [النساء : ٥٨]"^(١٤). والرابع: أنها مدنية إلا آية واحدة، وهي آية الكلاله^(١٥)، وهذا القول منسوب للطبرسي^(١٦). والخامس: وقيل: أنها مدنية إلا آيتين^(١٧).

الأولى: قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء : ٥٨]، نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف في شأن مفتاح الكعبة ليرده إلى بني شيبه^(١).

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٥٣/١، وغريب القرآن لابن قتيبة: ١١٨/١، وتفسير الطبري: ٣٣٩/٦، ومعاني القرآن للنحاس: ٥/٢، وتفسير القرطبي: ١/٥، والكشف والبيان: ٢٤١/٣، والبيان في القرآن: ١٤٦/١، والوسيط للواحي: ٣/٢، وتفسير البغوي: ١٨٥/٢، والكشاف: ٤٦١/١، وزاد المسير: ٣٦٦/١، ومساعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي: ٨٦/٢، والدر المنثور: ٤٢٣/٢، وغيرها.

(٢) انظر: زاد المسير: ٣٦/١.

(٣) انظر: زاد المسير: ٣٦/١.

(٤) انظر: زاد المسير: ٣٦/١.

(٥) انظر: زاد المسير: ٣٦/١.

(٦) انظر: زاد المسير: ٣٦/١.

(٧) انظر: معاني القرآن: ٧/٢.

(٨) انظر: تفسير السمرقندي: ٢٧٨/١.

(٩) انظر: زاد المسير: ٣٦/١.

(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٥٣/١.

(١١) التفسير الوسيط: ٨/٣.

(١٢) انظر: زاد المسير: ٣٦/١، ولم أجده في تفسيره النكت والعيون.

(١٣) انظر: المحرر الوجيز: ٣/٢..

(١٤) تفسير القرطبي: ١/٥..

(١٥) وهي قوله: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرًا هَلَكًا لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الشُّكْلَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [النساء : ١٧٦].

(١٦) انظر: تفسير الألوسي: ٣٨٩/٢، الهامش..

(١٧) ذكره مرعي بن يوسف المقدسي، انظر: قلاند المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ١٠٣٣هـ): ص ٨٢.

والثانية: قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ [النساء : ١٢٧]، نزلت بمكة في سؤال جابر بن عبد الله الأنصاري^(٢).

والراجح أنها مدنية، فقد روي عن عائشة أنها قالت: "ما نزلت سورة النساء إلا وأنا عنده"^(٣). تقصد عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال القرطبي: "تعني قد بنى بها، ولا خلاف بين العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما بنى بعائشة بالمدينة، ومن تبين أحكامها علم أنها مدنية لا شك فيها، وأما من قال: إن قوله: {يا أيها الناس}، مكي حيث وقع، فليس بصحيح، فإن البقرة مدنية وفيها قوله: {يا أيها الناس} في موضعين^(٤)، وقد تقدّم. والله أعلم"^(٥).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومن وجوه المناسبة بين هذه السورة وبين سورة "آل عمران" التي قبلها^(٦):
أولاً: أن سورة "آل عمران" اختتمت بالأمر بالتقوى في قوله- تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران : ٢٠٠]
وسورة "النساء" افتتحت بالأمر بالتقوى، قال- تعالى-: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [النساء : ١].

قال الألويسي: "وذلك من أكد وجوه المناسبات في ترتيب السور، وهو نوع من أنواع البديع يسمى في الشعر تشابه الأطراف، وقوم يسمونه بالتسبيغ"^(٧)، وذلك كقول ليلى الأخيلية^(٨):
إذا نزل الحجاج أرضاً مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هز القناة رواها
رواها فأرواها بشرب سجالتها دماء رجال حيث نال حشاها"^(٩).
ثانياً: ومن وجوه المناسبة كذلك: أن في "آل عمران" ذكر قصة "أحد" مستوفاة، وفي هذه السورة ذكر ذيلها، وهو قوله تعالى: {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً} [النساء : ٨٨]، فإنه نزل فيما يتعلق بتلك الغزوة على ما ستسمعه إن شاء الله تعالى مروياً عن البخاري ومسلم وغيرهما.

(١) انظر الخبر في: تفسير الطبري(٩٨٤٦):ص٤٩١/٨-٤٩٢، و تفسير ابن المنذر(١٩٢٠):ص٧٦٢/٢. [وسنده ضعيف جداً؛ فيه علتان. الأولى: الإعضال، والثانية ضعف سنيد الذي أخرجه الطبري من طريقه].

(٢) انظر: الخبر في: تفسير الطبري(١٠٥٥٢): ص٢٥٧/٩. [وسنده ضعيف، به علتان: الأولى: الإعضال. والثانية: ضعف أسباط]. وفي سبب نزول الآية أختلاف كما سيأتي بيانه في تفسير الآية إن شاء الله.

(٣) صحيح البخاري(٤٩٩٣):ص٤٠/٢، والحديث ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز»: ٣/٢، والسيوطي في «الدر المنثور»: ٢/٢٠٥، وعزاه للبخاري، وانظر: تفسير القرطبي:١/٥، وزاد المسير:١/٣٦٦، والجواهر الحسان، للتعالي:١٥٩/٢.

(٤) وهو قوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة : ٢١]، و{يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [البقرة : ١٦٨].

(٥) تفسير القرطبي:٥/٥، وانظر: تفسير العز بن عبد السلام:٣٠١/١.

(٦) انظر: روح المعاني:٢/٣٨٩، والتفسير الوسيط لطنطاوي:٨/٣.

(٧) وهو: "أن يختم الكلام بما يناسب ابتداءه في المعنى؛ نحو: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: ١٠٣]". انظر: عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي: ٢/٢٣٤.

وفي الشعر: "أن يجعل الشاعر قافية بيته الأول أول البيت الثاني، وقافية الثاني أول الثالث، وهكذا إلى انتهاء كلامه". انظر: نهاية الإرب في فنون الادب، النزيري:٧/١٨١.

(٨) انظر: الأغاني:١١/٢٤٨، والبحر المحيط:٦/١٤١، وتفسير القرطبي:٤/٨٠.

(٩) روح المعاني:٢/٣٨٩.

ثالثاً: ومنها: أن في "آل عمران" ذكر الغزوة التي بعد "أحد"، كما أشرنا إليه في قوله تعالى: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ} [آل عمران: ١٧٢] إلخ، وأشير إليها هاهنا بقوله سبحانه: {وَلَا تَهْتُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ} [النساء: ١٠٤] الآية.

رابعاً: ومنها: أن في كلتا السورتين حاجة لأهل الكتاب، وبيانا لأحوال المنافقين، وتفصيلاً لأحكام القتال^(١). وبذلك يظهر أن تأخير سورة "النساء" عن "آل عمران" أنسب من تقديمها عليها كما في مصحف ابن مسعود، لأن المذكور هنا ذيل لما ذكر هناك وتابع، فكان الأنسب فيه التأخير^(٢). قال الألوسي: "ومن أمعن نظره وجد كثيراً مما ذكر في هذه السورة مفصلاً لما ذكر فيما قبلها، فحينئذ يظهر مزيد الارتباط وغاية الاحتباك"^(٣).

مقاصد السورة:

سورة النساء تعتبر أطول سورة مدنية بعد سورة البقرة. وإنك لتقرؤها بتدبر وتفهم فتراها قد اشتملت على مقاصد عالية، وأداب سامية. وتوجيهات حكيمة، وتشريعات جلييلة، وفيما يأتي مجمل ما اشتملت عليه سورة النساء^(٤):

أولاً:- بيان خلقه آدم وحواء، والأمر بصلة الرحم، والنهي عن أكل مال اليتيم وما يترتب عليه من عظم الإثم والعذاب لأكليته، وبيان المناكحات، وعدد النساء وحكم الصداق، وحفظ المال من السفهاء، وتجربة اليتيم قبل دفع المال إليه، والرفق بالأقارب وقت قسمة الميراث، وحكم ميراث أصحاب الفروض وذكر ذوات المحارم وبيان طول الحرية، وجواز التزوج بالأمة واجتتاب الكبائر، وفضل الرجال على النساء، وبيان الحقوق، وحكم السكران وقت الصلاة. وآية التيمم.

ثانياً:- ذم اليهود وتحريفهم التوراة، ورد الأمانات إلى أهلها. في الآيات [١- ٥٨]، وصفة المنافقين في امتناعهم عن قبول أوامر القرآن. في الآيات: [٦٠- ٦٨].

ثالثاً:- الأمر بالقتال. في الآيات: [٧١- ٨٥].

رابعاً:- وجوب رد السلام والنهي عن موالاته المشركين، وتفصيل قتل العمدة والخطأ. في الآيات: [٨٦- ٩٣]. خامساً:- فضل الهجرة ووزر المتأخرين عنها، والإشارة إلى صلاة الخوف حال القتال. في الآيات: [٩٤- ١٠٣].

سادساً:- النهي عن حماية الخائنين، وإيقاع الصلح بين الأزواج والزوجات وإقامة الشهادات، ومدح العدل في الآيات: [١٠٤- ١٣٥].

سابعاً:- ذم المنافقين. وذم اليهود، وذكر قصدهم من قتل عيسى- عليه السلام- في الآيات: [١٣٦- ١٦١]. ثامناً:- فضل الراسخين في العلم وإظهار فساد اعتقاد النصارى وافتخار الملائكة والمسيح بمقام العبودية، وذكر ميراث الكلاله. في الآيات: [١٦٢- ١٧٦].

الناسخ والمنسوخ:

السورة تحتوي من المنسوخ على أربع وعشرين آية^(٥):

- الآية الأولى قوله تعالى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ} [النساء: ٧] إلى قوله: {مَفْرُوضًا} [النساء: ٧]، نزلت: في أم كحة الأنصارية وفي ابنتيها وفي ابني عمها وذلك أن بعلها مات وخلف مالا فأخذته أبنا أخيه ولم يعطيا البنات منه شيئاً وكان ذلك

(١) انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي: ٨/٣.

(٢) انظر: روح المعاني: ٣٨٩/٢.

(٣) روح المعاني: ٣٨٩/٢.

(٤) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١٧٠/١-١٧٧.

(٥) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٦٥-٧٨.

سنتهم في الجاهلية فجاءت أمهما تشتكي الى النبي (صلى الله عليه وسلم) وتشكو ضعف الأبتنين إليه فرق لها النبي -صلى الله عليه وسلم- ، فنزلت هذه الآية، ثم نسخت بقوله تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ} [النساء : ١١]، وبين معناها وحد القسم كما هو.

- الآية الثانية: قوله تعالى: {وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا} [النساء : ٨]، وقد اختلف المفسرون في معنى ذلك، فقالت طائفة: أمروا أن يجعلوا لليتامى والمساكين شيئا من المال يرضخون بذلك، وقال آخرون: أمروا أن يعطوا من المال لذوي القربى وأن يقولوا لليتامى والمساكين قولا معروفا وقالت طائفة بل نسخها الله تعالى بأية المواريث قوله تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ} [النساء : ١١] الآية.

- الآية الثالثة قوله تعالى: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ} [النساء : ٩] الآية، وذلك أن الله تعالى أمر الأوصياء بإمضاء الوصية على ما رسم الموصي ولا يغيروها ثم نسخ الله تعالى بالآية التي في سورة البقرة وهو قوله تعالى: {فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا} [البقرة : ١٨٢]، أي: علم من موص جورا أو إثما، {فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} [البقرة : ١٨٢]، أي: لا حرج على الموصي إليه أن يأمر الموصي بالعدل في ذلك فكانت هذه ناسخة لقوله تعالى: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ} [النساء : ٩].

- الآية الرابعة: قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا} [النساء : ١٠] الآية، لما نزلت هذه الآية عزلت الأنصار الأيتام فلم يخالطوهم في شيء من أموالهم فلحق الضرر بالأيتام فأنزل الله تعالى {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَاخْرَأْتُمْ} [البقرة : ٢٢٠] في الدين، في ركوب الدابة وشرب اللبن لأن اللبن إذا لم يحلب والدابة إذا لم تتركب لحق الضرر والأذى بصاحبها فرخص الله تعالى في ذلك لما فيه من الضرر ولم يرخص في أكل الأموال بالظلم فقال: {وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْعِفْ} [النساء : ٦] عن أكل مال اليتيم، {وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ} [النساء : ٦]، والمعروف ههنا القرض فإن أيسر رده فإن مات وليس بموسر فلا شيء عليه فصارت هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا} [النساء : ١٠] الآية.

- الآية الخامسة قوله تعالى: {وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ} [النساء : ١٥]، إلى قوله: {لَهُنَّ سَبِيلًا} [النساء : ١٥]، كان الرجل والمرأة في بدء الإسلام إذا زنيا حبسا في بيت فلا يخرجان منه حتى يموتا وهذه الآية نسخت بالسنة لا بالكتاب فكنى الله تعالى بذكر النساء عن ذكر النساء والرجال فخرج النبي -صلى الله عليه وسلم- يوما على أصحابه فقال: خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب الرجم، فصارت هذه السنة ناسخة لتلك الآية.

- الآية السادسة: قوله تعالى: {وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّهُمَا} [النساء : ١٦]، كان البكران إذا زنيا عيرا وشتما فجاءت الآية التي في سورة النور وهي قوله تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ} [النور : ٢]، فهذا منسوخ بالكتاب وعلى هذه الآية معارضة لقائل يقول كيف بدأ الله سبحانه وتعالى بالمرأة قبل الرجل في الزنا وبالرجل قبل المرأة في السرقة الجواب عن ذلك أن فعل الرجل في السرقة أقوى وحيلته فيها أغلب وفعل المرأة في الزنا أقوى وحيلتها فيه أسبق لأنها تحتوي على إثم الفعل وإثم المواطأة.

- الآية السابعة: قوله تعالى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ} [النساء : ١٧]، فقيل للنبي -صلى الله عليه وسلم- ما حد التائبين، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته"، ثم قال: "ألا وإن ذلك لكثير"، ثم قال: "من تاب قبل موته بنصف سنة

قبل الله تعالى توبته". ثم قال: "ألا وإن ذلك لكثير"، ثم قال: "من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته"، ثم قال: "ألا وإن ذلك لكثير"، ثم قال: "من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته"، ثم قال: "ألا وإن ذلك لكثير"، ثم قال: "من تاب قبل أن تغرغر نفسه قبل الله توبته"^(١)، ثم تلا قوله تعالى: {ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ} [النساء : ١٧]، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: كل ما كان قبل الموت فهو قريب". فكان خبره في هذه الآية عاما ثم احتجز التوبة في الآية التي بعدها على أهل المعصية فقال: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [النساء : ١٨]، فنسخت في أهل الشرك وبقيت محكمة في أهل الإيمان.

- الآية الثامنة: قوله تعالى: {وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} [النساء : ٢٢]، الناس فيه قائلان: فقالت طائفة هي محكمة، وقالت طائفة هي منسوخة، فمن جعلها محكمة قال: معناها لكن ما قد سلف فقد عفوت عنه ومن قال إنها منسوخة قال يكون معناها ولا ما قد سلف فانزلوا عنه وعلى هذا العمل.

- الآية التاسعة: قوله عز وجل: {وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ} [النساء : ٢٣]، ثم استثنى بقوله تعالى: {إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} [النساء : ٢٣].

- الآية العاشرة: قوله تعالى في متعة النساء: {فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً} [النساء : ٢٤]، وذلك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نزل منزلا في بعض أسفاره فشكوا فيه إليه العزبة قال: استمتعوا من هؤلاء النساء وكان مدة ذلك ثلاثة أيام لا قيل ولا بعد، فلما نزل خبير حرم فيه متعة النساء واكل لحوم الحمر الأهلية وأباح لنا أكل لحوم الخيل وقال -صلى الله عليه وسلم-: "أحللت لكم هذه المتعة ألا وإن الله ورسوله قد حرماها عليكم ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب"^(٢)، فنسخ هذه الآية ذكر ميراث الربع والثلث ولم يكن لها نصيب في ذلك وتحريمها في موضع جريان الربع والثلث قال الأمام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه موضع تحريمها عند قوله: {وَالَّذِينَ هُمْ يُفْرُوجُهُمْ حَافِظُونَ} (٥) {إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ} [المؤمنون : ٥-٦]، الى قوله: {فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} [المؤمنون : ٧]، ثلاث آيات قد أجمعوا أنها ليست زوجة ولا ملك يمين.

- الآية الحادية عشرة: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ} [النساء : ٢٩]، وذلك أن هذه الآية لما نزلت قالت الأنصار: إن الطعام من أفضل الأموال لأن به تقوم الهياكل فتخرجوا أن يؤاكلوا الأعمى والمريض والأعرج قالوا لأن الأعمى لا

(١) الحديث: "ما من إنسان يتوب إلى الله قبل أن يغرغر بنفسه في سوقه إلا قبل الله توبته". أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٩٨/٥)، رقم (٧٠٦٩).

(٢) روي عن علي بن أبي طالب -عليه السلام- قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خبير، وعن لحوم الحمر الأهلية». وهذا أثر صحيح؛ مروى في كتب السنة والشريعة.

رواه من علماء السنة كل من: مالك في «الموطأ» كتاب النكاح، باب نكاح المتعة. والبخاري (٤٢١٦ و ٥١١٥ و ٥٥٢٣ و ٦٩٦١) ومسلم (١٤٠٧) وأحمد (٧٩/١) والنسائي (١٢٦/٧، ٢٠١ - ٢٠٢) والحميدي في «مسنده» (٣٧) والترمذي (١١٢١) وسعيد بن منصور (٨٤٨) والبيهقي (٧/٢٠١ - ٢٠٢) وأبو يعلى (٥٧٦) والدارمي (٢/١٨٩/٢١٩٧) وابن حبان (١٠/٤٥٠/٤١٤٣) وابن شاهين في «ناسخ الحديث ومنسوخه» (٤٢٤) وغيرهم. من طرق؛ عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي، عن أبيهما، عن علي به.

ومن علماء الشيعة الذين رووه؛ الطوسي في «التهذيب» (٢/١٨٦) وصاحب كتاب «الاستبصار» (٣/١٤٢) والحر العاملي في «وسائل الشيعة» (١٤/٤٤١).

فبهذا تعلم أيها المسلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي حرّم المتعة، وليس عمر كما يدّعيه البعض. وتفصيل هذا وبيانه في مصنف مستقل عن هذا الموضوع يسر الله ذلك.

ينظر الى أطايب الطعام وأن الأعرج لا يتمكن في المجلس فيتنها بأكله والمريض لا يشبهنا في الأكل والبلع وامتنعوا عن مؤاكلتهم حتى انزل الله تعالى في سورة النور: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ} [النور : ٦١] الآية، ومعناها ليس على مؤكلة الأعمى حرج فالحرج مرفوع عنه وهو في المعنى عن غيره {وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ} [النور : ٦١]، أي: ولا على من أكل مع الأعرج حرج {وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ} [النور : ٦١]، فصارت هذه الآية ناسخة لما وقع لهم في تحريم الآية، وقوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ}، اللفظ للأعمى والمراد لغيره.

- الآية الثانية عشرة: قوله تعالى: {وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ} [النساء : ٣٣]، كان الرجل في الجاهلية وفي أول الإسلام يعاقد الآجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك فإن مت قبلك فلك من مالي كذا وكذا ما شاء أن يسميه فكانت هذه سنتهم في الجاهلية فإن مات ولم يسمه أخذ من ماله سدسه فأنزل الله تعالى {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ} [الأنفال : ٧٥]، فنسخت هذه الآية كل معاهدة ومعاقدة كانت بينهم.

- الآية الثالثة عشرة: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ} [النساء : ٤٣] الآية، وذلك أن الله تعالى حرمها عليهم في اوقات الصلاة وقد ذكر في البقرة ثم نسخ تحريمها في وقت دون وقت بقوله تعالى: {فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة : ٩٠]، وقال آخرون نسخها الله تعالى بقوله {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} [المائدة : ٩١].

- الآية الرابعة عشرة: قوله تعالى: {فَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ وَعَظَّمُوا} [النساء : ٦٣]، فهذا مقدم ومؤخر ومعناه فعظّم وأعرض عنهم كان هذا في بدء الإسلام ثم صار الوعظ والإعراض منسوخين بأية السيف.

- الآية الخامسة عشرة: قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} [النساء : ٦٤]، نسخ ذلك بقوله تعالى: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} [التوبة : ٨٠]، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لأزيدن على السبعين"^(١)، فأنزل الله عز وجل: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} [المنافقون : ٦] فصار هذا ناسخا لما قبله.

- الآية السادسة عشرة: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا} [النساء : ٧١]، الآية والثبات العصب المنفردون فصارت الآية التي في سورة التوبة ناسخة لها وهي قوله تعالى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً} [التوبة : ١٢٢] الآية.

- الآية السابعة عشرة: قوله تعالى: {مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء : ٨٠] هذا محكم. {وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} [النساء : ٨٠] نسخ بأية السيف.

- الآية الثامنة عشرة: قوله تعالى: {فَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ} [النساء : ٨١] هذا منسوخ. {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} [النساء : ٨١] هذا محكم، نسخ {فَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ} بأية السيف.

- الآية التاسعة عشرة: قوله تعالى: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ} [النساء : ٨٤]، نسخ بأية السيف.

- الآية العشرون: قوله تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ} [النساء : ٩٠]، إلى قوله {سَبِيلًا} [النساء : ٩٠] نسخ بأية السيف.

- الآية الحادية والعشرون: قوله تعالى: {سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ} [النساء : ٩١] الآية نسخ أيضا بأية السيف.

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٩/ ٤٠٦ - ٤٠٧.

- الآية الثانية والعشرون: قوله تعالى: {فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ} [النساء : ٩٢] الى آخر الآية نسخ بقوله تعالى: {بِرَاءةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [التوبة : ١] الآية.
- الآية الثالثة والعشرون: قوله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا} [النساء : ٩٣] الآية، وذلك أن مقيس ابن أبي صبابه التيمي قتل قاتل أخيه بعد أخذ الدية ثم ارتد كافرا فلحق بمكة فانزل الله تعالى فيه هذه الآية، وأجمع المفسرون من الصحابة والتابعين على نسخ هذه الآية إلا عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر فإنهما قالوا إنها محكمة، قال الشيخ هبة الله والدليل على ذلك تكاثف الوعيد فيها وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه-: أنه ناظر ابن عباس فقال من اين لك انها محكمة، قال ابن عباس: لتكاثف الوعيد فيها فكان ابن عباس مقيما على إحكامها، وقال أمير المؤمنين علي -كرم الله وجهه-: نسخها الله تعالى بآيتين، آية قبلها وآية بعدها في النظم وهو قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء : ٤٨]، الى قوله {ثُمَّ عَظِيمًا} [النساء : ٤٨]، وبآية بعدها في النظم وهو قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء : ١١٦]، الى قوله: {ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء : ١١٦]، وقال المفسرون نسخها الله تعالى بقوله: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} [الفرقان : ٦٨]، الى قوله: {وَيُخَلَّدُ فِيهِ مَهَانًا} [الفرقان : ٦٩]، ثم استثنى بقوله: {إِلَّا مَنْ تَابَ} [الفرقان : ٧٠].
- الآية الرابعة والعشرون: قوله تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} [النساء : ١٤٥]، ثم استثنى فقال: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ} [النساء : ١٤٦] الآية.

فضائل السورة

ورد في فضل هذه السورة مجموعة من الاخبار: أحدها:- أن سورة "النساء" هي من السبع الطوال التي ورد في فضلها أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم عظيمة؛ فعن عائشة رضي الله عنها، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "من أخذ السبع الأول من القرآن، فهو حَبْرٌ"^(١).

وعن عبدالله بن مسعود-رضي الله عنه-: "من قرأ آل عمران فهو الغني، والنساء محبرة"^(٢). والثاني:- وقد ورد حديث في فضل آية من هذه السورة في قوله تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} [النساء : ٤١].

عن عبد الله بن مسعود قال: "قال لي -صلى الله عليه وسلم-: «اقرأ علي»، قلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: "نعم، إني أحب أن أسمعه من غيري" فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} قال: «حسبك الآن»، فإذا عيناه تدرقان"^(٣).

والثالث:- عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، قال : " في خمس آيات من سورة النساء: لهنَّ أحب إليَّ من الدنيا جميعاً: {إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} وقوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يضاعفها} [سورة النساء: ٤٠]، وقوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [سورة النساء: ٤٨، ١١٦]، وقوله: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا

(١) أخرجه أحمد (٢٤٥٧٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٧٩).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه (٣٣٩٥) ص: ٥٤٤/٢، وابو عبيد في فضائله: ١٢٧، والبيهقي في الشعب: (٢٦١٥) ص: ٥٢٩/٢، وأورده السيوطي في الدر: ١٤٠/٢، وعزاه للدارمي ومحمد بن نصر والبيهقي في الشعب. [والحديث فيه إسرائيل بن يونس روي عن شيوخه أبي إسحاق السبيعي وقد اختلط بأخيه كما قال الحافظ في "التقريب": ٤٢٣.

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٠٥٠) وصحيح مسلم برقم (٨٠٠)، وسنن أبي داود برقم (٣٦٦٨) وسنن النسائي الكبرى برقم (٨٠٧٨) والشامئ للترمذي برقم (٣٠٦).

{رَحِيمًا} [سورة النساء: ١١٠]، وقوله: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [سورة النساء: ١٥٢]"^(١).

والرابع:- عن ابن عباس قال: "ثمان آيات نزلت في سورة النساء، هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت، أولاهن: {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [سورة النساء: ٢٦]، والثانية: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا} [سورة النساء: ٢٧]، والثالثة: {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} [سورة النساء: ٢٨]، ثم ذكر مثل قول ابن مسعود سواء، وزاد فيه: ثم أقبل يفسرها في آخر الآية: وكان الله للذين عملوا الذنوب غفوراً رحيمًا"^(٢).

(١) أخرجه الطبري(٩٢٣٣)ص:٣٥٦/٨-٣٥٧، والحاكم في المستدرک (٣٠٥/٢)، وقال: "هذا إسناد صحيح إن كان عبد الرحمن سمع من أبيه ، فقد اختلف في ذلك".

(٢) أخرجه الطبري(٩٢٣٤)ص:٢٥٧/٨.

سورة «المائدة»

سورة «المائدة»: هي السورة الخامسة من سور القرآن الكريم في ترتيب المصحف، فقد سبقتها سور: الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والنساء. وعدد آياتها عشرون ومائة آية عند الكوفيين، ويرى الحجازيون والشاميون أن عدد آياتها اثنتان وعشرون ومائة آية، ويرى البصريون أن عدد آياتها ثلاث وعشرون ومائة آية^(١).
اختلافها ثلاث آيات:

- {بِالْعُقُودِ} [المائدة: ١]، {وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [المائدة: ١٥]- تركهما كوفي.
 - {فَأَتَّكُمُ غَالِبُونَ} [المائدة: ٢٣]، عدها بصري.
- أسماء السورة:

ولهذه السورة الكريمة أسماء أشهرها:

١-المائدة

وهو الاسم التوقيفي لهذه السورة، وسميت بهذا الاسم، لأنها انفردت بذكر قصة المائدة التي طلب الحواريون من عيسى- عليه السلام- نزولها من السماء، وقد حكى الله- تعالى- ذلك في آخر السورة في قوله- تعالى-: {إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ} [الآيات من ١١٢: ١١٥].

قال المهامي: "سميت بها، لأن قصتها أعجب ما ذكر فيها، لاشتمالها على آيات كثيرة ولطف عظيم على من آمن، وعنف شديد على من كفر"^(٢).

وقد سميت هذه السورة «سورة المائدة» في كتب التفسير، وكتب الستة، وهي أشهر أسمائها، ووقعت تسميتها في كلام الصحابة كعبدالله بن عمر، وعائشة أم المؤمنين، وابن عباس، وأسماء بنت يزيد، وغيرهم، كما ورد في كتب السنة، منها:

أ- ما رواه بن نفيير، قال: "حججت فدخلت على عائشة، فقالت لي: يا جبير تقرأ المائدة؟ فقلت: نعم، قالت: أما إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه"^(٣).

ب- وقد جاء عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها، قالت: "إني لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة"^(٤).

ت- كما جاء من حديث عبد الله بن عمرو، قال: "أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المائدة وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها"^(٥).

ث- وعن ابن عباس- رضي الله عنه-: "أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قرأ في خطبته سورة المائدة والتوبة"^(٦).

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للدمياطي ص: ٣٥١.

(٢) تفسير المهامي: ١/١٧٧.

(٣) مستدرک الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ٣١١/٢، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

ورواه الإمام أحمد، ٥٤/٦، برقم ٢٦٠٦٣، وزاد: "وسألته عن خلق رسول الله ﷺ؟ فقالت: القرآن".

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٧٦١٦)، وقال عنه الأرئوط: "حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم وشهر بن حوشب"، وكذلك أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣/٧).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦٦٤٣)، وقال عنه شعيب الأرئوط: "حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف لضعف ابن لهيعة وحيي بن عبدالله"، وصححه الألباني في صحيح السيرة ص: ١٠٧.

(٦) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور: ٣/٣.

٢- سورة العقود

وتسمى أيضا بسورة «العقود»، لأنها السورة الوحيدة التي افتتحت بطلب الإيفاء بالعقود، قال- تعالى-
:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].
ذكر هذه التسمية بعض المفسرين كأبي حيان^(١)، والآلوسي^(٢)، والسخاوي^(٣)، والسيوطي^(٤)،
والبقاعي^(٥).

٣- سورة المنقذة

وتسمى- أيضا- «المنقذة»، ووجه تسميته بذلك أنها تنقذ صاحبها من ملائكة العذاب، واستندوا في
تسميتها بسورة «المنقذة» على حديث ذكره ابن عطية^(٦)، والقرطبي^(٧)، في تفسيرهما، وهو ما روي عن
النبي- صلى الله عليه وسلم-، أنه قال: «سورة المائدة تدعى في ملكوت الله المنقذة. تنقذ صاحبها من أيدي
ملائكة العذاب»^(٨).

وقد ذكر هذا الاسم بعض المفسرين في كتبهم، كابن عطية^(٩)، وأبي حيان^(١٠)، والآلوسي^(١١)، كما
ذكره السيوطي في الإتيقان^(١٢).

٤- سورة الأحبار

ورد تسميتها بسورة «الأحبار»، لاشتغالها على ذكرهم في قوله: {وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ} [المائدة:
٤٤]، وقوله تعالى: {لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ} [المائدة: ٦٣]^(١٣).
والأحبار هم العلماء، قال جرير^(١٤):

إن البعيث وعبد آل مقاعس لا يقرآن بسورة الأحبار
أي: لا يفيان بالعهود، يعني بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} [المائدة: ١]^(١٥).

٥- تسميات أخرى

وقد وردت تسميات أخرى أقل شهرة، منها:

أولاً:- سورة الأخيار

قال ابن عاشور: "وفي كتاب «كنايات الأدياء» لأحمد الجرجاني^(١): «يقال: فلان لا يقرأ سورة
الأخيار، أي لا يفى بالعهود، وذلك أن الصحابة- رضي الله عنهم- كانوا يسمون سورة المائدة سورة
الأخيار»^(٢).

(١) انظر: البحر المحيط: ١٥٦/٤ .

(٢) انظر: روح المعاني: ٤٧/٥ .

(٣) انظر: جمال القراء وكمال الإقراء: ٣٦/١ .

(٤) انظر: الإتيقان: ١٧٢/١ .

(٥) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٣٢٥/٢ .

(٦) انظر: المحرر الوجيز: ١٤٣/٢ .

(٧) انظر: تفسير القرطبي: ٣٠/٦ .

(٨) لم أقف على تخريجه، قال محقق تفسير القرطبي ٣٠/٦: "لم أجده، والظاهر أنه من رواية النقاش، وهو موضوع بكل حال".

(٩) انظر: المحرر الوجيز: ٣١٢/٤ .

(١٠) انظر: البحر المحيط: ١٥٦/٤ .

(١١) انظر: روح المعاني: ٤٧/٥ .

(١٢) انظر: الإتيقان في علوم القرآن: ١٧٢/١ .

(١٣) انظر: بصائر ذوي التمييز: ١٧٦/١ .

(١٤) ديوانه: ٣٩٠، شرح: د. يوسف عبد، يعني بـ"عبد آل مقاعس": الفرزدق.

(١٥) انظر: النهاية: ٣٢٨/١ .

ثانيا:سورة المبعثرة

ورد هذه التسمية عند أبي حيان، ولم يعلل سبب تسميتها بـ«المبعثرة»، ودون ذكر سنده في ذلك^(٣).
ثالثا:سورة المائة وعشرون آية

جاءت تسميتها بذلك في مصحفين، احدها نسخت سنة(١٢٥٨هـ)^(٤)، والآخر في القرن الثالث عشر الهجري^(٥)، ولم أقف على هذا الاسم عند السادة المفسرين، كما انه من الغريب تسمية السورة بعدد آياتها- والله أعلم-

نستنتج مما سبق بأن اسم السورة التوفيقي، هو: سورة«المائدة»، وأما الأسماء الاخرى، فجميعها من إجتهاد العلماء ولم يرد فيها حديث من النبي-صلى الله عليه وسلم-، أو اثر من صحابته-رضوان الله تعالى عليهم-

مكان نزول السورة:

في مكان نزول السورة أقوال:

القول الاول: أنها مدنية. وهذا قول ابن عباس^(٦)، والضحاك^(٧)، وقتادة^(٨)، وجمهور العلماء^(٩)، وذلك بناء على سببين:

أحدهما: القول الذي رجحه العلماء من أن القرآن المدني هو الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ولو كان نزوله في غير المدينة.

قال ابن عطية:" هذه السورة مدنية بإجماع... ومن هذه السورة ما نزل في حجة الوداع، ومنها ما نزل عام الفتح، وهو قوله تعالى: {ولا يجرمنكم شنآن قوم} [المائدة: ٢] الآية، وكل ما نزل من القرآن بعد هجرة النبي -صلى الله عليه وسلم- فهو مدني سواء ما نزل بالمدينة أو في سفر من الأسفار أو بمكة، وإنما يرسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة"^(١٠).

قال القرطبي:" وهي مدنية بإجماع... وكل ما أنزل من القرآن بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فهو مدني، سواء نزل بالمدينة أو في سفر من الأسفار. وإنما يرسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة"^(١١).
والثاني: أن السورة بدأت بقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } [المائدة: ١]، وهذه الخصلة لا تكون غلا في السور المدنية.

قال ابن العربي:" قال علماؤنا: قال علقمة: إذا سمعت: {يا أيها الذين آمنوا} [المائدة: ١] فهي مدنية، وإذا سمعت: {يا أيها الناس} [النساء: ١] فهي مكبية؛ وهذا ربما خرج على الأكثر"^(١٢).
وقد أورد الإمام السيوطي كثيرا من الأحاديث والآثار تدل صريحا على أنها آخر ما نزل من القرآن^(١٣).

(١) انظر: كنايات الأدباء، أحمد الجرجاني: ١٢١.

(٢) التحرير والتنوير: ٦٩/٦.

(٣) انظر: البحر المحيط: ١٥٦/٤.

(٤) والمصحف بجامعة الإمام بالرياض برقم(١٨٤٢).

(٥) والمصحف بجامعة الإمام برقم(٦٧١).

(٦) انظر: زاد المسير: ٥٠٥/١.

(٧) انظر: زاد المسير: ٥٠٥/١.

(٨) انظر: تفسير الطبري(١١١٠):ص٥٣١/٩.

(٩) انظر: المحرر الوجيز: ١٤٣/٢، وتفسير القرطبي: ٣٠/٦، وغيرها.

(١٠) المحرر الوجيز: ١٤٣/٢.

(١١) تفسير القرطبي: ٣٠/٦.

(١٢) أحكام القرآن: ٣/٢.

(١٣) انظر: الدر المنثور: ٤/٣..

والقول الثاني: أنها مدنية كلها إلا قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} [الآية: ٣]، فإنها نزلت بـ«عرفات». وهذا قول مقاتل بن حيان^(١)، وشهاب الخفاجي^(٢).

قال أبو سليمان الدمشقي: "فيها من المكي: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} [الآية: ٣]"^(٣). قال ابن الجوزي: "والصحيح أن قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}، نزلت بعرفة يوم عرفة، فلهذا نسبت إلى «مكة»"^(٤).

واعترض القاسمي على القول الثاني، من خلال نظرين^(٥):

الأول:- إن هذا بناء على أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة. والمدني ما نزل بالمدينة، وهو اصطلاح لبعض السلف. ولكن الأشهر كما في "الإتقان" أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها، سواء نزل بمكة أم بالمدينة، عام الفتح أو عام حجة الوداع، أم يسفر من الأسفار^(٦).

الثاني:- بقي عليه، لو مشي على ذلك الاصطلاح، آيات آخر.

القول الثالث: أنها مدنية كلها إلا قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} [الآية: ٣]، وهذا قول أبي سليمان الدمشقي^(٧).

قال السدي: "عن السدي قوله: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}، هذا نزل يوم عرفة، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام. ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات"^(٨).

القول الرابع: أنها نزلت عند منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية.

ذكر النقاش عن أبي سلمة أنه قال: "لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية قال: «يا علي أشعرت أنه نزلت علي سورة المائدة ونعمت الفائدة»"^(٩).

قال ابن عطية: "وهذا عندي لا يشبه كلام النبي -صلى الله عليه وسلم-"^(١٠).

قال ابن العربي: "هذا حديث موضوع، لا يحل لمسلم اعتقاده، أما أنا نقول: سورة المائدة نعمت الفائدة فلا تؤثره عن أحد، ولكنه كلام حسن"^(١١).

القول الخامس: أنها نزلت في حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة. وهذا قول محمد القرظي^(١٢).

وأخرج الطبري عن الربيع بن أنس قال: "نزلت «سورة المائدة» على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسير في حجة الوداع، وهو راكب راحلته، فبركت به راحلته من ثقلها"^(١٣).

والراجح- والله أعلم- انهما مدنية، وهذا قول الجمهور، باعتبار أن السور المدنية هي ما نزلت بعد الهجرة، وهذه السورة نزلت بعد سورة «الفتح»، وكان نزول سورة «الفتح» بعد صلح «الحديبية» في السنة السادسة من الهجرة، فيكون نزول سورة «المائدة» فيما بين صلح «الحديبية» وغزوة «تبوك».

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٤٧/١.

(٢) انظر: محاسن التأويل: ٣/٤.

(٣) زاد المسير: ٥٠٥/١.

(٤) زاد المسير: ٥٠٥/١.

(٥) انظر: محاسن التأويل: ٣/٤.

(٦) انظر: الإتقان: ٧٣/١.

(٧) انظر: زاد المسير: ٥٠٥/١.

(٨) أخرجه الطبري (١١٠٨٠): ص ٥١٨/٩.

(٩) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ١٤٣/٢، والقرطبي في تفسيره: ٣٠/٦، وأبو حفص سراج الدين، في اللباب في علوم الكتاب: ١٦٠/٧.

(١٠) المحرر الوجيز: ١٤٣/٢.

(١١) أحكام القرآن: ٣/٢.

(١٢) انظر: الدر المنثور: ٤-٣/٣.

(١٣) تفسير الطبري (١١١١٢): ص ٥٣١/٩.

والظاهر أن سورة المائدة لم تنزل دفعة واحدة في وقت معين أو في زمان معين، وإنما نزل بعضها في السنوات التي سبقت صلح الحديبية، ونزل معظمها بعد هذا الوقت، وأن الروايات التي تقول بنزولها دفعة واحدة أو في وقت معين وزمان معين من الممكن أن تحمل على أن المراد بها مجموع السورة لا جميعها^(١). والله أعلم.

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومن وجوه المناسبة بين هذه السورة وبين سورة "آل عمران" التي قبلها^(٢):

أولاً:- لما كانت سورة «النساء» مشتملة على عدة عقود، بدأت سورة المائدة بالأمر بالوفاء بالعقود.

ثانياً:- اتحدت سورة النساء والمائدة في تقرير الفروع الحكيمة.

ثالثاً:- مهدت سورة النساء لتحريم الخمر، وحرمتها سورة المائدة البيتة.

رابعاً:- بدأت سورة النساء ببدء الخلق، وختمت سورة المائدة بالانتهاء من البعث والجزاء.

أغراض السورة ومقاصدها:

وفيما يأتي مجمل ما اشتملت عليه سورة النساء:

أولاً:- تعد سورة المائدة أجمع سورة في القرآن لفروع الشرائع من التحليل والتحرير، والأمر والنهي حيث تضمنت بيان تمام الشرائع، ومكملات الدين، والوفاء بعهود الرسل، وما أخذ على الأمة، وبها تم الدين، فهي سورة التكميل؛ لأن فيها تحريم الصيد على المحرم الذي هو من تمام الإحرام، وتحريم الخمر الذي هو من تمام حفظ العقل والدين، وعقوبة المعتدين من السُّراق والمحاربين الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال، وإحلال الطيبات الذي هو من تمام عبادة الله تعالى، ولهذا ذُكر فيها ما يختص بشريعة محمد ﷺ؛ كالوضوء والتيمم، والحكم بالقرآن على كل دين، ولهذا كثر فيها لفظ الإكمال والإتمام، وذكر فيها أن من ارتد عوض الله بخير منه، ولا يزال هذا الدين كاملاً.

الثاني:- تطرقت السورة أيضاً إلى جوانب العقيدة وقصص أهل الكتاب، وتناولت أحكام العقود، والذبايح، والصيد، والإحرام، ونكاح الكتابيات، والردة، وأحكام الطهارة، وحد السرقة، والبغي، والإفساد في الأرض، وتحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، وكفارة اليمين، وحكم من ترك تحكيم شريعة الله تعالى، والوصية عند الموت، وغير ذلك من الأحكام والتشريعات.

والثالث:- تضمنت السورة قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل في دخول بيت المقدس وردهم القبيح ومفارقة موسى عليه السلام لهم، وفيها أيضاً قصة ابني آدم «قابيل وهابيل»، وهي تعرض نموذجين من نماذج البشر: نموذج النفس الشريرة الأثيمة، ونموذج النفس الخيرة الكريمة.

وتطرقت السورة لقصة المائدة التي كانت من معجزات عيسى عليه السلام.

والرابع:- ختمت السورة بالموقف الرهيب يوم الحشر حيث يُدعى المسيح عيسى عليه السلام رؤوس الشهداء، ويسأله ربه تبيكيتاً للنصارى الذين عبده من دون الله تعالى، ويا له من موقف مخزٍ لأعداء الله تشيب لهوله الرؤوس، وتتفطر من فزعه النفوس!

الناسخ والمنسوخ:

السورة تحتوي من المنسوخ على تسع آيات:

- الآية الأولى: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ [المائدة : ٢] هذا محكم، {وَلَا آمِنَ النَّبِيَّاتِ الْحَرَامِ} [المائدة : ٢] الى قوله: {وَرَضَوْنَا} [المائدة : ٢] منسوخ، وباقي الآية محكم نسخ المنسوخ منها بأية السيف وذلك أن الخطيم واسمه شريح بن ضبيعة بن شرحبيل البكري أتى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال: يا محمد اعرض علي أمرك فعرض عليه

(١) انظر: التفسير الوسيط، للطنطاوي: ١٠/٤.

(٢) انظر: روح المعاني: ٢٢٢/٣.

الدين فقال أرجع الى قومي فأعرض عليهم ما قلته فإن أجابوني كنت معهم وأن أبوا علي كنت معهم فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: " لقد دخل علي بوجه كافر وخرج بعقبى غادر"^(١)، فمر بسرح لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاستاقه وخرج المسلمون في إثره فأعجزهم فلما كانت عمرة القضاة وهو العام السابع سمع المسلمون تلبية المشركين وكانت كل طائفة من العرب تلبى على حدتها فسمعوا بكر بن وائل تلبى ومعهم الخطيم فقالوا يا رسول الله لا يذهب أو تغير عليه فأنزل الله عز وجل: {وَلَا آمِنَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَتَّبِعُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ} [المائدة : ٢]، يعني: الفضل في التجارة {وَرِضْوَانًا} [المائدة : ٢]، وهو لا يرضى عنهم فصار ذلك منسوخاً بآية السيف.

- الآية الثانية قوله تعالى: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ} [المائدة : ١٣]، نزلت في اليهود ثم نسخ العفو والصفح بقوله تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [التوبة : ٢٩] الى قوله: {وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة : ٢٩].
- الآية الثالثة: قوله تعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [المائدة : ٣٣] الآية، نسخها الله تعالى بالاستثناء وهو قوله تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ} [المائدة : ٣٤] الآية.
- الآية الرابعة: قوله تعالى: {فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ} [المائدة : ٤٢]، اختلف المفسرون على وجهين فقال الحسن البصري والنخعي وهي محكمة خير بين الحكم والإعراض وقال مجاهد وسعيد تنسخها الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: {وَأَنْ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} [المائدة : ٤٩].
- الآية الخامسة: قوله تعالى: {مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ} [المائدة : ٩٩] نسخ ذلك بآية السيف وباقيها محكم.

- الآية السادسة: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ} [المائدة : ١٠٥]، الى -ههنا-: منسوخ وباقيها محكم.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: " فلم نجد في القرآن كله آية واحدة جمعت الناسخ والمنسوخ غيرها وهو قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}"^(٢).

قال الشيخ هبة الله: " ليس كما قال بل في كتاب الله هذه الآية وغيرها وقد روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قرأ هذه الآية وقال: "يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها فو الذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليعمكم الله بعقابه أو لتدعن فلا يجاب لكم". والناسخ منها قوله تعالى: {إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} [المائدة : ١٠٥] ، والهدى -ها هنا-: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"^(٣).

- الآية السابعة: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ} [المائدة : ١٠٦] الى قوله: {ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ} [المائدة : ١٠٦] هذا محكم. والمنسوخ قوله تعالى: {أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ} [المائدة : ١٠٦]، كان في أول الإسلام تقبل شهادة اليهودي والنصراني في السفر ولا تقبل في الحضر وذلك أن تميمة الداري وعدي بن بداء النصرانيين أرادا أن يركبا البحر فقال لهما قوم من أهل مكة أن نخرج معكما مولى لنا نعطيه بضاعة وهم آل العاص فأبضعه بضاعة وأخرجوه معهما فشرها الى ما معه فأخذاه وقتلاه فلما رجعا اليهم قالوا ما فعل مولانا قالوا مات قالوا فما كان من ماله قالوا ذهب فخاصموهما إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله هذه الآية: {أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ} [المائدة : ١٠٦]، إلى آخر الآية، ثم صار ذلك منسوخاً بقوله: {وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ} [الطلاق : ٢]، فصارت شهادة الذميين منسوخة في السفر والحضر.

(١) أخرجه الطبري(١٠٩٥٨):ص٤٧٢/٩.

(٢) انظر:الناسخ والمنسوخ: ٢٨٦ .

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٨٢ .

- الآية الثامنة: قوله عز وجل: {فَإِنْ عُرِّ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا} [المائدة : ١٠٧]، أي: علم واطلع على أنهما استحقا إثما يعني، الشاهدين الأولين، {فَأَخْرَانِ يَوْمَآنِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولِيَانِ} [المائدة : ١٠٧]، وذلك أن عدي بن بداء وتميم بن أوس الداريين عمدا إلى مولى آل العاص فقتلاه واخذا ماله ثم شهد لهم شاهدان، وظهر لهم بعد ذلك قعب وجد بمكة يباع في سوق الليل فقبضوا على المنادي فقالوا له من أين لك هذا فقال دفعه الي تميم الداري وعدي بن بداء فرفعوا ذلك إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، فنزلت هذه الآية وأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يشهد على الشاهدين الأولين شاهدان آخران فتبطل به شهادة الأولين فهذا في غير شهادة الاسلام ثم نسخ ذلك بالآية التي في سورة النساء الصغرى من قوله تعالى: {وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنْكُمْ} [الطلاق : ٢]، فبطلت شهادة الذميين في الحضر والسفر.
- الآية التاسعة: قوله تعالى: {ذَلِكَ أَذَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَهَا} [المائدة : ١٠٨] ، أي: على حقيقتها، {أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ} [المائدة : ١٠٨]، الى -ها هنا- منسوخ، والباقي محكم نسخ المنسوخ منها بقوله تعالى: {وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنْكُمْ} [الطلاق : ٢] ^(١).
- فضائل السورة:**

ورد في فضل هذه السورة مجموعة من الأخبار:

أحدها:- ورد في فضلها حديث أسماء بنت يزيد -رضي الله عنها-، قالت: "إني لأخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة" ^(٢).

والثاني:- تعدّ سورة المائدة من طوال سور القرآن، ومن أجلها منزلة وأعلها مكانة، وكغيرها من السور المدنية تناولت القضايا التشريعية، كما هو شأن سورة البقرة، والنساء، والأطفال، إلى جانب احتضانها موضوع العقيدة، وقصص أهل الكتاب.

والثالث:- أنها آخر سورة نزلت من القرآن الكريم.

قال الرازي: "أكثر الأمة على أن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن، وليس فيها منسوخ" ^(٣).

قال أبو ميسرة: "المائدة من آخر ما نزل من القرآن، ليس فيها منسوخ وفيها ثمان عشرة فريضة" ^(٤).

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٧٩-٨٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٧٦١٦)، وقال عنه الأرئوط : "حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم وشهر بن حوشب"، والطبري (١١١٠٧): ٥٢٩/٩، والطبراني (٤٤٩): ص٢٤/١٢٨، والبيهقي في الشعب (٢٤٣٠): ص٢٦٩/٢، وكذلك أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣|٧)، وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور: ٣/٣، إلى عبد بن حميد، ومحمد بن نصر في الصلاة، وابي نعيم في الحلية.

والحديث إسناده فيه ليث بن أبي سليم، قال الحافظ عنه: "صدوق اختلط جدا ولم يتميز حديثه فترك، وقال أحمد: مضطرب الحديث ولكن حدث عنه الناس". انظر: الميزان: ٤/٣٤٠. وقال بحى بن معين: "ليس حديثه بذاك ضعيف، وقال أبو زرعة: ليث لا يشتغل به، وهو مضطرب الحديث". انظر: الجرح والتعديل: ١٧٧/٧.

وفيه أيضا شهر بن حوشب: صديق كثير الإرسال والاهام، كما قال الحافظ في التريب: ٢٦٩، وقال ابن معين: ثقة، وقال النسائي وابن عدي: ليس بالقوي، وقال البخاري: شهر حسن الحديث، وقوي أمره. انظر: الميزان: ٤/٤٧٤، وقال أبو حاتم: لا يحتج بحديثه، وقال أبو زرعة: لا بأس به. انظر: الجرح والتعديل: ٣٨٢/٤.

والحديث له شواهد منها: ما أخرجه البيهقي في الدلائل عن أم عمرو بنت عيس عن عمته، باب (ذكر السور التي نزلت بمكة والتي نزلت بالمدينة): ص١٤٥/٧، وما أخرجه أبو عبيد في فضائله، باب (المائدة والأنعام): ص١٢٨، عن محمد بن كعب القرظي مرسلا، والطبري في تفسيره (١١١٠٦): ص٥٢٨/٩، عن الربيع بن انس، وبجموع هذه الشواهد يقوي الحديث ويرفعه إلى درجة الحسن لغيره.

(٣) مفاتيح الغيب: ٤٥٢/١٢.

(٤) الجامع أحكام القرآن: ٣٠/٦.

وكذلك يقول ابن تيمية: " سورة المائدة أجمع سورة في القرآن لفروع الشرائع من التحليل والتحريم والأمر والنهي؛ ولهذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هِيَ آخِرُ الْقُرْآنِ نَزُولًا فَأَحْلُوا حَلَالَهَا وَحَرَّمُوا حَرَامَهَا»، وهذا افتتحت بقوله: {أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}، والعقود هي العهود وذكر فيها من التحليل والتحريم والإيجاب ما لم يذكر في غيرها"^(١).

سورة «الأنعام»

سورة «الأنعام»: هي السورة السادسة من سور القرآن الكريم في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة: «الحجر»، وقبل سورة: «الصفات»^(١)، وعدد آياتها: (١٦٥) خمسة وستون ومائة آية عند القراء الكوفيين، ويرى البصريون والشاميون أن عدد آياتها: (١٦٦) ستة وستون ومائة آية، وعند الحجازيين، عدد آياتها: (١٦٧) سبعة وستون ومائة آية^(٢)، وعدد كلماتها: (٣٠٥٢) ثلاثة آلاف واثنان وخمسون كلمة، عدد حروفها: (١٢٢٤٠) اثنا عشر ألفاً ومائتا وأربعون حرفاً^(٣).

أسماء السورة:

ولهذه السورة أسماء أشهرها:

أولاً:- اسمها التوقيفي: سورة «الأنعام»

النعم: واحد الانعام، وهي المال الراعية، أو المال السائم، وقيل: النعم: الإبل، والشاء، يذكر ويؤنث، والجمع أتعام، وقيل: الإبل خاصة، والأنعام: الإبل والبقر والغنم، وأكثر ما يقع الاسم على الإبل^(٤)، وقيل: لا يقال لها أتعام، حتى يكون في جملتها الإبل^(٥).

وهذا الاسم هو توقيفي من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، كما دلت عليه الأحاديث الواردة فيه، وكما وردت في كلام بعض الصحابة-رضوان الله عليهم-^(٦).

وتسمى هذه السورة بسورة «الأنعام»، لوجهين:

أحدهما: لما ورد فيها من ذكر الأنعام مكرراً^(٧)، ومفصلاً لأحوالها^(٨)^(٩)، إذ لم يرد في غيرها من السور، فقد ورد ذكر «الأنعام» في مواضع^(١٠) عدة من القرآن ولكن دون تفصيل، أما سورة الأنعام فقد تكرر فيها لفظ «الأنعام» ست مرات، وجاءت بحديث طويل عنها، استغرق خمس عشرة آية، من أول الآية (١٣٦) من قوله تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا} [الأنعام : ١٣٦]، إلى آية (١٥٠) وهي قوله: {قُلْ هَلْمْ شُهَدَاءُكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا...} [الأنعام : ١٥٠].

كما أن التفصيل الوارد في ذكر «الأنعام» قوله تعالى: {وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَكِنَّ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [الأنعام : ١٤٢]، لم يرد في غيرها^(١١).

والثاني: لأن أكثر أحكامها الموضحة لجهالات المشركين تقربا بها إلى أصنامهم مذكورة فيها. قال المهامي: "سميت بها؛ لأن أكثر أحكامها وجهالات المشركين فيها، وفي التقرب بها إلى أصنامهم مذكورة فيها، وقد اشتملت على أكثر جهالاتهم ويتم ظهورها بها"^(١٢).

ثانياً: سورة «الحجة»

(١) انظر: الكشاف: ٣/٢.

(٢) انظر: الإتقان للسيوطي: ١٢٤٥/٢، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ٢٦٠.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز: ١٨٧/١.

(٤) انظر: الصحاح، مادة "ن ع م": ص ٢٠٤٣/٥، واللسان، مادة "ن ع م": ص ٥٨٥/١٢، والقاموس: ١٥٠١، والمعجم الوسيط: ٩٣٥/٢، والمفردات لأصفهاني، مادة "نعم".

(٥) انظر: المفردات لأصفهاني، مادة "نعم".

(٦) سوف يأتي بيان تلك الآثار في محور: "مكية السورة ومدنيتها".

(٧) في الآيات ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٢.

(٨) في الآيات ١٤٢-١٤٤.

(٩) انظر: جمال القراء للسخاوي: ٣٦/١، وبصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي: ١٨٧/١.

(١٠) مثلاً: سورة النحل آية: (٥، ٦٦، ٨٠)، وسورة الحج آية (٢٨، ٣٠، ٣٤)، وسورة المؤمنون آية (٢١)، وسورة الزمر آية (٦)، وغافر آية (٧٩)، وغيرها من سور القرآن الكريم.

(١١) انظر: البرهان للزركشي: ١٤، والإتقان: ١٧.

(١٢) تفسير القرآن الكريم المسمى تبصرة الرحمن وتيسير المنان، المهامي: ٢٠٧/١، وانظر: محاسن التأويل للقاسمي: ٣٠٨/٤.

ذكره الفيروزآبادي، ولم نجد من المنقول فيما يؤيد بهذه التسمية، وقد علل الآبادي تسميتها بذلك من وجهين^(١):

أحدهما: لأنها مقصورة على ذكر حجة النبوة.
والثاني: تكررت فيها الحجة ، في قوله تعالى: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ} [الأنعام : ٨٣]، وقوله تعالى: {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ} [الأنعام : ١٤٩].
وأيضاً : فهي أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ، ومن كذب بالبعث والنشور.
مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة أقوال:
أحدها: أنها مكية قيل: إلا آية واحدة هي قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَسَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ} [الأنعام : ١١١] فإنها مدنية.
رواه ابن المنذر عن أبي جحيفة^(٢).

والثاني: انها مكية قيل: إلا آيتين ومن ثم اختلفوا فيهما على ثلاثة أقوال:
القول الأول: أن الآيتين نزلتا في المدينة في رجل من اليهود قال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فنزل فيهم: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام : ٩١] الآيتين، وهو قول الكلبي في رواية أبي الشيخ عنه^(٣).

وأخرج أبو الشيخ عن سفيان مثل ذلك وزاد: "هو فنحاص اليهودي أو مالك بن الصيف"^(٤)^(٥).
القول الثاني: وقيل: هما قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} [الأنعام : ١٥١] إلى آخر الآيتين، رواه إسحاق بن راهويه في مسنده عن شهر بن حوشب^(٦)، والفريابي عن بشر^(٧).
قال محمد رشيد رضا: "وما قبله أقوى من جهة معنى الآيتين، فإنه في محاجة اليهود الذين كانوا في المدينة، وأما {قل تعالوا} الآيتين، فمعناها من موضوع السور المكية، وهم متصلتان بما بعدهما"^(٨).
القول الثالث: وقيل: هما قوله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام : ٩١]، والأخرى، قوله: {وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ} [الأنعام : ١٤١]. حكاه القرطبي عن ابن عباس^(٩)، وقتادة^(١٠).

وجاءت في الأخبار، أن قوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام : ٩١]، نزلت في مالك بن الصيف^(١١) وكعب ابن الأشرف اليهوديين^(١)، وقيل نزلت في فنحاص اليهودي^(٢)، وقوله: {وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز: ١٨٧/١ ، ١٨٦.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٢٤٤/٣.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٢٤٥/٣، والإتقان: ٥٧/١. وهو: محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي، صاحب التفسير، ضعفه الأئمة، ورمي بالرفض، توفي سنة [١٤٦هـ]. انظر: تهذيب التهذيب: ١٧٨/٩، والجرح والتعديل: ٢١٠/٧، وميزان الاعتدال: ٥٥٦/٣.

(٤) أخرج الطبري (١٣٥٣٥): ص ٥٢١/١١-٥٢٢، والواحدى في اسباب النزول: ٢٢٠، أن هذا الرجل هو مالك بن الصيف، وانظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٠/٣.

(٥) انظر: الدر المنثور: ٢٤٥/٣.

(٦) انظر: مسند إسحاق بن راهويه (٢٢٩٨): ص ١٧٤/٥، والدر المنثور: ٢٤٥/٣.

(٧) انظر: الإتقان: ٥٧/١.

(٨) تفسير المنار: ٢٣٧/٧.

(٩) انظر: تفسير القرطبي: ٣٨٢/٦.

(١٠) انظر: تفسير القرطبي: ٣٨٢/٦.

(١١) أخرج الطبري رقم (١٣٥٣٥): ص ٥٢١/١١-٥٢٢، عن سعيد بن جبير، وبرقم (١٣٥٣٦): ص ٥٢٢/١١، عن عكرمة. وأخرجه الواحدى في اسباب النزول: ٢٢٠، عن سعيد بن جبير أن هذا الرجل هو مالك بن الصيف، وانظر: تفسير ابن

جَنَاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَعَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ} [الأنعام : ١٤١]، نزلت في ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري^(٣). وقيل: نزلت في معاذ بن جبل^(٤).

والثالث: وقيل: أنها مكية إلا ثلاثيات نزلت بالمدينة، وهي: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} [الأنعام : ١٥١] إلى تمام الآيات الثلاث. رواه النحاس عن مجاهد عن ابن عباس^(٥).

قال السيوطي: "وقد صحَّ النقل عن ابن عباس باستثناء {قُلْ تَعَالَوْا} الآيات"^(٦).

والرابع: وقال الثعلبي^(٧): أنها مكية إلا ست آيات، هي: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ} [الأنعام : ١٥١] الآيات الثلاث، وقوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام : ٩١]، وقوله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى} [الأنعام : ٩٣]، الآيتين. وهذا جمع بين الأقوال السابقة كلها.

والخامس: وذكر البغوي عن ابن عباس^(٨) أنها مكية إلا ست آيات هي: قوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام : ٩١] إلى آخر ثلاث آيات، وقوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ} [الأنعام : ١٥١]، إلى قوله: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام : ١٥٣].

والسادس: وفي رواية عن ابن عباس^(٩)، أنها مكية إلا خمس آيات، هي: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ} [الأنعام : ١٥١]، وقوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام : ٩١]، وقوله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى} {وَلَوْ نَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ} [الأنعام : ٩٣]، وقوله: {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ} [الأنعام : ١١٤]، وقوله: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ} [الأنعام : ٢٠].

والسابع: وقال مقاتل: أنها مكية إلا سبع آيات، هي: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ} [الأنعام : ١٥١] الآيات الثلاث، وقوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام : ٩١]، وقوله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى} [الأنعام : ٩٣]، وقوله: {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} [الأنعام : ١١٤]، وقوله: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ} [الأنعام : ٢٠]^(١٠).

والثامن: وقال الزمخشري: "سورة الأنعام مكية إلا الآيات: «٢٠ و ٢٣ و ٩١ و ٩٣ و ١١٤ و ١٤١ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣»، فمدنية"^(١١).

كثير: ٣٠٠/٣.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٣٨٢/٦.

(٢) أخرجه الطبري (١٣٥٣٧): ص ٥٢٢/١١، عن السدي.

(٣) قاله ابن جريج، أخرج الخبرسنيد في "تفسيره" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٤٠٤٠): ١٧٤/١٢ - ثنا حجاج عنه به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف سنيد صاحب "التفسير".

وأخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (١٣٩٩ /٥) رقم ٧٩٦٦ من طريق عبدالرزاق عن ابن جريج: جد معاذ بن جبل -رضي الله عنه- نخلة، فلم يزل يتصدق من ثمره حتى لم يبق منه شيء؛ فنزلت: {ولأشرفوا}.

قلنا: وهذا معضل..

(٤) انظر: النكت والعيون: ١٧٩/٢، وتفسير القرطبي: ٣٨٢/٦.

(٥) الناسخ والمنسوخ: ١٦٧، وانظر الإتيان: ٣٩٩/١-٤٠، قال السيوطي: "وإسناده جيد رجاله كلهم ثقات من علماء العربية المشهورين".

(٦) الإتيان: ٥٧/١.

(٧) انظر: الكشف والبيان: ١٣١/٤.

(٨) انظر: تفسير البغوي: ١٢٥/٣.

(٩) حكاه عنه ابن عطية في المحرر الوجيز: ٢٦٥/٢.

(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٧/١-٥٤٨. قال: "هذه الآيات مدنيات، وسائرهما مكي".

(١١) الكشاف: ٣/٢.

والتاسع: وذكر ابن العربي: أن قوله تعالى: {قُلْ لَّا أُجِدُّ} [الأنعام: ١٤٥]، مدنية مكية في قول الأكثر، نزلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم نزل عليه قوله: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي} [المائدة: ٣] وذلك يوم عرفة^(١).

أخرج ابن الضريس وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: "أنزلت سورة الأنعام بمكة"^(٢).

قال ابن كثير: "قال العوفي وعكرمة وعطاء، عن ابن عباس: أنزلت سورة الأنعام بمكة"^(٣). قال العلامة ابن عاشور: "واعلم أن نزول هذه السورة جملة واحدة على الصحيح لا يناد ما يذكر لبعض آياتها من أسباب نزولها، لأن أسباب نزول تلك الآيات إن كان لحوادث قبل الهجرة فقد تتجمع أسباب كثيرة في مدة قصيرة قبل نزول هذه السورة، فيكون نزول تلك الآيات مسببا على تلك الحوادث، وإن كان بعد الهجرة جاز أن تكون تلك الآيات مدنية ألحقت بسورة الأنعام لمناسبات. على أن أسباب النزول لا يلزم أن تكون مقارنة لنزول آيات أحكامها فقد يقع السبب ويتأخر تشريع حكمه، وعلى القول الأصح أنها مكية فقد عدت هذه السورة الخامسة والخمسين في عد نزول السور. نزلت بعد سورة الحجر وقبل سورة الصافات"^(٤).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومن وجوه المناسبة بين هذه السورة وبين سورة «المائدة» التي قبلها^(٥):
أولاً:- إنها افتتحت بالحمد وتلك اختتمت بفصل القضاء وهما متلازمان كما قال سبحانه: {وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الزمر: ٧٥]^(٦).

ثانياً:- إنه تعالى لما ذكر في آخر المائدة: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ} [المائدة: ١٢٠] على سبيل الإجمال افتتح جل شأنه هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله فبدأ سبحانه بذكر خلق السماوات والأرض وضم تعالى إليه أنه جعل الظلمات والنور وهو بعض ما تضمنه ما فيهن ثم ذكر عز اسمه أنه خلق النوع الإنساني وقضى له أجلا وجعل له أجلا آخر للبعث وأنه جل جلاله منشئ القرون قرنا بعد قرن ثم قال تعالى: {قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ} [الأنعام: ١٢] إلى آخره فأثبت له ملك جميع المظروفات لظرف المكان. ثم قال عز من قائل: {وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} [الأنعام: ١٣] فأثبت أنه جل وعلا ملك جميع المظروفات لظرف الزمان. ثم ذكر سبحانه خلق سائر الحيوان من الدواب والطيور ثم خلق النوم واليقظة والموت. ثم أكثر عز وجل في أثناء السورة من الإنشاء والخلق لما فيهن من النيرين والنجوم وخلق الإصباح وخلق الحب والنوى وإنزال الماء وإخراج النبات والثمار بأنواعها وإنشاء جنات معروشات وغير معروشات إلى غير ذلك مما فيه تفصيل ما فيهن.

ثالثاً:- أنه سبحانه لما ذكر في سورة المائدة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ} [المائدة: ٨٧] إلى آخره، وذكر جل شأنه بعده: {مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ} [المائدة: ١٠٣] إلى آخره، فأخبر عن الكفار أنهم حرموا أشياء مما رزقهم الله تعالى افتراء على الله عز شأنه وكان القصد بذلك تحذير المؤمنين أن يحرموا شيئاً من ذلك فيشابهوا الكفار في صنعهم وكان ذكر ذلك على سبيل الإيجاز ساق جل جلاله هذه السورة لبيان حال الكفار في صنعهم فأتى به على الوجه الأبين والنمط الأكمل ثم جادلهم فيه وأقام الدلائل

(١) انظر احكام القرآن: ٢٩٠/٢.

(٢) الدر المنثور: ٢٤٣/٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٣٦/٣.

(٤) التحرير والتنوير: ١٢٣/٧.

(٥) انظر: أسرار ترتيب القرآن للسيوطي: ٨٠-٨٣، وتفسير البيضاوي: ٣٠٧/٣، وروح المعاني: ٧٣/٤-٧٤، وتفسير

المنار: ٢٤٢/٧، والتحرير والتنوير: ١٢٣/٧.

(٦) انظر: أسرار ترتيب القرآن للسيوطي: ٨٠.

على بطلانه وعارضهم وناقضهم إلى غير ذلك مما اشتملت عليه القصة فكانت هذه السورة شرحا لما تضمنته تلك السورة من ذلك على سبيل الإجمال وتفصيلا وبسطا وإتماما وإطنابا، وافتتحت بذكر الخلق والملك لأن الخالق المالك هو الذي له التصرف في ملكه ومخلوقاته إباحة ومنعا وتحريما وتحليلا فيجب أن لا يعترض عليه سبحانه بالتصرف في ملكه، ولهذه السورة.

رابعا: ولهذه السورة أيضا اعتلاق من وجهه بالفاتحة لشرحها إجمال قوله تعالى: {رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: ٢] وبالبقرة لشرحها إجمال قوله سبحانه: {الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} [البقرة: ٢١] وقوله عز اسمه: {الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} [البقرة: ٢٩] وبأل عمران من جهة تفصيلها لقوله جل وعلا: {وَاللَّائِمَاتِ وَالْحَرْتِ} [آل عمران: ١٤] وقوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} [آل عمران: ١٨٥]، الأنبياء: ٣٥، العنكبوت: ٥٧] إلى آخره، وبالنساء من جهة ما فيها من بدء الخلق والتفويض لما حرموه على أزواجهم وقتل البنات وبالمائدة من حيث اشتمالها على الأطعمة بأنواعها^(١).

قال الألويسي: "ومن اللطائف أنه سبحانه وتعالى جعل في كل ربع من كتابه الكريم المجيد سورة مفتحة بالتحميد"^(٢).

وهذه خصائص كتاب الله المجيد وقرآنه الكريم وكلامه القديم، الذي لا يأتيه الباطل ولا يعتريه التعارض؛ بل الإحكام والإتقان، والتناسق والتناسب، والتمام والكمال والجمال، وهكذا في كل سورة ونظمه وترتيبه المعجز بلفظه ومعناه، والله الموفق والمرجو ثوابه .

أغراض السورة ومقاصدها:

إن أهم أغراض الرئيسية التي استهدفتها السورة هي التركيز على العقائد الأساسية الثلاث التي كان المشركون يومئذ يبتازعون فيها، وهذه العقائد الأساسية هي^(٣):

أولاً:- التوحيد، وإثبات أصول الاعتقاد:

إن سورة الأنعام ممثلة بحق للقرآن المكي الذي يعرض العقيدة ناصعة ممارسة ومحاجة، فهي أولى سورة في هذا المنهج وأوفاهها، حيث بسطت الحجة على عظمة الله تعالى وبيدع صنعه وكامل قدرته، وأقامت الدليل على وحدانيته عز وجل وألوهيته وذلك من طريق الإقناع والتأثير والمناظرة والجدل والجواب عن سؤال، كوجود الله وتوحيده وصفاه وآياته في الانفس والأفاق.

وقد تتبعت الأسلوب القرآني إثبات التوحيد ونقض الاعتقادات الشركية من خلال إثبات أن الله سبحانه هو الواحد المتصف بجميع الكمالات، المستحق للعبادة والحمد، المختص بالحكم والتشريع والتحليل والتحريم؛ لأنه الخالق لكل شيء الربُّ الحقُّ، المنعمُ بالنعمة التي لا تحصى.

قال البيضاوي: "قطب هذه السورة يدور على إثبات الصانع، ودلائل التوحيد"^(٤).

قال الطيبي: "واعلم أن قطب هذه السورة الكريمة يدور مع إثبات الصانع، ودلائل التوحيد وما يتصل بها، انظر كيف جعل احتجاج الخليل على قومه، ومآله إلى قوله: {إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا} [الأنعام: ٧٨ - ٧٩]. وكيف أوقع أمر حبيبه صلوات الله عليه بقوله تعالى: {فَبِهَذَا هُمْ اقْتَدَوْا} [الأنعام: ٩٠] بعد ذكر معظم الأنبياء واسطة العقد، ولجة بحر التوحيد! ثم تفكر في قوله: {قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (١٦٢) لا شريك له وبذلك أمرت وأنا

(١) الأطعمة ذكرت هنا مفصلة من قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ} إلى قوله: {إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تُخْرُصُونَ} [١٤١-١٤٨].

(٢) روح المعاني: ٧٤/٤.

(٣) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها: ٨٧/١، والتفسير المنير، وهبة الزحيلي: ١٢٨/٧.

(٤) تفسير البيضاوي: ٣٠٧/٣.

أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأُنعام: ١٦٢ - ١٦٣] كيف جاءت خاتمة لها! فسبحان من له تحت كل سورة من كتابه كريم، بل كل آية وكلمة، أسرار ينفذ دون نفاذ بيانها الأبحر!"^(١).

قال البقاعي: "مقصودها الاستدلال على ما دعا إليه الكتابُ في السورة الماضية من التوحيد بأنه الحاوي لجميع الكمالات: من الإيجاد والإعدام والقدرة على البعث وغيره، وأنسب الأشياء المذكورة فيها لهذا المقصد الأُنعام؛ لأن الإذن فيها مسبب عما ثبت له من الفلق والتفرد بالخلق، تضمن باقي ذكرها إبطال ما اتخذوه من أمرها ديناً؛ لأنه لم يأذن فيه ولا أذن لأحد معه؛ لأنه المتوحد بالإلهية، لا شريك له، وحصر المحرمات من المطاعم التي هي جُلُّها في هذا الدين وغيره فدل ذلك على إحاطة علمه"^(٢).

قال الطباطبائي: " غرض السورة هو توحيدته تعالى بمعناه الأعم أعني: أن للإنسان ربا هو رب العالمين جميعاً منه يبدأ كل شيء وإليه ينتهي ويعود كل شيء، أرسل رسلاً مبشرين ومنذرين يهدي بهم عباده المربوبين إلى دينه الحق، ولذلك نزلت معظم آياتها في صورة الحجاج على المشركين في التوحيد والمعاد والنبوة، واشتملت على إجمال الوظائف الشرعية والمحرمات الدينية"^(٣).

قال أبو إسحاق الأسفراييني: "في سورة الأُنعام كل قواعد التوحيد، ولما كانت نعمه تعالى مما تفوت الحصر إلا أنها ترجع إجمالاً إلى إيجاد وابقاء في النشأة الأولى، وإيجاد وابقاء في النشأة الآخرة، ولما أشير في الفاتحة إلى الجميع ابتدئت بالتحميد لأنها ديباجة نعمه المذكورة في كتابه المجيد ثم أشير في الأُنعام إلى الإيجاد الأول وفي الكهف إلى الإبقاء الأول وفي سبأ إلى الإيجاد الثاني، وفي فاطر إلى الإبقاء الثاني فلهذا ابتدئت هذه السور الخمس بالتحميد فقال جل ثناؤه: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}"^(٤).

وقد احتضنت هذه السورة المباركة جملة من الرموز والإشارات للدلالة على أن العقيدة محورها الشامل، من ذلك:

- تكرار لفظ الجلالة فيها نصف مرات عدد آياتها، يعني: (٨٧) مرة في حين أن عدد آياتها يناهز (١٦٥) آية.
- تعدد فعل الأمر: {قُلْ} في ثناياها؛ حيث ذكر فيها ٤٤ مرة، فكانت أكثر سورة في القرآن تردد فيها هذا اللفظ: {قُلْ} ، أمراً للرسول صلى الله عليه وسلم وأُمَّته من بعده أن يبلغوا ما فيها من عقائد وحكم وأحكام.
- ورود كلمة "الرب" فيها عدة مرات؛ حيث تكررت فيها أكثر من (٥٠) مرة.
- تكرر مشتقات مادة النظر والإبصار والرؤية فيها مرات عديدة؛ حيث جاءت متكررة في ثناياها أكثر من (٤٤) مرة.

فهذا الكم الهائل من الكلمات المكررة بأعداد تجاوزت العشرات ينبئ عن رمي حثيث إلى إثبات مصطلحات عقديّة، وترسيخ مفاهيم إيمانية، وإعداد بيئة منهجية لا يكاد قارئ السورة أن ينهيها حتى تترسخ لديه مفاهيم جديدة ويتكون عنده معجم مصطلحات ويتضح له سبيل المحجة، وقد تعززت هذه الجوانب في السورة برديء من القصص التي طُفقت السورة تسرد بعضها، كما هو الشأن في محاجة إبراهيم لقومه، وتشير إلى بعضها الآخر إشارات عابرة، متبعة إياه بكوكبة من المرسلين ترمينا للاقتداء والانتساء. وتنويها بعظمة منة الله تعالى بهم لهداية البشرية قبل بعثة خاتمهم صلى الله عليه وسلم.

ثانياً:- إثبات الوحي والرسالة والرد على شبهات المشركين بالأدلة العقلية والحسية:

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) // شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (١٦ / ٦).

ونقله السيوطي في حاشيته على البيضاوي نواهد الأبقار (٣ / ٣٣٠).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: ٢ / ٩٠٥ ..

(٣) تفسير الميزان، الطباطبائي: ٧ / ٢.

(٤) حاشية شهاب على سورة الأُنعام: ٤ / ٢، وانظر: تفسير البيضاوي: ٣ / ٣٠٧.

فأثبتت السورة أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - رسولٌ من رسل الله، وأنه تعالى أرسل رسلاً مبشرين ومنذرين يهدي بهم عباده المربوبيين إلى دينه الحق وإثبات أن القرآن من عند الله، واليوم الآخر حقٌ، وإرشاده - صلى الله عليه وسلم - وتسليته في طريق الدعوة إلى ملة إبراهيم التوحيد، ونقض الشرك اعتقاداً وعملاً.

قال ابن عاشور: "وهي أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهلية، وأشدّها مقارعة جدال لهم واحتجاج على سفاهة أحوالهم من قوله: وجعلوا الله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً [الأنعام: ١٣٦] ، وفيما حرموه على أنفسهم مما رزقهم الله" (١).

وروي عن ابن عباس قال: "إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام، {قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفاهاً بغير علم} [الأنعام: ١٤٠] إلى قوله {قد ضلوا وما كانوا مهتدين} [الأنعام: ١٤٠]" (٢).

ثالثاً:- إثبات البعث والحساب والجزاء والقيامة:

قال الإمام القرطبي: "قال العلماء: هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور" (٣).

قال صاحب المنار: "لو سميت سور القرآن بما يدل على جل ما تشتمل عليه كل سورة أو على أهمه لسميت هذه السورة سورة عقائد الإسلام، أو سورة التوحيد، على ما جرى عليه العلماء من التعبير عن علم العقائد بالتوحيد لأنه أساسها وأعظم أركانها، فهي مفصلة لعقيدة التوحيد مع دلائلها، وما تجب معرفته من صفات الله تعالى وآياته، ولرد شبهات الكفار على التوحيد وما يتبع ذلك من هدم هياكل الشرك وتقويض أركانها، وإثبات الرسالة والوحي وتفنيد شبهاتهم على الرسول صلى الله عليه وسلم، وإلزامهم الحجة بأية الله الكبرى وهي القرآن المشتمل على الآيات الكثيرة من عقلية وعلمية، ومبينة لوظائف الرسول ودعوته وهدية في الناس على اختلاف طبقاتهم وأحوالهم، وللبعث والجزاء والوعد والوعيد، ولأحوال المؤمنين والكافرين وأعمالهم، ولأصول الدين ووصاياه الجامعة في الفضائل والآداب" (٤).

الناسخ والمنسوخ:

السورة تحتوي من المنسوخ على خمس عشرة آية:

- الآية الأولى: قوله تعالى: {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الأنعام: ١٥]، نسخت بقوله تعالى: {لِيَعْتَفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الفتح: ٢].
- الآية الثانية: قوله تعالى: {وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ} [الأنعام: ٦٦] هذا محكم، والمنسوخ قوله تعالى: {قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} [الأنعام: ٦٦] نسخ بأية السيف
- الآية الثالثة: قوله تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} [الأنعام: ٦٨]، إلى قوله تعالى: {وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرُوا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الأنعام: ٦٩]، نسخ ذلك بقوله تعالى: {قُلْ تَقَعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} [النساء: ١٤٠].
- الآية الرابعة: قوله تعالى: {وَدَرَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا} [الأنعام: ٧٠] ، يعني: اليهود والنصارى، نسخها قوله تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ} [التوبة: ٢٩].
- الآية الخامسة: قوله تعالى: {قُلْ اللَّهُ تَمَّ ذَرْهُمْ فِي حَوْضِهِمْ} [الأنعام: ٩١] فيها محذوف تقديره: قل الله انزله ثم ذرهم فأمر الله بالإعراض عنهم. ثم نسخ ذلك بأية السيف.

(١) التحرير والتنوير: ١٢٥/٧.

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٥٢٤).

(٣) تفسير القرطبي: ٣٨٣/٦.

(٤) تفسير المنار: ٢٣٨/٨-٢٣٩.

- الآية السادسة: قوله تعالى: {وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} [الأنعام : ١٠٤] نسخ بآية السيف.
 - الآية السابعة: قوله تعالى: {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَأِلهَ إِلا هُوَ} [الأنعام : ١٠٦] هذا محكم، وقوله تعالى: {وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام : ١٠٦] نسخ ذلك بآية السيف.
 - الآية الثامنة: قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} [الأنعام : ١٠٧] نسخ بآية السيف.
 - الآية التاسعة: قوله تعالى: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام : ١٠٨] نهاهم الله تعالى عن سب المشركين، هذه الآية ظاهرها ظاهر الأحكام وباطنها باطن المنسوخ لأن الله أمرنا بقتلهم والسب يدخل في جنب القتل وهو أشنع وأغلظ نسخت بآية السيف.
 - الآية العاشرة: قوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ} [الأنعام : ١١٢] هذا محكم، والمنسوخ: {قَدَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام : ١١٢] نسخ ذلك بآية السيف
 - الآية الحادية عشرة: قوله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} [الأنعام : ١٢١]، نسخ ذلك بقوله تعالى: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ} [المائدة : ٥]، والطعام -ههنا-: الذبائح.
 - الآية الثانية عشرة: قوله تعالى: {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ} [الأنعام : ١٣٥] إلى قوله: {لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [الأنعام : ١٣٥] نسخ بآية السيف
 - الآية الرابعة عشرة: قوله تعالى: {قُلْ انْتظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ} [الأنعام : ١٥٨]، نسخت بآية السيف.
 - الآية الخامسة عشرة: قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ} [الأنعام : ١٥٩]، نسخ آية السيف.
- وقد اختلف الناس في قوله تعالى: {قَدَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام : ١١٢]، قالت طائفة هي على طريق التهديد وقال آخرون نسخت بآية السيف^(١).
- قال هبة الله: " وآية السيف نسخت في القرآن مائة آية وأربعا وعشرين آية^(٢) .

فضائل السورة:

- ورد في هذه السورة مجموعة من الفضائل:
- أحدها: أنها نزلت جملة واحدة، وشيوعها جمع غفير من الملائكة وهم يسبحون الله العظيم، مما يدل على أن لها مكانة مميزة وشأن فريد.
- وهو ما لا نعرف له نظيراً مع باقي السور الطوال، إذ لم تنزل وفود الملائكة مشيعة لسورة إلا سورة الأنعام، وهذه خاصية عظيمة تدل على المكانة السامقة والمنزلة الرفيعة لهذه السورة، فمن الأخبار التي وردت في ذلك:
- قال جابر رضي الله عنه: "لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: "لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق"^(٣).

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٨٥-٨٩.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ: ٨٩.

(٣) رواه الحاكم في مستدركه (٣٢٢٦)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم فإن إسماعيل هذا هو السدي ولم يخرجه البخاري"، أما تعليق الذهبي في التلخيص فكان مغايراً لذلك حيث قال: "لا والله لم يدرك جعفر السدي وأظن هذا موضوعاً"، وأخرجه البيهقي في الشعب (٢٤٣١)، وذكره السيوطي في الدر المنثور: ٢٤٤/٣، وزاد نسبه إلى الإسماعيلي في معجمه. وأما قول الذهبي فهو ظن، ولا يمكن أخذه على وجه التسليم، وإنما الحكم يكون من خلال القواعد الحديثية.

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نزلت [سورة الأنعام] بمكة جملة واحدة ليلاً ونزل معها سبعون ألف ملك قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتمجيد فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «سبحان ربي العظيم»، وخرّ ساجداً^(١).
- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نزلت سورة الأنعام بمكة ليلة، جملة واحدة، حولها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح»^(٢).
- وأخرج أبو الشيخ عن أبي كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل"^(٣).
- وأخرج أبو الشيخ عن عطاء قال: "أنزلت الأنعام جميعاً ومعها سبعون ألف ملك"^(٤).
- وأخرج ابن مردويه عن أسماء قالت: "نزلت سورة الأنعام على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسير في زجل من الملائكة وقد نظموا ما بين السماء والأرض"^(٥).
- وأخرج الطبراني وابن مردويه عن أسماء بنت يزيد قالت: "نزلت سورة الأنعام على النبي صلى الله عليه وسلم جملة واحدة وأنا آخذة بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم أن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة"^(٦).
- وأخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد"^(٧).
- وأخرج عبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبو الشيخ عن مجاهد قال: "نزلت سورة الأنعام كلها جملة معها خمسمائة ملك يزفونها ويحفونها"^(٨).
- قال الشريبي: "قال بعض العلماء: واختصت هذه السورة بنوعين من الفضيلة أحدهما: أنها نزلت دفعة واحدة، والثاني: أنها شيعها سبعون ألفاً من الملائكة والسبب فيها أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين"^(٩).
- والذي يظهر أن حديث جابر ثابتٌ من حيث الجملة، إذا ضمّمنا إليه حديث ابن عباس وأنس بن مالك، فيكون حسناً لغيره إن شاء الله تعالى، وبقية الشواهد لا ترقى لتقوية الحديث.
- قال السيوطي -بعد أن أورد بعض شواهد الحديث-: "فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً"^(١٠).
- والثاني: وردت في فضائلها مجموعة من الآثار، منها:

(١) أخرجه البيهقي في السنن الصغرى (٩٨١)، وفي الشعب (٢٤٣٣)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٩٢/٦)، قال الهيثمي: "رواه الطبراني عن شيخه محمد بن عبد الله بن عرس عن أحمد بن محمد بن أبي بكر السالمي، ولم أعرفهما، وبقيّة رجاله ثقات". انظر: مجمع الزوائد: ٢٠/٧. وذكره السيوطي في الدر المنثور: ٢٤٣/٣-٢٤٤، وزاد نسبه إلى أبي الشيخ وابن مردويه، والسلفي في المطبوريات.

والزجل - بفتح الزاي والجيم: الصوت الرفيع العالي، انظر: اللسانمادة "ز ج ل" ص: ٢٣/٦.
(٢) انظر: المعجم الكبير: (٢١٥/١٢)، وفضائل القرآن لأبي عبيد (ص ١٢٨)، ولابن الضريس (ص ٩٤)، عمدة التفسير: (١١/٥)، موسوعة الفضائل: (٢٥٧/١).

(٣) الدر المنثور: ٢٤٤/٣.

(٤) الدر المنثور: ٢٤٥/٣.

(٥) الدر المنثور: ٢٤٣/٣.

(٦) الدر المنثور: ٢٤٣/٣.

(٧) الدر المنثور: ٢٤٣/٣.

(٨) الدر المنثور: ٢٤٤/٣.

(٩) السراج المنير: ٤٠٩/١.

(١٠) الإقتان: ٨٨.

- أنها من السبع الأول من القرآن، ومن الأحاديث التي بينت اشتراك هذه السورة مع غيرها في الفضل:
- أولاً:- عن عائشة - رضی الله عنها - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أخذ السبع الأول فهو حبر" (١). والأنعام من هذه السبع.
- ثانياً:- أنها من السبع الطوال التي أوتيتها النبي صلى الله عليه وسلم مكان التوراة، كما جاء عن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أعطيت مكان التوراة السبع... (٢)".
- ثالثاً:- أنها من المثاني الطوال التي أوتيتها النبي صلى الله عليه وسلم «مقابل ألواح موسى» (٣).
- ومما وردت في فضائلها ما ذكره عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث قال: "الأنعام من نجائب القرآن" (٤).
- وما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "من قرأ سورة الأنعام فقد انتهى في رضی ربه" (٥).
- وأخرج البيهقي في الشعب وضعفه والخطيب في تاريخه عن علي بن أبي طالب قال: "أنزل القرآن خمسا خمسا ومن حفظ خمسا خمسا لم ينسه إلا سورة الأنعام فإنها نزلت جملة في ألف يشيعها من كل سماء سبعون ملكا حتى أدوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما قرئت على عليل إلا شفاه الله" (٦).
- وأخرج محمد بن نصر عن ابن مسعود قال: "الأنعام من مواجب القرآن" (٧).
- وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: "نزلت سورة الأنعام يشيعها سبعون ألفا من الملائكة" (٨).
- ويقول كعب الأحبار: "فاتحة التوراة الأنعام، وخاتمتها هود" (٩).
- وأخرج الديلمي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من صلى الفجر في جماعة ، وقعد في صلاة ، وقرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام ، وكل الله به سبعين ملكاً ، يسبحون الله ، ويستغفرون له ، إلى يوم القيامة» (١٠).
- وأخرج أبو الشيخ عن حبيب بن محمد العابد قال: "من قرأ ثلاث آيات من أول الأنعام إلى تكسبون بعث الله له سبعين ألف ملك يدعون له إلى يوم القيامة وله مثل أعمالهم فإذا كان يوم القيامة أدخله الله الجنة وسقاه من سلسبيل وغسله من الكوثر وقال: أنا ربك حقا وأنت عبدي حقا" (١١).

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٤٥٧٥) من حديث عائشة رضي الله عنها، وقال عنه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: "إسناده حسن"، وأخرجه الحاكم في مستدرکه (٢٠٧٠)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".
والحبر: العالم، ومعناه العالم بتجسير الكلام، والأخبار: هم العلماء، انظر: النهاية (٣٢٨/١)، واللسان مادة (ح ب ر).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٧٠٢٣)، وقال عنه شعيب الأرنؤوط في تعليقه عليه: "إسناده حسن"، وأخرجه البيهقي في الشعب (٢٤١٥)، وكذلك في سننه الصغرى (٩٧٨)، والطبراني في معجمه الكبير (١٨٦)، وقال الشيخ الألباني: "الحديث بمجموع طرقه صحيح"، السلسلة الصحيحة (٤٦٩/٣).

(٣) الأحاديث الثابتة في فضائل السور، ص: ٢٩.
(٤) أخرجه أبو عبيدة في فضائله والدارمي في مسنده ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة وأبو الشيخ، كما في الدر المنثور: ٢٤٥/٣.

(٥) المحرر الوجيز: ٣١١/٢.

(٦) الدر المنثور: ٢٤٤/٣.

(٧) الدر المنثور: ٢٤٥/٣.

(٨) الدر المنثور: ٢٤٣/٣.

(٩) أخرجه الدارمي (٣٤٠٢)، قال حسين سليم أسد: "إسناده صحيح إلى كعب وهو موقوف عليه".

(١٠) ضعيف جداً، أخرجه الديلمي في مسند الفردوس - كما في "تمهيد الفرش للسيوطي"، والدر المنثور: ٢٤٦/٣، فيه محمد بن عمر الوراق، وهو ضعيف، محمد بن علي بن عثمان التمار، الظاهر أنه: محمد بن السري بن عثمان، أبو بكر التمار، وهو مجهول الحال، وانظر ترجمته في "تاريخ بغداد": ٣٦٥/٢.

- وأخرج ابن الضريس عن حبيب بن عيسى عن أبي محمد الفارسي قال: "من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام بعث الله سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة وله مثل أجورهم فإذا كان يوم القيامة أدخله الله الجنة أظله في ظل عرشه وأطعمه من ثمار الجنة وشرب من الكوثر واغتسل من السلسبيل وقال الله: أنا ربك وأنت عبدي"^(١).
- وأخرج السلفي بسنده واه عن ابن عباس مرفوعاً قال من قرأ إذا صلى الغداة ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى {ويعلم ما تكسبون}، نزل إليه أربعون ألف ملك يكتب له مثل أعمالهم وبعث إليه ملك من سبع سموات ومعه مرزبة من حديد، فإن أوحى الشيطان في قلبه شيئاً من الشر ضربه حتى يكون بينه وبينه سبعون حجاباً، فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى: أنا ربك وأنت عبدي: امش في ظلي واشرب من الكوثر واغتسل من السلسبيل وادخل الجنة بغير حساب ولا عذاب"^(٢).
- وأخرج الديلمي بسند ضعيف عن أنس مرفوعاً: "ينادي منادياً: قارئ سورة الأنعام هلم إلى الجنة بحبك إياها وتلاوتها"^(٣).
- قال البيهقي: وروي مرفوعاً "من قرأ سورة الأنعام يصلي عليه أولئك السبعون ألف ملك ليلة ونهاره"^(٤).
- قال الألويسي: وهذه الاخبار "غالبيتها في هذا المطلب ضعيف وبعضها موضوع كما لا يخفى على من نقر عنها، ولعل الاخبار بنزول هذه السورة جملة أيضاً كذلك. وحكى الإمام اتفاق الناس على القول بنزولها جملة ثم استشكل ذلك بأنه كيف يمكن أن يقال حينئذ في كل واحدة من آياتها إن سبب نزولها الأمر الفلاني مع أنهم يقولونه. والقول بأن مراد القائل بذلك عدم تخلل نزول شيء من آيات سورة أخرى بين أوقات نزول آياتها مما لا تساعده الظواهر بل في الاخبار ما هو صريح فيما ياباه.
- والقول بأنها نزلت مرتين دفعة وتدرجاً خلاف الظاهر ولا دليل عليه، وخبر تشييع الملائكة لها رواه جمع من المحدثين إلا أن منهم من روى أن المشيعين سبعون ألفاً ومنهم من روى أنهم كانوا أقل ومنهم من روى أنهم كانوا أكثر"^(٥).
- قال ابن الصلاح في فتاويه: "والخبر المذكور في ذلك [أي: نزول سورة الأنعام جملة] قد روينا من حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي إسناده ضعف ولم نر له إسناداً صحيحاً وقد روى ما يخالفه"^(٦).
- ويمكن ان يجاب عن قول ابن الصلاح: بأن ضعف السند لا يلزم منه ضعف الحديث إذ قد يكون له شواهد تقويه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) الدر المنثور: ٢٤٥/٣.

(٢) الدر المنثور: ٢٤٥/٣.

(٣) الدر المنثور: ٢٤٥/٣-٢٤٦.

(٤) الدر المنثور: ٢٤٤/٣.

(٥) تفسير البيهقي: ١٢٥/٣، والخبر أخرجه الثعلبي من حديث أبي بن كعب. وفيه: أبو عصمة، وهو متهم بالكذب. وأوله عند الطبراني في الصغير.. وفيه: يوسف بن عطية وهو ضعيف، وعنه أخرجه ابن مردويه في التفسير، وأبو نعيم في الحلية. انظر: الكافي الشاف لابن حجرص (٦٣)، والدر المنثور: ٢٤٦ / ٣.

(٦) روح المعاني: ٧٢/٤.

(٧) فتاوى ابن الصلاح: ٢٤٩/١.

سورة «الأعراف»

سورة «الأعراف»: هي السورة السابعة في ترتيب المصحف، وسادسة السبع الطول، والثالثة من حيث الطول بعد سورتَي البقرة والنساء، نزلت بعد سورة «ص»، وعدد آياتها: (٢٠٦) مائتان وست آيات في عدّ قراء كوفة والحجاز، و(٢٠٥) مائتان خمس في عدّ الشّام والبصرة، وعدد كلماتها (٣٣٢٥) ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمس وعشرون كلمة، وحروفها(١٤٣١٠) أربعة عشر ألفا وثلاثمائة وعشرة أحرف، والآيات المختلف فيها خمس: المص {بِذَأْكُمْ تَعُوذُونَ} {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} {ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ} على بنى إسرائيل. ومجموع فواصل آياتها (م ن د ل)^(١).

أسماء السورة:

أولاً:- اسمها التوقيفي: سورة «الأعراف»

«الأعراف» في اللغة: جمع: عُرف، وكل عال مرتفع^(٢)، قال الزجاج: «الأعراف: أعالي السور، ويقال لكل عال عرف وجمعه: «أعراف»»^(٣).

قال الطبري: " «الأعراف»: جمع، واحدها: «عُرف»، وكل مرتفع من الأرض عند العرب فهو «عُرف»، وإنما قيل لعُرف الديك: «عُرف»، لارتفاعه على ما سواه من جسده، ومنه قول الشماخ بن ضرار^(٤):

وظَلَّتْ بِأَعْرَافِ تَعَالَى، كَأَنَّهَا ... رِمَاحٌ نَحَاهَا وَجْهَةَ الرِّيحِ رَاكِزُ
يعني بقوله: «بأعراف»، بنشوز من الأرض، ومنه قول الآخر^(٥):

كُلُّ كِنَازٍ لِحُمَةِ نِيَافٍ ... كَالْعَلَمِ الْمُوفِيِّ عَلَى الْأَعْرَافِ

وكان السدي يقول: «إنما سمي «الأعراف» أعرافاً، لأن أصحابه يعرفون الناس»^(٦)^(٧).

والأعراف: هو السور الذي بين الجنة والنار كما ذكره المفسرون^(٨)، وهو قول ابن عباس^(٩)، ومجاهد^(١٠)، وأبي جعفر^(١١)، والضحاك^(١٢).

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٢٠٣.

(٢) انظر: اللسان "عرف" ص: ٢٤١/٩.

(٣) معاني القرآن: ٣٤٢/٢.

(٤) ديوانه: ٥٣، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ٢١٥، وتفسير الطبري: ٤٤٩/١٢، ورواية ديوانه وغيره "وظلت تعالي باليفاع كأنها". وهذا البيت من آخر القصيدة في صفة حمر الوحش، بعد أن عادت من رحلتها الطويلة العجيبية في طلب الماء، يقودها العير، فوصفه ووصفهن، فقال:

مُحَامٍ عَلَى عَوْرَاتِهَا لَا يَرُوعُهَا ... خَيْالٌ، وَلَا رَامِي الْوُحُوشِ الْمَنَاهِزُ
وَأَصْبَحَ فَوْقَ النَّشْرِ، نَشْرٌ حَمَامَةٌ، ... لَهُ مَرَكُضٌ فِي مُسْتَوَى الْأَرْضِ بَارِزُ

وَوَظَلَّتْ تَعَالَى بِالْيَفَاعِ.....

و "تغالي الحمر": احتكاك بعضها ببعض يصف ضمور حمر الوحش، كأنها رماح مائلة تستقبل مهب الرياح..

(٥) لم أتعرف على قائله، والبيت من شواهد مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٢١٥، وتفسير الطبري: ٤٥٠/١٢، واللسان "نوف".

و"الكناز" المجتمع اللحم القوية. و"النياف"، الطويل، يصف جملاً. و"العلم" الجبل.

(٦) أخرجه الطبري(١٤٦٧٢): ٤٥٠/١٢.

(٧) تفسير الطبري: ٤٤٩/١٢-٤٥٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٩/١٢، والنكت والعيون: ٢٢٥/٢، وزاد المسير: ٢٢٠٤/٣، وتفسير القرطبي: ٢١٢/٧، وتفسير

ابن كثير: ٣٤٦/٢

(٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٦٧٩): ص: ٤٥١/١٢.

(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٦٧٧): ص: ٤٥١/١٢.

(١١) انظر: تفسير الطبري(١٤٦٨٣): ص: ٤٥٢/١٢.

(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٦٨٤): ص: ٤٥٢/١٢.

و«الأعراف» هو الاسم الذي اشتهرت به هذه السورة من عهد الرسول-صلى الله عليه وسلم- في كلام أصحابه، إذ روي عن عائشة-رضي الله عنها-، أنها قالت: "قرأ رسول الله-صلى الله عليه وسلم- في صلاة المغرب بسورة الأعراف فرّقها في ركعتين"^(١).

وعن زيد بن ثابت: "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في المغرب بسورة الأعراف في الركعتين كلتيهما"^(٢).

وعن عروة بن الزبير: "أن مروان أخبره: أن زيد بن ثابت قال له: «ما لي أراك تقرأ في المغرب بقصار السور؟ قد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ فيها بطولى الطوليين». قال ابن أبي ملكية: وما طولى الطوليين؟ قال: الأعراف"^(٣).

وبهذا الاسم دونت السورة في المصاحف وكتب التفسير والحديث، ووجه تسميته بالأعراف، لأنه ذكر فيها لفظ «الأعراف»، وهو السور الذي بين الجنة والنار، وذلك في قوله تعالى: {وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ} [الأعراف : ٤٦].

ولقد تفردت بذكر شأن أهل الأعراف في الآخرة، ولك يذكر في غيرها من السور بهذا اللفظ، ولكنه بلفظ «سور» في سورة الحديد، وذلك في قوله تعالى: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} [الحديد : ١٣].

واختلف في الأعراف من هم، وفيه أقوال:

أحدها: أنهم قوم من بني آدم، استوت حسناتهم وسيئاتهم، فجعلوا هنالك إلى أن يقضي الله فيهم ما يشاء، ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته إياهم. وهذا قول حذيفة^(٤)، وابن مسعود^(٥)، وابن عباس^(٦)، وسعيد بن جبير^(٧)، والضحاك^(٨)، والشعبي^(٩)، وابي علقمة^(١٠)، وهو قول أكثر المفسرين^(١١).

روي عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من زادت حسناته على سيئاته مثقال دخل الجنة، ومن زادت سيئاته على حسناته مثقال دخل النار، ومن استوت حسناته وسيئاته فأولئك من أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون»^(١٢).

والثاني: أنهم كانوا قتلوا في سبيل الله عصاة لأبائهم في الدنيا. وهذا قول شريحيل بن سعد^(١). وروي عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: "سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف،

(١) أخرجه النسائي في المجتبى من السنن ٢ / ١٧٠، كتاب الافتتاح (١١)، باب القراءة في المغرب. . . (٦٧). وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢ / ٣٩٢، كتاب الصلاة، باب من لم يطبق القراءة فيها بأكثر مما ذكرنا.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ١ / ٢٣٧، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إن لم يكن فيه إرسال ولم يخرجاه بهذا اللفظ، وقال الذهبي: فيه انقطاع.

(٣) أخرجه أحمد ٥ / ١٨٨ (٢١٩٨٠) قال: حدثنا محمد بن جعفر. وفي ٥ / ١٨٩ (٢١٩٨٥) قال: حدثنا عبد الرزاق، وابن بكر. و"البخاري" ١ / ١٩٤ (٧٦٤) قال: حدثنا أبو عاصم. و"أبو داود" ١٢ / ٨١٢ قال: حدثنا الحسن بن علي، قال: حدثنا عبد الرزاق.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٤٦٨٦) - (١٤٦٨٩) :ص ٤٥٣ / ١٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٤٦٩٠) :ص ٤٥٣ / ١٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٤٦٩٢) :ص ٤٥٥ / ١٢، وتفسير ابن أبي حاتم (٨٥٠١) :ص ١٤٨٥ / ٥.

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٤٧٠٠) :ص ٤٥٦ / ١٢.

(٨) انظر: تفسير الطبري (١٤٦٩٩) :ص ٤٥٦ / ١٢.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٨٤٩٩) :ص ١٤٨٤ / ٥ - ١٤٨٥.

(١٠) انظر: تفسير الطبري (١٤٧٠٢) :ص ٤٥٧ / ١٢.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٢ / ٢٢٥، وزاد المسير: ٣ / ٢٠٤، وتفسير القرطبي: ٧ / ٢١٢، وتفسير ابن كثير: ٢ / ٣٤٦.

(١٢) مسند أبي حنيفة (ص ٢٠٣).

فقال: قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم، فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار، ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة"^(٢).

والتالث: أنهم قوم صالحون فقهاء علماء. قاله مجاهد^(٣).
والرابع: أنهم ملائكة يعرفون الفريقين جميعاً بسماهم، أهل النار وأهل الجنة، وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة. وهذا قول أبي مجلز^(٤).

قال الإمام الطبري: "والصواب من القول في أصحاب الأعراف أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم: هم رجال يعرفون كلاً من أهل الجنة وأهل النار بسماهم، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصح سنده، ولا أنه متفق على تأويلها، ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة.

فإذ كان ذلك كذلك، وكان ذلك لا يدرك قياساً، وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن «الرجال» اسم يجمع ذكور بني آدم دون إناثهم ودون سائر الخلق غيرهم، كان بيّناً أن ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة، قولٌ لا معنى له، وأن الصحيح من القول في ذلك ما قاله سائر أهل التأويل غيره. هذا مع مَنْ قال بخلافه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك من الأخبار، وإن كان في أسانيد ما فيها"^(٥).

عن أبي زرعة عمرو بن جرير، قال: "سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال: هم آخر من يقضي لهم من العباد، فإذا فرغ رب العالمين من القضاء بين العباد قال لهم: أنتم قوم أخرجتكم أعمالكم من النار وعجزت أن تدخلكم الجنة، فاذهبوا فأنتم عتقاي، فارعوا من الجنة حيث شئتم"^(٦).

ثانياً: اسماءها الاجتهادية:

١-سورة «المقات»

ذكره الفيروز آبادي وعلل تسميتها بذلك لاشتغالها على ذكر يقات موسى في قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا} [الأعراف: ١٤٣] ^(٧).

ب-سورة «الميثاق»

وتسمى بذلك لاشتغالها على حديث الميثاق في قوله تعالى: {الَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى} [الأعراف: ١٧٢] ^(٨).

وهذان الاسمان اجتهاديان ولم يثبت فيهما شيء عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال الفيروز آبادي: "وأشهرها الأعراف"^(٩).

مكية السورة ومدنيتها:

(١) انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٣):ص٤٥٧/١٢.

(٢) حديث عبد الرحمن المزني: أخرجه سعيد بن منصور (١٤٣/٥، رقم ٩٥٤)، وابن منيع، والحاثر كما في المطالب العالية (٦٦٤/١٤، رقم ٣٦٠٨، ٣٦٠٩)، والطبراني كما في مجمع الزوائد (٢٤/٧) قال الهيثمي: فيه أبو معشر نجيح، وهو ضعيف. والبيهقي في البعث والنشور (ص ١٠٦، رقم ١٠٤). وأخرجه أيضاً: الطبري في جامع البيان (١٤٧٠٥):ص٤٥٨/١٢-واللفظ له-، والخرائطي في مساوي الأخلاق (ص ١٠٤، رقم ٢٥١)، وأبو نعيم في المعرفة من طريق الطبراني (١٨٦٠/٤، رقم ٤٦٨٤). وعزاه ابن كثير في التفسير (٢١٧/٢) لسعيد بن منصور، وابن مردويه، وابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٦):ص٤٥٨/١٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٧)-(١٤٧١٤):ص٤٥٩/١٢-٤٦٠.

(٥) تفسير الطبري:٤٦٠/١٢-٤٦١.

(٦) أخرجه الطبري(١٤٧١٥):ص٤٦١/١٢، وابن أبي حاتم(٨٥٠٠):ص١٤٨٥/٥.

(٧) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٢٠٣/١-٢٠٤.

(٨) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٢٠٤/١.

(٩) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أربعة أقوال:
أحدها: أنها مكية، وهذا قول ابن عباس^(١)، وعن عبد الله بن الزبير^(٢).
والثاني: أنها مكية إلا آية واحدة، وهي: {وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} [الأعراف : ١٦٣]،
إلى آخر الآية وسائرهما مكية. وهذا قول قتادة^(٣).
والثالث: أنها مكية إلا ثمان آيات، وهي: {وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ} [الأعراف : ١٦٣]، إلى قوله: {وَإِذْ نَنفَخْنَا الْجِبَلَ
فَوْقَهُمْ} [الأعراف : ١٧١]. وهذا قول الإمام الشوكاني^(٤).
والرابع: أنها مكية إلا إحدى عشر آية، وهي: {وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} [الأعراف :
١٦٣]، إلى قوله: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} [الأعراف : ١٧٢]، فهذه الآيات مدنيات.
وهذا قول مقاتل^(٥).
قال الفيروزآبادي: " هذه السورة نزلت بمكة إجماعاً"^(٦). وحكي الإجماع أيضا البغوي وابن
الجوزي^(٧).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومن وجوه المناسبة بين هذه السورة وبين سورة «المائدة» التي قبلها:
أولاً:- قال تعالى في أواخر الأنعام: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأنعام :
١٥٥]، {قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ آبَائِهِمْ خَنِيفًا وَمَا كَانُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام
: ١٦١].

فهذه خواتيم الأنعام، وآخرها {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ} [الأنعام : ١٥٥].
وفي أول الأعراف، قال: {كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِئُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ
(٢) اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا نَذَكَّرُونَ (٣)} [الأعراف : ٢ - ٣].
فقوله تعالى في الأنعام: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ} [الأنعام : ١٥٥]، مترابط مع قوله تعالى
في الأعراف: { اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ} [الأعراف: ٣].
إذ تناولت الآيتان قضية اتباع الوحي والعمل بما فيه.

ثانياً: ومن وجوه الترابط بين السورتين أنه سبحانه وتعالى أخذ يستدل على ما ختم به سورة الأنعام من
سرعة العقاب وعموم البر والثواب^(٨)، وما تقدمه، فقال مخبراً عن مبتدأ تقديره: هو {كِتَابٌ} [الأعراف :
٢]؛ أي: عظيم أوضح الطريق المستقيم، فلم يدع بها لبساً، ولم يذر خيراً إلا أمر به، ولا شراً إلا نهى عنه،
فإنزاله من عظيم رحمته، ثم وصفه بما أكد ما أشار إليه من رحمته بقوله: {أَنْزَلَ إِلَيْكَ}؛ أي: وأنت أكرم

(١) انظر: الدر المنثور: ٤١٢/٣، أخرجه عنه ابن الضريس والنحاس في ناسخه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) أخرجه ابن مردويه، كما في الدر المنثور: ٤١٢/٣.

(٣) أخرجه عنه ابن المنذر وأبو الشيخ، كما في الدر المنثور: ٤١٢/٣.

(٤) انظر: فتح القدير: ٢١٣/٢.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٧/٢-٢٨.

(٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٢٠٣/١.

(٧) انظر: تفسير البغوي: ٥٥٥/٥- وزاد المسير: ٧ / ٣.

(٨) ختم الله تعالى سورة الأنعام باتباع كتابه والنزاهة إلى أن قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ
بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) [الأنعام: ١٦٥].

ثم قال في بداية سورة الأعراف: (المص * كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِئُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)
[الأعراف: ١، ٢].

الناس نفساً وأوسعهم صدرًا، وأجملهم قلبًا وأعرفهم أصالة، وأعرفهم باستعطاف المباع، واستجلاب المنافر المباعض، وهذا شيء قد خصك به، فرفعك على جميع الخلق درجات لا تُحصى ومُراتب لا حد لها^(١).
ثالثًا: يقول ومن التناسب أيضا: إن الابتلاء الذي ينزله الله على عباده، وما يترتب عليه من عقاب أو ثواب، لا يكون إلا بعد أن تُوضَّح التكاليف الشرعية، ويبرهن عليها ويدل، ولمَّا كان ذلك في السورة نفسها: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ} [الأنعام: ١٥٥]، أعاد سبحانه في مطلع سورة الأعراف التأكيد والتدليل على ما اختتمت به الأنعام من الامتثال والثبات على التكاليف الشرعية التي مصدرها كتاب الله، ولذلك كان الحديث في بدء سورة الأعراف كما تقدّم عن كتابه ووجوب التزامه؛ قال تعالى مدلاً على ما تقدّم: {المص * كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِئَنْذَرَ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} [الأعراف: ١ - ٣]^(٢).

رابعًا: في خاتمة الأنعام قال: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنعام: ١٦٥].

وفي بداية الأعراف {وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ} [الأعراف: ٤].
فوجه الترابط بين الآيتين: ان الاستخلاف في الأرض يكون من خلال إهلاك القرون السابقة من الأمم الخالية، وهذا المعنى الأخير أكدته الآية الثانية التي في الأعراف، فقال: {وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا}، معناه: "وكم من أهل قرية أهلكناهم"^(٣). وفي هذا من الترابط ما لا يخفى.
خامسًا: قال تعالى في آخر سورة «الأنعام»: {إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ} [الأنعام: ١٦٥]، أي: "لسريع العقاب لمن أسخطه بارتكابه معاصيه"^(٤).

وقال تعالى في الآيات الأولى في «الأعراف»: {وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ} [الأعراف: ٤]، معناه: "فجاءتهم عقوبتنا ونقمتنا ليلا قبل أن يصبحوا"^(٥).
فوجه الترابط بين الآيتين: سرعة نزول العقاب وتحققه في المستحقين.

وهذه خصائص كتاب الله المجيد وقرآنه الكريم وكلامه القديم، الذي لا يأتيه الباطل ولا يعتريه التعارض؛ بل الإحكام والإتقان، والتناسق والتناسب، والتمام والكمال والجمال، وهكذا في كل سورة ونظمه وترتيبه المعجز بلفظه ومعناه، والله الموفق والمرجو ثوابه .

أغراض السورة ومقاصدها:

قصدت هذه السورة الطويلة إلى تقرير جملة من المقاصد الكلية، كأصول العقائد وكمالات الدين، وخاصة قضية التوحيد والشرك، قال البقاعي: "ومقصودها: إنذار من أعرض عما دُعا إليه الكتاب في السور الماضية من التوحيد، والاجتماع على الخير... وتحذيره بقوارع الدارين. وأدل ما فيها على هذا المقصد: أمر الأعراف، فإن اعتقاده يتضمن الإشراف على الجنة والنار، والوقوف على حقيقة ما فيها، وما أعد لأهلها الداعي إلى امتثال كل خير، واجتناب كل شر، والاتعاظ بكل مرقق.

على الجملة، فإن المتأمل في هذه السورة الكريمة، يجد أنها تطوف حول تقرير المقاصد التالية^(٦):
أولاً: أنه سبحانه أنزل القرآن للإنذار به والتذكير؛ فهو كتاب للصدع بما فيه من الحق، ولمجابهة العقائد فاسدة، والشرائع باطلة، والتقاليد بالية، ولمعارضة نظم ظالمة، وأوضاع جائرة، ومجتمعات سادرة. فالخرج في طريقه كثير، والمشقة في الإنذار به قائمة.

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي: ٣٤٨/٧.

(٢) التناسب القرآني عند البقاعي؛ للدكتور مشهور موسى، ص ١١٠.

(٣) معاني القرآن للزجاج: ٣١٧/٢.

(٤) تفسير الطبري: ٢٨٩/١٢.

(٥) تفسير الطبري: ٢٩٩/١٢.

(٦) انظر: مقاصد سورة الأعراف، إسلام ويب، [موقع التكروني].

ثانياً: وجهت السورة القلوب والعقول إلى توحيد الله تعالى إيماناً، وعبادة، وتشريعاً، وبينت صفاته سبحانه وشؤون ربوبيته، وأمرت بعبادته وحده، وتركت عبادة غيره.

ثالثاً: فقررت السورة أنه سبحانه خالق الأرض وخالق الناس، هو الذي مكن لهم في الأرض، وأودع فيها خصائص البقاء والحياة، التي تسمح بحياة الإنسان وتقوته وتعوله، بما فيها من أسباب الرزق والمعاش.

رابعاً: قصدت السورة إلى توجيه الأبصار والبصائر إلى مكونات هذا الكون وأسراره، وظواهره وأحواله، وبيان سنة الله التي جرت بها مشيئته بالمكذابين، وهي سنة واحدة، يأخذ الله بها المكذابين بالبأساء والضراء؛ لعل قلوبهم ترق وتلين وتتجه إلى الله، وتعرف حقيقة ألوهيته. فإذا لم يستجيبوا، أخذهم بالنعماء والسراء، وفتح عليهم أبواب كل شيء، حتى إذا انتهى بهم اليسر والعافية إلى الاستهتار وقلة المبالاة، وحسبوا أن الأمور تمضي جزافاً بلا قصد ولا غاية، أخذهم بغتة، وهم غافلون. لم يدركوا حكمة الله في الابتلاء بالضراء والسراء، ولم يتدبروا حكمته في قلب الأمور بالعباد، ولم يتقوا غضبه على المستهترين الغافلين، وعاشوا كالأنعام، بل أضل حتى جاءهم بأس الله.

خامساً: تضمنت السورة تقرير عقيدة البعث والإعادة في الآخرة، ووزن الأعمال يوم القيامة، وترتيب الجزاء على ثقل الموازين وخفتها، وسؤال الرسل في الآخرة عن التبليغ وأثره، وسؤال الأمم عن إجابة الرسل. وبيان كون الجزاء بالعمل، جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وإيراثهم الجنة وحالهم ومقالهم فيها، وإقامة أهل الجنة الحجة على أهل النار، وضرب الحجاب بين أهل الجنة وأهل النار، والتنبيه على مسألة قيام الساعة، وكونها تأتي بغتة .

سادساً: بينت السورة أصول التشريع الكلية، وبعض قواعد الشرع العامة؛ فقررت بداية أن شارع الدين هو الله تعالى، وحرمت التقليد في الدين، والأخذ فيه بآراء البشر، وبالمقابل عظمت من شأن النظر العقلي والتفكير؛ لتحصيل العلم بما يجب الإيمان به، ومعرفة آيات الله وسننه في خلقه وفضله على عباده .

سابعاً: الأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد، والأكل والشرب من الطيبات المستلذات، والإنكار على من حرم زينة الله، التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، وبيان أنها حق للذين آمنوا في الحياة الدنيا، وقيدتها بعدم الاعتداء والإسراف فيها. وبيان مئة الله على البشر بإنزال اللباس لستر العورات، وتيسير الزينة للتجمل بها بين الناس. وبالمقابل حصرت أنواع المحرمات الدينية العامة من الفواحش الظاهرة والباطنة، والإثم والبغي .

ثامناً: بيان أن الإيمان بما دعا الله إليه، والتقوى في العمل بشرعه فعلاً وتركاً، سبب اجتماعي طبيعي لسعة بركات السماء والأرض وخيراتها على الأمة.

تاسعاً: فقررت السورة سنة اجتماعية أخرى، حاصلها أن الأرض ليست رهن تصرف الملوك والدول بقدرتهم الذاتية فتدوم لهم، وإنما هي لله سبحانه، وله وحده - بمحض مشيئته وحكمته - سلبها من قوم، وجعلها إرثاً لقوم آخرين. ومدار هذه السنة على أن العاقبة في التنازع بين الأمم للمتقين، أي: الذين يتقون أسباب الضعف والخذلان والهلاك، كاليأس من روح الله، والتخاذل والتنازع والفساد في الأرض والظلم والفسق، ويتلبسون بضدها، وبسائر ما تقوى به الأمم من الأخلاق والأعمال، وأعلاها الاستعانة بالله الذي بيده ملكوت كل شيء، والصبر على المكروه مهما عظمت. وأن الأمم المستضعفة مهما يكن عدوها الظالم لها قوياً، فليس لها أن تياس من الحياة .

عاشراً: بيان أن سنة الله في الأمم التي ترث الأرض من بعد أهلها الأصلاء، هي سنته تعالى في أهلها، فإذا كان هؤلاء قد غلبوا عليها؛ بسبب ظلمهم وفسادهم وجهلهم وعمى قلوبهم، فكذلك يكون شأن الوارثين لها من بعدهم، إذا صاروا مثلهم في ذلك.

حادي عشر: بيان أصول الفضائل الأدبية والتشريعية الجامعة بأوجز عبارة معجزة، والدعوة إلى السماحة واليسر، وبالواضح من الأمر، الذي تعرفه فطرة البشر في بساطتها، بغير تعقيد ولا تشديد. والإعراض عن الجاهلين، بعدم مؤاخذتهم، أو مجادلتهم، أو الاحتفال بهم.

ثاني عشر: توجيه المؤمنين إلى أدب الاستماع لهذا القرآن؛ وأدب ذكر الله تعالى، مع التنبيه إلى مداومة هذا الذكر، وعدم الغفلة عنه.

هذه المقاصد لا تعدو كونها إشارات لكثير من المقاصد التي تضمنتها هذه السورة خصوصاً، والقرآن الكريم عموماً.

الناسخ والمنسوخ:

السورة تحتوي من المنسوخ على آيتين منسوختين:

- الآية الأولى: قوله تعالى: {وَأْمَلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ} [الأعراف : ١٨٣]، موضع النسخ -ههنا- : {وَأْمَلِي لَهُمْ}، أي: خل عنهم ودعهم، وباقي الآية محكم نسخ المنسوخ منها بآية السيف.
- الآية الثانية قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ} [الأعراف : ١٩٩]، هذا منسوخ، يعني: الفضل من أموالهم نسخ بآية الزكاة.

قال هبة الله بن سلامة: "وهذه الآية من أعجب المنسوخ لأن أولها منسوخ وآخرها منسوخ وأوسطها محكم وآخرها قوله {وأعرض عن الجاهلين} نسخ بآية السيف ووسطها محكم وهو قوله {وأمر بالعرف} والعرف المعروف هذا محكم وقد روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن جبريل عليه السلام أتاه فقال يا محمد إني جنتك بمكارم الأخلاق من ربك قال وما ذلك يا جبريل قال إن الله يأمرك أن تقرأ: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ} [الأعراف : ١٩٩] الآية، قال: وما ذلك يا جبريل؟ قال: إن الله يقول لك: صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك". وقد روى عن عبد الله بن الزبير أنه قال: أمر أن نأخذ العفو من أخلاق الناس"^(١).

فضائل السورة:

ورد في هذه السورة مجموعة من الفضائل، نذكر منها:

أولاً:- أنها من السبع الأول من القرآن، ومن الأحاديث التي بينت اشتراك هذه السورة مع غيرها في الفضل: أ- ما رواه واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "أعطيت مكان التوراة السبع الطول وأعطيت مكان الزبور المثني وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل"^(٢).

ب- عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أخذ السبع الأول فهو حبر"^(٣). والأعراف من هذه السبع.

ثانياً:- ومما وردت في فضائلها ما روته عائشة رضي الله عنها، أنه "قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في صلاة المغرب بسورة الأعراف فرّقها في ركعتين"^(٤).

ثالثاً:- عن مروان بن الحكم، قال: "قال لي زيد بن ثابت: «ما لي أراك تقرأ في المغرب بقصار السور؟ قد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ فيها بطولى الطويلين». قال ابن أبي ملكية: وما طولى الطويلين؟ قال: الأعراف"^(١).

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٩٠-٩١.

(٢) أخرجه أحمد (١٠٧/٤، رقم ١٧٠٢٣). قال الهيثمي (٤٦/٧): فيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وضعفه النسائي وغيره وبقيه رجاله ثقات. وأخرجه الطبراني (٧٥/٢٢ رقم ١٨٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٦٥/٢، رقم ٢٤١٥ مكرر). وأخرجه أيضاً: الطيالسي (ص ١٣٦ رقم ١٠١٢) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٧١٦/٥ رقم ٦٤٨٥). وقال المناوي (٥٦٦/١): فيه عمرو بن مرزوق، وأورده الذهبي في الضعفاء وقال: كان يحيى بن سعيد لا يرضاه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٤٥٧٥) من حديث عائشة رضي الله عنها، وقال عنه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: "إسناده حسن"، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٢٠٧٠)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

والحبر: العالم، ومعناه العالم بتحبير الكلام، والأحبار: هم العلماء، انظر: النهاية (٣٢٨/١)، واللسان مادة (ح ب ر). (٤) أخرجه النسائي في المجتبى من السنن ٢ / ١٧٠، كتاب الافتتاح (١١)، باب القراءة في المغرب... (٦٧). وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢ / ٣٩٢، كتاب الصلاة، باب من لم يطبق القراءة فيها بأكثر مما ذكرنا.

عن سعيد بن جبير في هذه الآية: "وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ" [الحجر : ٨٧]، قال: البقرة، وآل عمران، والنساء والمائدة والأنعام، والأعراف، ويونس، فيهنّ الفرائض والحدود"^(٢).

(١) أخرجه أحمد ١٨٨/٥ (٢١٩٨٠) قال: حدثنا محمد بن جعفر. وفي ١٨٩/٥ (٢١٩٨٥) قال: حدثنا عبد الرزاق، وابن بكر. و"البخاري" ١٩٤/١ (٧٦٤) قال: حدثنا أبو عاصم. و"أبو داود" ٨١٢ قال: حدثنا الحسن بن علي، قال: حدثنا عبد الرزاق.
(٢) أخرجه الطبري: ١٣٠/١٧.

تفسير سورة الأنفال

سورة «الأنفال»: هي السورة الثامنة في ترتيب المصحف، ووضعت موضع السابعة من السبع الطوال، مع أن آياتها دون المائة، لأنها مع قصرها قدمت على سورة «براءة»، لأنها مشتملة على البسمة، لتكون قطعة منها، وتكون «براءة» لخلوها من البسمة كتتمتها وبقيتها، ولهذا قال جماعة من السلف: إنها سورة واحدة^(١).

ووضعت «براءة» موضعها لمناسبة الكل، فإنه ليس بعد الست السابقة سورة أطول منها. ولهذا كان جواب عثمان لابن عباس-رضي الله عنهما- عندما سأله: "ما حملكم على أن عمدتم إلى «الأنفال»-وهي من المثاني- وإلى «براءة» -وهي من المثني- ففرقتم بينهما، ولم تكتبوا البسمة بينهما ووضعتوهما من السبع الطوال؟

فقال عثمان-رضي الله عنه-: كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا أنزل عليه شيء، دعا من كان يكتب فيقول: «ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا».

وكانت «الأنفال» من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت «براءة» من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها، فقبض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولم يبين أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر: «بسم الله الرحمن الرحيم»، ووضعتها من السبع الطوال^(٢).

نزلت بعد نزول سورة «البقرة»، وعدد آياتها: (٧٧) سبع وسبعون عند الشاميين، و(٧٥) وخمس وسبعون عند الكوفيين، وعدد كلماتها (٣٣٢٥) ألف ومائة وخمس وتسعون كلمة، وحروفها (١٤٣١٠) خمسة آلاف ومائتان وثمانون أحرف، والآيات المختلف فيها ثلاث { يُعْلَبُونَ } [الأنفال : ٣٦]، { بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ } [الأنفال : ٦٢]، { أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا } [الأنفال : ٤٢].

ومجموع فواصل آياتها (ن د م ق ط ر ب) يجمعها «نَدِمَ فُطْرُب»، أو «نطق مدبر»، على «الدال» منها آية واحدة: {لِلْعَبِيدِ} [الأنفال : ٥١]، وعلى «القاف» آية واحدة: {الْحَرِيقِ} [الأنفال : ٥٠]، وعلى «الباء» أربع آيات آخرها {العقَابِ} [الأنفال : ١٣، ٢٥، ٤٨، ٥٢]^(٣).

أسماء السورة:

أولاً:- اسمها التوقيفي: سورة «الأنفال»

«الأنفال»: جمع «نفل»، وهي الغنيمة، والهبة، يقال: نفلت فلانا تنفيلاً: أعطيته نفلاً وغمماً^(٤). قال ابن عطية: "و«النافلة» في كلام العرب: الزيادة على الواجب وسميت «الغنيمة» نفلاً، لأنها زيادة على القيام بالجهد وحماية الدين والدعاء إلى الله عز وجل"^(٥).

واشتهرت سورة «الأنفال» بهذا الاسم في عهد الرسول-صلى الله عليه وسلم- في كلام أصحابه- رضوان الله تعالى عليهم- فعن سعد بن أبي وقاص-رضي الله عنه-، قال: "لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاص بن أمية، وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكثيفة، فأعجبني فجنّت به إلى النبي صلى الله

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/٣٥٦.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي رقم (٣٠٨٦) في التفسير، باب ومن سورة التوبة، وأبو داود رقم (٧٨٦) في الصلاة، باب من جهر بها، أي: بسم الله الرحمن الرحيم، وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي عن ابن عباس، ويزيد الفارسي: هو من التابعين من أهل البصرة، قد روى عن ابن عباس غير حديث. نقول: ويزيد الفارسي: لم يوثقه غير ابن حبان، وكذا رواه أحمد والنسائي، وابن حبان في صحيحه، والحاكم من طرق آخر عن عوف الأعرابي به، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٢٢٢.

(٤) انظر: اللسان، مادة "ن ف ل": ص ٦٧٠/١١-٦٧١.

(٥) المحرر الوجيز: ٢/٤٩٦.

عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله إن الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف، فقال: «ليس هذا لي ولا لك اذهب فاطرحه في القبض» ، فطرحته ورجعت وبني ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلاحه، وقلت: عسى أن يعطى هذا السيف من لم يبيل ببلائي، فما جاوزت إلا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنزل الله عز وجل: يسئلونك عن الأنفال الآية. فخفت أن يكون قد نزل في شيء فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي وإنه قد صار لي فاذهب فخذهُ فهو لك»^(١).

وعن سعيد بن جبير، قال: "قلت لابن عباس: سورة التوبة؟ فقال: بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل {ومنهم} ، {ومنهم} حتى ظلوا أن لا يبقى أحدٌ إلا ذُكرَ فيها، قال: قلت: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر، قال: قلت: سورة الحشر؟ قال: نزلت في بني النضير. وفي رواية: قلت لابن عباس: سورة الحشر؟ قال: قل: سورة النضير"^(٢).

ف«الأنفال» هو الاسم الذي عرفت به بين المسلمين، وبه كتبت في المصاحف حين كتبت أسماء السور، وكتبت في كتب التفسير والحديث.

وسميت سورة الأنفال، لأنها افتتحت بآية ورد فيها اسم «الأنفال» وكررت فيها، ومن أجل أنها ذكر فيها حكم الأنفال في قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا دَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الأنفال : ١]، ولم يرد لفظ«الأنفال» في غيرها من سور القرآن العظيم.

ثانيا: اسماءها الاجتهادية:

١-سورة«بدر»

ذكرها السيوطي في «الإتقان»^(٣)، واستدل بما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، انه قال له:«سورة الانفال»؟، قال: تلك سورة بدر»^(٤).

وذكره الفيروزآبادي وعلل تسميتها بذلك "لأن معظمها في ذكر حرب بدر وما جرى فيها"^(٥).

ب-سورة«الجهاد»

سمّاها بذلك البقاعي^(٦)، دون ذكر سنده في التسمية، ولعله سماها بذلك لأن معظم ما في السورة هو الجهاد واحكامه.

(١) صحيح. أخرجه ابن أبي شيبة (١٢ / ٣٧٠) وسعيد بن منصور ٢٦٨٩ وأحمد (١ / ١٨٠) والطبري (١٥٦٥٩):ص٣٧٣/١٣، والواحدي في أسباب النزول"سورة الانفال":ص٢٣١، من طرق عن أبي إسحاق الشيباني عن محمد بن عبيد الله الثقفي عن سعد بن أبي وقاص به، ورجاله ثقات. وورد من وجه آخر بنحوه من حديث سعد عند مسلم (١٧٤٨)، وأبي داود (٢٧٤٠)، والترمذي (٣٠٧٩)، والنسائي في «التفسير» (٢١٦).

(٢) صحيح، أخرجه أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة الحشر، حديث(٤٨٨٢): ص٣٦٤/٦، ومسلم، كتاب التفسير، باب"في سورة براءة والأنفال والحشر"، حديث(٣٠٣١):ص٢٣٢٢/٤.

قال الحافظ: قوله: ما زالت تنزل، ومنهم، ومنهم، أي: كقوله: {ومنهم من عاهد الله} ، {ومنهم من يلمزك في الصدقات} ، {ومنهم الذين يؤذون النبي} ، وقوله: قل: سورة النضير، كانه كره تسميتها بالحشر لئلا يظن أن المراد: يوم القيامة، وإنما المراد به هنا: إخراج بني النضير

وعزاه السيوطي في الدر المنثور: (٤ / ١٢٠) لأبي عبيد وابن المنذر وابن مردويه، مختصرا.

(٣) انظر الإتقان: ١/١٧٢.

(٤) سبق تخريجه في اسمها التوقيفي.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١/٢٢٢.

(٦) انظر: نظم الدرر: ٨/٢١٤.

وهذان الاسمان اجتهاديان ولم يثبت شيء عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، أنه سماها بهذين الاسمين.

مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على قولين:

أحدهما: أنها مدنية. وهذا قول ابن عباس^(١)، وابن الزبير^(٢)، والحسن^(٣)، وعكرمة^(٤)، وجابر^(٥)، وعطاء^(٦).

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "نزلت في بدر"^(٧).

والثاني: انها مدنية إلا سبع آيات، من قوله تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: ٣٠]، إلى آخر السبع آيات^(٨). قاله ابن عباس أيضا^(٩).

قال الفيروزآبادي: "هذه السورة مدنية بالإجماع"^(١٠).

قال ابن الجوزي: "وهي مدنية بإجماعهم"^(١١).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومن وجوه المناسبة بين هذه السورة وبين سورة «الأعراف» التي قبلها:

أولاً:- في سورة الأعراف: {وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ} [الأعراف: ١٩٩]، وفي سورة الأنفال: تحذير من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله تعالى: {وَأَنْقُوا فِتْنَةً لَأُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال: ٢٥]، قال ابن عباس: "أمر الله المؤمنين ألا يُقْرُوا المنكر بين أظهرهم فيعصمهم العذاب"^(١٢).

ثانياً: في سورة الأعراف ذكر قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم، وفي سورة الأنفال ذكر النبي محمداً صلى الله عليه وسلم مع قومه، كما في قوله تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: ٣٠]، وقوله تعالى: {كَذَابَ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال: ٥٢].

(١) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/٤) ونسبه للنحاس في "ناسخه" وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٢) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/٤) ونسبه لابن مردويه.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ٣٦٠/٧، والمحرم الوجيز: ٤٩٦/٢.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ٣٦٠/٧، والمحرم الوجيز: ٤٩٦/٢.

(٥) انظر: تفسير القرطبي: ٣٦٠/٧، والمحرم الوجيز: ٤٩٦/٢.

(٦) انظر: تفسير القرطبي: ٣٦٠/٧، والمحرم الوجيز: ٤٩٦/٢.

(٧) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣٠٦/٨) رقم ٤٦٤٥ - فتح).

(٨) وهي: {قُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (٦٩) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٠) وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجَرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِنْ تَقَالَوْهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥) [الأنفال: ٦٩ - ٧٥].

(٩) انظر: زاد المسير: ١٨٦/٢، تفسير القرطبي: ٣٦٠/٧، والمحرم الوجيز: ٤٩٦/٢.

(١٠) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٢٢٢/١.

(١١) زاد المسير: ١٨٦/٢.

(١٢) ذكره القرطبي في تفسيره: ٣٩١/٧.

ثالثاً: وفي أواخر سورة الأعراف: {وَإِذَا فُرِئَ الثُّرَاثُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف: ٢٠٤].

وفي أوائل سورة الأنفال: {وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال: ٢]، إذ تُناقش سورة الأعراف قضية الاتباع لما أنزل الله؛ فقد استهلّت بقوله تعالى: {اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مِمَّا تَذَكَّرُونَ} [الأعراف: ٣]، وتبيّن موانع الهدى أو أعداء الدعوة، وهي في السورة ثلاثة:
- الشيطان:

في سورة الأعراف حديث عن الشيطان وجهوده في الدعوة إلى الكفر فيما يقرب من عشرين آية، من قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ} [الأعراف: ١١]، إلى قوله تعالى: {فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأعراف: ٣٠].

وفي سورة الأنفال: قال تعالى: {وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَنَا خَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال: ٤٨]، ففي سورة الأعراف بيان جهود الشيطان ومحاولاته في الإغواء والوسوسة، والتغزير بكل الطرق وكافة الأساليب والوسائل الشيطانية؛ كما في قوله تعالى: {قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَفْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَأَنْبِتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} [الأعراف: ١٦، ١٧]، وفي سورة الأنفال: {وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ} [الأنفال: ٤٨]، يقول ابن كثير في تفسير الآية: "حسن لهم - لعنه الله - ما جاؤوا له وما هموا به ، وأطمعهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس ، ونفى عنهم الخشية من أن يؤتوا في ديارهم من عدوهم بني بكر فقال : أنا جار لكم ، وذلك أنه تبدى لهم في صورة سُرَاقَةَ بن مالك بن جُعْشَم ، سيد بني مُدَلَج ، كبير تلك الناحية ، وكل ذلك منه ، كما قال الله تعالى عنه : { يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُرُورًا } [النساء: ١٢٠]."

قال ابن جريج: قال ابن عباس في هذه الآية: «لما كان يوم بدر سار إبليس برايته وجنوده مع المشركين ، وألقى في قلوب المشركين : أن أحدا لن يغلبكم ، وإنني جار لكم. فلما التقوا ، ونظر الشيطان إلى إمداد الملائكة ، { نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ } قال : رجع مدبراً ، وقال : { إِنِّي أَنَا خَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ } الآية»^(١)^(٢).

٢- الملائكة:

الملائكة هم الكبراء والسادة الذين جعلوا أنفسهم أصدقاء الأنبياء، وهم الذين يملؤون صدور المجالس، وتمتلئ القلوب من هيبتهم، وتمتلئ الأبصار من رؤيتهم، وتتوجه العيون في المحافل إليهم، وتحدثت سورة الأعراف عن جهود الملائكة في الدعوة إلى الكفر بالله تعالى وتكذيب الأنبياء واتهامهم بما لا يليق بهم، كما يأتي:

- مع نوح عليه السلام: {قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الأعراف: ٦٠].
- مع هود عليه السلام: {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [الأعراف: ٦٦].
- مع صالح عليه السلام: {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ

(١) أخرجه الطبري (١٦١٨٨): ص ٩/١٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٧٣/٤.

كَافِرُونَ * فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ {الأعراف: ٧٥ - ٧٧}.

- ومع شعيب عليه السلام: {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَارِهِينَ {الأعراف: ٨٨}.
- وفي قصة موسى عليه السلام: {وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ سَتَقْتُلُنَّ أَبْنَاءَهُمْ وَتَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ {الأعراف: ١٢٧}.
- وفي سورة الأنفال؛ فإن الملاء من قريش هم الذين قالوا: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا، فنقيم ثلاثًا، فننحر الجُرُرَ، ونُطعم الطعام، ونُسقي الخمر، وتُعزف القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدًا بعدها^(١).
- وكما بينت سورة الأعراف كيف انتقم الله من الملاء، فإنه في غزوة بدر أذن الله تعالى بإهانة الملاء، والانتقام من تلك الغطرسة، وأن تُطرح في القليب، ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخاطب الجيف المنغطسة أو التي كانت: " يا أهل القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا، فإني وجدت ما وعدني ربي حقًا"^(٢)، ولعل قوله هذا صلى الله عليه وسلم يناسب ما جاء في سورة الأعراف: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ {الأعراف: ٤٤}.

٣- الهوى.

سُمِّي «الهوى» هَوَى؛ لأنه يهوي بصاحبه إلى النار، وسئل ابن المقفع عن الهوى، فقال: هوانٌ سُرقت نونه، فأخذه الشاعر وانتظمه، وقال^(٣):

نُونُ الْهَوَانِ مِنَ الْهَوَى مَسْرُوقَةٌ فَأَسِيرُ كُلِّ هَوَى أَسِيرُ هَوَانٍ

وإذا كانت النفس تهوى الغنائم، فإن حكمها لله والرسول، وفي ذلك كبحُ جماح النفس وطمعها، وحبها للمال، وكان الرضا بحكم الله تعالى بعد السؤال، وكمال الإيمان حينما يكون الهوى تبعًا لحكم الله والرسول.

كما أن النفس لا تحب ولا تهوى القتال {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ {الأنفال: ٥}، لكن التربية الإيمانية تجعل النفس المؤمنة تهوى القتل في سبيل الله، وتحب لقاء الله تعالى، وتعشق التضحية من أجل الإسلام، وتبيع الدنيا وعرضها الزائل؛ طمعًا في الجنة، وقد تجلى ذلك عمليًا في الغزوة المباركة، ومن ذلك ما ذكره ابن هشام، قال: ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرَّضَهُمْ، وقال: "والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجلٌ فيقتل صابرًا محتسبًا، مقبلًا غير مُدبرٍ، إلا أدخله الله الجنة"، فقال عُمير بن الحُمَامِ وفي يده تمرات يأكلهن: بَخْ بَخْ، أما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟! ثم قذف التمرات، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتِلَ^(٤).

(١) انظر: زاد المعاد؛ ابن القيم، المطبعة المصرية ٢/ ٨٦-٩٠.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/٤٩٩، رقم ٤٩٩٥) وقال: صحيح على شرط مسلم. وأخرجه أيضا: أحمد (٦/٢٧٦، رقم ٢٦٤٠٤)، وإسحاق بن راهويه (٢/٥٧٣، رقم ١١٤٨)، وابن حبان (١٥/٥٦٢، رقم ٧٠٨٨).

ومن غريب الحديث: "القليب": هي البئر التي لم تطو.

(٣) لم أتعرف على قائله، وانظر: البيت في: تفسير الثعلبي: ٨/ ٣٦٢، وتفسير القرطبي: ١٦/ ١٦٨، والتمثيل والمحاضرة للثعالبي ص ١٠٣.

(٤) صحيح، رواه: مسلم، وأحمد، وابن سعد، والحاكم، والبيهقي في ((الدلائل))؛ مع اختلاف يسير.

انظر: صحيح مسلم (٣/١٥٠٩ و ١٥١٠/رقم ١٩٠١- عبد الباقي)، والمسند (٣/١٣٦)، وزاد المعاد: (٣/١٨٢)، والسيرة النبوية لابن هشام: ٢/١٩٨.

وفي سورة الأعراف مَثَلٌ لِمَن بَاعَ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلًا، وَأَخَذَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ؛ قَالَ تَعَالَى: {وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]، وقوله تعالى: {وَاتَّبَعَ هَوَاهُ}، قال القرطبي: أي: "ما زَيْنَ له الشيطان، وهذا المثل في قول كثير من أهل العلم بالتأويل عامٌ في كل من أوتي القرآن فلم يعمل به"^(١).

وبعد فإن هذه خصائص كتاب الله المجيد وقرآنه الكريم وكلامه القديم، الذي لا يأتيه الباطل ولا يعتريه التعارض؛ بل الإحكام والإتقان، والتناسق والتناسب، والتمام والكمال والجمال، وهكذا في كل سوره ونظمه وترتيبه المعجز بلفظه ومعناه، والله الموقِّ والمَرَجو ثوابه .

أعراض السورة ومقاصدها:

قررت هذه السورة العديد من المقاصد والأحكام المتعلقة بالقتال والغنائم، وقواعد التشريع، وسنن التكوين والاجتماع، والولاية العامة والخاصة، والعهود، وصلة الأرحام، وأصول الحكم المتعلقة بالأنفس ومكارم الأخلاق والآداب. هذا ما قصدت إليه السورة من حيث الجملة، وتفصيل هذا الإجمال نسوقه على النحو الآتي^(٢):

أولاً: كون الأنفال لله والرسول؛ حيث قررت السورة خُمس الغنائم لله وللرسول. وفي اقتران الرسول في هذا القسمة بالله تشریف له، وإعلاء لمكانته ومنزلته عليه الصلاة والسلام.

ثانياً: أن الإيمان الصادق يقتضي العمل الصالح من تقوى الله، وإصلاح ذات البين، وطاعة الله ورسوله. وأن المؤمنين الصادقين الذين يكون لإيمانهم مثل هذه الثمرات الثلاث هم: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (٢) الَّذِينَ يُفِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} (٣) [الأنفال: ٢ - ٣]، التي قصرُوا أنفسهم عليها.

ثالثاً: أن الله تعالى يبلي المؤمنين بلاء حسناً يمثل النصر والغنيمة، كما يبليهم أحياناً بلاء شديداً بالبؤس والهزيمة؛ تربية لهم، قال تعالى: {وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا} [الأنفال: ١٧]، وبكلا البلاءين يتم تمحيص المؤمنين.

رابعاً: إرشاد المؤمنين إلى أن الحياة المعنوية، التي يرتقون بها عن أنواع الحياة الحيوانية، إنما هي فيما يدعوهم إليه الرسول من الإيمان والعمل بكتاب الله تعالى {بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنفال: ٢٤].

خامساً: إرشاد المؤمنين إلى سنة اجتماعية، وهي جعل الأموال والأولاد فتنه، أي: امتحاناً شديداً للواقع في النفس، وتحذيراً لهم من الخروج في أموالهم ومصالح أولادهم عن الحق والعدل. فالافتتان بالأموال والأولاد مدعاة لضروب من الفساد، فإن حب المال والولد من الغرائز التي يعرض للناس فيها الإسراف والإفراط، إذا لم تهذب بهداية الدين، ولم تشذب بحسن التربية والتعليم. وهذا أصل عظيم في تربية المؤمن نفسه على التزام الحق، وكسب الحلال، واجتناب الحرام، واتقاء الطمع والدناءة في سبيل جمع المال والادخار للأولاد .

سادساً: تذكير المؤمنين بماضيهم، وما كان من ضعف أمتهم، واستضعاف الشعوب لهم، وخوفهم من تخطف الناس إياهم؛ ليعلموا ما أفادهم الإسلام من عزة وقوة ومَنعة، وتمكن سلطانه في الأرض. ومعرفة تاريخ الأمة في ماضيها أكبر عون لها على إصلاح حالها، واستعدادها لمستقبلها .

(١) تفسير القرطبي: ٣٢٣/٧، وانظر: مناسبة سورة الأنفال لسورة الأعراف، د. أمين الدميري، شبكة الألوكة.

(٢) انظر: مقاصد سورة الأعراف، إسلام ويب، [موقع التكروني].

سابعاً: إرشاد المؤمنين إلى ما يكتسبون به ملكة الفرقان العلمي الوجداني، وهو تقوى الله، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا { [الأنفال : ٢٩] ، فتقوى الله تُكسب صاحبها ملكة، يفرق بها بين الحق والباطل، والخير والشر، والمصلحة والمفسدة، فيجري في أعماله على مراعاة ذلك في ترجيح الحق والخير والمصلحة على ما يقابلها من الباطل والشر والفساد.

ثامناً: امتنان الله على رسوله الأعظم، بتأييده وبنصره وبالمؤمنين، وبتأليفه بين قلوبهم، ويا لها من منة عظيمة من منته تعالى عليهم، ومنقبة هي أعظم مناقبهم، {هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ بِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)} [الأنفال : ٦٢ - ٦٣].

تاسعاً: بيان حال الكفار من المشركين وأهل الكتاب {سَأْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبُ} [الأنفال : ١٢] ، أي: عند لقاء المؤمنين في القتال، وما علله به بعده من مشافتهم لله ولرسوله، وتوعددهم بعذاب النار، {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣) ذَلِكَ فَدُوْفُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (١٤)} [الأنفال : ١٣ - ١٤]، وفي هذا بيان لخذلانه تعالى لهم، وتمكين المؤمنين من قتلهم، وبيان عناية الله تعالى بهم.

عاشراً: وصف حال الكفار بالدواب التي لا تسمع ولا تعقل، {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} [الأنفال : ٢٢]، فوصفهم بتعطيل مشاعرهم ومداركهم الحسية والعقلية، ووصفهم في آية أخرى بعدم الإيمان: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنفال : ٥٥]

حادي عشر: تقرير العديد من قضايا عالم الغيب، كالبعث والجزاء والملائكة والشياطين؛ فقد ذُكرَ جزاء المؤمنين، وجزاء الكافرين، وجزاء الفاسقين المرتكبين لكبائر الإثم والفواحش. وذكُرَ إمداد المؤمنين بالملائكة يثبتونهم في المعركة. وذكُرَ إذهاب رجز الشيطان ووسوسته عن المؤمنين.

ثاني عشر: فضح موقف الذين كفروا، الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، وبيان عاقبة بذلهم للمال في مقاومة الإسلام، أنهم يغلبون في الدنيا، ثم يصيرون في الآخرة إلى عذاب النار.

ثالث عشر: تحذير المؤمنين من سلوك مسلك الكافرين، وهو مسلك البطر وإظهار الكبرياء والعظمة ومراعاة الناس، وهي مقاصد سافلة إفسادية، لا تليق بصفات المؤمنين، الذين إنما يقاتلون لإعلاء كلمة الله، وتقدير الفضيلة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

رابع عشر: تقرير سنة من سنن النفس، وهي تفاوت البشر في الاستعداد للإيمان والكفر، وفي الاستعداد للخير والشر، وبيان أن جزاء الله تعالى لهم على أعمالهم في الدنيا والآخرة، إنما يجري بمقتضى هذا التفاوت.

خامس عشر: تقرير سنة من سنن الاجتماع، وهي كون الظلم في الأمم يقتضي عقابها في الدنيا بالضعف والاختلال، الذي قد يفضي إلى الزوال، أو فقْد الاستقلال، وكون هذا العقاب على الأمة بأسرها، لا على مقترفي الظلم وحدهم منها؛ وذلك أن الفتن في الأمم، والظلم الذي ينتشر فيها، ولا يقوم من أفرادها وجماعاتها من يقاومه، يعم فسادها، فكما أن الجسد يتداعى ويتألم كله لما يصيب بعضه، كذلك الأمم.

سادس عشر: تقرير سنة من سنن الاجتماع، وهي كون تغير أحوال الأمم، وتنقلها في الأطوار من نِعَمٍ ونِقَمٍ، وشدة ورخاء أثاراً طبيعياً فطرياً لتغييرها ما بأنفسها من العقائد والأخلاق والملكات التي تطبعها في الأنفس العادات، وتترتب عليها الأعمال، قال تعالى {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال : ٥٣].

سابع عشر: تقرير سنة من سنن الاجتماع، وهي كون ولاية الأعداء من دون المؤمنين من أعظم مثرات الفتنة والفساد في الأمة، والاختلال والانحلال في الدولة، كولاية المؤمنين في النصر والقتال للكافرين الذين يوالي بعضهم بعضاً على المؤمنين في الحروب، فبعد أن بينت الآيات صفات المؤمنين بأنهم يوالي بعضهم

بعضاً، وينصر بعضهم بعضاً، حذرت من ترك هذه الموازية: ﴿لَا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال : ٧٣].

ثامن عشر: بيان وجوب إعداد الأمة كل ما تستطيعه من قوة لقتال أعدائها؛ وفي مقدمة ذلك المرابطة في ثغور البلاد حماية لها. وهذه المرابطة تشمل المرابطة المادية بالاستعداد العسكري، والمرابطة المعنوية وذلك بالتحصين الثقافي والفكري ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال : ٦٠].

تاسع عشر: بيان أن القصد الأول من إعداد هذه القوة والمرابطة، إرهاب الأعداء وإخافتهم من عاقبة التعدي على الأمة ومصالحها؛ لأجل أن تكون آمنة في عقر دارها، مطمئنة على مصالحها، وهذا ما يُسمى بـ (السلم المسلح)، ﴿ثُرَّيْبُونَ بِهِ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَعَدُوٌّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال : ٦٠].

عشرون: بيان أن شريعة الإسلام تفضل السلم على الحرب، إذا جنح العدو لها؛ إثارة لها على الحرب، التي لا تُقصد لذاتها، بل هي ضرورة من ضرورات الاجتماع تقدر بقدرها؛ ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال : ٦١].

واحد وعشرون: دعت السورة المؤمنين إلى المحافظة على الوفاء بالعهود، والالتزام بالمواثيق في الحرب والسلم، وتحريم الخيانة فيها سراً أو جهراً، وتحريم الخيانة في كل أمانة مادية أو معنوية، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال : ٢٧].

ثاني وعشرون: جعل الغاية من القتال في الإسلام حرية الدين، ومنع فتنة أحد واضطهاده؛ لأجل إرجاعه عن دينه، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ انْتِهَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال : ٣٩].

ثالث وعشرون: كون الثبات في القتال، وذكر الله عند لقاء العدو، وطاعة الله ورسوله، والصبر في ساحات القتال، كل ذلك من الأسباب المعنوية، التي يحصل بها النصر، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال : ٤٥].

رابع وعشرون: بيان أن الفشل والخسران، وذهاب القوة، مرده إلى التنازع والشقاق، ومن ثم التفرق والتشردم والضعف، ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال : ٤٦].

هذه المقاصد لا تعدو كونها إشارات لكثير من المقاصد التي تضمنتها هذه السورة خصوصاً، والقرآن الكريم عموماً.

الناسخ والمنسوخ:

السورة تحتوي على ست آيات من المنسوخ:

- الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال : ١]، والأنفال: الغنائم، و"عن" -ههنا-: صلة في الكلام، تقديره: يسألونك الأنفال، قال الله تعالى: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال : ١]، وإنما سأله أن ينفلهم الغنيمة وذلك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما رأى ضعفهم وقلة عدتهم يوم بدر فقال مرغبا لهم ومحرضاً من قتل قتيلاً فله سلبه ومن أسر أسيراً فله فداؤه فلما وضعت الحرب أوزارها نظر في الغنيمة فإذا هي أقل من العدد فنزلت هذه الآية ثم صارت منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال : ٤١] الآية.

- الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال : ٣٣]، ثم نزلت بعدها آية ناسخة لها وهي التي تليها قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلًا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنفال : ٣٤].

- الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال : ٦١]، الى -ههنا-: النسخ، وباقي الآية محكم نزلت في اليهود ثم صارت منسوخة بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة : ٢٩] إلى قوله: ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة : ٢٩].

- الآية الرابعة: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ} [الأنفال : ٦٥] هذا محكم، والمنسوخ قوله: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ} [الأنفال : ٦٥] الى آخر الآية، وكان فرضا على الرجل أن يقاتل عشرة فمتى فر كان مولىا للدبر فعلم الله تعالى عجزهم فيسر وخفف فنزلت الآية التي بعدها فصارت ناسخة لها فقال: {الآن حَقَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلَّمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا} [الأنفال : ٦٦]، والتخفيف: لا يكون إلا من ثقل، فصار فرضا على الرجل أن يقاتل رجلين فان انهزم منهما كان مولىا للدبر وإن انهزم عن أكثر لم يكن مولىا للدبر بدليل ظاهر الآية.
- الآية الخامسة: قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا} [الأنفال : ٧٢]، وكان الناس يتوارثون بالهجرة لا بالنسب ثم قال: {إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} [الأنفال : ٧٣]، حتى أنزل الله تعالى: {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} [الأنفال : ٧٥]، فصارت ناسخة للآية التي كانوا يتوارثون بها وصاروا بعد ذلك يتوارثون بالنسب.
- الآية السادسة: قوله تعالى: {وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ} [الأنفال : ٧٢]، الى قوله: {وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} [الأنفال : ٧٣]، وكان بين النبي -صلى الله عليه وسلم- وبين أحياء من العرب خزاعة وهلال بن عمير وجماعة من أحياء العرب موادة لا يقاتلهم ولا يقاتلونهم وحالفهم إن كان له حرب أعانوه وإن كان لهم حرب أعانهم فصار ذلك منسوخا بآية السيف وقد روي في قوله تعالى {قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف} إنها منسوخة نسخت بقوله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} [الأنفال : ٣٩]، وذهب آخرون إلى أنها وعيد وتهديد^(١).

فضائل السورة:

وردت عدة أحاديث في فضائل هذه السورة، منها:

- أولاً:- عن النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فيما جاء عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- أنه سئل عن الأنفال، فقال: "فيها معشر أصحاب بدر نزلت، حين اختلفنا في النفل، وساعتٍ فيه أخلاقنا، فانتزَعَهُ اللهُ من أيدينا، وجعلهُ إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقسَّمَهُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين المسلمين"^(٢)، فكان فضلها واضحا في تقسيم الغنائم على المسلمين المنتصرين في بدر، قسمة عادلة كما أرادها الله تعالى، والله أعلى وأعلم.
- ثانياً:- عن أبي بن كعب، عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "من قرأ سورة الأنفال وبراءة، فأنا له شفيع وشاهد يوم القيامة أنه برئ من النفاق، وأعطى من الأجر بعدد كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ويرفع له عشر درجات، وكان العرش وحملته يصلون عليه أيام حياته في دار الدنيا"^(٣).

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٩٢-٩٦.

(٢) رواه: ابن إسحاق، وابن جرير، وأحمد، وعبد الرزاق، وابن حبان، والواحدي، والحاكم، ومن طريقه البيهقي، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" لعبد بن حميد وأبي الشيخ وابن مردويه؛ من حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه، بألفاظ مختلفة، مطولاً ومختصراً.

انظر: تفسير الطبري: (٣٧٠/١٣)، وصحيح ابن حبان: (١١/١٩٣-شعيب)، واسباب النزول للواحدي (ص٢٦٦) ، والسيرة النبوية: (٣٤٣/٢)، وفقه السيرة: (ص٢٥١، ٢٥٢) ، والدر المنثور: (٥/٤).

(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٢٤/٤، وانظر: مجمع البيان: ٤٢٢/٤، وفضائل القرآن للمستغفري (١١٧٥): ص٧٧٧/٢، وأخرجه الواحدي في التفسير الوسيط (٣٨٤): ص٤٤٣/٢، ورواه الزمخشري في الكشف: ٢٤٠/٢ مرسلاً.

وحديث ابي بن كعب من قرأ سورة كذا، اعطي من الاجر كذا فذكر فضل سور القرآن سورة سورة وثواب قارئها إلى آخر القرآن، هذا الحديث أخرجه بطوله ابن الشجري في الأمالي الشجرية (١/٧٩) ، وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٥٨٨)، وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١/٢٤٠)، وقال بعده: "قد فرَّقَ هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، فذكر عند كل سورة

منه ما يخصها، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب منهما لأنهما ليسا من أصحاب الحديث، وإنما عجبت من أبي بكر بن أبي داود كيف فرّقه على كتابه الذي صنّفه في فضائل القرآن، وهو يعلم أنه حديث مُحال".

ثم قال: "حديث فضائل السور مصنوع بلا شك" وقال: "نفس الحديث يدل على أنه مصنوع؛ فإنه قد استنفذ السور، وذكر في كل واحدة ما يناسبها من الثواب بكلام ركيب في نهاية البرودة، لا يناسب كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم".

قلت: والحديث له طرق كلها تالفة:

الطريق الأولى: تفرد بها أبو الخليل بزيع بن حبان، قال الدارقطني: وهو متروك.

الطريق الثانية: تفرد بها مخلد بن عبد الواحد، قال ابن حبان في «المجروحين»: منكر الحديث جدا ينفرد بأشياء مناكير لا تشبه أحاديث الثقات، فبطل الاحتجاج به.

الطريق الثالثة: تفرد بها ميسرة بن عبد ربه، قال عبد الرحمن بن مهدي: قلت لميسرة بن عبد ربه: من أين جئت بهذه الأحاديث: «من قرأ كذا فله كذا»؟ قال: وضعته أرغب الناس فيه.

الطريق الرابعة: تفرد بها هارون بن كثير، قال ابن عدي: وهارون غير معروف، ولم يحدث به عن زيد بن أسلم غيره، وهذا الحديث غير محفوظ عن زيد.

وروى العقيلي في الضعفاء (١/١٧٥): عن عبد الله بن المبارك قال في حديث أبي بن كعب في فضائل السور: "أظن الزنادقة وضعته".

وقال العجلوني في كشف الخفا (٢/٤١٩): "فضيلة قراءة كل سورة، رروا ذلك وأسندوه إلى أبي بن كعب، ومجموع ذلك مقترى وموضوع بإجماع أهل الحديث".

سورة «التوبة»

سورة «التوبة»: هي السورة التاسعة في ترتيب المصحف، تأتي بعد سورة «الأَنْفَال»، وبعد «المائدة» في ترتيب النزول^(١)، وعدد آياتها (١٢٩) مائة وتسع وعشرون آية عند الكوفيين، ومائة وثلاثون عند الباقين، عدد كلماتها (٢٤٩٧) ألفان وأربعمائة وسبع وتسعون كلمة. وحروفها (١٠٧٨٧) عشرة آلاف وسبعمائة وسبع وثمانون حرفاً، والآيات المختلف فيها ثلاث: {بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [التوبة : ٣]، {عَادٍ وَتَمُودٍ} [التوبة : ٧٠]، {عَذَابًا أَلِيمًا} [التوبة : ٧٤]^(٢).

مجموع فواصل آياته (ل م ن ر ب) يجمها «لم نرب» على «اللأم» منها آية واحدة {إِلَّا قَلِيلٌ} [التوبة : ٣٨]، وعلى «الباء» آية {وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} [التوبة : ٧٨]، وكل آية منها آخرها «راء» فما قبل «الراء» «ياء»^(٣).

أسماء السورة:

أولاً:- اسمها التوقيفي:

١- سورة «التوبة»

اشتهرت هذه السرة باسم «سورة التوبة»، وبذلك كتبت في أكثر المصاحف وكتب التفسير والسنة، وقد وردت تسميتها في كلام الصحاب-رضي الله عنهم-.

- فعن حذيفة-رضي الله عنه- قال: "التي تسمون سورة «التوبة» هي سورة العذاب، والله ما تركت أحداً إلا نالت منه، ولا تقرأون منها مما كنا نقرأ إلا ربعا"^(٤).

- عن سعيد بن جبيرة-رضي الله عنه- قال: "قلت لابن عباس-رضي الله عنهما- سورة التوبة؟ قال: التوبة هي الفاضحة..."^(٥).

وقد ترجم لها الترمذي في جامعه^(٦)، باسم التوبة في كتاب التفسير، والحاكم في المستدرک^(٧)، في كتاب التفسير.

وسُميت بهذا الاسم لتكرار الحديث فيها عن التوبة والتائبين؛ ومن ذلك قوله: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} [التوبة : ٥، ١١]، وقوله: {ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ} [التوبة : ٢٧]، وقوله: {فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ} [التوبة : ٧٤]، وقوله: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} [التوبة : ١٠٢]، وقوله: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ} [التوبة : ١١٧]، وقوله: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ} [التوبة : ١٠٤]، وقوله: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ} [التوبة : ١١٢].

كما ورد فيها حدث عظيم وهو توبة الله تعالى على الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة «تبوك»، وفيهم يقول تعالى: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [التوبة : ١١٨].

٢- سورة «براءة»

(١) انظر: الكشاف: ٢/٢٤١.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٢٢٧، و عمدة القاري: ١٨/٣٤٤.

(٣) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٢٢٧.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، تفسير سورة التوبة، حديث رقم (٣٢٧٤): ص ٣٦١/٢، وأبو عبيد في فضائله، باب "فضل سورة براءة": ص ١٣٠، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٤/١٢٠، وعزاه للطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة الحشر، حديث رقم (٤٨٨٢): ص ٣٦٤/٦، ومسلم كتاب التفسير، باب "في سورة براءة والأَنْفَال والحشر"، حديث رقم (٣٠٣١): ص ٢٣٢٢/٤.

(٦) انظر: سنن الترمذي: ٥/٢٧٢.

(٧) انظر: المستدرک: ٢/٣٦١.

براءة: مصدر الفعل «برأ»، يقال: برا من العهد، بمعنى: خَلَص، وقيل: برئ، إذا تخلص، ومنه قوله تعالى: {أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ} [القمر: ٤٣]، أي: "براءة من عقابه تعالى، وأمان منه"^(١).
 ، ويقال: برئ، إذا تنزه وتباعد، وبرئ، إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [التوبة: ١]، أي: إغذار وإنذار^(٢).
 وسُميت بذلك في بعض المصاحف^(٣)، وقد جاءت هذه النسبية في كلام الصحابة رضي الله عنهم:-
 - عن ابي هريرة في قصة حج ابي بكر بالناس:- "فَأَذِنَ مَعَنَا عَلِيٌّ يَوْمَ النُّحْرِ فِي أَهْلِ مَنَى بِبَرَاءَةٍ... الحديث"^(٤).
 - وعن البراء رضي الله عنه، قال: "آخر سورة نزلت سورة البراءة... الحديث"^(٥).
 - وعن أبي عطية الهمداني، قال: "كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه:- تعلموا سورة براءة، وعلموا نساءكم سورة النور"^(٦).
 - وعن ابن عباس رضي الله عنهما- قال: "سألت علي بن ابي طالب رضي الله عنه- لم لم تكتب «بسم الله الرحمن الرحيم؟» قال: لأن «بسم الله الرحمن الرحيم» أمان، وبراءة نزلت بالسيف"^(٧).
 وقد ذكر هذا الاسم معظم المفسرين في كتبهم وبعضهم عنون بها السورة كالقرطبي^(٨)، والكلبي^(٩)، والثعالبي^(١٠)، وأبي السعود^(١١)، وسماها السخاوي^(١٢)، والسيوطي^(١٣)، في كتابيهما بسورة «براءة» ثم ذكرا بقية اسمائها، وبذلك ترجم لها البخاري في كتاب التفسير في صحيحه^(١٤).
 ووجه تسميتها بذلك، لافتتاحها بقوله سبحانه: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، وهي تسمية لها بأول كلمة منها، ولأنها نزلت بإظهار البراءة من الكفار.
 وهذان الاسمان: «التوبة»، و«البراءة» هما الاسمان التوفيقيان للسورة، وهما اشهر اسمائها، وذكر لها ابن الجوزي تسعة أسماء مع عز وكل قول لقائله.. قال: "والمشهور بين الناس: «التوبة وبراءة»"^(١٥).
 وقد وقع الاسمان (التوبة، والبراءة) معا في حديث زيد بن ثابت في صحيح البخاري، قال زيد: "أرسل إلي أبو بكر مقلت أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده»، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: «كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟» قال عمر: هذا والله خير، «فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح

- (١) محاسن التأويل: ٩٥/٩.
- (٢) انظر: اللسان، مادة "برأ" ص: ٣٣/١.
- (٣) انظر: التحرير والتنوير: ٩٥/١٠.
- (٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير "سورة البراءة"، حديث رقم (٥٦٥٥) ص: ٢٤٥/٥.
- (٥) أخرجه البخاري، كتاب التفسير "سورة النساء"، ديث رقم (٤٦-٥) ص: ٢٢٣/٥.
- (٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان باب في تعظيم القرآن "فضائل السور والآيات"، حديث رقم (٢٤٣٧) ص: ٤٧٢/٢، وأبو عبيد في فضائله: ص: ١٣٠، وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور: ١٢٠/٤، لسعيد بن منصور وأبي الشيخ.
- (٧) أورد السيوطي في الدر المنثور: ١٢٠/٤، وعزاه لأبي الشيخ وابن مردويه.
- (٨) انظر: تفسيره: ٩١/٨.
- (٩) انظر: تفسيره: ٧٠/٢.
- (١٠) انظر: تفسيره: ١١٤/٢.
- (١١) انظر: تفسيره: ٣٩/٣.
- (١٢) انظر: جمال القرآء: ٣٦/١.
- (١٣) انظر: الإقتان: ١٧٢/١.
- (١٤) صحيح البخاري: ٢٤٤/٥.
- (١٥) زاد المسير: ٣٨٩/٣.

الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر»، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتنبت القرآن فاجمعه، «فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن»، قلت: «كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟»، قال: هو والله خير، " فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتنبت القرآن أجمعه من العصب واللخاف، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره، [لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ] [التوبة: ١٢٨] حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه ^(١).

ثانياً: اسماءها الاجتهادية:

(١) رواه الزهري، عن عبيد بن السباق، عن زيد بن ثابت في قصة جمع القرآن في عهد أبي بكر وقال فيه: حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة الأنصاري - وفي رواية: أبي خزيمة، وفي رواية على الشك: خزيمة أو أبي خزيمة - لم أجدها مع أحد غيره: [لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم] [التوبة: ١٢٨ - ١٢٩] حتى خاتمة براءة. أخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" ص ٢٨٣، والبخاري (٤٦٧٩)، والطبراني في "الشاميين" (٣١٩٠) من طريق أبي اليمان، عن شعيب، عن الزهري، عن عبيد بن السباق، به. وقال فيه: خزيمة الأنصاري. وأخرجه البخاري (٧١٩١)، والبيهقي ٤٠/٢ - ٤١ من طريق محمد بن عبيد الله أبو ثابت، وأبو بكر المروزي (٤٥) من طريق سويد بن سعيد، والطبراني (٤٩٠٣)، والبيهقي ٤١/٢ من طريق أبي الوليد الطيالسي - وقرن البيهقي بالطيالسي إبراهيم بن مرة - أربعتهم عن إبراهيم بن سعد، عن الزهري، به، وقرن البيهقي بأبي الوليد الطيالسي إبراهيم بن حمزة. ولم يسبق لفظه.

وقالوا فيه: خزيمة أو أبو خزيمة على الشك.

وأخرجه أبو عبيد ص ٢٨١، والترمذي (٣١٠٣)، وأبو يعلى (٦٤)، وابن أبي داود في "المصاحف" ص ١٣ - ١٤ من طريق عبد الرحمن بن مهدي، وأبو يعلى (٩١) من طريق عبد العزيز بن أبي سلمة، وابن أبي داود ص ١٢ - ١٣ من طريق أبي داود الطيالسي، ثلاثتهم عن إبراهيم بن سعد، عن الزهري، به. وقالوا فيه: خزيمة بن ثابت.

وأخرجه أبو عبيد ص ٢٨٤، وابن أبي داود ص ١٤ - ١٥، وأبو يعلى (٧١)، والطبراني (٤٩٠٢) من طريق يونس بن يزيد الأيلي، والطبراني (٤٩٠١) من طريق عبد الرحمن بن خالد بن مسافر، كلاهما عن الزهري، به. وقالوا فيه: خزيمة بن ثابت. وأخرجه ابن أبي داود ص ١٤، والطبراني (٤٩٠٤) من طريق إبراهيم بن إسماعيل الأنصاري، عن الزهري، به. وقال فيه: رجل من الأنصار، ورواية الطبراني مختصرة: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم آية، وطلبها فلم أجدها حتى وجدتها مع رجل من الأنصار: [لقد جاءكم رسول من أنفسكم] الآية.

قلنا: ومما سبق من التفصيل يتبين أن معظم الرواة الثقات متفقون على أن اسم الصحابي هو خزيمة بن ثابت الأنصاري إلا رواية واحدة عند البخاري انفرد بها موسى بن إسماعيل، عن إبراهيم بن سعد، فقال: أبو خزيمة الأنصاري، ولعل الصواب ما عليه الأكثر.

وأما الآية، فقد وردت بانها الآية التي في الأحزاب: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: ٢٣]، أخرجه احمد (٢١٦٤٠): ص ٥٠٢-٥٠١/٣٥، وأخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" ص ٢٨٣، والبخاري (٢٨٠٧) و (٤٧٨٤)، والطبراني في "الشاميين" (٣٢١٣) من طريق الحكم بن نافع، بهذا الإسناد.

وأخرجه البخاري (٢٨٠٧) من طريق سليمان بن بلال، عن محمد بن أبي عتيق، عن الزهري، به.

وأخرج الطبراني (٤٨٤٣) من طريق خالد بن خدش، عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن عمرو بن أبي عمرو، و (٤٨٤٤) من طريق إبراهيم بن محمد، عن عبد العزيز الدراوردي، عن عمارة بن غزية، كلاهما عن الزهري، به، قصة نسخ القرآن في عهد أبي بكر دون قصة خزيمة.

وسواء كانت الآية التي في سورة التوبة، أو التي في سورة الأحزاب، فقد ثبت كونها قرأنا بإقرار الصحابة زيدا على إثباتها في المصحف وإجماعهم على تداولها وقراءتها فيما بعد في الأمصار، ومعنى قول زيد: "فلم أجدها إلا مع خزيمة" أي: أنه لم يجردها مكتوبة عند أحد إلا عند خزيمة، فالذي انفرد به خزيمة هو كتابتها لا حفظها، وليست الكتابة شرطاً في المتواتر بل المشروط فيه أن يرويه جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب، ولو لم يكتبه واحد منهم. انظر "الفتح" ١٥/٩. [انظر: مسند احمد: ٥٠٤-٥٠٢/٣٥. الهامش].

١-سورة «الفاضة»

«الفاضة»: مصدر من الفعل «فضح»، ويقال: افتضح الرجل يفتضح افتضاحاً: إذا ركب امراً سيئاً فاشتهر به، والفضيحة: إيم لكل امرئ سيء يشهر صاحبه بما يسوء^(١).

وقد ورد هذه التسمية عند بعض الصحابة:

- عن سعيد بن جبير، قال: "قلت لابن عباس سورة التوبة؟ قال التوبة، هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم، حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً منهم إلا ذكر فيها... الحديث"^(٢).
- عن عكرمة، قال: قال عمر-رضي الله عنه-: "ما فرغ من تنزيل براءة حتى ظننا أنه لم يبق منا أحد إلا سينزل فيه، وكانت تسمى الفاضحة"^(٣).
- عن قتادة، قال: "كانت هذه السورة تسمى الفاضحة، فاضحة المنافقين..."^(٤).

وقد وردت هذه التسمية في كتب التفسير، كتفسير الماوردي^(٥)، والزمخشري^(٦)، وابن عطية^(٧)، وابن الجوزي^(٨)، والرازي^(٩)، والقرطبي^(١٠)، والنسفي^(١١)، والكلبي^(١٢)، والبيضاوي^(١٣)، والثعالبي^(١٤)، وأبي السعود^(١٥)، والشوكاني^(١٦)، والألوسي^(١٧)، كما ذكرها الكرمانلي في غرائب التفسير^(١٨)، والفيروزآبادي في البصائر^(١٩)، والسيوطي في الإتيقان^(٢٠)، والسخاوي في جمال القراء^(٢١).

ووجه تسميتها بسورة «الفاضة»، لأنها فضحت المنافقين عند نزولها بإظهار نفاقهم وكشف اسرارهم، وأنبأهم بما في قلوبهم من الكفر وسوء النيات.

قال ابن عاشور: "وأحسب أن ما تحكيه من أحوال المنافقين يعرف به المتصفون بها أنهم المراد فعرف المؤمنون كثيراً من أولئك مثل قوله تعالى: ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني [التوبة: ٤٩] فقد قالها

(١) اللسان، مادة "ف ض ح" ص: ٥٤٥/٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة الحشر، حديث رقم (٤٨٨٢): ص ٣٦٤/٦، ومسلم كتاب التفسير، باب "في سورة براءة والأنفال والحشر"، حديث رقم (٣٠٣١): ص ٢٣٢٢/٤.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٢١/٤، وعزاه لأبي الشيخ.

(٤) انظر: الإتيقان: ١٧٣/١.

(٥) انظر: ٣٣٦/٢.

(٦) انظر: ١٣٦/٢.

(٧) انظر: ٣/٢.

(٨) انظر: ٣٨٩/٣.

(٩) انظر: ١٧٢/١٥.

(١٠) انظر: ٦١/٨.

(١١) انظر: ١١٤/٢.

(١٢) انظر: ٧٠/٢.

(١٣) انظر: ٣٩٤/١.

(١٤) انظر: ١١٤/٢.

(١٥) انظر: ٣٩/٣.

(١٦) انظر: ٤٨١/٢.

(١٧) انظر: ٤٠/٦.

(١٨) انظر: ٤٤٧/١.

(١٩) انظر: ٢٢٧/١.

(٢٠) انظر: ١٧٢/١.

(٢١) انظر: ٣٦/١.

بعضهم وسمعت منهم، وقوله: ومنهم الذين يؤذون النبيء ويقولون هو أذن [التوبة: ٦١] فهؤلاء نقلت مقالتهم بين المسلمين. وقوله: وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم [التوبة: ٤٢]"^(١).

٢- سورة «العذاب»

إذ سماها بذلك بعض الصحابة، ومما ورد في ذلك:

- عن ابن عباس: "أن عمر-رضي الله عنه- قيل له: "سورة التوبة؟ قال: هي إلى العذاب اقرب، ما أقلعت عن الناس حتى ما كادت تدع منهم احدا"^(٢).
- عن ابن مسعود-رضي الله عنه- قال: "يسمونها سورة التوبة ، وإنها لسورة العذاب، يعني: براءة"^(٣).

وذكر هذه الاسم بعض المفسرين في كتبهم كتفسير الزمخشري^(٤)، وابن عطية^(٥)، وابن الجوزي^(٦)، والرازي^(٧)، والخازن^(٨)، وأبي السعود^(٩)، والشوكاني^(١٠)، والالوسي^(١١)، وذكرها ابن العربي الأحكام^(١٢)، والسيوطي^(١٣)، والسخاوي^(١٤)، والفيروزآبادي^(١٥)، في كتبهم. ووجه تسميتها بذلك، لأنها نزلت بعذاب الكفار وتكرر فيها.

قال الفيروزآبادي: "وذلك لما فيها من إنعقاد الكفار بالعذاب مرة بعد أخرى في قوله تعالى: {سَعَدَبْتُهُمْ مَّرَّتَيْنِ} (التوبة: ١٠١)"^(١٦).

٣- سورة «المقشقة»

المقشقة: من الفعل "قشقتش"، يقال: قد قشقتش المريض: إذا افاق وبرأ، والقشقة: تهيؤ البرء، وفي الحديث: "كان يقال لسورتي: قل هو الله احد، وقل يا ايها الكافرون، المقشقتان"، أي: المبرئتان من النفاق والشرك، كما يبرأ المريض من علته^(١٧).

قال أبو عبيدة: "ومعناه المبرئتان من الكفر والشك والنفاق كما يقشقتش الهناء الجرب فيبرئه"^(١٨).

قال السخاوي: "وتسمى المقشقة؛ لأنها تقشقتش من النفاق أي تبرئ منه"^(١٩).

قال الزمخشري: "وهي تقشقتش من النفاق: أي تبرئ منه"^(٢٠).

(١) التحرير والتنوير: ٩٦/١٠.

(٢) اورده السيوطي في الدر المنثور: ١٢١/٤، وعزاه إلى أبي عوانة وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه، وانظر: مسند الفاروق (١١٤): ص ٦١/١.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٢١/٤، وعزاه لابي عوانة وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

(٤) انظر: تفسيره: ١٣٦/٢.

(٥) انظر: تفسيره: ٣/٢.

(٦) انظر: تفسيره: ٣٨٩/٣.

(٧) انظر: تفسيره: ٦/١٠.

(٨) انظر: تفسيره: ٣٣٢/٢.

(٩) انظر: تفسيره: ٣٩/٣.

(١٠) انظر: تفسيره: ٤٨١/٢.

(١١) انظر: تفسيره: ٤٠/٩.

(١٢) انظر: ٨٩١/٢.

(١٣) انظر: ١٧٢/١.

(١٤) انظر: ٣٦/١.

(١٥) انظر: ٢٢٨/١.

(١٦) البصائر: ٢٢٨/١.

(١٧) انظر: اللسان، مادة" ق ش ش" ص: ٣٣٧/٦، والنهاية: ٦٦/٤.

(١٨) مجاز القرآن ٦/١، وانظر: اللسان «قشقتش» ٦/٣٣٧.

(١٩) جمال القراء: ١٩٨/١.

وأسماءها بذلك ابن عمر رضي الله عنهما-، فعن زيد بن اسلم: "ان رجلا قال لعبدالله: سورة التوبة؟ فقال ابن عمر رضي الله عنهما:- وأيتها سورة التوبة، فقال: براءة، فقال ابن عمر: وهل فعل بالناس الأفاعيل إلا هي، ما كنا ندعوها إلا المقشقة"^(٢).

وقد وردت هذه التسمية في كتب المفسرين وعلوم القرآن^(٣).
ووجه تسميتها بذلك، لأنها تخلص وتبرئ من أمن بها من النفاق والشرك، لما فيها من الدعاء إلى الإخلاص، ولما فيها من وصف أحوال المنافقين^(٤).

٤- سورة «البحوث»

«البحث» لغة: أن تسأل عن شيء وتستخير، وتبحث عن الشيء، اي: فتشنت عنه، والبحوث: جمع بحث^(٥).

جاء في النهاية: "ورأيت في الفائق^(٦): سورة البحوث-بفتح الباء- فإن صحت فهي فعول من ابنية المبالغة، ويقع على الذكر والأنثى كامرأة صبور، ويكون من باب غضافة الموصوف إلى الصفة"^(٧).

وسمّاها بذلك المقداد كما اخرج الحاكم عنه أنه قيل له: "لوقعدت العام عن الغزو، قال: "أنت علينا البحوث يعني سورة التوبة، قال الله عزّ وجل: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا}"^(٨)، ولا أجدني إلا خفيفاً"^(٩).

ونسب هذه التسمية إلى ابي أيوب الأنصاري^(١٠)، كما عدّها المفسرون^(١١) من بين اسماء السورة.

ووجه تسميتها بسورة «البحوث»، لما تضمنته من ذكر المنافقين ونفاقهم والبحث عن أسرارهم.

٥- سورة «المنقرة»:

«التنقير» لغة: التنقيش، انتقر الشيء ونقر عنه: بحث عنه، والتنقير عن الامر: البحث عنه، و«المنقرة»-بكسر القاف- المشددة من نقر الطائر الشيء ينقره، إذا خربه^(١٢).

وأسماءها بـ«المنقرة» عبدالله بن عبيد بن عمير، كما اخرجه عنه ابو الشيخ، قال: "كانت براءة تسمية المنقرة، نقرت عما يلوب المشركين"^(١٣).

كما وردت هذه التسمية للسورة في بعض كتب المفسرين، كتفسير الزمخشري^(١٤)، والرازي^(١٥)، والبيضاوي^(١٦)، وابي السعود^(١٧)، والالوسي^(١٨)، وذكرها الكرمانى في العجائب^(١٩)، والسخاوي^(٢٠)، والسيوطي^(٢١) في كتابيهما.

(١) الكشاف: ١٧١/٢.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٢١/٤، وعزاه لابي الشيخ واين مردويه.

(٣) انظر: اسماء المفسرين في الاسم الثاني من الاسماء الاجتهادية، «سورة العذاب».

(٤) انظر: جمال القراء: ١٩٨/١، وروح المعاني: ٢٣٥/٥.

(٥) انظر: اللسان، مادة: بحث: "ص: ١١٥/٢.

(٦) الفائق في غريب الحديث للزمخشري: ٤٠٧/٢.

(٧) النهاية: ٩٩/١.

(٨) [التوبة: ٤١].

(٩) المستدرک، كتاب التفسير "سورة التوبة"، حديث رقم (٣٢٨٢): ص ٣٦٣/٢.

(١٠) نسب تسميتها إليه الطبرسي في مجمع البيان: ٦/١٠، والفيروزآبادي في البصائر: ٢٨٨/١.

(١١) انظر: اسماء المفسرين في الاسم الثاني من الاسماء الاجتهادية "سورة العذاب".

(١٢) انظر: اللسان، مادة: "نقر": ص ٢٢٧/٥.

(١٣) الدر المنثور: ١٢١/٤.

(١٤) انظر: تفسيره: ١٣٦/٢.

(١٥) انظر: تفسيره: ١٧٢/١٥.

(١٦) انظر: تفسيره: ٣٩٤/١.

(١٧) انظر: تفسيره: ٣٩/٣.

ووجه تسميتها بـ«المنقرة»، لأنها نقرت عما في قلوب المشركين، أي: بحث كما قال عبدالله بن عبيد، ولعله يعني: من نوايا الغدر بالمسلمين، والتماهي على نقض العهد^(٥).

٦- سورة «الحافرة»:

حفر الشيء يحفره حفراً، واحفروه: نقاه كما تحفر الأرض بالحديدة، وكانت سورة «براءة» تسمى «الحافرة»، وذلك أنها حفرت عن قلوب المنافقين^(٦).

ونسب الالوسي^(٧) هذه التسمية إلى الحسن البصري، وذكرها ابن الفرس^(٨)، وذكرها بعض المفسرين كالزمخشري^(٩)، والطبرسي^(١٠)، وابن الجوزي^(١١)، والرازي^(١٢)، والنسفي^(١٣)، والبيضاوي^(١٤)، وابي السعود^(١٥)، وذكرها السخاوي^(١٦)، والفيروزآبادي^(١٧).

ووجه تسميتها بذلك، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين ما كانوا يسترونه، فبحثت عنها فأظهرته للمسلمين، وذلك أنه لما فرض القتال تبين المنافق من غيره، ومن يوالي المؤمنين ممن يوالي أعدائهم، قال الفيروزآبادي: «الحافرة، لأنها تحفر قلوب أهل النفاق بمثل قوله: { إِنْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ آيَاتٌ مِنْ رَبِّكَ وَتُحْذَرُ مِنْ قَوْمٍ لِيُطَاقُوا عَهْدَهُمْ فُرْقَتَهُمْ هُمْ يَبْغُونَ } [التوبة: ١١٠]، [فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ] [التوبة: ٧٧]»^(١٨).
قال السخاوي: «والحافرة؛ لأنها حفرت عن أسرارهم»^(١٩).

٧- سورة «المثيرة»

وردت هذه التسمية عند قتادة، وذلك في قوله: «كانت هذه السورة تسمى: الفاضحة- فاضحة المنافقين- وكان يقال لها: المثيرة- أنبأت بمثالبهم وعوراتهم- فقال: المثالب: العيوب»^(٢٠).

كما وردت هذه التسمية في كتب التفسير وعلوم القرآن^(٢١)، وذكرها الكرماني في العجائب^(٢٢).
ووجه تسميتها بذلك، لأنها أثارت مخازي المنافقين وكشفت عن أحوالهم وهتكت أسرارهم^(٢٣).

(١) انظر: تفسيره: ٤٠/٩.

(٢) انظر: العجائب: ٤٤٧/١.

(٣) انظر: جمال القراء: ٣٦/١.

(٤) انظر: الإتيان: ١٧٢/١.

(٥) انظر: التحرير والتنوير: ٩٦/١.

(٦) انظر: اللسان، مادة «حفر»: ص ٢٠٤/٤.

(٧) انظر: تفسيره: ٤٠/٩.

(٨) كما في الإتيان للسيوطي: ١٣٧/١.

(٩) انظر: تفسيره: ١٣٦/٢.

(١٠) انظر: تفسيره: ٦/١٠.

(١١) انظر: تفسيره: ٣٨٩/٣.

(١٢) انظر: تفسيره: ١٧٢/١٥.

(١٣) انظر: تفسيره: ١١٤/٢.

(١٤) انظر: تفسيره: ٣٩٤/١.

(١٥) انظر: تفسيره: ٣٩/٣.

(١٦) انظر: جمال القرى: ٣٦/١.

(١٧) انظر: البصائر: ٢٢٨/١.

(١٨) البصائر: ٢٢٨/١.

(١٩) جمال القراء: ١٩٨/١.

(٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٥): ص ١٨٢٩/٦.

(٢١) انظر: أسماء المفسرين في الاسم الثاني من الاسماء الغتهدادية «العذاب».

(٢٢) انظر: العجائب: ٤٤٧/١.

(٢٣) انظر: مجمع البيان للطبرسي: ٦/١٠.

٨- سورة «المبعثرة»

قال ابن العربي: "يقال: بعثرت المتاع، إذا جعلت أعلاه أسفله، وقلبت جميعه وقلبته، ومنه قوله تعالى: {وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ} [الأنفطار : ٤]"^(١).
وعن ثابت بن الحارث الانصاري: "ماكانوا يدعون سورة التوبة إلا المبعثرة، فإنها تبعثر أخبار المنافقين"^(٢).

وسماها بهذا الاسم ابن عباس^(٣)، والحارث بن يزيد^(٤)، وروي عن محمد بن إسحاق: "كانت براءة تسمى في زمان النبي-صلى الله عليه وسلم-«المبعثرة»، لما كشفت من سرائر الناس"^(٥).
وذكر هذه التسمية كثير من المفسرين^(٦)، كما ذكرها الكرمانى في العجائب^(٧)، والسخاوي^(٨).
وفي وجه التسمية بـ«المبعثرة»، يقول السخاوي: "وتسمى المبعثرة؛ لأنها بعثرت عن أسرار المنافقين"^(٩).

وقال السيوطي: - أثناء ذكره لأسماء براءة- "وحكى ابن الفرس من أسمائها المبعثرة- وأظنه تصحيف المنقورة- فإن صح كملت الأسماء عشرة، ثم رأيت كذلك- يعني المبعثرة- بخط السخاوي في «جمال القراء» وقال: لأنها بعثرت عن أسرار المنافقين"^(١٠).
قال الزمخشري: "وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحت عنها وتثيرها"^(١١).

٩- سورة «المددمة»

يقال: دمدمهم ودمدم عليهم، أي: طحنهم وأهلكهم، وفي التنزيل: {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا} [الشمس : ١٤]، أي: أهلكهم^(١٢).
ونسبها الالوسي إلى سفيان بن عيينة^(١٣)، وذكرها كثير من المفسرين في كتبهم^(١٤)، كما ذكرها السخاوي^(١٥)، والسيوطي في كتابيهما^(١٦).
ووجه تسميتها بذلك، لأن فيها هلاك المنافقين.

١٠- سورة «المخزية»

المخزي: -بضم الميم وسكون الخاء- : المذلّ المحقور، والخزي: الهوان، وقد أخزاه الله: أي: أهانه الله^(١٧).

(١) أحكام القرآن: ٨١٩/٢.

(٢) أحكام القرين لان العربي: ٨٩١/٢.

(٣) انظر: البصائر: ٢٢٨/١.

(٤) عزاه غليه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٢٨/٣.

(٥) أخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور: ١٢١/٤، وانظر: زاد المسير: ٢٢٨/٣.

(٦) انظر: أسماء المفسرين في الاسم الأول من الاسماء العجائبية"الفاضحة".

(٧) انظر: العجائب: ٤٤٨/١.

(٨) انظر: جمال القراء: ١٩٨/١.

(٩) جمال القراء: ١٩٨/١.

(١٠) الإتقان: ١٥٥/١-١٥٦.

(١١) الكشاف: ١٧١/٢.

(١٢) انظر: اللسان، مادة"دم دم":ص ٢٠٨/١٢.

(١٣) انظر: روح المعاني: ٤٠/٩.

(١٤) انظر: أسماء المفسرين في الاسم الأول من الاسماء الإجتهدية"الفاضحة".

(١٥) انظر: جمال القراء: ٣٦/١.

(١٦) انظر: الإتقان: ١٧٣/١.

(١٧) انظر: اللسان، مادة"خزي":ص ٢٢٦/١٤.

وذكر هذه التسمية بعض المفسرين كالزمخشري^(١)، والرازي^(٢)، والنسفي^(٣)، والخازن^(٤)، والبيضاوي^(٥)، وابي السعود^(٦)، والشوكاني^(٧)، والألوسي^(٨)، كما ذكرها السخاوي^(٩)، والسيوطي^(١٠) في كتابيهما، دون نسبتها إلى أحد.

ووجه تسميتها بـ«المخزية»، لأنها فيها خزيا للمنافقين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة : ٢]، أي: "واعلموا أن الله مُذَلُّ الكافرين، ومُورَثهم العار في الدنيا، والنار في الآخرة"^(١١).

١١ - سورة «المنكئة»

يقال: نكل به تنكيلا، إذا جعله نكالا وعبرة لغيره، ويقال: نكلت بفلان إذا عاقبته في جرم اجرمه، تنكل غيره عن ارتكاب مثله^(١٢).

وقد وقعت هذه التسمية في بعض كتب التفسير وعلوم القرآن^(١٣)، دون أن ينسب هذا الاسم إلى قائل. ووجه تسميتها بذلك، لأنها معاقبة لهم ومنكئة بهم.

١٢ - سورة «المشردة»

يقال: شرذ البعير والدابة، نفر، فهو شارذ، والجمع شرذ، والتشريد: الطرد، رجل شريد: طريد، قال تعالى: ﴿فَشَرَّدَ بِهِمْ مَن حَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ﴾ [الأنفال : ٥٧]، أي: فرق وبدد جكعهم^(١٤).

وذكر هذا الاسم قسم من المفسرين في كتبهم وفي كتب علوم القرآن^(١٥)، دون الإشارة غلى من سماه بذلك.

وسميت بذلك "لأنها شرذت جموع المنافقين وفرقتهم"^(١٦).

وبعد فغن سائر هذه الأسماء إنما هي ألقاب وصفات للسورة لاهم ما اشتملت عليه، وقد شمل الزمخشري معانيها في تفسيره بقوله: "لها عدة أسماء: براءة، التوبة، المقشقة، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة، المثيرة، الحافرة، المنكئة، المدممة، سورة العذاب، لأن فيها التوبة على المؤمنين، وهي تفتش من النفاق أى تبرئ منه، وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرذ بهم وتخزيهم وتدمم عليهم"^(١٧).

- (١) انظر: تفسيره: ٢، ١٣٦.
- (٢) انظر: تفسيره: ١٧٢/١٥.
- (٣) انظر: تفسيره: ١١٤/٢.
- (٤) انظر: تفسيره: ٣٣٢/٢.
- (٥) انظر: تفسيره: ٣٩٤/١.
- (٦) انظر: تفسيره: ٣٩/٣.
- (٧) انظر: تفسيره: ٤٨١/٢.
- (٨) انظر: تفسيره: ٤٠/٩.
- (٩) انظر: جمال القراء: ٣٦/١.
- (١٠) انظر: الإتيان: ١٧٣/١.
- (١١) تفسير الطبري: ١١٢/١٤.
- (١٢) انظر: اللسان، مادة "نكل": ص ٦٧٧/١١.
- (١٣) انظر: أسماء المفسرين في الاسم السابق "المخزية".
- (١٤) انظر: اللسان، مادة "شرذط": ص ٢٣٦/٣.
- (١٥) انظر: أسماء المفسرين في الاسم الأول من الأسماء الإجتهدية "الفاضحة".
- (١٦) تفسير الخازي: ٣٣٢/٢.
- (١٧) الكشاف: ٢٤١/٢.

وتشترك هذه السورة مع سورة الانفال باسم «القرينتين»، كما سماها بهذا الاسم عثمان بن عفان- رضي الله عنه-، إذ أخرج عنه النحاس في ناسه قال: "وكانتا تدعيان في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم القرينتين فلذلك جعلتهما في السبع الطوال" (١).

مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على قولين:
أحدهما: أنها مدنية. وهذا قول ابن عباس (٢)، وعبدالله بن الزبير (٣)، وقتادة (٤)، وعليه جمهور المفسرين (٥).
قال الفيروزآبادي: "هذه السورة مدنية بالاتفاق" (٦).

والثاني: أنها مدنية إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان، وهما: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)} [التوبة: ١٢٨ - ١٢٩]. قاله مقاتل (٧)، وبه قال الزمخشري (٨)، والفخر الرازي (٩)، وابن جزى الكلبي (١٠).

قال العزيم عبدالسلام: "سورة التوبة مدنية اتفاقاً، أو إلا آيتين في آخرها، {لَقَدْ جَاءَكُمْ..} [١٢٨، ١٢٩] ، نزلتا بمكة" (١١).

قال ابن الجوزي: "هي مدنية بإجماعهم، سوى الآيتين اللتين في آخرها: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ..} (١٢)، فإنها نزلت بمكة" (١٣).

روى البخاري في «صحيحه» من حديث البراء قال: "آخر سورة نزلت براءة، وآخر آية نزلت: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ: اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ} [النساء: ١٧٦]" (١٤).

وقد نقل عن بعض العرب أنه سمع قارئاً يقرأ هذه السورة، فقال الأعرابي: "إني لأحسب هذه من آخر ما نزل من القرآن. قيل له: ومن أين علمت؟ فقال: إني لأسمع عهوداً تنبذ، ووصايا تنفذ" (١٥).
واختلفوا في أول ما نزل من (براءة) على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن أول ما نزل منها قوله تعالى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ} [التوبة: ٢٥]، يعرفهم نصره، ويوطنهم لغزوة «تَبُوك»، قاله مجاهد (١٦).

والثاني: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا} [التوبة: ٤١]، قاله مسلم بن صبيح (١)، وأبو الضحى (٢)، وأبو مالك (٣).

- (١) الناسخ والمنسوخ: ٤٧٨.
(٢) انظر: الدر المنثور: ١١٩/٤، وعزاه لابن مردويه، وانظر: بحر العلوم: ٣٧/٢.
(٣) انظر: الدر المنثور: ١١٩/٤، وعزاه لابن مردويه.
(٤) انظر: الدر المنثور: ١١٩/٤، وعزاه لابن المنذر.
(٥) انظر: بحر العلوم: ٣٧/٢، والكشف والبيان: ٥/٥، والتفسير الوسيط للواحد: ٤٧٥/٢، ودرج الدرر: ٨٥٧/٢، وتفسير النسفي: ٦٦١/١، وتفسير ابن كثير: ١٠١/٤، وغيرهم.
(٦) انظر: البصائر: ٢٢٧/١.
(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٥٣/٢-١٥٤.
(٨) انظر: الكشاف: ٢٤١/٢.
(٩) انظر: مفاتيح الغيب: ٥٢١/١٥.
(١٠) انظر: التسهيل: ٣٣١/١.
(١١) تفسير العزيم عبدالسلام: ٥/٢.
(١٢) [التوبة: ١٢٨-١٢٩].
(١٣) زاد المسير: ٢٣٠/٢.
(١٤) صحيح البخاري (٤٦٠٥): ص ٥٠/٦، وأخرجه مسلم في الفرائض باب آخر آية أنزلت آية الكلاله رقم (١٦١٨).
(١٥) زاد المسير: ٢٣٠/٢.
(١٦) انظر: تفسير الطبري (١٦٧٥٩): ص ٢٧٠/١٤.

والثالث: {إِنَّا تَنْصُرُوهُ} [التوبة : ٤٠]، قاله مقاتل^(٤).

قال ابن الجوزي: "وهذا الخلاف إنما هو في أول ما نزل منها بالمدينة، فانهم قد قالوا: نزلت الآيتان اللتان في آخرها بمكة"^(٥).

مناسبة السورة لما قبلها:

إن سورة «التوبة» كالمتممة لسورة «الأنفال» في معظم ما في أصول الدين وفروعه، وفي التشريع الذي جله في أحكام القتال والاستعداد له، وأسباب النصر فيه، وأحكام المعاهدات والمواثيق من حفظها ونبذها عند وجود المقتضى لذلك، وأحكام الولاية في الحرب وغيرها بين المؤمنين بعضهم مع بعض، والكافرين بعضهم مع بعض، وأحوال المؤمنين الصادقين والكفار والمذبذبين من المنافقين ومرضى القلوب، فما بدىء به في الأولى أتم في الثانية، ويمكن تأشير أهم أوجه المناسبة بين السورتين، كما يأتي^(٦):

١- تفصيل الكلام في قتال المشركين وأهل الكتاب.

ومن هنا، فإن هناك وجه مناسبة ورابطة عضوية وموضوعية بين السورتين الكريمتين، فموضوعهما واحد، وهو القتال، إلا أن سورة الأنفال تُمَثَّل أول مراحل تشريع القتال، وسورة التوبة تُمَثَّل آخر مرحلة من مراحل تشريع القتال، فقد جاء فيها آية السيف، وهي قوله تعالى: {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَاحْضَرُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ٥]، قال القرطبي: "نسخت هذه الآية كل آية في القرآن فيها ذِكرُ الإعراض والصبر على أذى الأعداء"^(٧).

٢- تحدثت سورة الأنفال عن غزوة بدر، وهي فاتحة الغزوات، وتناولت سورة التوبة غزوة تبوك، وهي خاتمة الغزوات.

٣- ذكر في الأولى صدَّ المشركين عن المسجد الحرام، وأنهم ليسوا بأوليائه، وجاء في الثانية « ما كان للمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ » إلى آخر الآيات.

٤- ذكرت اليهود في سورة الأنفال، وافتتحت سورة التوبة بتفصيل الكلام فيها.

٥- ذكر في سورة الأنفال الترغيب في إنفاق المال في سبيل الله، وجاء ذلك بأبلغ وجه في براءة.

٦- جاء في الأولى ذكر المنافقين والذين في قلوبهم مرض - وفصل ذلك في الثانية أتم تفصيل.

٧- جاء ذكر المنافقين ودورهم في الإرجاف في قوله تعالى { إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [الأنفال: ٤٩]، فإن سورة التوبة فضحت المنافقين وكشفت أسرارهم؛ ولهذا سميت "الفاضحة" و"البُحوث"^(٨).

وقد ذكروا في عدم كتابة البسمة في بداية سورة التوبة، أقوال^(٩):

أحدهما: أنه لم يكتب الصحابة ولا من بعدهم البسمة في أولها، لأنها لم تنزل معها كما نزلت مع غيرها من السور.

والثاني: رعاية لمن كان يقول إنها مع الأنفال سورة واحدة.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦٧٥٧): ص ٢٦٩/١٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦٧٥٨): ص ٢٧٠/١٤.

(٣) انظر: زاد المسير: ٢٣٠/٢.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٧١/٢.

(٥) زاد المسير: ٢٣٠/٢.

(٦) انظر: تفسير المراغي: ٥١-٥٠/١٠.

(٧) انظر: تفسير القرطبي: ٧٣/٨.

(٨) انظر: أسماء السورة الإجتهدية.

(٩) انظر: زاد المسير: ٢٣١/٢، وتفسير المراغي: ٥١-٥٠/١٠.

روي عن يزيد الفارسي، قال: "قال لنا ابن عباس- رضي الله عنهما- قلت لعثمان: "ما حملكم إلى أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المثنين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم. فقال عثمان: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه من السورة ذوات العدد فكان إذا نزل عليه يدعو بعض من يكتب فيقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها؟ فمن أجل ذلك فرقت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم"^(١). وكان قتادة يقول: "هما سورة واحدة"^(٢).

والثالث: لأنها جاءت لرفع الأمان والابتداء بالبسملة المذكورا فيها اسم الله موصوفا بالرحمة يوجبه. عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: "سألت علي بن ابي طالب- رضي الله عنه- لم لم تكتب «بسم الله الرحمن الرحيم؟» قال: لأن «بسم الله الرحمن الرحيم» أمان، وبراءة نزلت بالسيف"^(٣). وعن ابن الحنفية، قال: "قلت لأبي: لم لم تكتبوا في «براءة» «بسم الله الرحمن الرحيم»؟ فقال: يا بني، إن (براءة) نزلت بالسيف، وإن «بسم الله الرحمن الرحيم» أمان"^(٤). وسئل سفيان بن عيينة عن هذا، فقال: "لأن التسمية رحمة، والرحمة أمان، وهذه السورة نزلت في المنافقين"^(٥).

والرابع: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما كتب في صلح الحديبية «بسم الله الرحمن الرحيم»، لم يقبلوها وردوها، فما ردها الله عليهم، قاله عبد العزيز بن يحيى المكي^(٦). والقول الأخير لا يصح، وهو رأي لعبد العزيز، وليس بشيء وحديث صلح الحديبية متفق عليه. والله أعلم.

أغراض السورة ومقاصدها:

(١) أخرجه أحمد (١/ ٥٧)، وأبو داود (٧٨٦، ٧٨٧)، والترمذي (٣٠٨٦)، وابن حبان (٤٣)، والحاكم في المستدرک (٢/ ٣٣٠)، والبيهقي في سننه (٢/ ٤٢) وغيرهم. من طريق عوف، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس به. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، لا نعرفه إلا من حديث عوف، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس، ويزيد الفارسي قد روى عن ابن عباس غير حديث، ويقال: هو يزيد بن هرمز. ويزيد الرقاشي؛ هو: يزيد بن أبان الرقاشي ولم يدرك ابن عباس وإنما روى عن أنس بن مالك وكلاهما من أهل البصرة، ويزيد الفارسي أقدم من يزيد الرقاشي. قلت: وقد خولف الترمذي في تصحيحه لهذا الحديث. قال الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله- في تعليقه على المسند (١/ ١٩٧ - ١٩٨) في إسناده نظر كثير، بل هو عندي ضعيف جداً، بل هو حديث لا أصل له ثم قال: فهذا يزيد الفارسي الذي انفرد برواية هذا الحديث، يكاد يكون مجهولاً حتى شبه على مثل ابن مهدي وأحمد والبخاري أن يكون وابن هرمز أو غيره، ويذكره البخاري في الضعفاء. فلا يقبل منه مثل هذا الحديث ينفرد به، وفيه تشكيك في معرفة سور القرآن الثابتة بالتواتر القطعي، قراءة وسماعاً وكتابة في المصاحف، وفيه تشكيك في إثبات البسملة في أوائل السور، كأن عثمان كان يثبتها برأيه وينفيها برأيه، وحاشاه من ذلك. فلا علينا إذا قلنا إنه حديث لا أصل له تطبيقاً للقواعد الصحيحة التي لا خلاف فيها بين أئمة الحديث، أهـ. والحديث مختلف في إسناده على عوف الأعرابي. وانظر علل الدارقطني (٢٧٦). وضعف إسناده أيضاً الشيخ الألباني في ضعيف سنن أبي داود (١٦٨، ١٦٩).

(٢) سقط من الأصل، والاستدراك من المعرفة للبيهقي (٢/ ٣٧٢).

(٣) زاد المسير: ٢٣١/٢.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٤/ ١٢٠، وعزاه لأبي الشيخ وابن مردويه.

(٥) زاد المسير: ٢٣١/٢.

(٦) انظر: زاد المسير: ٢٣١/٢.

(٧) انظر: زاد المسير: ٢٣١/٢.

قال ابن عاشور: "افتتحت السورة كما تفتتح العهود وصكوك العقود بأدل كلمة على الغرض الذي يراد منها، كما في قولهم: هذا ما عهد به فلان، وهذا ما اصطلح عليه فلان وفلان، وقول الموثقين: باع، أو وگل، أو تزوج، وذلك هو مقتضى الحال في إنشاء الرسائل والموثيق ونحوها"^(١).
وبالفعل فإن هذه السورة ابتدأت حديثها بإعلان البراءة من أفعال الكافرين، وأعلنت المفصلة بين أهل الحق وأهل الباطل، وأهل الإيمان وأهل الشرك، وأهل الإسلام وأهل النفاق .
هذا من حيث فاتحة السورة، وتحديد هدفها العام، ثم وراء ذلك تضمنت السورة مقاصد أخر، نذكر منها^(٢):

أولاً:- معادة من أعرض عن اتباع الداعي إلى الله في توحيدِهِ، واتباع ما يرضيه، وموالاة من أقبل عليه. يدل على هذا المقصد: قصة الثلاثة المخلفين، فإنهم هُجروا، وأعرض عنهم بكل اعتبار، حتى بالكلام وبالسلام، إلى أن تاب الله عليهم .

ثانياً:- تضمنت السورة من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى الكثير؛ وذلك لتذكير تالي القرآن وسامعه المرة بعد المرة بربه وخالقه، وما هو متصف به من صفات الكمال، الذي يثمر له زيادة تعظيمه وحبه والرجاء في رحمته وإحسانه، والخوف من عقابه، لمن أعرض عن هداية كتابه، أو خالف حكمته وسنته في خلقه، وهذا أعلى مقاصد القرآن، في إكمال الإيمان، وإعلاء شأن الإنسان .

ثالثاً:- تقرير عدة عقائد من أصول الإيمان، وكمال التوحيد، وحصول اليقين، جُمعت كلها في آية واحدة من هذه السورة، وهي قوله تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [التوبة : ٥١]. فالمؤمن يعتقد أن الله تعالى هو مولاه الذي يتولى نصره وتوفيقه؛ فهو بمقتضى إيمانه يتوكل عليه ويفوض أمره إليه.

رابعاً:- بيان أن من مقتضى الإيمان الصحيح، تحري المؤمن إرضاء الله ورسوله معاً؛ ذلك بأن كل ما يرضي رسوله صلى الله عليه وسلم يرضي الله سبحانه، فرضا الله ورضا رسوله متلازمان، لا ينفكان، ولا يقبل إيمان عبد من غير اجتماعهما.

خامساً:- بيان علو مكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعناية الله تعالى به وحفظه ورعايته وتكريمه وتأديبه وتكميله إياه.

سادساً:- حظر التخلف عن هديه صلى الله عليه وسلم وسنته، والرغبة بالنفس عن نفسه، وبيان أن كل من يصون نفسه عن جهاد وعمل، بذل الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه فيه، فهو مفضل لنفسه على نفسه الكريمة في عهده، ومن ثم فإنه ينبغي لكل مؤمن أن يتأسى به صلى الله عليه وسلم في بذله ماله ونفسه لله والجهاد في سبيل الله بقدر إمكانه.

سابعاً:- تقرير أن دين الإسلام هو نور الله تعالى العام، وهده الكامل التام، الذي نسخ به ما تقدمه من الأديان، ووعد الله عز وجل بإتمامه، وخذلان مريدي إطفائه.

ثامناً:- بيان أن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هما مدخل الإسلام ومفتاحه وما يتحقق به، وهو قوله تعالى في المشركين: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [التوبة : ١١].

تاسعاً:- بيان أن بناء الإسلام على العلم الصحيح، دون التقليد الذي ذمه القرآن: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة : ٣١].

(١) التحرير والتنوير: ١٠/١٠٢.

(٢) انظر: مقاصد سورة التوبة، إسلام ويب، [موقع التكروني].

عاشرا:- التأكيد على المساواة بين الرجال والنساء في ولاية الإيمان المطلقة ، في قوله {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [التوبة : ٧١]، والمساواة بينهما في جميع نعيم الآخرة تبعاً للمساواة في التكليف، يفهم ذلك من قوله سبحانه: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة : ٧٢].

الحادي عشر:- كون بذل الأموال في سبيل الله آية الإيمان الصحيح وقوام الدين الحنيف، وفضل النفقة في الجهاد قُلت أو كثرت، وكون الجزاء عليها أحسن الجزاء. وكون البخل والامتناع عن الإنفاق في سبيل الله آية الكفر والنفق.

الثاني عشر:- بيان فوائد الزكاة المفروضة والصدقات، وإصلاح الإسلام النظام المالي للبشر، وامتيازه بذلك على جميع الأديان .

الثالث عشر:- إعلان البراءة من المشركين، لدفع المفاصد المترتبة على بقائها .

الرابع عشر:- التأكيد على أهمية الجهاد في سبيل الله؛ لنشر دينه، وقتال من يقف في وجه دعوة الإسلام، وتوعد الذين يتقاعسون عن الجهاد بحياة الذل والعذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

الخامس عشر:- عقد المعاهدات مع الدول والأمم من حقوق الأمة، لها غُثمها، وعليها غُرمها، وإنما يعقدها الإمام أو نائبه من حيث إنه هو الممثل لوحدة الأمة. ووجوب الوفاء بالمعاهدة ما دام الطرف الآخر من الأعداء يفي بها، ولا ينقص منها شيئاً .

السادس عشر:- بينت السورة أن الهدنة بين المسلمين ومن حاربهم مشروعة، وللمسلمين أن يبدؤوا بها إذا اقتضت مصلحتهم ذلك .

السابع عشر:- تأمين الحربي، بالإذن له بدخول دار الإسلام جائز للمصلحة، فإذا استأن من أجل سماع كلام الله، أو الوقوف على حقيقة الإسلام، وجبت إجارته ثم إبلاغه مأمنه عند الخروج من دار الإسلام .

الثامن عشر:- ذم القرآن للكفار والمنافقين، ونزاهته في ذمهم عن السب والشتم، ووصفهم بأنهم لا يرقبون ولا يراعون في أحد من المؤمنين قرابة ولا عهداً، وأنهم يصدون عن سبيل الله، وأن أكثرهم فاسقون، وأنهم هم المعتدون، وأشد ما وصفهم به أنهم رجس، وأنه كلما نزلت سورة من القرآن زادتهم رجساً إلى رجسهم، حتى ماتوا على كفرهم .

التاسع عشر:- بيان سياسة الإسلام في التعامل مع المنافقين، وأن من أظهر الإسلام منهم يعامل كما يعامل سائر المسلمين؛ لأن قاعدة الإسلام في هذا الصدد: أن الحكم على الظواهر، وأن الله تعالى وحده هو الذي يحاسب، ويعاقب على السرائر.

الناسخ والمنسوخ:

السورة تحتوي على إحدى عشرة آية منسوخة:

- الآية الأولى: قوله تعالى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (١) فسيحوا في الأرض أربعة أشهر} [التوبة : ١-٢]، والآية التي تليها، نزلت هذه ثم نزلت هذه فمن كانت بينه وبينهم موادة جعل الله مدتهم أربعة أشهر من يوم النحر إلى عشر من شهر ربيع الآخر فهذا مدة لمن كان بينه وبينهم عهد وجعل مدة من لم يكن بينه وبينهم عهد خمسين يوماً من يوم النحر إلى آخر المحرم وهو تفسير قوله تعالى: {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ} [التوبة : ٥]، يعني: المحرم وحده ثم صار ذلك منسوخاً بقوله تعالى: {فَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة : ٥]، وإنما يريد بذلك شهر المحرم لا غير سمي باسم الشهور وهو شهر واحد لأمرين أحدهما أنه متصل بشهرين حرامين سمي باسمهما والوجه الآخر إنما سماه على مذهب العرب والعرب تقول ركبنا البغال ولا تتركب إلا بغلاً واحداً وركبنا السفن وهو لا يركب إلا سفينة واحدة وهذا على وجه المجاز والقرآن من هذا مملوء.

- الآية الثالثة: قوله تعالى: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة : ٥] ، الآية مستثنى منها بقوله تعالى: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ} [التوبة : ٥] ، فأقامة الصلاة -ههنا-: الإقرار بها وكذلك إيتاء الزكاة. وهذه الآية من أعجيب أي القرآن لأنها نسخت من القرآن لأنها نسخت من القرآن مائة وأربعا وعشرين آية ثم نسخها الله تعالى بعد ثم استثنى من نسخها فنسخه بقوله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامِ} [التوبة : ٦] ، وهي آية السيف نسخت من القرآن مائة وأربعا وعشرين آية ثم صار آخرها ناسخا لأولها وهو قوله تعالى: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} [التوبة : ٥].

- الآية الرابعة: قوله تعالى: {إِنَّمَا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ} [التوبة : ٧] ، نسخت بقوله تعالى: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة : ٥].

- الآية الخامسة والسادسة: قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُؤْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَسَّرْنَاهُمْ بَعْدَابٍ أَلِيمٍ} [التوبة : ٣٤] ، ثم هدهم بالآية التي تليها: {يَوْمَ يُحْمَى} [التوبة : ٣٥] ، ثم نسختها بالزكاة المفروضة فبينت السنة أعيانها.

- الآية السابعة والثامنة قوله تعالى: {إِنَّمَا تَنفَرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ} [التوبة : ٣٩] ، وقوله تعالى: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا} [التوبة : ٤١] ، نسختها جميعا بقوله تعالى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً} [التوبة : ١٢٢] الآية، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا تَبَاتٍ أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا} [النساء : ٧١].

- الآية التاسعة قوله تعالى: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ} [التوبة : ٤٣] الآية، ثم رخص له بعد ذلك بقوله تعالى: {فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور : ٦٢].

- الآية العاشرة: قوله تعالى: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} [التوبة : ٨٠] ، فقال -عليه السلام-: "لأزيدن على السبعين"^(١) ، فنسخها الله بقوله: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} [المنافقون : ٦].

- الآية الحادية عشرة: قوله تعالى: {الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَبِقَافًا وَأَجْدَرُ} [التوبة : ٩٧] ، هذه الآية والتي تليها وهي: {وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَعْرَمًا وَيَنزِبُ بِكُمْ الدَّوَائِرَ} [التوبة : ٩٨] ، نسختها الله تعالى بقوله: {وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [التوبة : ٩٩] الآية. هذا جميع ما في هذه السورة من المنسوخ^(٢).

فضائل السورة:

وردت عدة أحاديث في فضائل هذه السورة، منها:

أولاً:- ذكر ابن رجب أن عبد الله ابن الإمام أحمد، وسعيد بن منصور أخرجا عن أبي بن كعب-رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ يوم الجمعة «براءة» وهو قائم يذكر بايام الله"^(٣).

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٩/ ٤٠٦ - ٤٠٧.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٩٧-١٠١.

(٣) أخرجه احمد(٢١٢٨٧):ص٢٠٨/٣٥-٢٠٩، حديث صحيح، وإسناد قوي إن ثبت سماع عطاء بن يسار من أبي بن كعب، عبد العزيز بن محمد -وهو الدراوردي- وشيخه شريك بن عبد الله صدوقان لا بأس بهما.

وأخرجه ابن ماجه (١١١١)، وذكر فيه سورة الملك، وأخرجه ابن خزيمة (١٨٠٧) و (١٨٠٨) ، والحاكم ٢٨٨-٢٨٧/١ و ٢٢٩/٢-٢٣٠، والبيهقي ٣/٢١٩-٢٢٠ من طرق عن سعيد بن أبي مريم، عن محمد بن جعفر بن أبي كثير، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن عطاء بن يسار عن أبي ذر قال: دخلت المسجد يوم الجمعة ... فذكره. فجعله من حديث أبي ذر.

قلنا: قال الذهبي في "تلخيص المستدرک": ما أحسب عطاء أدرك أبا ذر، ومثله قال الحافظ في "إتحاف المهرة" ١٤/١٧٢-١٧٣.

ثانياً:- عن أبي بن كعب عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال: " ما نزل من القرآن إلا آية آية وحرف حرف، ما خلا سورة براءة وقل هو الله أحد، فإنها أنزلت عليّ ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة"^(١).
ثالثاً:- وروي عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: " من قال إذا أصبح وإذا أمسى: «حسبي الله لا إله إلا هو؛ عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم»؛ سبع مرات؛ كفاه الله ما أهمه، صادقاً كان أو كاذباً"^(٢).

قال البيهقي: ورواه عبد الله بن جعفر، عن شريك، عن عطاء، عن أبي الدرداء، عن أبي بن كعب وجعل القصة بينهما، ورواه حرب بن قيس، عن أبي الدرداء، وجعل القصة بينه وبين أبي، ورواه عيسى بن جارية، عن جابر ابن عبد الله فذكر معنى هذه القصة بين ابن مسعود وأبي بن كعب، ورواه الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس فجعل معنى هذه القصة بين رجل غير مسمى وبين عبد الله بن مسعود، وجعل المصيب عبد الله بن مسعود بدل أبي. وليس في الباب أصح من هذا الحديث الذي ذكرنا إسناداه، والله أعلم، فقد رواه أبو سلمة بن عبد الرحمن مرسلًا بين أبي ذر وبين أبي بن كعب في شيء سأل عنه، وأسندته محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

قلنا: أما رواية عبد الله بن جعفر فلم نجد لها.

وأما رواية حرب بن قيس فستأتي في مسند أبي الدرداء ١٩٨/٥. وإسنادها ضعيف.

وأما رواية عيسى بن خارجة، فأخرجها أبو يعلى (١٧٩٩) و (١٨٠٠)، ومن طريقه أخرجها ابن حبان (٢٧٩٤)، وإسنادها ضعيف.

وأما رواية الحكم بن أبان، فأخرجها ابن خزيمة (١٨٠٩)، وإسنادها ضعيف.

وأما رواية أبي سلمة المرسله فأخرجها عبد الرزاق (٥٤٢٤)، وإسنادها ضعيف.

وأما رواية محمد بن عمرو الموصولة فأخرجها الطيالسي (٢٣٦٥)، والبزار (٦٤٣-كشف الأستار)، والطحاوي ٣٦٧/١، والبيهقي ٢٢٠/٣. وإسنادها حسن.

قلنا: ولم ينفرد محمد بن عمرو بوصله، بل توبع، فأخرجه الطبراني في "مسند الشاميين" (٢٨٤٠) من طريق معاوية بن سلام، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، به مختصراً. وإسناده صحيح.

وأخرجه عبد الرزاق (٥٤٢١) عن معمر، عن عمرو وغيره، عن الحسن، فذكر القصة بين ابن مسعود وأبي بن كعب، مثل رواية عيسى بن خارجة.

وفي باب الإنصات إلى الخطيب يوم الجمعة عن أبي هريرة سلف برقم (٧٣٣٢)، وانظر تنمة شواهد هناك.

قال التهانوي في أعلام السنن ٧٣/٤: "رواه عبدالله بن احمد من زياداته، ورجاله رجال الصحيح كذا في "مجمع الزوائد" (٢١٧/١)، وهو صحيح، كذا في كنز العمال: ٢٧٥/٤.

(١) أخرجه الثعلبي عن عائشة، في الكشف والبيان: ٥/٥، وذكره الزمخشري في الكشف: ١٧٩/٢، والحديث موضوع، انظر: تحقيقه في فضل سورة الانفال، والحديث وغن كان موضوعاً إلا أنه مذكور في فضل هذه السورة ولهذا اتيت به في هذا المقام وهكذا في جميع السور.

(٢) حديث منكر، أخرجه أبو داود (٥٠٨١) - عن يزيد بن محمد دمشقي -، وابن عساكر في "التاريخ" (١٠ / ١٤٦ / ٢) - من طريق أبي زرعة وإبراهيم بن عبد الله بن صفوان - ثلاثتهم قالوا: حدثنا عبد الرزاق بن عمر بن مسلم - زاد يزيد بن محمد دمشقي: وكان من ثقات المسلمين من المتعبدين - : أخبرنا مدرك بن أبي سعد (وقال يزيد: ابن سعد، شيخ ثقة) عن يونس بن ميسرة بن حلبس عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: ... فذكره موقوفاً عليه.

وخالفهم أحمد بن عبد الله بن عبد الرزاق المقرئ فقال: أخبرنا جدي عبد الرزاق ابن عمر بإسناد المذكور عن أبي الدرداء مرفوعاً.

أخرجه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" (رقم ٧١)، وابن عساكر (١٠ / ١٥٧ / ١) من طريقين عنه؛ إلا أن ابن السني لم يذكر فيه قوله:

"صادقاً كان أو كاذباً".

وكذلك لم يذكر هذه الزيادة في رواية أبي داود الحافظ ابن كثير في "التفسير"، والسيوطي في "الدر المنثور" (٣ / ٢٩٧). ولما ذكرها ابن كثير من رواية ابن عساكر الأولى الموقوفة؛ قال:

"وهذه زيادة غريبة". ثم قال في حديث ابن عساكر هذا المرفوع - وفيه الزيادة -.

"وهذا منكر، والله أعلم".

وجملة القول في هذا الحديث: أن إسناد الموقوف رجاله ثقات، بخلاف المرفوع؛ فإن مداره على أحمد بن عبد الله بن عبد الرزاق المقرئ، ولم أعرفه، ولا ذكره ابن الجزري في "غاية النهاية في طبقات القراء".

ومع ذلك؛ فقد خالف الثقات الذين أوقفوه؛ كما رأيت، فحري بمثله أن يكون ما رفعه منكراً. وأما قول المنذري في "الترغيب" (١/ ٢٢٧) :

"رواه أبو داود هكذا موقوفاً، ورفع ابن السني وغيره، وقد يقال: إن مثل هذا لا يقال من قبل الرأي والاجتهاد، فسبيله سبيل المرفوع!"

فأقول: ذلك من الممكن بالنسبة لأصل الحديث، بخلاف الزيادة؛ فإنها غريبة منكرة؛ كما قال ابن كثير، وهو ظاهر جداً؛ إذ لا يعقل أن يؤجر المرء على شيء لا يصدق به، بل هذا شيء غير معهود في الشرع. والله أعلم.

ثم رأيت الحديث قد روي مرسلًا بلفظ:

"من قال: حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم؛ قال الله عز وجل: لأكفين عبدي؛ صادقاً كان أو كاذباً".

أخرجه الطبراني في "الدعاء" (ق ١١٨ / ٢) ، وعنه عبد الغني المقدسي في "السنن" (١ / ٢٣٥) من طريق هشام بن عمار: حدثنا مدرك بن أبي سعد الفزاري عن يونس بن ميسرة بن حلبس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ... فذكره. وهذا إسناد مرسل، رجاله ثقات؛ على ضعف في هشام بن عمار؛ فإنه كان يتلقن. فهذه على أخرى في الحديث؛ وهي الإرسال والاضطراب في متنه. والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأما المقدسي فقال:

"هذا حديث مرسل، ورجاله كلهم ثقات!" [انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (٥٢٨٦): ص ٤٤٩/١١-٤٥١]

سورة «يونس»

سورة «يونس»: هي السورة العاشرة في ترتيب المصحف، تأتي بعد سورة «التوبة»، وبعد «الإسراء» في ترتيب النزول^(١)، وعدد آياتها (١١٠) مائة وعشر آيات عند الشاميين، و(١٠٩) مائة وتسع عند الباقيين، عدد كلماتها (١٤٩٩) ألف وأربعمائة وتسع وتسعون كلمة. وحروفها (٧٠٦٥) سبعة آلاف وخمس وستون، والآيات المختلف فيها: {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [يونس : ٢٢]، {وَشِفَاءَ لِمَا فِي الصُّدُورِ} [يونس : ٥٧]، و{مِنَ الشَّاكِرِينَ} [يونس : ٢٢]^(٢).

مجموع فواصل آياته (م ل ن) يجمها « ملن » على « اللأم » منها آية واحدة {وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} [يونس : ١٠٨]، وكلُّ آية على «الميم» قبل «الميم» «ياء»^(٣).
أسماء السورة:

ولهذه السورة أسماء أشهرها:

أولاً:- اسمها التوقيفي: سورة «يونس»:

سميت في المصاحف وفي كتب التفسير والسنة: «سورة يونس»، ووجه تسميتها بسورة «يونس»، لأنها انفردت بذكر قصة قوم يونس-عليه السلام- إذ أنهم آمنوا بعد أن توعدهم رسولهم بنزول العذاب، فعفا الله عنهم لما آمنوا، وذلك في قوله تعالى: {قُلُوبًا كَانَتْ قَرِيَةً آمَنَتْ فَأَنفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ} [يونس : ٩٨].
قال الصاوي: "سميت [السورة] بذلك لذكر اسمه فيها وقصته، وقد جرت عادة الله بتسمية السورة ببعض أجزائها"^(٤).

وقد وردت تسميتها بسورة «يونس» في كلام بعض الصحابة والتابعين، وذلك كما يأتي:

- روي عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: "نزلت سورة يونس بمكة"^(٥).
- وعن الاحنف، قال: "صليت خلف عمر-رضي الله عنه- الغداة، فقرأ بـ«يونس» و«هود»، وغيرهما"^(٦).
- وعن محمد بن سيرين، قال: "كانت سورة «يونس» تعدّ «السابعة»"^(٧).

ثانياً: اسمها الاجتهادي: سورة «السابعة»:

سمّاها السيوطي في كتاب التخبير في علم التفسير: «السابعة»، وعلل تسميتها بقوله: "لأنها سابعة السبع الطوال"^(٨).

والحق أن السورة انفردت باسم سورة «يونس» ولا يعرف لها سام غيره، ولم نجد في كتب التفسير والسنة-فيما وقفنا عليه- من يسميها بغير اسمها المشهور.

مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكّية. وهذا قول ابن عباس^(١)، وعبدالله بن الزبير^(٢)، والحسن^(٣)، وعكرمة^(٤)، وعطاء^(٥)، وجابر^(٦)، وعليه جمهور المفسرين^(٧).

(١) انظر: الكشاف: ٣٢٦/٢.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٢٣٨ / ١، وعمدة القاري: ٣٤٤ / ١٨.

(٣) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٢٣٨ / ١.

(٤) حاشية الصاوي: ٢٢٣ / ٢.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٣٩ / ٤، وعزاه إلى النحاس وابي الشيخ وابن مردويه.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الصلوات، باب "ما يقرأ في صلاة الفجر": ص ٣٥٣ / ١.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٣٩ / ٤، وعزاه لأبي الشيخ.

(٨) التخبير في علم التفسير: ٣٧٠.

قال الفيروزآبادي: "اعلم أن هذه السورة مكّية، بالاتفاق"^(٨).
 والثاني: أنها مكية إلا قوله: {وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ} [يونس : ٤٠].
 نزلت بالمدينة في اليهود. وهذا قول الكلبي^(٩).
 والثالث: أن كلها مكية غير آيتين وهما: قوله- تعالى-: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ
 يَفْرَعُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} [يونس : ٩٤]، وقوله: {وَلَا
 تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [يونس : ٩٥] ، فإنهما مدنيّتان. وهذا قول مقاتل^(١٠).
 والرابع: أنها مكية إلا ثلاث آيات، وهي: (٩٤ و ٩٥ و ٩٦). وهذا القول منسوب إلى ابن عباس^(١١).
 والخامس: أنها مكية، إلا الآيات: (٤٠ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦) فمدنية، به قال الزمخشري^(١٢).
 والسادس: أنه نزل من أولها نحو من أربعين آية بمكة وباقيها بالمدينة. حكاها القرطبي عن آخرين^(١٣).
 قال السيوطي: "المشهور أنها مكية وعن ابن عباس روايتان فتقدم في الآثار السابقة عنها أنها مكية
 وأخرجه ابن مردويه من طريق العوفي عنه ومن طريق ابن جريج عن عطاء عنه ومن طريق خصيف عن
 مجاهد عن ابن الزبير، وأخرج من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس أنها مدنية، ويؤيد
 المشهور ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: «لما بعث الله محمدا رسولا
 أنكرت العرب ذلك، ومن أنكروا منهم قالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا [مثل محمد]، فأُنزل الله:
 {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ}»^(١٤)»^(١٥).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومن مناسبتها لما قبلها:

١- ختمت سورة «التوبة» بذكر صفات الرسول-صلى الله عليه وسلم-، قال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
 مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة : ١٢٨]، وبدأت
 سورة «يونس» بتبديد الشكوك والالوهام نحو إنزال الوحي على الرسول-صلى الله عليه وسلم-

- (١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٣٩/٤، وعزاه إلى النحاس وابي الشيخ وابن مردويه.
- (٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٣٩/٤، وعزاه إلى ابن مردويه.
- (٣) عزاه إليه القرطبي في تفسيره: ٣٠٤/٨، وانظر: فتح القدير للشوكاني: ٤٧٩/٢.
- (٤) عزاه إليه القرطبي في تفسيره: ٣٠٤/٨، وانظر: فتح القدير للشوكاني: ٤٧٩/٢.
- (٥) عزاه إليه القرطبي في تفسيره: ٣٠٤/٨، وانظر: فتح القدير للشوكاني: ٤٧٩/٢.
- (٦) عزاه إليه القرطبي في تفسيره: ٣٠٤/٨.
- (٧) انظر: تفسير عبدالرزاق: ١٧٣/٢، والكشف والبيان: ١١٦/٥، وبحر العلوم: ١٠٢/٢، وتفسير ابن كثير: ٢٤٥/٤، وروح المعاني: ٥٥/٦، والبصائر: ٢٣٨/١-والدر المنثور: ٣٣٩/٤.
- (٨) انظر: البصائر: ٢٣٨/١.
- (٩) عزاه إليه القرطبي في تفسيره: ٣٠٤/٨.
- (١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٤/٢.
- (١١) عزاه إليه القرطبي في تفسيره: ٣٠٤/٨.
- (١٢) انظر: الكشاف: ٣٢٦/٢.
- (١٣) انظر: تفسير القرطبي: ٣٠٤/٨.
- (١٤) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٥٢١):ص٢٢٨٤/٧. والخبر بتمامه: "عن ابن عباس قال: لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك، ومن أنكروا منهم قالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد فأُنزل الله: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ}، وقال: {وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فسنلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون}، يعني: فاسألوا أهل الذكر والكتب الماضية: أبشرا كانت الرسل الذين أتتهم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة أتتكم وإن كانوا بشرا فلا تنكروا إن يكون رسولا. ثم قال: {وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى}، أي: ليسوا من أهل السماء كما قلتم".
- (١٥) الإقتان في علوم القرآن: ٤٧/١-٤٨.

- للتبشير والإنذار، قال تعالى: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ} [يونس : ٢].
- ٢- تحدث معظم آيات سورة «التوبة» في أحوال المنافقين وموقفهم من القرآن، إذ طلب المشركون والكفار من الرسول-صلى الله عليه وسلم- أن ينزل عليهم آية من الله تعالى، لا اعتقادهم بأن القرآن غير معجز وانه ليس من عند الله، وزعمهم أنه من عند محمد -صلى الله عليه وسلم-، قال تعالى: {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَمْ يَرَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩)} [يونس : ٣٧ - ٣٩].
- ٣- ومن المناسبة بين السورتين: ذكرت سورة «التوبة» أوصاف الرسول التي تستدعي الإيمان به وبما جاء به من عند الله، قال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة : ١٢٨]، ثم ذكر هذا الكتاب الذي أنزل والنبى الذي ارسل وأن شأن الضالين التكذيب بالكتب الإلهية، قال تعالى: {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ (٢)} [يونس : ١ - ٢] (١).

أغراض السورة ومقاصدها:

- وسورة «يونس»-كباقي السور القرآنية- لها مقاصد عظيمة وجليلة، فمن أشهر تلك المقاصد:
- ١- بيان أن القرآن الكريم كتاب محكم واضح بين فيما اشتمل عليه من حرام وحرام وحدود واحكام.
 - ٢- أن مقومات اختيار الأنبياء لا تعتمد على معايير الناس ومفاهيمهم كالمال والغنى والثروة والجاه والزعامة، وإنما المعيار هو ما في علم الله تعالى من كون النبي المصطفى-صلى الله عليه وسلم- هو الأكفأ والأجدر بتحمل أعباء الرسالة، والأوفق لتحقيق المصلحة وتبليغ الوحي إلى الناس.
 - ٣- لقد خلق الله تعالى السماوات والأرض في ستة أيام، لتعليم الخلق التثبت في الأمر، مع أنه تعالى قادر على خلق جميع العالم في أقل من لمح البصر.
 - ٤- إن أحوال الشمس والقمر وما فيهما من الفوائد، والمنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار، وكل ما خلق الله في السماوات والأرض آيات دالة على وجود الله توحيده، وكمال قدرته وعظيم سلطانه، ولم يخلق الله ذلك إلا لحكمة وصاب، ومصالحة للإنسان.
 - ٥- بيان أن للكافرين الجاحدين عذاب النار بسبب ما اكتسبوا أو اقترفوا من الكفر والتكذيب والمعاصي، وقد وصفهم الله تعالى بصفات أربع في الآية السابعة من سورة «يونس»، وهي (٢):
الاولى:- {إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا} [يونس : ٧]، أي: لا يخافون عقابا ولا يرجون ثوابا.
الثانية:- {وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [يونس : ٧]، أي: رضوا بها عوضا من الآخرة فعملوا لها.
الثالثة:- {وَاطْمَأَنُّوا بِهَا} [يونس : ٧]، أي: فرحوا بالدنيا وسكنوا إليها.
الرابعة:- {وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ} [يونس : ٧]، أي: لا يعتبرون ولا يتفكرون بأدلتنا.
 - ٦- بيان أن للمؤمنين المحققين العاملين الاعمال الصالحة جنات تجري من تحتهم الأنهار، أي: من تحت بساطينهم أو أسرّتهم أنهار، يمجدون الله فيها، والفرحة تغمرهم، والبهجة تملأ قلوبهم، والسعادة ترفرف بأجنحتها عليهم، تحية الله لهم، أو تحية الملك أو تحيتهم لبعضهم: سلام، قال تعالى: {إِنَّ

(١) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ١١/١٧٥، و٥/٩٣-٩٤.

(٢) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ١/١١٦.

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ { [يونس : ٩].

٧- زَيْنَ لِلْإِنْسَانِ الدَّعَاءَ عِنْدَ الْبِلَاءِ، وَالْإِعْرَاضَ عِنْدَ الرِّخَاءِ، زَيْنَ لِلْمُشْرِكِينَ أَعْمَالَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَهَذَا التَّرْيِيبُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ اللَّهِ بِخِذْلَانِهِ وَتَخْلِيَتِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الشَّيْطَانِ بوسوسته، وإضلال الشيطان: دعاؤه بالكفر، قال تعالى: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [يونس : ١٢] (١).

٨- إن إهلاك الأمم الظالمة قديما وحديثا غنما يكون بسبب الظلم، والظلم: إما بالكفر والشرك، وإما بالطغيان والأفراد والحكام، قال تعالى: {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} [يونس : ١٣].

٩- المقصود من إنزال القرآن تبليغه إلى جميع الناس، ولاسيما المشركون، ولولا أن تكون مشيئة الله ذلك لما أنزله، لما أمر بتلاوته عليهم، ولما أخبرهم بمضمونه.

١٠- القرآن الكريم كلام الله بدليل إعجازه من حيث النظم والأسلوب والمبنى، ومن حيث المعاني التي اشتمل عليها، وبدليل كون المبلغ له أميا لم يقرأ ولم يكتب ولم يتعلم من أحد، وبدليل التحدي لمعارضته والإتيان بمثله أو بأقصر سورة من مثله، قال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [يونس : ٣٨]، وقال في سورة «البقرة»: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة : ٢٣].

١١- سبق القضاء من الله بأنه لا يقضي بين العباد فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب قبل يوم القيامة، ولولا ذلك الحكم السابق والتأجيل المتقدم، لقضى الله بين الناس في الدنيا، فادخل المؤمنين الجنة والكافرين النار بكفرهم، وهو موعدهم يوم القيامة الذي جعله الله لحكمة بالغة هي إعطاء الفرصة الكافية للإنسان في تصحيح عقيدته، وتعديل وضعه، والتوبة من عصيانه وكفره، وضلاله، حتى لا يؤخذ على حين غر، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠)} [يونس : ٦٩ - ٧٠].

١٢- أن الكفار شأنهم نكث العهد وعدم الوفاء به، فبالرغم مما قد يتعرضون له من مخاطر الغرق تراهم ينسون ذلك، ويعودون إلى الفساد في الأرض بالمعاصي، والبغي: الفساد والشرك، وهو اشنع أنواع الظلم، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٩٧)} [يونس : ٩٦ - ٩٧].

١٣- أن كل إنسان مسؤول عن نفسه وسيلقى جزاءه إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، فلا يؤاخذ الله أحد بذنب الآخر.

١٤- أن الحواس: من سمع وبصر، لها هدفان (٢):

أحدهما: هدف ظاهري: وهو سماع المسموعات ورؤية المبصرات، لتكون الحياة بوجه سليم.
والثاني: هدف حقيقي: وهو استخدام تلك الحواس في تدبر المسموع وفهمه وتعلقه وإنعام النظر وإدراك البصيرة في أمور الدين والاخلاق، للتوصل إلى نعمة الإيمان والهداية والحق، والتخلص من ظلمة الكفر والظلال والباطن.

(١) انظر: المنتخب في تفسير القرين الكريم، لجنة من علماء الأزهر: ٢٨٧/١.

(٢) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ١٨٥/١١.

١٥- للذين أحسنوا العمل في الدنيا المثوبة الحسنى وهي الجنة، والزيادة فضلا من الله وهي تضعيف الحسنات، والنظر إلى وجه الله الكريم، والشعور بالسعادة الظاهرية والباطنية، فلا غشاوة لغبار مع سواد في محشرهم إلى الله، ولا مذلة ولا إهانة، قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمْ النَّبِيُّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤)} [يونس : ٦٣ - ٦٤].

١٦- أن للمسيئين الذين اشركوا بالله تعالى وكفروا بنعمته فلم يقابلوها بالإيمان والإحسان عقاب مماثل لسينئاتهم دون زيادة، أخذوا بالعدل، ويغشاهم الهوان والخزي والذل والعار، ولا عاصم لهم، ولا مانع يمنعمهم من عذاب الله، وجوههم مسودة كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل في حال ظلمته، قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمِيلُهَا وَتَرَهُمْ ذِلَّةً مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [يونس : ٢٧].
حمانا الله من عذا أهل النار تكرما وإحسانا ونعاما، وهدانا إلى سواء السبيل.

١٧- أن لكل أمة رسول شاهد عليهم، فإذا جاء رسولهم يوم القيامة قضي بينهم، وكذلك لا يعذب الناس في الدنيا حتى يرسل إليهم الله تعالى رسولا، فمن آمن فاز ونجا، ومن أعرض هلك وعذب.

١٨- أن إنزال العذاب مقدر بأجل معين في علم الله تعالى، ولا يملك إنزاله إلا الله تعالى، ومتى حان وقت هلاك أمة من الأمم، فلا يتأخر ولا يتقدم لحظة، وليس لرسول أو نبي أو غيرهما الحيلولة دون وقوع العذاب المقرر.

١٩- أن استعجال العذاب لا نفع فيه، وغنما النافع هو الإيمان قبل نزول العذاب، فإذا نزل فلا فائدة ولا نفع فيه، لأن إيمان اليأس غير مفيد ولا صحيح.

٢٠- أن الله مالك من في السماوات ومن في الأرض، فيحكم فيهم بما يريد ويفعل فيهم ما يشاء، فليس للمحكوم والمملوك نفاذ أو تدخل غي أي حكم، أو قدرة على التصرف في الاملاك، وهذا دليل سلب الأولوية عما سوى الله -عز وجل-، قال تعالى: {أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} [يونس : ٦٦] (١).

٢١- ذم الغفلة وعدم التفكير في أسباب الحوادث الجسام وعواقبها المؤثرة في التاريخ.
٢٢- سنة الله تعالى عند إيقاع العذاب الشامل إنجاء الرسل والمؤمنين معهم، وإهلاك الكافرين الضالين المكذبين، وهذا الاصطفاء والتمييز عدل من الله ورحمة (٢).

الناسخ والمنسوخ:

السورة تحتوي على ثمان آيات من المنسوخ:

- الآية الأولى: قوله تعالى: {إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [يونس : ١٥]، نسخت بقوله تعالى: {لِيَعْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ} [الفتح : ٢] الآية.
- الآية الثانية: قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ} [يونس : ٢٠] هذا محكم، وباقي الآية منسوخ بأية السيف.
- الآية الثالثة: قوله تعالى: {وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ} [يونس : ٤١] الآية كلها نسخت بأية السيف.
- الآية الرابعة: قوله تعالى: {وَإِمَّا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعُكَ} [يونس : ٤٦]، نسختها آية السيف.

(١) انظر: صفوة التفسير: ٥٤٦/١.

(٢) انظر: منهجيات الإصلاح في سورتي «يونس وهود»-دراسة موضوعية-، إيمان محمود محمد الفراء- (بحث ماجستير في التفسير وعلوم القرآن)-: ص ٢٨-٣٣. [بتصرف].

- الآية الخامسة: قوله تعالى: {أَقَانَتْ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [يونس : ٩٩]، نسخت بآية السيف.
- الآية السادسة: قوله تعالى: {فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ} [يونس : ١٠٢]، نسختها آية السيف.
- الآية السابعة: قوله تعالى: {رَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} [يونس : ١٠٨]، نسختها آية السيف.
- الآية الثامنة قوله تعالى: {وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ} [يونس : ١٠٩]، نسخ الصبر بآية السيف^(١).

فضائل السورة:

وردت عدة أحاديث في فضائل هذه السورة، منها:

- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثاً من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فأقرأ ثلاثاً من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثاً من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي -صلى الله عليه وسلم- «إذا زلزلت الأرض» حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبداً، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلق الرويجل» مرتين^(٢).
- أخرج الثعلبي عن أبي بن كعب قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ سورة يونس أعطي من الأجر ومن الحسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به، وبعدد من غرق مع فرعون»"^(٣).
- أخرج ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله أعطاني الرائيات إلى الطواسين مكان الإنجيل»"^(٤).

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٠٢-١٠٤.
 (٢) أخرجه أبو داود في "باب تحزيب القرآن" (١٣٩٩) ص: ٥٧/٢. والبيهقي في الشعب، في تعظيم القرين، فصل "في فضائل السور والآيات" (٢٥١٢) ص: ٤٩٦/٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٢١) ص: ٢١٦-٢١٧.
 وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، راء، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.
 وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والذخرف، والدخان، والجمعة، والأحقاف.
 وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّحَ وَبَسَّحَ وَسَبَّحَ، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.
 وحكم الألباني «ضعيف»، انظر: «ضعيف أبي داود» (٢٤٧).
 [تعليق شعيب الأرنؤوط]

إسناده صحيح، عيسى بن هلال الصديقي، روى عنه غير واحد وذكره المؤلف في الثقات، وهو صدوق كما قال الحافظ في التقریب (ص ٤٤١)، وقال الحاكم: "حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله: «بل صحيح»، أي: فقط من غير أن يكون على شرط الشيخين (٥٨٠/٢)، وأورده الفسوي في تاريخه: ٥١٥ / ٢ - ٥١٦ في ثقات التابعين من أهل مصر، وبقاى رجاله ثقات من رجال الصحيح.

(٣) الكشف والبيان: ١٦٦/٥.

(٤) الدر المنثور: ٣٣٩/٤.

الرائيات: هي السور المبدوءة بـ«الر» والطواسين: هي السور المبدوءة بـ«طسم» أو «طس».

سورة «هود»

سورة «هود»: هي السورة العاشرة في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة «يونس»^(١)، وعدد آياتها (١٢٢) مائة واثنان وعشرون عند الشَّامِيِّين، و(١٢١) مائة وإحدى وعشرون عند المكيين والبصريين، و(١٢٣) ومائة ثلاث وعشرون عند الكوفيين، عدد كلماتها (١٩١١) ألف وتسعمائة وإحدى عشرة كلمة، وحروفها (٧٦٠٥) سبعة آلاف وستمائة وخمس، والآيات المختلف فيها سبع: { بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ } [هود : ٥٤]، { فِي قَوْمٍ لُوطٍ } [هود : ٧٤]، { مَنْ سَجَّلٍ } [هود : ٨٢]؛ { مَنْضُودٍ } [هود : ٨٢]، { إِنَّا عَامِلُونَ } [هود : ١٢١]، { إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [هود : ٨٦]، { مُخْتَلِفِينَ } [هود : ١١٨]^(٢).

مجموع فواصل آياته (ق ص د ت ل ن ظ م ط ب ر ز د) يجمعها قولك: «قصدت لنظم طبر زد»^(٣).

أسماء السورة:

اسمها التوقيفي: سورة «هو»:

سميت في المصاحف وفي كتب التفسير والسنة: «سورة هود»، ولا يعرف لها اسم غير ذلك. وهو توقيفي من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، كما روي عنه في احاديث عديدة، منها:

- عن ابن عباس قال: قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: يا رسول الله قد شئت! قال: قال رسول الله: "شيبنتي هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت"^(٤).

- وعن عبدالله بن رباح، ان النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: "اقرأوا هود يوم الجمعة"^(٥).

كما روي عن السلف، فعن الاحنف قال: "صليت خلف عمر-رضي الله عنه- الغداة، فقرأ بـ«يونس» و«هود»، وغيرهما"^(٦).

ووجه تسميتها بسورة«هود»، لاشتمالها على قصة هود - عليه السلام - وتفصيلها^(٧)، إذ تكرر اسمه فيها خمس مرات^(٨)، ولأن ما حكي عنه فيها أطول مما حكي عنه في غيرها، ولأن عادا وصفوا فيها بأنهم قوم هود في قوله تعالى: {وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمٍ هُودٍ} [هود : ٦٠].

وذكر ابن عاشور: "إنها أضيفت إلى السورة تمييزا لها عن باقي السور ذوات الافتتاح بـ«الر»^(٩). وقال السخاوي: "وإنما سميت به دون ذكر فيها من الانبياء لخفة اسمه"^(١٠)، وهذا القول فيه نظر، وإنما الأقرب منه إلى الصواب هو لتكرار اسم هود-عليه السلام- في السورة دون غيره من الأنبياء.

مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. روى ذلك ابن أبي طلحة عن ابن عباس^(١)، وابن الزبير^(٢)، وبه قال الحسن^(٣)، وعكرمة^(٤)، ومجاهد^(٥)، وعطاء^(٦)، وجابر بن زيد^(٧)، وقتادة^(٨). وعليه جمهور المفسرين^(٩).

(١) انظر: الكشاف: ٣٧٧/٢.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٢٤٦.

(٣) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٢٤٦.

(٤) سوف يأتي تخرجه في فضائل السورة.

(٥) سوف يأتي تخرجه في فضائل السورة.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه، كتاب الصلوات، باب"ما يقرأ في صلاة الفجر":ص٣٥٣/١

(٧) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٢٤٦.

(٨) انظر: الآيات: [٥٠، ٥٣، ٥٨، ٦٠، ٨٩]. كما أنه ورد اسم«هود» في بعض سور القرآن، مثل سورة:الأعراف، الآية:٦٥، والشعراء، الآية:١٢٤.

(٩) التحرير والتنوير: ٣١١/١١.

(١٠) جمال القراء: ٣٦/١.

قال الفيروزآبادي: " هذه السورة مكية بالإجماع"^(١٠).
والثاني: أنها مكية لإقوله تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُلًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود : ١١٤]؛ فإنها مدنية. وهذا القول منسوب إلى ابن عباس^(١١)، وقتادة^(١٢)، وبه قال السمعاني^(١٣)، والبغوي^(١٤).
والثالث: أنها مكية ماعدا الآيات: (١٢ ، ١٧ ، ١١٤)^(١٥)، فمدنية. قاله مقاتل^(١٦)، وبه قال الزمخشري^(١٧)، الفخر الرازي^(١٨)، وابن عاشور^(١٩).
مناسبة السورة لما قبلها:
ومن وجوه المناسبة بين السورتين:

١- ختمت سورة «يونس» بالحث على اتباع الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- ولزومه، والصبر على ما يتعرضون له من الأذى وجزاء صبرهم الجنة، فقال تعالى، في سورة «يونس»: {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} [يونس : ١٠٩]، ثم قال تعالى في بداية سورة «هود»: {الر كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)} [هود : ١]، إذ ابتدأت بوصف الكتاب الذي أنزله على نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم- وأنه من عند الله تعالى، وأنه محكم آياته لا نقص فيه ولا خلل، فهو كامل، لأنه صادر من عند الله الخبير بأحوال عباده وما يحتاج إليه^(٢٠).

٢- ذكر في سورة «يونس» قصص بعض الأنبياء-عليه السلام- مجملو، وفصلت في سورة «هود».

٣- ورد في خاتمة سورة «يونس» الحث على وجوب إخلاص العبادة لله تعالى، ونبذ الشرك والمشركين، فقال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ

- (١) انظر: زاد المسير: ١٥٥/٢، وتفسير الخازي: ٤٧٠/٢، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٦/٤، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٦/٤، وعزاه إلى النحاس-في تاريخه- وابي الشيخ وابن مردويه.
(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٦/٤، وعزاه إلى ابن مردويه..
(٣) انظر: زاد المسير: ١٥٥/٢، وتفسير القرطبي: ١/٩.
(٤) انظر: زاد المسير: ١٥٥/٢، وتفسير القرطبي: ١/٩، وتفسير الخازي: ٤٧٠/٢.
(٥) انظر: زاد المسير: ١٥٥/٢، وتفسير الخازي: ٤٧٠/٢.
(٦) انظر: تفسير القرطبي: ١/٩.
(٧) انظر: زاد المسير: ١٥٥/٢، وتفسير القرطبي: ١/٩، وتفسير الخازي: ٤٧٠/٢.
(٨) انظر: زاد المسير: ١٥٥/٢، وتفسير الخازي: ٤٧٠/٢.
(٩) انظر: بحر العلوم: ١٣٧/٢، وتفسير ابن كثير: ٣٠٢/٤، وتفسير ابن زنين: ٢٧٧/٢، والكشف والبيان: ١٥٦/٥، و درج الدرر في تفسير الآي والسور: ٩٦١/٣، والبصائر: ٢٤٦/١، وتفسير البيضاوي: ١٢٧/٣، وغيرها.
(١٠) البصائر: ٢٤٦/١.
(١١) انظر: تفسير القرطبي: ١/٩، وتفسير الخازن: ٤٧٠/٢.
(١٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/٩، وتفسير الخازن: ٤٧٠/٢.
(١٣) انظر: تفسير السمعاني: ٤١١/٢.
(١٤) انظر: تفسير البغوي: ١٥٦/٤.
(١٥) أما استثناء الآية (١١٤)، فقد نقل القرطبي (١/٩) عن ابن عباس وقتادة، وابن الجوزي في زاد المسير (٣٥٥ /٢) عن ابن عباس فقط، وهذه الآية المستثناة أسباب نزولها في المدينة. والله أعلم.
(١٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٧٠/٢.
(١٧) انظر: الكشاف: ٣٧٧/٢.
(١٨) انظر: مفاتيح الغيب: ٣١٢/١٧.
(١٩) انظر: التحرير والتنوير: ١٤٨/٣.
(٢٠) انظر: نظم الدرر: ٤٩٨/٣.

اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّأَكُمْ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧) [يونس : ١٠٤ - ١٠٧]، وافتتحت سورة «هود» ببيان الوحي وإحكام القرآن ودعوته إلى عبادة الله والتوبة إليه والإيمان بالبعث والمعاد والثواب والعقاب والحساب وحاجة المشركين في ذلك وتحديدهم بالقرآن، وذكر في قصص بعض الانبياء كنوح وإبراهيم وهود وصالح ولوط وشعيب-عليهم السلام-، قال تعالى: {الر كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثَابَرُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣) إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤)} [هود : ١ - ٤].

أغراض السورة ومقاصدها:

- وسورة «هود»-كباقي السور القرآنية- لها مقاصد عظيمة وجليلة، فمن أشهر تلك المقاصد:
- ١- وصف القرآن الكريم بـ (الإحكام)، و(التفصيل)، في حالتي البشارة والنذارة. وهذا يقتضي وضع كل شيء في مكانه الأنسب والأقوم، وإنفاذه على الوجه الأفضل والأحكم .
 - ٢- العناية بكل دابة في الأرض، والقدرة على كل شيء من البعث وغيره. وهذا يقتضي العلم بكل معلوم، ويلزم منه تفرده سبحانه بالملك .
 - ٣- اعتمدت السورة أسلوب الدعوة بالترهيب؛ ولذلك جاءت آياتها متضمنة للوعيد والتعليق والتهديد، كما في قوله: {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢)} [هود : ٢]، وقوله عز وجل: {وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣) إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤)} [هود : ٣ - ٤] ، وأظهر ما جاء هذا المقصد في قصة قوم هود حين قال الله تعالى: {وَتِلْكَ آيَاتُ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَّا بُعْدًا لِعَدَابِ قَوْمٍ هُوَ (٦٠)} [هود : ٥٩ - ٦٠]
 - ٤- اشتملت السورة على أصول عقائد الإسلام من التوحيد، والبعث، والجزاء، والعمل الصالح، وإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وقصص الرسل عليهم السلام .
 - ٥- بينت سنن الله في الأمم، كبيان عاقبة الظالمين، والمفسدين في الأرض. وأن سبب الظلم والإجرام الموجب لهلاك الأمم، هو اتباع أكثرهم لما أترفوا فيه من أسباب النعيم والشهوات واللذات. وأن المترفين هم مفسدوا الأمم ومهلكوها. ويؤيد هذا أن كل ما نشاهده من الفساد في عصرنا، إنما مرده إلى الافتتان بالترف، واتباع ما يقتضيه الإتراف، من فسوق وطغيان وإفراط وإسراف.
 - ٦- تحدثت عن صفات النفس وأخلاقها من الفضائل والردائل، التي هي مصادر الأعمال من الخير والشر، والحسنات والسيئات، والصالح والفساد. وبينت فضائل الرسل والمؤمنين التي يجب التأسي بها، ومساوئ الكفار التي يجب تطهير الأنفس منها .
 - ٧- دأب المفسدين في عداوة المصلحين ورثة الأنبياء، وأشدهم كيدا لهم أهل الحسد والبدع، من لابس لباس العلماء، وأعوان الملوك والأمراء .
 - ٨- الظلم والطغيان والركون إلى الظالمين عاقبته وخيمته، وكل ذلك يودي بصاحبه إلى المهالك .
 - ٩- بيان أن القصد من القصص القرآني تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يستدعي أيضاً تثبيت قلب من سار على هديه، وسلك نهجه في الدعوة إلى الله.
 - ١٠- أكدت السورة فضيلة (الصبر)، فقد ذكر (الصبر) في هذه السورة في ثلاثة مواضع، فـ (الصبر) هو الخلق الذي يستعان به على جميع الأعمال الفردية والجماعية في الشدة والرخاء، والسراء والضراء.

- ١١- دعت السورة إلى (الاستقامة) كما أمر الله تعالى، وهذا يستدعي النهي عن الفساد في الأرض، ويلزم منه الأمر بالصلاح فيها.
- ١٢- بيّن الله سبحانه لعباده ما يُكفّر سيئاتهم أفراداً، وهو فعل الحسنات التي تمحو السيئات، وبيّن لهم ما هو منجاة للأمة والأفراد من الهلاك في الدنيا قبل الآخرة، وهو وجود طائفة راشدة فيها، تنهاها عن الفساد في الأرض بالظلم، والفسوق وارتكاب الفواحش والمنكرات.
- ١٣- بيّن سبحانه أنه سنته في الأمم، أنه لا يهلك القرى بظلم أهلها مصلحون، فقال تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ} [هود : ١١٧]، أي: وأهلها مصلحون في أعمالهم وأحكامهم، وهذا هو الأساس الأعظم لبقاء الأمم وموتها، وعزتها وذلتها. وعبر عن (الأمم) بـ{القرى}، وهي عواصم مملكتها؛ لأنها مأوى الزعماء والرؤساء الحاكمين، الذين تفسد الأمم بفسادهم، وتصلح بصلاحهم.
- ١٤- أوضحت السورة أن أخذ الله {القرى} الظالمة عند استحقاقهم للعذاب في المستقبل، سيكون على نحو أخذه لها في الماضي، أليماً شديداً، لا هوادة فيه، ولا رحمة، ولا محاباة.
- ١٥- أفادت قصة نوح مع ابنه أن محبة الأولاد فطرة إنسانية، وغريزة مركوزة في النفس البشرية، وحقوقهم على الوالدين مقررة في الشرع بما يحدد دواعي هذه الغريزة، ويقف بها دون الغلو المفضي إلى عصيان الله سبحانه، أو هضم حقوق عباده.
- ١٦- بيان أن سنن الله تعالى في اختلاف الأمم في (الدين) كاختلافهم في التكوين والعقول والفهوم، فهو سنة كونية.
- ١٧- تلك أهم المقاصد التي تضمنتها سورة هود، ويبقى ورائها مقاصد أخرى، لا تخفى على من تأمل هذه السورة، ووقف معها وقفة تدبر^(١).

الناسخ والمنسوخ:

- السورة تحتوي من المنسوخ على أربع آيات:
- الآية الأولى: قوله تعالى: {إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [هود : ١٢]، نسخ معناها لا لفظها بآية السيف.
 - الآية الثانية: قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ} [هود : ١٥]، نسخت بقوله تعالى في بني إسرائيل: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا} [الإسراء : ١٨].
 - الآية الثالثة والرابعة: قوله تعالى: {وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ} [هود : ١٢١]، والآية التي تليها: {وَانتظروا إِنَّا مُنتظرون} [هود : ١٢٢]، الآيتان نسختنا جميعاً بآية السيف^(٢).

فضائل السورة:

- وردت عدة أحاديث في فضائل هذه السورة، منها:
- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثاً من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثاً من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثاً من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي -صلى الله عليه وسلم- «إذا زلزلت

(١) انظر: مقاصد سورة «هود»، موقع إسلام ويب.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٠٥-١٠٦.

الأرض» حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبداً، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين^(١).

- عن ابن عباس قال: قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: يا رسول الله قد شئت! قال: قال رسول الله: "شيبنتي هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت"^(٢).

قال القرطبي: "قال أبو عبد الله: فالفرع يورث الشيب وذلك أن الفرع يذهل النفس فينشف رطوبة الجسد، وتحت كل شعرة منبع، ومنه يعرق، فإذا انتشف الفرع رطوبته يبست المنابع فيبس الشعر وابتيض، كما ترى الزرع الأخضر بسقاية، فإذا ذهب سقاؤه يبس فابيض، وإنما يبيض شعر الشيخ لذهاب رطوبته ويبس جلده، فالنفس تذهل بوعيد الله، وأحوال ما جاء به الخبر عن الله، فتذبل، وينشف ماءها ذلك الوعيد والهول الذي جاء به، فمنه تشيب. وقال الله تعالى: {يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا} [المزمل : ١٧]، فإنما شابوا من الفرع. وأما سورة «هود» فلما ذكر الأمم، وما حل بهم من عاجل بأس الله تعالى، فأهل اليقين إذا تلوها تراءى على قلوبهم من ملكه وسلطانه ولحظاته البطش بأعدائه، فلو ماتوا من الفرع لحق لهم، ولكن الله تبارك وتعالى اسمه يطف «٤» بهم في تلك الأحيان حتى يقرءوا كلامه. وأما أخواتها فما أشبهها من السور، مثل: {الْحَاقَّةُ} [الحاقة : ١]، و{سَأَلْ سَائِلٌ} [المعارج : ١]، و{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} [التكوير : ١]، و{القَارِعَةُ} [القارعة : ١]، ففي تلاوة هذه السور ما يكشف لقلوب العارفين سلطانه ويطشه فتذهل منه النفوس، وتشيب منه الرؤوس.

قلت-الإمام القرطبي:- وقد قيل: إن الذي شيب النبي صلى الله عليه وسلم من سورة «هود»، قول: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} [هود : ١١٢]، على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى. وقال يزيد بن أبان: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي فقرأت عليه سورة "هود" فلما ختمتها قال: «يا يزيد هذه القراءة فأين البكاء»^(٣).

(١) أخرجه أبو داود في "باب تحزيب القرآن" (١٣٩٩): ص ٥٧/٢. والبيهقي في الشعب، في تعظيم القرين، فصل "في فضائل السور والآيات" (٢٥١٢): ص ٤٩٦/٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٢١): ص ٢١٦-٢١٧.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، راء، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجن، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّحَ وَيُسَبِّحُ وَسَبَّحَ، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

وحكم الألباني «ضعيف»، انظر: «ضعيف أبي داود» (٢٤٧).

[تعليق شعيب الأرنؤوط]

إسناده صحيح، عيسى بن هلال الصديقي، روى عنه غير واحد وذكره المؤلف في الثقات، وهو صدوق كما قال الحافظ في التقریب (ص ٤٤١)، وقال الحاكم: "حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله: «بل صحيح»، أي: فقط من غير أن يكون على شرط الشيخين (٥٨٠/٢)، وأورده الفسوي في تاريخه: ٥١٥ / ٢ - ٥١٦ في ثقات التابعين من أهل مصر، وباقى رجاله ثقات من رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الترمذي وحسنه في (كتاب التفسير - سورة الواقعة) والحاكم في المستدرک (٣٤٣ / ٢) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣٥٧ / ١) والبعثي في شرح السنة (٣٧٢ / ٤) وفي التفسير، كلهم من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

ورواه أيضا الطبراني في الكبير (١٠٠٩١)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في "زوائد الزهد" (٩)، والمروزي في "مسند أبي بكر" (٣٠ - ٣٢)، وابن سعد في الطبقات (٤٣٦ / ١)، وابن عساکر (١٧٣، ١٧٢ / ٤) والحديث غير ثابت وعلله أكثر الأئمة، وانظر علل الدارقطني (١٩٣ / ١ - ٢١١)، والنكت على ابن الصلاح لابن حجر (٧٧٤ - ٧٧٦)، وصحح الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في السلسلة الصحيحة (٩٥٥).

(٣) تفسير القرطبي: ١/٩-٢.

- وعن عبدالله بن رباح، ان النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: "اقرأوا هود يوم الجمعة"^(١).

(١) أخرجه الدارمى (٥٤٥/٢، رقم ٣٤٠٤) ، وأبو داود فى المراسيل (١٠٣/١، رقم ٥٩) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٤٧٢/٢، رقم ٢٤٣٨) . وعزاه أيضا: لأبى الشيخ وابن مردويه المصنف فى الدر المنثور (٣٩٦/٤) ، والشوكانى فى فتح القدير (٤٧٩/٢) . قال المناوى (٦٧/٢) : قال الحافظ ابن حجر: "حديث مرسل وسنده صحيح".
والحديث اسناده ضعيف لاجل غرسال عبدالله بن رباح، وفي الدارمى رواية اخرى من حديث عبدالله بن رباح عن كعب مرسلا، قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: «اقرأوا سورة هود يوم الجمعة»، والحديث ضعفة الالبانى، انظر: ضعيف الجامع: ١٥١.

سورة «يوسف»

سورة «يوسف»: هي السورة الثانية عشر في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة «هود»^(١)، وعدد آياتها (١١١) مائة وإحدى عشرة، بلا خلاف، عدد كلماتها (١٧٧٦) ألف وسبعمائة وست وسبعون، وحروفها (٧١٦٦) سبعة آلاف ومائة وست وستون، وما فيها آية مختلف فيها^(٢).
مجموع فواصل آياته يجمعها قولك «لم نر»، منها آية واحدة على اللام: ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦]^(٣).

أسماء السورة:

اسمها التوقيفي: سورة «يوسف»:

سميت في المصاحف وفي كتب التفسير والسنة: «سورة يوسف»، ولا يعرف لها اسم غير ذلك. وهو اسم توقيفي من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، كما دوتت به في المصاحف وكتب التفسير والسنة:

- عن ابن إسحاق: " أن رافع بن مالك أول من قدم المدينة بسورة يوسف، يعني: بعد أن بايع النبي-صلى الله عليه وسلم- يوم العقبة"^(٤).
- أخرج الحاكم-وصححه- عن رفاعه بن رافع الزرقي: " وكان قد شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خرج وابن خالته معاذ بن عفراء حتى قدما مكة فلما هبطا من الثنية رأيا رجلا تحت شجرة - قال: وهذا قبل خروج السنة الأنصاريين - قال: فلما رأيناه كلمناه فقلنا: نأتي هذا الرجل نستودعه حتى نطوف بالبيت فسلمنا عليه تسليم الجاهلية فرد علينا بسلام أهل الإسلام، وقد سمعنا بالنبي صلى الله عليه وسلم فأنكرنا فقلنا: من أنت؟ قال: «انزلوا» فنزلنا فقلنا: أين الرجل الذي يدعي ويقول ما يقول؟ فقال: «أنا» فقلت: فاعرض علي فعرض علينا الإسلام وقال: «من خلق السماوات والأرض والجال؟» قلنا: خلقهن الله. قال: «فمن خلقكم؟» قلنا: الله. قال: «فمن عمل هذه الأصنام التي تعبدونها؟» قلنا: نحن. قال: «فالخالق أحق بالعبادة أم المخلوق فأنتم أحق أن تعبدكم وأنتم عملتموها والله أحق أن تعبدوه من شيء عملتموه وأنا أدعو إلى عبادة الله وشهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وصلة الرحم وترك العدوان بغضب الناس» قلنا: لا والله لو كان الذي تدعو إليه باطلا لكان من معالي الأمور ومحاسن الأخلاق فأمسك راحلتنا حتى نأتي بالبيت فجلس عنده معاذ بن عفراء قال: فجئت البيت فطفت وأخرجت سبعة أقداح فجعلت له منها قدحا فاستقبلت البيت فقلت: اللهم إن كان ما يدعو إليه محمد حقا فأخرج قدحه سبع مرات فضربت بها فخرج سبع مرات فصحت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فاجتمع الناس علي وقالوا: مجنون رجل صبا. قلت: بل رجل مؤمن، ثم جئت إلى أعلى مكة فلما رأني معاذ قال: لقد جاء رفاعه بوجه ما ذهب بمثله فجئت وأمنت وعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة «يوسف»، وقرأ بسم ربك الذي خلق، ثم خرجنا راجعين إلى المدينة فلما كنا بالعقيق قال معاذ: إني لم أطرق أهلي ليلا قط فبت بنا حتى نصبح فقلت: أبيت ومعى ما معى من الخبر ما كنت لأفعل، وكان رفاعه إذا خرج سفرا ثم قدم عرض قومه"^(٥).

(١) انظر: الكشاف: ٤٤٠/٢.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٢٥٥.

(٣) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٢٥٥.

(٤) انظر: الإصابة في معرفة الصحابة: ٢٤٣/٣.

(٥) كتاب البر والصلة، حديث رقم (٧٢٤١): ص٤/١٦٥-١٦٦، وانظر: الدر المنثور: ٤٩٤/٤.

- وعن عبدالله بن عامر بن ربيعة، قال: "سمعت عمر-رضي الله عنه- يقرأ في الفجر بسورة «يوسف»"^(١).

- وعن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: "نزلت سورة «يوسف» بمكة"^(٢).
 ووجه تسميتها بسورة «يوسف»، لاشتغالها على قصة يوسف - عليه السلام - كلها^(٣)، ولم تذكر قصته في غيرها، ولم يذكر اسمه في غيرها إلا في سورة «الأنعام»، وذلك في قوله تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الأنعام : ٨٤]، وكذلك في سورة «غافر»، في قوله تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زُلَّمَتْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ} [غافر : ٣٤].
مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على قولين:
 أحدهما: أنها مكّية كلها. قاله ابن عباس^(٤)، وابن زبير^(٥)، ومقاتل^(٦)، وبه قال ابن قتيبة^(٧)، وقال السيوطي^(٨)، القرطبي^(٩)، وابن كثير^(١٠).
 قال الفيروزآبادي: "هذه السورة مكّية بالإجماع"^(١١).
 قال ابن الجوزي: "هي مكية بالإجماع"^(١٢).

أخرج ابن سعد عن عكرمة: "أن مصعب بن عمير لما قدم المدينة يعلم الناس القرآن بعث إليهم عمرو بن الجموح: ما هذا الذي جئتمونا به فقالوا: إن شئت جئناك فأسمعناك القرآن قال: نعم، فوعدهم يوماً فجاء فقرأ عليه القرآن {الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون}"^(١٣).
 والثاني: أنها مكية ماعدا الآيات: [١، ٢، ٣، ٧] ^(١٤)، فمدنية، قاله الزمخشري^(١٥).
 نقل القرطبي: عن ابن عباس وقتادة أنها مكية: "إلا أربع آيات منها"^(١٦).
 وروى عن ابن عباس قال: "سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف، فأنزل الله عز وجل: {الر تلك آيات الكتاب المبين}"^(١).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الصلوات، باب "ما يقرأ في صلاة الفجر": ص ٣٥٣/١.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٤/٤٩٤، وعزاه إلى النحاس وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٣) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٢٥٥.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٤/٤٩٤، وعزاه إلى النحاس وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٤/٤٩٤، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣١٧/٢.

(٧) انظر: غريب القرآن: ٢١٢.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٤/٤٩٤.

(٩) انظر: تفسير القرطبي: ٩/١١١.

(١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/٣٦٥.

(١١) البصائر: ١/٢٥٥.

(١٢) زاد المسير: ٢/٤١١.

(١٣) الدر المنثور: ٤/٤٩٥.

(١٤) وهي الآيات:

{الر تلك آيات الكتاب المبين (١) إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون (٢) نحن نفض عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين (٣)} [يوسف : ١ - ٣]، {لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين (٧)} [يوسف : ٧].

(١٥) انظر: الكشاف: ٢/٤٤٠.

(١٦) تفسير القرطبي: ٩/١١٨.

مناسبة السورة لما قبلها:

تكمّن المناسبة بينها وبين سورة «هود»، أنها متممة لما فيها من قصص الرسل والاستدلال بذلك على كون القرآن وحيا من عند الله دالا على رسالة محمد ﷺ خاتم النبيين، والفرق بين القصص فيها وفيما قبلها، أن السابق كان قصص الرسل مع أقوامهم في تبليغ الدعوة والمحااجة فيها وعاقبة من آمن منهم ومن كذبوهم لإنذار مشركي مكة ومن تبعهم من العرب.

وأما هذه السورة فهي قصة نبي ربي في غير قومه قبل النبوة وهو صغير السن حتى بلغ أشده واكتهل فنبيء وأرسل ودعا إلى دينه ثم تولى إدارة الملك لقطر عظيم فأحسن الإدارة والسياسة فيه وكان خير قدوة للناس في رسالته وفي جميع ما دخل فيه من أطوار الحياة وتصريف أمورها على أحسن ما يصل إليه العقل البشرى، ومن أعظم ذلك شأنه مع أبيه وإخوته آل بيت النبوة، وكان من حكمة الله أن يجمعها في سورة واحدة، ومن ثم كانت أطول قصة في القرآن الكريم^(١).

أغراض السورة ومقاصدها:

تقصد سور القرآن الكريم في الأساس إلى تقرير الحقائق الدينية الكبرى، وتنفرد كل سورة من سوره ببعض المقاصد التي ترمي إليها، وتقصد لإبرازها، وقد تضمنت سورة يوسف جملة من المقاصد نذكر منها^(٣):

- ١- وصف القرآن الكريم بـ (الإبانة) لكل ما يوجب الهدى؛ لما ثبت من تمام علم منزلته غيباً وشهادة، وشمول قدرته قولاً وفعلاً .
- ٢- إثبات رسالة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، وإعجاز كتابه المبين، والاعتبار بقصص الرسل صلوات الله عليهم أجمعين.
- ٣- بيان أن الرؤيا الحسنة التي يراها المسلم حق، بما تحمله عن نبوءات عن المستقبل القريب، أو البعيد .

إذ تبدأ السورة الكريمة بقص يوسف عليه السلام للرؤيا التي رآها على أبيه يعقوب عليه السلام، ولأن يوسف كان صغيراً آنذاك لم يُفسر له النبي يعقوب عليه السلام معنى الرؤيا ودلالاتها ومنعه من إخبارها لأخوته، فالغيرة عاطفة فطرية خاصة حين يرى الأبناء أن الآباء والأمهات يستأثرون بأحد الأبناء على غيرهم، وفي هذا دعوة لكل مسلم أن يغلق الباب الذي قد يستغله الشيطان للإفساد العلاقات مع قدرته على ذلك، وذلك حفظاً وصوناً لها.

٤- سنن الطبيعة البشرية: إذ تتضمن السورة العديد من الأحداث المثيرة كإلقاء أخوة يوسف له في البئر وإيداعه السجن لاحقاً وتنصيبه كعزير لمصر، وفي جميع المحطات تبرز سنن الطبيعة البشرية لتؤكد الصراع الأزلي القائم بين الخير والشر، والنور والظلمة، والحق والباطل بما يجعل المسلم واعياً للقدر الكبير الذي تحمله الأنبياء في سبيل إيصال الدعوة للنور.

٥- بيان أن قدرة الله غالبية، لا يقف في طريقها شيء، وأن الأمور في خواتيمها لا تخرج عن إرادته سبحانه وتعالى.

٦- بيان أن الحاكمية الحقيقية في هذا الكون لله سبحانه، وأن أي حاكمية أخرى لا وزان لها في ميزان الشرع .

(١) عزاه ابن الجوزي: (زاد المسير: ٤١١/٢) للضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، وراوي الضحاك هو جويبر بن سعيد ذلك المتروك، فقد روى عن الضحاك عن ابن عباس تفسيراً مصنوعاً ليس له أصل، وهذا الحديث منه.

(٢) انظر: تفسير المراغي: ١١١/١٢.

(٣) انظر: اسلام ويب. [موقع الكتروني].

- ٧- بيان أن الكرامة والاعتزاز والإباء ، تدر من الربح حتى المادي أضعاف ما يدره التمرغ والتزلف والانحناء .
- ٨- تثبتت الوحي الذي سبقت السورة لتثبيته من بين ما تثبت من قضايا هذه العقيدة، وهذا الدين في قلوب المؤمنين .
- ٩- بيان أن كثيراً من الناس لا يقفون على الآيات التي بثها سبحانه في هذا الكون بقصد الاعتبار والاتعاض، حين إن أكثر الناس يمرون على هذه الآيات، وهم عنها غافلون، أو معرضون، غير مبالين بما تحمله من دلالات وعبر.
- ١٠- بيان أن الإيمان الخالص يحتاج إلى حسم كامل في قضية السلطان على القلب وعلى التصرف والسلوك، فلا تبقى في القلب دينونة إلا لله سبحانه، ولا تبقى في الحياة عبودية إلا للمولى الواحد الذي لا راد لما يريد .
- ١١- بيان أن من سنة الله في خلقه معاقبة المكذبين بآياته، والمعرضين عن الاعتبار في آياته الكونية .
- ١٢- بيان أن سنة الله في الدعوات أن تكون مصحوبة بالشدائد، ومحفوفة بالكروب، حتى لا تبقى بقية من جهد، ولا بقية من طاقة. ثم يجيء النصر بعد اليأس من كل أسبابه الظاهرة التي يتعلّق بها الناس. يجيء النصر من عند الله، فينجو الذين يستحقون النجاة، ينجون من الهلاك الذي يأخذ المكذبين، وينجون من البطش والعسف الذي يسلطه عليهم المتجبرون. ويحل بأس الله بالمجرمين، مدمراً ماحقاً لا يقفون له، ولا يصده عنهم ولي ولا نصير .
- ١٣- الصبر عند المصيبة: في الآيات الكريمة يُقدم إخوة يوسف على إلقائه في البئر وذلك لشعورهم الدائم بالغيرة منه كونه محظياً عند والده، وعندما يعودون من رعي الأغنام يفسرون سبب غيابه لأبيه يعقوب بأن الذنب قد أكله، ويظهر الأثر الروحاني في إجابة يعقوب عليه السلام فعلى الرغم من أنه يعرف أبناءه تمام المعرفة وتأكده من أنهم تخلصوا من يوسف وكذبوا عليه، إلا لم يُرد أن يفرق الأسرة أكثر فما كان منه إلا أن اكتفى باللجوء إلى الله وتحذيرهم بأن هو وحده من يعلم ما لا يعلمون، وفي ذلك توجيه للجوء إلى الله في الأزمات مهما كان وقعها قوياً وحلها مستحيلاً.
- ١٤- قوة الإرادة: يشاء الله لعزير مصر أن يمر بقافله بجوار البئر، وحين يُخرج غلمانه يوسف ويراه يأخذه ليربيه في قصره إلى أن كبر وبات شاباً جميلاً بالغ الحُسن والفتنة، وعندها تعلق قلب زوجة العزيز به فأرادته لنفسها وحاولت كثيراً معه لكنها كانت تجد الرفض دائماً من طرفه، والحق يقال إنه ليس من السهل على الرجل أن يرفض امرأة جميلة وثرية ذات منصب وحسب تعرض نفسها عليه، وفي هذا توجيه روحاني واضح لكل إنسان بأن يكون أقوى من رغباته وينتصر عليها كي يعوضه الله عنها خير التعويض.
- ١٥- اليقين بالله: كان مصير يوسف عليه السلام السجن لقاء إعراضه عن زوجة العزيز التي اتهمته بأنه أراد بها الخلوة، وبقي يوسف في السجن لسنوات عديدة وهو صابر محتسب رغم الوحشة والوحدة والمعاناة الشديدة التي لقيها بغياب عائلته، والحنين لهم، ونفسه التي تتوق إلى الحرية من جديد، لتأتي حكمة الله واضحة في الأمر وتصب في مصلحة يوسف حين وهبه الله ملكة تفسير الأحلام، ليفسر حلم وزير مصر ويخرج من السجن، لأنه ظنّ بالله خيراً وما قنط ولا استسلم وهذا شأن المسلم في كل حال.
- ١٦- الذكاء والفتنة: تولى يوسف عليه السلام خزائن مصر فتعهدا بالتدبير والتنظيم والرعاية، وبذلك جنب المدينة المجاعة والموت بفضل الحكمة والفتنة والذكاء، بالإضافة إلى الأخلاق اللازمة في كل ذي منصب كالإخلاص والوفاء والأمانة والعمل النبيل، وهذا ما زاد من ثقة الناس به وجعلهم يقدرونه حق التقدير والاحترام، وما من فضل على المسلم فمن الله وحده، وهذا يستوجب الحمد والثناء الدائم على الله، والتواضع للآخرين دون استعلاء وكبر، وتسخير الطاقة والقدرات لخدمتهم.

١٧- تتجلى حبكة قصة سيدنا يوسف بقدم إخوته إليه من بلادهم البعيدة طلباً للطعام بعد المجاعة التي وصلت إلى المدن كلها، وعلى الرغم من تكرارهم الإساءة له في حديثهم إلا أنه اختار أن يصفح عن الإساءة، على الرغم من أنه كان سيّداً في مصر وبمقدرته الانتقام لنفسه منهم، لأن الصّح مع المقدرة صفة الأقوياء التي يعلمنا إياها نبي الله يوسف عليه السلام.

١٨- بيان أن في قصص أهل الفضل دلالة على رحمة الله لهم وعنايته بهم، وفي ذلك رحمة للمؤمنين؛ لأنهم باعتبارهم بها يأتون ويذرون، فتصلح أحوالهم، ويكونون في اطمئنان بال، وذلك رحمة من الله بهم في حياتهم، وسبب لرحمته إياهم في الآخرة .

١٩- بينت هذه السورة -وقد ذُكر فيها كثير من الشدائد- أن العاقبة خير للذين اتقوا، وهو وعد الله الصادق الذي لا يخلف وعده .

قال ابن عاشور: "فقصة يوسف- عليه السلام- لم تكن معروفة للعرب قبل نزول القرآن إجمالاً ولا تفصيلاً، بخلاف قصص الأنبياء: هود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب- عليهم السلام أجمعين-، إذ كانت معروفة لديهم إجمالاً، فلذلك كان القرآن مبيناً إياها ومفصلاً، ونزولها قبل اختلاط النبي صلى الله عليه وسلم باليهود في المدينة معجزة عظيمة من إعلام الله تعالى إياه بعلوم الأولين، وبذلك ساوى الصحابة علماء بني إسرائيل في علم تاريخ الأديان والأنبياء وذلك من أهم ما يعلمه المشرعون"^(١).

الناسخ والمنسوخ:

السورة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ.

فضائل السورة:

إن فضل هذه السورة العظيمة يتعلق بما اشتملت عليه من العبر والدروس الكثيرة، ولم يرد عن النبي عليه الصلاة والسلام في فضائلها حديث صحيح، وإن استحب عددٌ من علماء الأمة قراءتها للمهموم والمحزون؛ لأنها نزلت على قلب النبي عليه الصلاة والسلام في عام الحزن فكانت تسليّة لقلبه وتثبيتاً من الله تعالى له.

ومما وردت به الروايات من فضائل هذه السورة:

- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثاً من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثاً من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثاً من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي -صلى الله عليه وسلم- «إذا زلزلت الأرض» حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبداً، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين"^(٢).

(١) التحرير والتنوير: ٢٠١/١٢.

(٢) أخرجه أبو داود في "باب تحزيب القرآن" (١٣٩٩) ص ٥٧/٢. والبيهقي في الشعب، في تعظيم القرين، فصل "في فضائل السور والآيات" (٢٥١٢) ص ٤٩٦/٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٢١) ص ٢١٦-٢١٧.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، راء، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والذخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّحٌ وَسَبَّحٌ وَسَبَّحٌ، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

وحكم الألباني «ضعيف»، انظر: «ضعيف أبي داود» (٢٤٧).

[تعليق شعيب الأرنؤوط]

- أخرج ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله أعطاني الرائيات^(١) إلى الطواسين مكان الإنجيل»"^(٢). وهذه السورة مفتوحة بـ«الر».
- عبد الله بن عامر بن ربيعة، قال: "صلينا وراء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرأ فيهما بسورة يوسف وسورة الحج قراءة بطيئة قال هشام: فقلت: والله لقد كان يقوم حين يطلع الفجر قال: نعم"^(٣).
- عن الفرافصة بن عمير الحنفي قال: "ما أخذت سورة «يوسف» إلا من قراءة عثمان بن عفان رضي الله عنه إياها في الصبح من كثرة ما كان يرددتها"^(٤).

إسناده صحيح، عيسى بن هلال الصديقي، روى عنه غير واحد وذكره المؤلف في الثقات، وهو صدوق كما قال الحافظ في التقریب(ص ٤٤١)، وقال الحاكم: "حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله: «بل صحيح»، أي: فقط من غير أن يكون على شرط الشيخين(٥٨٠/٢)، وأورده الفسوي في تاريخه: ٥١٥ / ٢ - ٥١٦ في ثقات التابعين من أهل مصر، وباقي رجاله ثقات من رجال الصحيح.

(١) الرائيات: هي السور المبدوءة بـ«الر».

(٢) الدر المنثور: ٣٣٩/٤.

الرائيات: هي السور المبدوءة بـ«الر» والطواسين: هي السور المبدوءة بـ«طسم» أو «طس».

(٣) أخرجه المستغفري في فضائل القرآن(٨١١):ص ٥٥٨/٢.

(٤) أخرجه المستغفري في فضائل القرآن(٨١٢):ص ٥٥٨/٢.

سورة «الرعد»

سورة «الرعد»: هي السورة الثالثة عشر في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة «محمد»^(١)، وعدد آياتها (٤٧) سبع وأربعون عند الشاميين، و(٤٣) ثلاث وأربعون عند الكوفيين، و(٤٤) أربع وأربعون عند الحجازيين، و(٤٥) وخمس وأربعون عند البصريين. وكلماتها (٨٦٥) ثمان مائة وخمس وستون. وحروفها (٣٥٠٦) ثلاثة آلاف وخمسمائة وستة أحرف^(٢).

والآيات المختلف فيها خمس: «جَدِيدٍ {الرعد : ٥}، {الثور} {الرعد : ١٦}، {البصير} {الرعد : ١٦}، و{سوء الحساب} {الرعد : ١٨}، {من كل باب} {الرعد : ٢٣} .
وفواصل آياتها يجمعها قولك «نقر دعبل»، منها على «العين» آية واحدة: {إِنَّا مَنَّاغٌ} {الرعد : ٢٦}، وما على «النون» فقبل «النون» «واو»، وسائر الآيات التي على «الباء» قبلها «ألف»؛ نحو {مَّآبٍ} {الرعد : ٣٦/٢٩}، {مَّآبٍ} {الرعد : ٣٠}، سوى: {القلوب} {الرعد : ٢٨}؛ قبلها «واو»^(٣).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوفيقي: سورة «الرعد»:

سورة «الرعد»، هو الاسم الذي اشتهرت به من عهد السلف، وذلك يدل على أنها مسماة بذلك من عهد الرسول-صلى الله عليه وسلم-، إذ لم يختلفوا في اسمها، فهو توفيقي، وبذلك كتبت في المصاحف وكتب التفسير والحديث.

وقد ورد عند السلف تسميتها بذلك، وذلك كما يأتي:

- عن ابن عباس-رضي الله عنهما-: "نزلت سورة الرعد بالمدينة"^(٤).
 - عن ابن الزبير-رضي الله عنه-، قال: "نزلت الرعد بالمدينة"^(٥).
 - عن جابر بن زيد - رضي الله عنه - قال: "كان يستحب إذا حضر الميت أن يقرأ عنده سورة «الرعد»، فإن ذلك يخفف عن الميت فإنه أهون لقبضه وأيسر لشأنه"^(٦).
- ووجه تسميتها بسورة «الرعد»، لورود ذر الرعد فيها، وذلك في قوله تعالى: {وَيَسْبَحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمَحَالِ} {الرعد : ١٣}.

قال ابن عاشور: " وإنما سميت بإضافتها إلى «الرعد» لورود ذكر الرعد فيها بقوله تعالى: {وَيَسْبَحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ} {الرعد : ١٣}، فسميت بالرعد، لأن الرعد لم يذكر في سورة مثل هذه السورة"^(٧).

■ مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. قاله ابن عباس-في إحدى الروايات-^(١)، وابن زبير-في إحدى الروايات-^(٢)، والحسن^(٣)، وسعيد بن جبير^(٤)، وعكرمة^(٥)، وعطاء^(٦)، وجابر^(٧)، وقتادة-في إحدى الروايات-^(٨)، وبه قال ابن قتيبة^(٩)، والزمخشري^(١٠)، والفيروزآبادي^(١١)، وابن كثير^(١٢)، وغيرهم.

(١) انظر: الكشاف: ٥١١/٢.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٢٦٢ / ١.

(٣) انظر: المصد نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) انظر: زاد المسير: ٤٧٩/٢، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٩٩/٤، وعزاه إلى ابي الشيخ وابن مردويه.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٩٩/٤، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٦) الدر المنثور: ٥٩٩/٤.

(٧) التحرير والتنوير: ٧٥/١٣.

والثاني: أنها مكية إلا آيتين منها، وهما: {وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا نُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} [الرعد : ٣١]، وقوله: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْنَا مُرْسَلًا فُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} [الرعد : ٤٣]. وهذا القول رواه أبو صالح عن ابن عباس^(١٣).

الثالث: أنها مدنية كلها. وهذا قول ابن عباس -في رواية عطاء الخراساني-^(١٤)، وابن الزبير^(١٥)، و جابر بن زيد^(١٦)، ومقاتل^(١٧)، وبه قال السيوطي^(١٨) وعزاه القرطبي إلى الكلبي^(١٩).
الرابع: أنها مدنية، إلا آية واحدة مكية، وهي قوله: {وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا نُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً} [الرعد : ٣١]. وهذا القول مروى عن قتادة^(٢٠).

الخامس: أنها مدنية، إلا آيتين منها، ثم اختلفوا في المكي منها على قولين:
أحدهما: أن الآيتين اللتين نزلتا بمكة، هما: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ} [الرعد : ٣١]، إلى آخر الآيتين. وهذا القول مروى عن ابن عباس^(٢١)، وقتادة^(٢٢).

والثاني: أن المكي منها قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ} [الرعد : ١٢]، وقوله تعالى: {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كِبَاسٌ كَثِيرٌ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} [الرعد : ١٤]. حكاها ابن الجوزي عن بعضهم^(٢٣).
قال ابن عطية: "الظاهر - عندي - أن المدني فيها كثير، وكل ما نزل في شأن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة فهو مدني"^(٢٤).

- (١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٩٩/٤، وعزاه إلى النحاس، وقال ابن الجوزي: "رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس". [انظر: زاد المسير: ٤٧٩/٢].
- (٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٩٩/٤، وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر.
- (٣) انظر: زاد المسير: ٤٧٩/٢، وتفسير القرطبي: ٢٧٨/٩.
- (٤) انظر: زاد المسير: ٤٧٩/٢.
- (٥) انظر: تفسير القرطبي: ٢٧٨/٩.
- (٦) انظر: زاد المسير: ٤٧٩/٢، وتفسير القرطبي: ٢٧٨/٩.
- (٧) انظر: تفسير القرطبي: ٢٧٨/٩.
- (٨) انظر: زاد المسير: ٤٧٩/٢.
- (٩) انظر: غريب القرآن: ٢٢٤.
- (١٠) انظر: الكشاف: ٥١١/٢.
- (١١) البصائر: ٢٦٢/١.
- (١٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٢٨/٤.
- (١٣) انظر: الكشاف والبيان: ٢٦٧/٥، وزاد المسير: ٤٧٩/٢.
- (١٤) انظر: زاد المسير: ٤٧٩/٢، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٩٩/٤، وعزاه إلى أبي الشيخ وابن مردويه.
- (١٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٩٩/٤، وعزاه إلى ابن مردويه.
- (١٦) انظر: زاد المسير: ٤٧٩/٢.
- (١٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٥٧/٢.
- (١٨) انظر: الدر المنثور: ٥٩٩/٤.
- (١٩) انظر: تفسير القرطبي: ٢٧٨/٩.
- (٢٠) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٩٩/٤، وعزاه إلى ابن المنذر وأبي الشيخ.
- (٢١) انظر: زاد المسير: ٤٧٩/٢، وتفسير القرطبي: ٢٧٨/٩.
- (٢٢) انظر: تفسير القرطبي: ٢٧٨/٩.
- (٢٣) انظر: زاد المسير: ٤٧٩/٢.
- (٢٤) المحرر الوجيز: ٢٩٠/٣.

قال ابن عاشور: " أشبه آياتها بأن يكون مدنيا"^(١).

قال سيد قطب: " إن افتتاح السورة، وطبيعة الموضوعات التي تعالجها، وكثيراً من التوجيهات فيها.. كل أولئك يدل دلالة واضحة على أن السورة مكية- وليست مدنية كما جاء في بعض الروايات والمصاحف- وأنها نزلت في فترة اشتد فيها الإعراض والتكذيب والتحدي من المشركين"^(٢).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

من وجوه المناسبة بين السورتين:

١- ترتبط سورة يوسف بما جاء بعدها؛ وهي سورة الرعد، ارتباطاً جلياً، حيث إن الهدف من ذكر قصص الأنبياء -عليهم السلام- ودعوتهم لأقوامهم في القرآن الكريم هو التأثير في الناس وهدايتهم، وكذلك ذكر آيات الله -تعالى- في الكون والحث على التفكير والتدبر في خلق الله تعالى، كما ورد في سورة الرعد، فهي تهدف إلى التأثير في الناس وهدايتهم أيضاً، وقد كان من أوائل الآيات في سورة الرعد، قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} [الرعد : ٢].

٢- ومن وجوه المناسبة: أنه سبحانه وتعالى أجمل في السورة السابقة الآيات السماوية والأرضية، فقال تعالى: {وَكَايُنَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ} [يوسف : ١٠٥]، فذكر الآيات السماوية والأرضية مجملة ثم فصلها هنا أتم تفصيل، فقال في مطلع هذه السورة: {المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (١) الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسحّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى تدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بقاء ربكم توقنون (٢) وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يعشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم ينفكرون (٣) وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد وفضل بعضهم على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (٤)} [الرعد : ١ - ٤].

٣- ومنها: اختتام سورة يوسف بوصف الكتاب ووصفه بالحق وافتتاح هذه بمثل ذلك وهو من تشابه الأطراف، قال تعالى في خاتمة سورة يوسف: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [يوسف : ١١١]، إذ وصف القرآن بالحق من خلال نفي الافتراء، ثم وصفه بأربع صفات جديدة كنتيجة للإبانة: تصديق الكتب السابقة، وتفصيل كل شيء، وهدى، ورحمة ولكن لمن؟ لقوم يؤمنون.

وفي سورة الرعد صف القرآن بالكتاب الذي لا يستحق كتاب في الوجود اسم الكتاب سواه في أول سورة الرعد، فقال تعالى: {المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (١)} [الرعد : ١]، كما جاء في خواتمها بيان النتيجة، وهي فرح من عرف قيمته به، وإنكار المتحزبين المتعصبين من مناوئيه: {وَالَّذِينَ اتَّيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ فُلْ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبَدَ اللَّهُ وَلَا أُشْرَكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٌ : [الرعد : ٣٦].

٤- إنه أشار في سورة يوسف إلى أدلة التوحيد بقوله « أَرَبَابٌ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ؟ » ثم فصل الأدلة هنا بإسهاب لم يذكر في سالفاتها.

(١) التحرير والتنوير: ٧٦/١٣.

(٢) في ظلال القرآن: ٢٠٦٦/٤.

٥- إنه ذكر في كلتا السورتين أخبار الماضين مع رسلهم، وأنهم لاقوا منهم ما لاقوا، وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وكتب الخزي على الكافرين، والنصر لرسله والمؤمنين، وفي ذلك تسلية لرسوله ﷺ وتثبيت لقلبه^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها

تبدأ سورة «الرعد» بقضية عامة من قضايا العقيدة: قضية الوحي بهذا الكتاب، والحق الذي اشتغل عليه، وتلك هي قاعدة بقية القضايا، من توحيد الله، والإيمان بالبعث، والعمل صالح في الحياة. فكلها متفرعة عن الإيمان بأن الأمر بهذا هو الله، وأن هذا القرآن وحي من عنده سبحانه إلى رسوله صلى الله عليه وسلم. هذا على وجه الإجمال، أما على وجه التفصيل، فقد تضمنت السورة المقاصد الآتية:^(٢)

١- بينت السورة أن هذا القرآن عميق التأثير في النفس البشرية، حتى لتكاد تسير به الجبال، وتقطع به الأرض، ويكلم به الموتى؛ لما فيه من سلطان وقوة ودفعة وحيوية .

٢- أكدت السورة أن هذا الكتاب هو وحده الحق؛ وأن الإعراض عنه، والتكذيب به، والتحدي، وبطء الاستجابة، ووعورة الطريق.. كلها لا تغير شيئاً من تلك الحقيقة الكبرى، طبيعة المواجهة التي كان المشركون يتحدثون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتحدون بها هذا القرآن .

٣- التوجيه الرباني لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجهر في مواجهة الإعراض والتكذيب، والتحدي، وبطء الاستجابة، ووعورة الطريق بالحق الذي معه كاملاً؛ وهو أنه لا إله إلا الله، ولا رب إلا الله، ولا معبود إلا الله، وأن الله هو الواحد القهار، وأن الناس مردودون إليه، فإما إلى جنة، وإما إلى نار. وكل هذه الحقائق كان ينكرها المشركون، ويتحدون الرسول فيها .

٤- كشفت السورة لأصحاب الدعوة إلى الله عن طبيعة منهج هذه الدعوة، وأن عليهم أن يجهروا بالحقائق الأساسية في هذا الدين، وألا يخفوا منها شيئاً، وألا يؤجلوا منها شيئاً. وفي مقدمة هذه الحقائق: أنه لا ألوهية ولا ربوبية إلا لله، ومن ثم فلا دينونة، ولا طاعة، ولا خضوع، ولا اتباع إلا لله. فهذه الحقيقة الأساسية يجب أن تُعلن أيّاً كانت المعارضة والتحدي؛ وأيّاً كان الإعراض من المكذبين والتولي؛ وأيّاً كانت وعورة الطريق وأخطارها.

٥- أظهرت السورة أن المنهج القرآني في الدعوة يجمع بين الحديث عن كتاب الله المتلو، وهو هذا القرآن، وبين كتاب الكون المفتوح؛ بما فيه من دلائل شاهدة بسلطان الله وتقديره وتدبيره. كما يضم إلى هذين الكتابين سجل التاريخ البشري، وما يحفظه من دلائل ناطقة بالسلطان والتقدير والتدبير أيضاً. ويواجه البشرية بهذا كله، ويأخذ عليها أقطارها جميعاً؛ وهو يخاطب حسها وقلبها وعقلها جميعاً .

٦- أوضحت السورة بجلاء نماذج من طبيعة النبوة والرسالة؛ وحدود النبي والرسول؛ لتخليص العقول والأفكار من رواسب الوثنيات كلها؛ وتحريرها من تلك الأساطير التي أفسدت عقائد أهل الكتاب من قبل؛ وردتها إلى الوثنية بأوهامها وأساطيرها!

٧- بينت السورة أن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم إنما هي البلاغ، وأن أمر هذا الدين ليس إليه هو، ومآل هذه الدعوة ليس من اختصاصه! إنما عليه البلاغ، وليس عليه هداية الناس، فالله وحده هو الذي يملك الهداية، سواء حقق الله بعض وعده له من مصير القوم، أو أدركه الأجل قبل تحقيق وعد الله، فهذا أو ذاك لا يغير من طبيعة مهمته. فالبلاغ يظل هو قاعدة عمل الرسول، ويظل كذلك قاعدة عمل الدعاة لهذا الدين بعده.

(١) انظر: تفسير المراغي: ٦٠/١٣.

(٢) انظر: اسلام ويب. [موقع الكتروني].

٨- أرشدت السورة الدعاة أن ليس لهم أن يستعجلوا النتائج والمصائر، وأن ليس لهم أن يستعجلوا هداية الناس، ولا أن يستبطنوا وعد الله للمهتدين ووعيده للمكذبين، إنما عليهم البلاغ فحسب، أما حساب الناس في الدنيا، أو في الآخرة، فهذا ليس من شأن العباد، إنما هو من شأن رب العباد !

٩- قررت السورة كلمة الفصل في العلاقة بين اتجاه الإنسان وحركته، وبين تحديد مآله ومصيره؛ وبينت أن مشيئة الله به إنما تتحقق من خلال حركته في هذه الحياة؛ وذلك مع تقرير أن كل حدث إنما يقع ويتحقق بقدر من الله خاص.

١٠- قررت السورة سُنَّة اجتماعية، وهي أن مشيئة الله في تغيير حال قوم، إنما تجري وتنفذ من خلال حركة هؤلاء القوم أنفسهم، وتغيير اتجاهها وسلوكها تغييراً شعورياً وعملياً، فإذا غيّر القوم ما بأنفسهم اتجاهها وعملاً غير الله حالهم، وفق ما غيروا هم من أنفسهم. فإذا اقتضى حالهم أن يريد الله بهم السوء، مضت إرادته، ولم يقف لها أحد، ولم يعصمهم من الله شيء، ولم يجدوا لهم من دونه ولياً ولا نصيراً. فأما إذا هم استجابوا لربهم، وغيروا ما بأنفسهم بهذه الاستجابة، فإن الله يريد بهم الحسن، ويحقق لهم هذه الحسنى في الدنيا، أو في الآخرة، أو فيهما جميعاً، فإذا هم لم يستجيبوا، أراد بهم السوء، وكان لهم سوء الحساب، ولم تغن عنهم فدية، إذا جاءوه غير مستجيبين يوم الحساب.

١١- قررت السورة حقيقة مهمة، وهي أن الله سبحانه يقضي بالهدى لمن ينيب إليه؛ وهذه الحقيقة تدل على أنه سبحانه إنما يضل من لا ينيب، ومن لا يستجيب، ولا يضل منيماً، ولا مستجيباً؛ وذلك وفق وعده سبحانه في قوله: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت : ٦٩]، فهذه الهداية وذلك الإضلال هما مقتضى مشيئته سبحانه بالعباد، هذه المشيئة التي تجري وتتحقق من خلال تغيير العباد ما بأنفسهم، والاتجاه إلى الاستجابة، أو الإعراض .

١٢- بينت السورة أنه سبحانه لو شاء لخلق الناس باستعداد واحد للهدى، أو لقهروهم على الهدى، ولكنه سبحانه شاء أن يخلقهم مستعدين للهدى، أو للضلال: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان : ٣]، {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [البلد : ١٠]؛ ولم يشأ بعد ذلك أن يقهرهم على الهدى، ولا أن يقهرهم على الضلال! إنما جعل مشيئته بهم تجري من خلال استجابتهم، أو عدم استجابتهم لدلائل الهدى، وموجبات الإيمان.

١٣- قررت السورة كلمة الفصل في دلالة الكفر وعدم الاستجابة لهذا الحق الذي جاء به هذا الدين، على فساد الكينونة البشرية، وتعطل أجهزة الاستقبال الفطرية فيها، واختلال طبيعتها، وخروجها عن سواء السبيل.

١٤- بيان أن الذين لا يستجيبون للحق الذي جاءهم به القرآن، هم بشهادة الله سبحانه عمي، وصم، وبكم في الظلمات، وأنهم لا يتفكرون، ولا يعقلون. وأن الذين يستجيبون له هم أولو الألباب، وهؤلاء تطمئن قلوبهم بذكر الله، وتتصل بما هي عارفة له، ومصطلحة عليه بفطرتها السليمة، فتسكن، وتستريح .

١٥- أرشدت السورة إلى أن ثمة علاقة وثيقة بين الفساد الذي يصيب حياة البشر في هذه الأرض، وبين ذلك العمى عن الحق الذي جاء من عند الله لهداية البشر إلى الحق وإلى صراط مستقيم .

١٦- بينت السورة أن الذين لا يستجيبون لعهد الله، ولا يعلمون الحق الذي جاء من عنده، هم الذين يفسدون في الأرض؛ كما أن الذين يعلمون أنه الحق، ويستجيبون له، هم الذين يصلحون في الأرض، وتزكو بهم الحياة.

١٧- قررت السورة بكل وضوح أن حياة الناس لا تصلح إلا بأن يتولى قيادتها المبصرون أولو الألباب، الذين يعلمون أن ما أنزل إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - هو الحق، ومن ثم يوفون بعهد الله، ويعبدونه وحده، ويدينون له وحده، ولا يتلقون عن غيره، ولا يتبعون إلا أمره ونهيه،

ومن ثم يصلون ما أمر الله به أن يوصل، ويخشون ربهم، فيخافون أن يقع منهم ما نهى عنه، ويخافون سوء الحساب، فيجعلون الآخرة في حسابهم في كل حركة؛ ويصبرون على الاستقامة على عهد الله ذلك بكل تكاليف الاستقامة؛ ويقىمون الصلاة؛ وينفقون مما رزقهم الله سرأً وعلانية؛ ويدفعون السوء والفساد في الأرض بالصلاح والإحسان.

١٨ - بينت السورة أن المسلم يرفض - بحكم إيمانه بالله، وعلمه بأن ما أنزل على محمد هو الحق - كل منهج للحياة غير منهج الله؛ ومجرد الاعتراف بشرعية منهج، أو وضع، أو حكم من صنع غير الله، هو بذاته مناقض لمنهج الله؛ فالإسلام لله هو توحيد الدينونة له دون سواه.

هذه بعض المقاصد البارزة التي قررتها هذه السورة، وهي بالتأكيد تتضمن مقاصد غير ما ذكرنا، تتبين من خلال التأمل في السورة، والوقوف على مراميها السامية، ومقاصدها الجليلة.

الناسخ والمنسوخ:

تحتوي من المنسوخ على آيتين، آية مجمع عليها وآية مختلف فيها:
فالمختلف فيها: قوله تعالى: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَعْفُورٌ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ} [الرعد : ٦]، في هذه الآية

قولان:

أحدهما: أنها محكمة.

الثاني: انها منسوخة بقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ} [النساء : ٤٨]، و"الظلم" -ههنا-: الشرك.

وقال السدي: "إنما هو إحسان من الله وتعطف على خلقه"^(١).

عن عماد بن زيد عن علي بن زيد قال: "تلا مطرف هذه الآية: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَعْفُورٌ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ}، ثم قال مطرف: لو يعلم الناس قدر رحمة الله وعفو الله وتجاوز الله ومغفرة الله لقرت أعينهم"^(٢).

والآية المجمع عليها: {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} [الرعد : ٤٠]، نسخت بآية السيف^(٣).

■ فضائل السورة:

إن سورة «الرعد» إحدى سور القرآن الكريم التي تدل على قدرة الله عز وجل في كونه، وقد روي، ومما وردت به الروايات من فضائل هذه السورة:

- أخرج ابن أبي شيبة والمروزي في الجناز عن جابر بن زيد - رضي الله عنه - قال: "كان يستحب إذا حضر الميت أن يقرأ عنده سورة «الرعد»، فإن ذلك يخفف عن الميت فإنه أهون لقبضه وأيسر لشأنه"^(٤).

- عن أبي هريرة رفع الحديث: أنه كان إذا سمع الرعد، قال: "سبحان من «يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ»"^(٥).

- عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل سحب مضي وكل سحب يكون إلى يوم القيامة، وكان يوم القيامة من الموفين بعهد الله عز وجل"^(٦).

(١) الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٠٨-١٠٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢١٤٤): ص ٧/٢٢٢٤.

(٣) الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٠٨-١٠٩.

(٤) الدر المنثور: ٤/٥٩٩.

(٥) أخرجه الطبري (٢٠٢٦٠): ص ١٦/٣٨٩، ورواه البخاري في الأدب المفرد، موقوفاً على كعب بن مالك.

ورواه ابن مردويه في تفسيره كما في تخريج الكشاف: (١٨٤/٢).

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٩٧/٤).

(٦) الكشف والبيان: ٥/٢٦٧.

- وعن ابن عباس-رضي الله عنهما-: "من سمع صوت الرعد فقال: سبحان الذي «يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ» وهو على كل شيء قدير، فإن أصابته ساعة فعلي ديبته"^(١).

(١) تفسير البغوي: ٣٠٣/٤.

سورة «إبراهيم»

سورة «إبراهيم»: هي السورة الرابعة عشر في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة «نوح»^(١)، وقيل: "بعد سورة «الشورى»، وقبل سورة «الأنبياء»"^(٢)، وعدد آياتها (٥٥) خمس وخمسون عند الشاميين، و(٥٢) اثنتان وخمسون عند الكوفيين، و(٥٤) أربع وخمسون عند الحجازيين، و(٥١) وإحدى وخمسون عند البصريين. وكلماتها (٨٣١) ثمان مائة وإحدى وثلاثون. وحروفها (٦٤٣٤) ستة آلاف وأربعمائة وأربع وثلاثون^(٣).

والآيات المختلف فيها سبع: «{إلى الثور} [إبراهيم : ١]»، «{وَعَادٍ} [إبراهيم : ٩]»، «{وَتَمُودَ} [إبراهيم : ٩]»، «{بَخَلْقٍ جَدِيدٍ} [إبراهيم : ١٩]»، «{وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ} [إبراهيم : ٢٤]»، «{اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} [إبراهيم : ٣٣]»، «{عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ} [إبراهيم : ٤٢]»، ومجموع فواصلها: «آدم نظر، صب ذل»^(٤).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: سورة «إبراهيم»:

سورة «إبراهيم»، هو الاسم الذي اشتهرت به السورة، ولا يعرف لها غيره. قال ابن عاشور: "أضيفت هذه السورة إلى اسم «إبراهيم»- عليه السلام- فكان ذلك اسما لها لا يعرف لها غيره. ولم أقف على إطلاق هذا الاسم عليها في كلام النبي- صلى الله عليه وسلم- ولا في كلام أصحابه في خبر مقبول"^(٥).

وقد وردت أحاديث تدل على تسميتها في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم- منها:

- قال ابن عباس: "نزلت سورة إبراهيم عليه السلام بمكة"^(٦).
 - وقال ابن عباس أيضا: "سورة إبراهيم عليه السلام نزلت بمكة سوى آيتين نزلتا بالمدينة، وهما: {ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا} الآيتين نزلتا في قتلى بدر من المشركين"^(٧).
 - قال الزبير: "نزلت سورة إبراهيم عليه السلام بمكة"^(٨).
- ووجه تسميتها بسورة «إبراهيم»، " لتضمنها قصة إسكانه ولده إسماعيل بواد غير ذى زرع، وشكره لله تعالى على ما أنعم عليه من الولدين: إسماعيل وإسحاق"^(٩).

قال ابن عاشور: "ووجه تسميتها بهذا وإن كان ذكر «إبراهيم»- عليه السلام- جرى في كثير من السور أنها من السور ذوات «الر». وقد ميز بعضها عن بعض بالإضافة إلى أسماء الأنبياء- عليهم السلام- التي جاءت قصصهم فيها، أو إلى مكان بعثة بعضهم وهي سورة «الحجر»، ولذلك لم تضاف سورة «الرعد» إلى مثل ذلك، لأنها متميزة بفتحها بزيادة حرف «ميم» على «ألف ولام وراء»"^(١٠).

وقد ورد اسم «إبراهيم» تسعا وستين مرة في القرآن الكريم، منها مرة واحدة في سورة إبراهيم، وهي في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} [إبراهيم : ٣٥].

(١) انظر: الكشاف: ٥٣٧/٢، ومفاتيح الغيب: ٥٦/١٩.

(٢) التحرير والتنوير: ١٧٧/١٣.

(٣) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٢٦٨.

(٤) انظر: المصد نفسه والصحيفة نفسها.

(٥) التحرير والتنوير: ١٧٧/١٣.

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣/٥، وعزاه لابن مردويه.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣/٥، وعزاه للنحاسي تاريخه.

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣/٥، وعزاه لابن مردويه.

(٩) البصائر: ١/٢٦٨.

(١٠) التحرير والتنوير: ١٧٧/١٣.

■ مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال: أحدها: أنها مكية كلها. قاله ابن عباس^(١)، والزبير^(٢)، والحسن^(٣)، وعكرمة^(٤)، وجابر^(٥)، ومقاتل^(٦)، وبه قال ابن قتيبة^(٧)، وابن كثير^(٨)، وابن الجوزي^(٩)، والبيضاوي^(١٠)، وحكاه ابن عاشور عن الجمهور^(١١). الثاني: أنها مكية إجماعاً غير آية واحدة، وهي: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ} [إبراهيم : ٢٨]. به قال الفيروزآبادي^(١٢).

والثاني: أنها مكية إلا آيتين منها، نزلتا في قتلى بدر من المشركين، وهما: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ} (٢٨) جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبَسَّ الْقَرَارُ (٢٩) { [إبراهيم : ٢٨ - ٢٩]. قاله ابن عباس أيضاً^(١٣)، وقناة^(١٤)، وبه قال الثعلبي^(١٥)، وابن عطية^(١٦)، والزمخشري^(١٧)، والبغوي^(١٨)، والفخر الرازي^(١٩).

الثالث: أنها مكية إلا ثلاث آيات منها، وهي: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ} (٢٨) جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبَسَّ الْقَرَارُ (٢٩) وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠) { [إبراهيم : ٢٨ - ٣٠]. حكاه ابن عاشور، وقال: قيل: "نزل ذلك في المشركين في قضية بدر، وليس ذلك إلا توهما"^(٢٠).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

من وجوه المناسبة بين السورتين:

١- إنه قد ذكر سبحانه في السورة السابقة أنه أنزل القرآن حكماً عربياً ولم يصرح بحكمة ذلك وصرح بها هنا.

٢- إنه ذكر في السورة السالفة قوله: {وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} [الرعد : ٣٨]، وهنا ذكر أن الرسل قالوا: {وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} [إبراهيم : ١١].

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣/٥، وعزاه لابن مردويه.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣/٥، وعزاه لابن مردويه.

(٣) انظر: النكت والعيون: ١٢٠/٣، وتفسير القرطبي: ٣٣٨/٩.

(٤) انظر: النكت والعيون: ١٢٠/٣، وتفسير القرطبي: ٣٣٨/٩.

(٥) انظر: النكت والعيون: ١٢٠/٣، وتفسير القرطبي: ٣٣٨/٩.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٨٧/٢.

(٧) انظر: غريب القرآن: ٢٣٠.

(٨) انظر: التفسير: ٤٧٦/٤.

(٩) انظر: زاد المسير: ٥٠٣/٢.

(١٠) انظر: التفسير: ١٩٢/٣.

(١١) انظر: التحرير والتنوير: ١٧٧/١٣.

(١٢) البصائر: ٢٦٨/١.

(١٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣/٥، وعزاه للنحاس في تاريخه، وذكره الماوردي في النكت والعيون: ١٢٠/٣، والقرطبي في تفسيره: ٣٣٨/٩.

(١٤) انظر: زاد المسير: ٥٠٣/٢، وذكره الماوردي في النكت والعيون: ١٢٠/٣، والقرطبي في تفسيره: ٣٣٨/٩.

(١٥) انظر: الكشف والبيان: ٣٠٤/٥.

(١٦) انظر: المحرر الوجيز: ٣٢١/٣. وقال: "ذكره مكي والنقاش".

(١٧) انظر: الكشاف: ٥٣٧/٢.

(١٨) انظر: التفسير: ٣٢٩/٤.

(١٩) انظر: مفاتيح الغيب: ٥٦/١٩.

(٢٠) التحرير والتنوير: ١٧٧/١٣.

- ٣- ذكر هناك أمره عليه السلام بالتوكل على الله، وهنا حكى عن إخوانه المرسلين أمرهم بالتوكل عليه جل شأنه.
- ٤- اشتملت تلك على تمثيل الحق والباطل، واشتملت هذه على ذلك أيضا.
- ٥- ذكر هناك رفع السماء بغير عمد ومدّ الأرض وتسخير الشمس والقمر، وذكر هنا نحو ذلك.
- ٦- ذكر هناك مكر الكفار وذكر مثله هنا، وذكر من وصفه ما لم يذكر هناك^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها

- تضمنت سورة «إبراهيم» جملة من المقاصد، نجملها وفق التالي^(٢):
- ١- افتتح سبحانه هذه السورة ببيان أن المقصود من إنزال الكتاب إرشاد الخلق كلهم إلى الدين والتقوى، ومنعهم عن الكفر والمعصية، قال سبحانه: {الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [إبراهيم : ١]، وهذا المقصد هو الذي جاءت من أجله جميع الرسل.
- ٢- توحيد الله سبحانه، يرشد لذلك ما جاء في السورة من قول موسى عليه السلام: {إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ} [إبراهيم : ٨]، وقول إبراهيم عليه السلام: {وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} [إبراهيم : ٣٥] ، وقوله سبحانه في آخر السورة: {وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [إبراهيم : ٥٢].

قال ابن عاشور^(٣): "وليعلموا مما ذكر فيه من الأدلة ما الله إلا إله واحد، أي: مقصور على الإلهية الموحدة"^(٤).

وقال الرازي^(٥): "الآيات مشعرة بأن التذكير بهذه المواعظ والنصائح يوجب الوقوف على التوحيد، والإقبال على العمل الصالح، والوجه فيه أن المرء إذا سمع هذه التخويات والتحذيرات عظم خوفه، واشتغل بالنظر والتأمل، فوصل إلى معرفة التوحيد والنبوة، واشتغل بالأعمال الصالحة"^(٦).

- ٣- أوضحت السورة أن القرآن الكريم غاية البلاغ إلى الله سبحانه؛ لأنه كافل ببيان الصراط الدال عليه، المؤدي إليه، جاء في ذلك قوله سبحانه: {هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ} [إبراهيم : ٥٢]. وبين سبحانه أنه إنما أنزل هذه السورة، وذكر فيها النصائح والمواعظ؛ لأجل أن ينتفع الخلق بها، فيصيروا مؤمنين مطيعين، ويتزكوا الكفر والمعصية. فالغاية الأساس من ذلك (البلاغ)، وهذا (الإنذار)، هي أن يعلم الناس {أنما هو إله واحد}، فهذه هي قاعدة دين الله التي يقوم عليها منهجه في الحياة.
- قال البقاعي^(٧): "اشتملت هذه السورة على المواعظ والأمثال والحكم التي أبكمت البلغاء، وأخرست الفصحاء، وبهرت العقول، ترجمها سبحانه بما يصلح عنواناً لجميع القرآن، فقال: {هذا}، أي: الكتاب الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور، {بلاغ}، أي: كافٍ غاية الكفاية في الإيصال {للناس}؛ ليصلوا به إلى الله بما يتحلون به من المزايا في سلوك صراطه القويم"^(٨).

- ٤- تضمنت السورة جملة من فنون العظات والقوارع، من ذلك قوله تعالى: {وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} (٢) الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٣/١٢٢.

(٢) انظر: اسلام ويب. [موقع الكتروني].

(٣) التحرير والتنوير: ١٣/٢٥٥.

(٤) مفاتيح الغيب: ١٩/١١٥.

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٠/٤٤١.

ضَلَّالٍ بَعِيدٍ (٣) {إبراهيم : ٢ - ٣} ، وقوله سبحانه: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} {إبراهيم : ٧} ، وقوله تعالى: {وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} {إبراهيم : ١٥} .
 ٥- تثبت الله سبحانه لعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، قال سبحانه: {يُنَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} {إبراهيم : ٢٧} ، وقوله عز وجل: {وَأَدْخِلْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيُّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} {إبراهيم : ٢٣} .
 ٦- إضلال الذين أعرضوا عن ذكره، واتبعوا أهوائهم، قال تعالى: {وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} {إبراهيم : ٢٧} ، وقوله عز وجل: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ فُلُتَّمَعُوا فَأِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ} {إبراهيم : ٣٠} .

٧- ذمت السورة أولئك الذين يبذلون نعمة الله كفرةً، ويقودون قومهم إلى دار البوار، كما قاد من قبلهم أتباعهم إلى النار، في قصة الرسل والكفار: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ} {إبراهيم : ٢٨} .

٨- من المقاصد التي أكدت عليها السورة بيان نعم الله على البشر؛ وذلك من خلال الحديث عن أضخم المشاهد الكونية البارزة: {وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} {إبراهيم : ٣٣} .

٩- قدمت السورة نموذجاً لشكر النعمة إبراهيم الخليل، حيث أمر الذين آمنوا بلون من ألوان الشكر هو الصلاة والبر بعباد الله، قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيْتِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ} {إبراهيم : ٣٧} .

١٠- الاعتناء بقضية الربوبية، والدينونة لله بالملك والتصرف والتدبير، وهذا واضح في تكرار إبراهيم: {رب} {ربنا}، كقوله سبحانه: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا} {إبراهيم : ٣٥} ، وقوله: {رَبِّ إِنِّهِنَّ أَضَلَّلْنَ} {إبراهيم : ٣٦} ، وقوله: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ} {إبراهيم : ٣٧} ، وقوله: {رَبَّنَا إِنِّكَ تَعْلَمُ} {إبراهيم : ٣٨} ، وقوله: {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ} {إبراهيم : ٤٠} ، وقوله: {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} {إبراهيم : ٤١} .

فالسورة أكدت على أن المقصود الرئيس من خلق الإنسان هو الدينونة لله وحده، لأنه سبحانه هو الرب الذي يستحق أن يكون إلهاً معبوداً ، حاكماً وسيداً ومتصرفاً ومشرعاً وموجهاً، وقيام الحياة البشرية على هذه القاعدة يجعلها تختلف اختلافاً جوهرياً عن كل دينونة لما سواه.

هذه بعض المقاصد البارزة التي قررتها هذه السورة، وهي بالتأكيد تتضمن مقاصد غير ما ذكرنا، نتبين من خلال التأمل في السورة، والوقوف على مراميها السامية، ومقاصدها الجليلة.

الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة عند العلماء جميعهم إلا في قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، فإنه قال فيها آية منسوخة، وهي قوله تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} {النحل : ١٨} ، هذا محكم والمنسوخ قوله {إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ} {إبراهيم : ٣٤} ، نسخت بقوله: {وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ} {إبراهيم : ٣٤} ، في سورة النحل.
 وقال غيره وهذا عموم أريد به الخصوص^(١) .

■ فضائل السورة:

ومما وردت به الروايات من فضائل هذه السورة:

- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثاً من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثاً

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١١٠ .

- من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثاً من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئت سورة جامعة، فأقرأه النبي -صلى الله عليه وسلم- «إذا زلزلت الأرض» حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبداً، ثم أدير الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الروبجل» مرتين^(١).
- أخرج ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله أعطاني الرائيات^(٢) إلى الطواسين مكان الإنجيل»"^(٣). وهذه السورة مفتحة بـ«الر».
- أخرج الثعلبي عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة إبراهيم والحجر أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام وبعدد من لم يعبدها»^(٤).
- وردت بعض الأحاديث والآثار تتعلق ببعض آيات منها، من ذلك ما يلي:
- أ- روى ابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه-، قال: "يعرض الناس يوم القيامة على ثلاثة دواوين: ديوان فيه الحسنات، وديوان فيه النعيم، وديوان فيه السيئات، فيقابل بديوان الحسنات ديوان النعيم، فيستفرغ النعيم الحسنات، وتبقى السيئات مشينتها إلى الله تعالى، إن شاء عذب، وإن شاء غفر"^(٥).
- وهذا الأثر فيه إشارة إلى قوله تعالى في هذه السورة: {وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} [إبراهيم : ٣٤]، وإلى قوله أيضاً: {الْمَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ} [إبراهيم : ٢٨].
- ب- روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "«المسلم إذا سئل في القبر، يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله»، فذلك قوله: {يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم : ٢٧]"^(٦).

(١) أخرجه أبو داود في "باب تحزيب القرآن" (١٣٩٩): ص ٥٧/٢. والبيهقي في الشعب، في تعظيم القرين، فصل "في فضائل السور والآيات" (٢٥١٢): ص ٤٩٦/٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٢١): ص ٢١٦-٢١٧.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، راء، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حاء، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجن، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّحَ وَيُسَبِّحُ وَسَبَّحَ، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

وحكم الألباني «ضعيف»، انظر: «ضعيف أبي داود» (٢٤٧).

[تعليق شعيب الأرنؤوط]

إسناده صحيح، عيسى بن هلال الصديقي، روى عنه غير واحد وذكره المؤلف في الثقات، وهو صدوق كما قال الحافظ في التقریب (ص ٤٤١)، وقال الحاكم: "حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله: «بل صحيح»، أي: فقط من غير أن يكون على شرط الشيخين (٥٨٠/٢)، وأورده الفسوي في تاريخه: ٥١٥ / ٢ - ٥١٦ في ثقات التابعين من أهل مصر، وباقي رجاله ثقات من رجال الصحيح.

(٢) الرائيات: هي السور المبدوءة بـ«الر».

(٣) الدر المنثور: ٣٣٩/٤.

الرائيات: هي السور المبدوءة بـ«الر» والطواسين: هي السور المبدوءة بـ«طسم» أو «طس».

(٤) الكشف والبيان: ٣٠٤/٥، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٥٥/٦، وانظر: ترتيب الأمالي الخميسية للشجري: ١٢٤/١.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٥٤٦): ص ١٠٥/٧، وانظر: الدر المنثور: ٦٢٠/٨.

(٦) صحيح البخاري (٤٦٩٩): ص ٨٠/٦، وأخرجه البخاري (١٣٦٩) وبإثره، ومسلم (٢٨٧١) (٧٣)، وابن ماجه (٤٢٦٨)، والترمذي (٣٣٨٥)، والنسائي في "الكبرى" (٢١٩٥) و (١١٢٠٠) من طرق عن شعبة، به. وأخرجه موقوفاً مسلم (٢٨٧١) (٧٤)، والنسائي في "الكبرى" (٢١٩٤) من طريق خيثمة، عن البراء.

- ت- روى البزار عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "قلت: يا رسول الله! ثبتلي هذه الأمة في قبورها، فكيف بي، وأنا امرأة ضعيفة؟ قال: {يُنَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}"^(١).
- ث- وعن مسروق قال: تلت عائشة هذه الآية: {يَوْمَ نُبَدِّلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ} [إبراهيم: ٤٨] ، قالت: يا رسول الله! فأين يكون الناس؟ قال: «على الصراط»^(٢).
- ج- قال عبد الله بن الإمام أحمد: "أخبرت عن سياد بن جعفر، قال: دخلت على حبيب أبي محمد، فقال: اقرأ عليّ، فأخذت مصحفه، فأول ما وقع في يدي: {وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} [إبراهيم: ١٥]، فجعل يقول: {وَاسْتَفْتَحُوا}، ويبيكي"^(٣).

وهو في "مسند أحمد" (١٨٤٨٢) و (١٨٥٧٥)، و "صحيح ابن حبان" (٢٠٦). وهو قطعة من الحديث المطول الآتي برقم (٤٧٥٣).

وجمهور العلماء سلفاً وخلفاً على أن عذاب القبر حق يقع على الروح والجسد. وذهب ابن حزم وابن هبيرة إلى أن السؤال يقع على الروح فقط من غير عود إلى الجسد. وقال ابن جرير وجماعة من الكرامية: ان السؤال في القبر يقع على البدن فقط، وإن الله يخلق فيه إدراكاً بحيث يسمع ويعلم ويلدّ ويألم.

وذهب بعض المعتزلة كالجبائي إلى أنه يقع على الكفار دون المؤمنين. وانظر "فتح الباري" ٣/ ٢٣٣ - ٢٣٥. اسناده صحيح.

(١) "كشف الأستار"، باب: السؤال في القبر (٨٦٨) ص: ٤١٠/١ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٤٢٧٢): ص ٥٣/٣: "رواه البزار، ورجاله ثقات".

(٢) رواه الترمذي (٣١٢١): ص ١٤٧/٥، وابن ماجه (٤٢٧٩): ص ١٤٣٠/٢، وأخرجه مسلم (٢٧٩١)، وأحمد في المسند (٢٤٠٦٩)، وابن حبان في صحيحه (٣٣١) و (٧٣٨٠).

إسناده صحيح، قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح. وروي من غير هذا الوجه عن عائشة".

(٣) ذكره البقاعي في مصاعد النظر للأشراف على مقاصد السور: ٢٠١/٢.

سورة «الحجر»

سورة «الحجر»: هي السورة الرابعة عشر في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة «يوسف»^(١)، وعدد آياتها (٩٩) تسع وتسعون بلاخلاف على عدد الأسماء الحسنى، وكلماتها (٦٥٤) ستمائة وأربع وخمسون. وحروفها (٢٧٦٠) ألفان وسبعمائة وستون^(٢).

ومجموع فواصل آياتها يجمعها: «ملن»، على اللام منها آيتان: {حَجَّارَةً مِنْ سِجِّيلٍ} [الحجر : ٧٤]، {فَاصِّفِ الصَّوْخَ الْجَمِيلَ} [الحجر : ٨٥]^(٣).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: سورة «الحجر»:

«الحجر» -بتثنية الحاء-: المنع^(٤) و«المحجور»: الممنوع، قال الله تعالى: {وَحَجْرًا مَحْجُورًا} [الفرقان : ٥٣]، أى: "حراما محرما ممنوعا"^(٥)، و"يقال للرجل إذا كان مالكا قاهرا ضابطا له: إنه لذو حجر، ومنه قولهم: حجر الحاكم على فلان"^(٦).

و«الحجر» و«الحُجْرُ»: لغتان في معنى «الحرام»؛ ولذا كانت العرب تحتمي من بأس بعضها في الأشهر الحُرْم.

«الحجر»: اسم ديار ثمود بوادي القرى، بين المدينة والشام^(٧)، وهم قوم صالح النبي-عليه السلام-، وسورة «الحجر»، هو الاسم الذي اشتهرت به فهو توفيقى، وبذلك كتبت في المصاحف وكتب التفسير والحديث، كما جاء في كلام بعض الصحابة:

- إذ روي عن ابن عباس-رضي الله عنه-، قال: "نزلت سورة الحجر بمكة"^(٨).

- وعن ابن الزبير-رضي الله عنهما- قال: "نزلت سورة الحجر بمكة"^(٩).

■ وجه التسمية:

اختير اسم السورة من الآية الثمانين، في قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ} [الحجر : ٨٠]، فقد ذكرت الآية قوم صالح بـ«أصحاب الحجر»، وتناولت السورة الحديث عنهم في خمس آيات، وهي السورة الوحيدة في القرآن التي ذكرتهم بهذه التسمية. و«أصحاب الحجر» هي منازل ثمود ونبئهم صالح عليه السلام، ومساكنهم موجودة إلى اليوم تحت مسمى مدائن صالح في الأردن. وقوم صالح^(١٠)، وهم قبيلة ثمود وديارهم في الحجر، كانوا أشداء ينحتون الجبال ليسكنوها، فبينما هم آمنون مطمئنون جاءتهم صيحة العذاب في وقت الصباح، قال تعالى: {فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الحجر : ٨٤].

(١) انظر: الكشاف: ٥٦٩/٢.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٢٧٢، وتفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢٣/٢.

(٣) انظر: المصد نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) انظر: انظر مجاز القرآن: ٧٣ / ٢ ومعانى الفراء: ٢ / ٢٦٠، والمخصص لابن سيدة: ٤ / ٦٨، وتأويلات أهل السنة: ٤ / ٢٦٩.

(٥) النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب: ١ / ٢٦٩.

(٦) الكشف والبيان: ١٠ / ١٩٥.

(٧) انظر: معجم البلدان: ٢ / ٢٢١.

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥ / ٦١، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.

(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥ / ٦١، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٠) هو نبي الله ورسوله صالح عليه السلام قيل: هو ابن عبيد بن أسف بن ما شج بن عبيد بن جادر بن ثمود، بعثه الله تعالى إلى ثمود وهي قبيلة مشهورة باسم جدهم ثمود أخي جديس، وهو من العرب العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك، وكانوا يعبدون الأصنام فدعاهم نبيهم صالح إلى عبادة الله وحده فأمنت طائفة وكفرت طائفة وما زال ينصح لهم فأذوه بالمقال والفعل وهموا بقتله، ثم إنهم طلبوا منه أن يخرج لهم من قلب الجبل ناقة كي يصدقوه فسأل الله ذلك فاستجاب ولكنهم عقروا الناقة فأنزل الله عليهم الصيحة فأهلكتهم ونجى صالحا ومن معه، وذكر أن صالحا عليه السلام إلى الشام فنزل فلسطين، ثم

قال الفيروز آبادي: " ووجه تسميتها بسورة «الحجر»، لاشتغالها على قصتهم، وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الحجر : ٨٠]"^(١).

قال المهامي: " سميت بها لاشتغالها على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الحجر : ٨٠]، إلى قوله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الحجر : ٨٤]، الدال على مؤاخذتهم لمجرد تكذيب الرسل والإعراض عن آيات الله، بأدنى وجوه المؤاخذة، مع غاية تحصنهم، ففيه تعظيم الرسل والآيات"^(٢).

وقد ورد لفظ «حجر» في القرآن الكريم-في غير هذه السورة- مرتين:

أ- المرة الأولى في سورة «الأنعام»- قال تعالى: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حَجْرًا لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بَزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام : ١٣٨]، بمعنى: حرام ممنوع^(٣)، وقيل للحرام «حجر»؛ لأنه ممنوع منه، وهو بمعنى المحجور، كما يقال طحن للمطحون، وقطف للمقطف^(٤).

ب- والثانية في سورة «الفجر»، قال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حَجْرٍ﴾ [الفجر : ٥]، بمعنى «عقل»^(٥)، وإنما سمي العقل حجرا؛ لأنه يمنع صاحبه من ارتكاب ما لا يجوز، ولهذا سمي حجر البيت حجرا؛ لأنه يمنع من الطواف فيه. و«المحجور عليه» ممنوع من التصرف في ماله، وحجر عليه الحاكم، أي: منعه التصرف^(٦).

وقد ذكر ابن عاشور اسما آخر للسورة، فقال: " والمكتوبون في كتابات تونس يدعونها سورة ربما لأن كلمة «ربما» لم تقع في القرآن كله إلا في أول هذه السورة"^(٧).

ولم يثبت نص صحيح على هذه التسمية، إنما هو مأخوذ من لفظة وقعت في السورة.

■ مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس^(٨)، وابن زبير^(٩)، ومقاتل^(١٠)، وبه قال ابن قتيبة^(١١)، والثعلبي^(١٢)، وأبو الليث السمرقندي^(١٣)، وابن أبي زمنين^(١٤)، والسمعاني^(١٥)، وابن عطية^(١٦)، والبيضاوي^(١٧)، والنسفي^(١٨)، والثعلبي^(١٩)، والفيروز آبادي^(٢٠)، وابن كثير^(٢١)، والسيوطي^(٢٢)، وغيرهم.

انقل الى مكة فأقام بها يعبد الله حتى مات وهو ابن ٥٨ سنة، ورد فذكر في القرآن نحو من تسع مرات في سور: الأعراف وهود والشعراء والنمل، وانظر: البخاري بشرحه الفتح، باب قول الله تعالى ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا﴾ ٦/ ٣٧٨-٣٨١، والكامل في التاريخ ١/ ٨٩-٩٣، وابن كثير في البداية والنهاية ١/ ١٣٠-١٣٨، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية لمحمد إسماعيل إبراهيم ٢/ ١٤.

(١) البصائر: ٢٧٢/١.

(٢) تفسير المهامي: ٣٩٥/١.

(٣) انظر: البحر المحيط: ٦٥٩/٤.

(٤) انظر: النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب: ٢٦٩/١.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٨٠١/٤.

(٦) انظر: النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب: ٢٦٩/١.

(٧) التحرير والتنوير: ٥/١٤.

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦١/٥، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.

(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦١/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢٣/٢.

(١١) انظر: غريب القرآن: ٢٣٥.

(١٢) انظر: الكشف والبيان: ٢٣٠/٥.

(١٣) انظر: بحر العلوم: ٢٥٠/٢.

قال ابن الجوزي: "هي مكة كلها من غير خلاف نعلمه"^(١٠).
 قال العز بن عبدالسلام: "سورة الحجر مكة اتفاقاً"^(١١).
 قال الفيروزآبادي: "السورة مكة إجماعاً"^(١٢).
 قال ابن عاشور: "وهي مكة كلها وحكي الاتفاق عليه"^(١٣).
 والثاني: أنها مكة إلا آية واحدة، هي: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧)} [الحجر : ٨٧].
 قاله الحسن^(١٤)، وبه قال الزمخشري^(١٥)، والفخر الرازي^(١٦)، وأبو السعود^(١٧).
 قال ابن عاشور: وذلك "بناء على أن سبعا من المثاني هي سورة الفاتحة وعلى أنها مدنية. وهذا لا يصح، لأن الأصح أن الفاتحة مكة"^(١٨).
 الثالث: أنها مكة إلا آيتين منها، وهما: {كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١)} [الحجر : ٩٠ - ٩١]. ذكره ابن عاشور^(١٩).
 قال ابن عاشور: "واستثناء قوله تعالى: {كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١)} [الحجر : ٩٠ - ٩١] بناء على تفسيرهم «المقتسمين» بأهل الكتاب وهو صحيح، وتفسير «جعلوا القرآن عضيّن» أنهم قالوا: ما وافق منه كتابنا فهو صدق وما خالف كتابنا فهو كذب. ولم يقل ذلك إلا يهود المدينة، وهذا لا نصحه"^(٢٠).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

من وجوه المناسبة بين السورتين:

- ١- إنها افتتحت بمثل ما افتتحت به سابقتها من وصف الكتاب المبين.
- قال ابن عجيبة: "ومناسبتها لما قبلها: قوله تعالى: {هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ} [إبراهيم : ٥٢]، مع قوله جل جلاله: {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ} [الحجر : ١]، فهي تتميم لعنوان القرآن، وتفسير له"^(٢١).
- ٢- إنها شرحت أحوال الكفار يوم القيامة وتمنيهم أن لو كانوا مسلمين كما كانت السالفة كذلك.

- (١) انظر: تفسير ابن ابي زمنين: ٣٧٩/٢.
- (٢) انظر: تفسير السمعاني: ١٢٨/٣.
- (٣) انظر: المحرر الوجيز: ٣٤٩/٣.
- (٤) انظر: تفسير البيضاوي: ٢٠٦/٣.
- (٥) انظر: تفسير النسفي: ١٨٢/٢.
- (٦) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٣٩٣/٣.
- (٧) البصائر: ٢٧٢/١.
- (٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٢٤/٤.
- (٩) انظر: الدر المنثور: ٦١/٥.
- (١٠) زاد المسير: ٥٢٢/٢.
- (١١) تفسير العز بن عبدالسلام: ١٧٠/٢.
- (١٢) البصائر: ٢٧٢/١.
- (١٣) التحرير والتنوير: ٥/١٤.
- (١٤) انظر: التحرير والتنوير: ٥/١٤.
- (١٥) انظر: الكشاف: ٥٦٩/٢.
- (١٦) انظر: مفاتيح الغيب: ١١٦/١٩.
- (١٧) انظر: تفسير أبي السعود: ٦٣/٥.
- (١٨) التحرير والتنوير: ٥/١٤.
- (١٩) انظر: التحرير والتنوير: ٥/١٤.
- (٢٠) التحرير والتنوير: ٥/١٤.
- (٢١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٧٧/٣.

- ٣- إن فب كل منهما وصف السموات والأرض.
 ٤- إن في كل منهما قصصاً مفصلاً عن إبراهيم عليه السلام.
 ٥- إن في كل منهما تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم بذكر ما لاقاه الرسل السالفون من أمهم وكانت العاقبة للمتقين^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها

لم تشذ سورة الحجر في سياقها ومضمونها عن السور المكية السابقة لها؛ فإن السور المكية تشتمل على جمل من أصول الدين كالتوحيد والمعاد، وإنذار المشركين والعاصين والظالمين، إضافة إلى ما يحمله تاريخ الأقوام السالفة من دروس العبرة والموعظة .

ويمكننا تلخيص المقاصد التي تضمنتها هذه السورة، ودارت حولها وفق التالي :

- ١- أن طبيعة هذا الكتاب الذي يكذب به المشركون والجاحدون أنه كتاب مبين، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فمن أخذ بما فيه فاز ونجا، ومن أعرض عنه فقد ضل وغوى .
- ٢- الحث على انتهاز فرصة الالتحاق بقافلة الإسلام والنجاة قبل أن تضيع، ويأتي اليوم الذي يود فيه المعرضون لو كانوا مسلمين؛ فما يفتعهم يومئذ ذلك ، ولن يغني عنهم من عذاب الله من شيء .
- ٣- تصور السورة الأمل الملهي بصورة إنسانية حية؛ فالأمل البراق ما يزال يخاليل لهذا الإنسان، وهو يجري وراءه، وينشغل به، ويغتر فيه، حتى يجاوز المنطقة المأمونة؛ وحتى يغفل عن الله، وعن القدر، وعن الأجل؛ وحتى ينسى أن هنالك واجباً، وأن هنالك محظوراً؛ بل حتى لينسى أن هنالك إلهاً، وأن هنالك موتاً، وأن هنالك نشوراً .
- ٤- بينت السورة أن سنن الله ماضية لا تتخلف؛ وأن هلاك الأمم مرهون بأجلها الذي قدره الله لها، ومترتب على سلوكها الذي تنفذ به سنة الله ومشيتته، قال تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر : ٤]؛ وذلك الكتاب المعلوم والأجل المقسوم، يمنحه الله للقرى والأمم لتعمل، وعلى حسب العمل يكون المصير. فإذا هي آمنت وأحسنت وأصلحت وعدلت، مد الله في أجلها، حتى تتحرف عن هذه الأسس كلها، ولا تبقى فيها بقية من خير يرجى، عندئذ تبلغ أجلها، وينتهي وجودها، إما نهائياً بالهلاك والذئور، وإما وقتياً بالضعف والفتور .
- ٥- أن القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله له، ونصوصه باقية كما أنزلها الله؛ وهي حجة على كل محرف وكل مؤول؛ وحجة باقية كذلك على ربانية هذا الكتاب المحفوظ .
- ٦- بينت السورة نموذج الإنسان حين تقسد فطرته، وتستغلق بصيرته، وتتعطل فيه أجهزة الاستقبال والتلقي، وينقطع عن الوجود الحي من حوله، وعن إيقاعاته وإيحاءاته، قال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥)﴾ [الحجر : ١٤ - ١٥] .
- ٧- أن الجمال غاية مقصودة في خلق هذا الكون، وهو الذي ينتظم مظاهر الكون جميعاً، وينشأ من تناسقها جميعاً. وأن هذا الجمال الباهر فيها محفوظ، لا يناله دنس ولا رجس، ولا يعيب فيه شيطان، إلا طورد وحيل بينه وبين ما يريد .
- ٨- أن أرزاق العباد -ككل شيء- مقدره في علم الله، تابعة لأمره ومشيتته، يصرفها حيث يشاء وكما يريد، في الوقت الذي يريد، حسب سنته التي ارتضاها، وأجراها في الناس والأرزاق، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢١)﴾ [الحجر : ٢٠ - ٢١]. فما من مخلوق يقدر على شيء، أو يملك شيئاً،

(١) انظر: تفسير المراغي: ٣/١٤.

- إنما خزائن كل شيء عند الله. ينزله على الخلق {بِقَدْرٍ مَعْلُومٍ} [الحجر : ٢١]، فليس من شيء ينزل جزافاً، وليس من شيء يتم اعتباطاً .
- ٩- أن الحياة والموت بيد الله وحده، وأن الله هو الوارث بعد الحياة. وأنه سبحانه يعلم من كتب عليهم أن يستقيموا فيتوفوا، ومن كتب عليهم أن يؤجلوا فيستأخروا في الوفاة. وأنه هو الذي يحشرهم في النهاية، وإليه المصير .
- ١٠- أن أصل الإنسان وأصل الحياة كلها من طين هذه الأرض؛ ومن عناصره الرئيسية التي تتمثل بذاتها في تركيب الإنسان الجسدي، وتركيب الأحياء أجمعين. وأن هنالك أطواراً بين الطين والإنسان .
- ١١- أن المعركة الخالدة والمصيرية بين الشيطان والإنسان في هذه الأرض، تنطلق ابتداء من استدراج الشيطان للإنسان بعيداً عن منهج الله؛ والتزيين له فيما عداه، استدراجه إلى الخروج من الدينونة له في كل ما شرع من عقيدة وتصور، وشعيرة ونسك، وشريعة ونظام .
- ١٢- أن الذين يدينون الله وحده، ويخلصون له في عبادتهم، ليس للشيطان عليهم من سبيل؛ لأنهم يعلقون أبصارهم بالله، ويدركون ناموسه بفطرتهم الواصلة إلى الله. وإنما سبيل الشيطان على الغاوين والضالين عن منهج الله وطريقه القويم .
- ١٣- أن المتقين هم الذين يراقبون الله في جميع تصرفاتهم وحركاتهم وسكناتهم، ويقون أنفسهم وأهليهم عذابه وأسبابه، وهؤلاء في جنات النعيم، لا يمسه فيها نصب، ولا يمسه فيها لغوب، ولا يخافون منها خروجاً؛ جزاء ما خافوا في الأرض واتقوا، فاستحقوا المقام المطمئن الآمن في جوار الله الكريم .
- ١٤- قدمت السورة المباركة نماذج من رحمة الله وعذابه، ممثلة في قصص إبراهيم عليه السلام وبشارته على الكبر بغلام عليم، ولوط ونجاته وأهله إلا امرأته من القوم الظالمين، وأصحاب الأيكة، وأصحاب الحجر، وما حل بهم من عذاب أليم .
- ١٥- أكدت السورة على طبيعة خلق السماوات والأرض وما بينهما. وطبيعة الساعة الآتية لا ريب فيها. وطبيعة الدعوة التي يحملها الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد حملها الرسل قبله، وأن ذلك الحق متلبس بالخلق، صادر عن أن الله هو الخالق لهذا الوجود: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨٦)} [الحجر : ٨٦]. فسنة الله ماضية لا تتخلف. والحق الأكبر من ورائها متلبس بالدعوة، وبالساعة، وبخلق السماوات والأرض، وبكل ما في الوجود الصادر عن الخلاق العليم .
- ١٦- بينت السورة أن الحق عميق في تصميم هذا الوجود، عميق في تكوينه، عميق في تدبيره، عميق في مصيره، وما فيه ومن فيه. فكل نتيجة تتم وفق تلك النواميس الثابتة العادلة؛ وكل تغيير يقع في السماوات والأرض وما بينهما يتم بالحق وللحق .
- ١٧- أن القرآن الكريم من عناصر ذلك الحق، وهو يكشف سنن الخالق، ويوجه القلوب إليها، ويكشف آياته في الأنفس والأفاق، ويستجيش القلوب لإدراكها، ويكشف أسباب الهدى والضلال، ومصير الحق والباطل، والخير والشر، والصالح والفساد، فهو من مادة ذلك الحق، ومن وسائل كشفه وتبينه، وهو أصيل أصالة ذلك الحق الذي خلقت به السماوات والأرض، ثابت ثبوت نواميس الوجود، مرتبط بتلك النواميس .
- ١٨- دعت السورة رسول هذه الأمة صلى الله عليه وسلم ألا يحفل بذلك المتاع الذي آتاه الله لبعض الناس رجالاً ونساءً؛ امتحاناً وابتلاءً، وألا يلقي إليه نظرة اهتمام، أو نظرة استجمال، أو نظرة تمن، فهو شيء زائل، وزخرف باطل، وأن ما معه من المثاني والقرآن العظيم هو الحق الباقي .
- ١٩- خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم أن يمضي في طريقه، يجهر بما أمره الله أن يبلغه للناس، لا يقعه عن الجهر بدعوته شرك مشرك، فسوف يعلم المشركون عاقبة أمرهم، ولا يصدده عن المضي إلى ما هو بسبيله استهزاء مستهزئ، فقد كفاه الله شر المستهزئين. وهذا الذي يجب على أصحاب

الدعوة الإسلامية، أن يصدعوا بحقيقة هذه الدعوة، لا يخفوا منها شيئاً؛ وأن يصروا عليها مهما لاقوا من بطش الطواغيت، وتململ الجماهير، {وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [الصف : ٨].
٢٠- خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسبح بحمد ربه ويعبده، ويلوذ بالتسبيح والحمد والعبادة من سوء ما يسمع من قومه، ولا يفتر عن التسبيح بحمد ربه طوال الحياة، حتى يأتيه الأجل، فيمضي إلى جوار ربه الكريم آمناً مطمئناً^(١).

الناسخ والمنسوخ:

- السورة تحتوي من المنسوخ على خمس آيات:
- الآية الأولى قوله تعالى: {ذُرُّهُمُ يَأْكُلُوا وَيَتَمَنَّوْا} [الحجر : ٣]، نسخت بآية السيف.
 - الآية الثانية قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [الحجر : ٨٥]، الى قوله: {فَاصْفَحْ} [الحجر : ٨٥]، محكم. وقوله: {فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} [الحجر : ٨٥]، نسخت بآية السيف وأول الآية محكم.
 - الآية الثالثة قوله تعالى {إِنَّا نَمُدِّنُ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ} [الحجر : ٨٨]، الآية كان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم ثم صار ذلك منسوخاً بآية السيف.
 - الآية الرابعة قوله تعالى: {وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ} [الحجر : ٨٩]، نسخ معناها لا لفظها بآية السيف.
 - الآية الخامسة قوله تعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ} [الحجر : ٩٤]: هذا محكم، وهذه الآية نصفان نصفها محكم ونصفها منسوخ، وهو قوله تعالى: {وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [الحجر : ٩٤]، نسخ بآية السيف^(٢).

■ فضائل السورة:

- ومما وردت به الروايات من فضائل هذه السورة:
- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثاً من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثاً من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثاً من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي -صلى الله عليه وسلم- «إذا زلزلت الأرض» حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبداً، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين^(٣).

(١) انظر: اسلام ويب [موقع الكتروني].

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١١١-١١٣.

(٣) أخرجه أبو داود في "باب تحزيب القرآن" (١٣٩٩): ص ٥٧/٢. والبيهقي في الشعب، في تعظيم القرين، فصل "في فضائل السور والآيات" (٢٥١٢): ص ٤٩٦/٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٢١): ص ٢١٦-٢١٧.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس و هود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجنات، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّحَ وَيُسَبِّحُ وَسَبَّحَ، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

وحكم الألباني «ضعيف»، انظر: «ضعيف أبي داود» (٢٤٧).

[تعليق شعيب الأرنؤوط]

إسناده صحيح، عيسى بن هلال الصدفي، روى عنه غير واحد وذكره المؤلف في الثقات، وهو صدوق كما قال الحافظ في التقریب (ص ٤٤١)، وقال الحاكم: "حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله: «بل صحيح»، أي:

- أخرج ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله أعطاني الرائيات^(١) إلى الطواسين مكان الإنجيل»"^(٢). وهذه السورة مفتحة بـ«الر».
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «من قرأ الحجر، أعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين»^(٣).
- وروى الطبراني عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فسمع الله ما قالوا فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا فلما رأى ذلك من بقي من الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا فذلك قوله: ﴿رُبِمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر : ٢]"^(٤).

سورة « النحل »

سورة « النحل »: هي السورة السادسة عشر في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة «الكهف»^(٥)، وعدد آياتها (١٢٨) مائة وثمانية وعشرون، وكلماتها (٢٨٤٠) ألفان وثمانمائة وأربعون. وحروفها (٧٧٠٧) سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف^(٦).

ومجموع فواصل آياتها يجمعها: «نمر»، منها اثنتان على «الراء» أخراهما {قديراً} [النحل : ٧٠، ٧٧]^(٧)

أسماء السورة:

أولاً:- اسمها التوقيفي: سورة «النحل»:

وهو اسمها المشهور في المصاحب وكتب التفسير وكتب السنة، إذ وردت تسميتها بسورة «النحل» في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم-، وذلك كما يلي:

- عن أبي بن كعب، قال: "دخلت المسجد فصليت، فقرأت «النحل»، ثم جاء رجل آخر فقراها على غير قراءتي، ثم جاء رجل آخر فقراً خلاف قراءتنا، فدخل نفسي من الشك والتكذيب أشد مما كنت في الجاهلية، فأخذت بأيديهما فأتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، استقرئ هذين. فقرأ أحدهما، فقال: أصبت. ثم استقرأ الآخر، فقال: أصبت. فدخل قلبي أشد مما كان في الجاهلية من الشك والتكذيب، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري، وقال: أعاذك الله من الشك، وأحسأ عنك الشيطان. قال إسماعيل: ففُضت عرقاً -ولم يقله ابن أبي ليلى- قال: فقال: أتاني

فقط من غير أن يكون على شرط الشيخين (٥٨٠/٢)، وأورده الفسوي في تاريخه: ٢/ ٥١٥ - ٥١٦ في ثقات التابعين من أهل مصر، وباقي رجاله ثقات من رجال الصحيح.

(١) الرائيات: هي السور المبدوءة بـ«الر».

(٢) الدر المنثور: ٤/٣٣٩.

الرائيات: هي السور المبدوءة بـ«الر» والطواسين: هي السور المبدوءة بـ«طسم» أو «طس».

(٣) أخرجه الواحدي في التفسير الوسيط (٥٠٣): ص ٣/٣٨، وانظر: تفسير الثعلبي: ٥/٣٣٠، رواه من طريق أبي الخليل عن علي بن زيد عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب.

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم (٤٠٥/٢)، رقم (٨٤٣)، وابن جرير في التفسير (١١٠٥): ص ٢/١٨٠، والحاكم (٢/٢٦٥)، رقم (٢٩٥٤)،

وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. والبيهقي في البعث والنشور (ص ٩١، رقم ٧٩). وعزاه ابن كثير في التفسير.

(٥) انظر: الكشاف: ٢/٥٩٢.

(٦) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٢٧٨.

(٧) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

جبريلُ فقال: اقرأ القرآن على حرف واحد. فقلت: إن أمتي لا تستطيعُ. حتى قال سبع مرات، فقال لي: اقرأ على سبعة أحرف، ولك بكل ردة رُدِّدتها مسألة. قال: فاحتاج إليَّ فيها الخلائق، حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم^(١).

- عن عطاء بن يسار، قال: "نزلت سورة النحل كلها بمكة، وهي مكية، إلا ثلاث آيات في آخرها نزلت في المدينة بعد أحد، حيث قُتِلَ حمزة ومُتِلَ به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لئن ظهرنا عليهم لئمتنَّ لئمتنَّ بثلاثين رجلاً منهم»، فلما سمع المسلمون بذلك، قالوا: والله لئن ظهرنا عليهم لنمتنَّ بهم مُتلة لم يمتلها أحد من العرب بأحد قطُ فأنزل الله: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} ... إلى آخر السورة^(٢).
- قال ابن عباس: "نزلت سورة النحل بمكة"^(٣).

■ وجه التسمية:

سميت سورة «النحل»، لما فيها من عجائب ذكر النحل التي تشير إلى عجيب صنع الخالق، ولفظ «النحل» لم يذكر في القرآن إلا في هذه السورة، وذلك في قوله تعالى: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ} [النحل: ٦٨].

قال المهاميني: "سميت بها لاشتغالها على قوله تعالى: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ}، المشير إلى أنه لا يستبعد أن يلهم الله - عز وجل - بعض خواص عباده أن يستخرجوا الفوائد الحلوة الشافية في هذا الكتاب، بحمل كلماته على مواضع الشرف، وعلى المعاني المثمرة، وعلى التصرفات العالية..."^(٤).

وقال القاسمي: "تسمية السورة بذلك تسمية بالأمر المهم، ليتفطن الغرض الذي يرمي إليه، كالجمعة لأهمية الاجتماع الأسبوعي، وما ينجم عنه من مصالح الأمور العامة، والحديد لمنافعه العظيمة والعنكبوت والنحل والنمل للتفطن لصغار الحيوانات الحكيمة الصنع، وهكذا"^(٥).

■ ثانياً:- اسمها الإجتهادي: سورة «النعم»:

وسماها سورة «النعم»-بكسر النون وفتح العين قتادة كما أخرج عنه ابن أبي حاتم، عن قتادة: "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا"^(٦)، قال: من الشجر ومن غيرها، {وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا}^(٧)، قال: غارات يسكن فيها. { وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ}^(٨)، من القطن والكتان والصوف، {وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ}^(٩)، من الحديد، {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ}^(١٠)، ولذلك هذه السورة تسمى سورة النعم"^(١١).

وروى حماد عن علي بن زيد قال: "كان يقال لسورة النحل: سورة النعم، يريد لكثرة تعداد النعم فيها"^(١٢).

(١) أخرجه الطبري (٣٢):ص/٣٧/١، وانظر: الدر المنثور: ١٠٨/٥.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٢٣/١٧.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٠٧/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) تفسير المهاميني: ٤٠٣/١.

(٥) محاسن التأويل: ٧٦/١٠.

(٦) [النحل: ٨١].

(٧) [النحل: ٨١].

(٨) [النحل: ٨١].

(٩) [النحل: ٨١].

(١٠) [النحل: ٨١].

(١١) تفسير ابن أبي حاتم (١٢٦١٧):ص/٢٢٩٥/٧.

(١٢) زاد المسير: ٥٤٨/٢.

وعدها السخاوي^(١)، والسيوطي^(٢)، اسما للسورة وأضاف إليها الكلبلي^(٣)، والسخاوي^(٤): «سورة النعيم»^(٥).

كما ذكرها كثير من المفسرين في كتبهم، ك يحيى بن سلام^(٦)، والماتريدي^(٧)، وأبو الليث^(٨)، ومكي بن ابي طالب^(٩)، والماوردي^(١٠)، والسمعاني^(١١)، والزمخشري^(١٢)، وابن عطية^(١٣)، وابن الجوزي^(١٤)، والرأزي^(١٥)، والقرطبي^(١٦)، والخازن^(١٧)، وابن كثير^(١٨)، وابن رجب الحنبلي^(١٩). والبقاعي^(٢٠)، وغيرهم.

■ وجه التسمية:

قال الزركشي: "تسمى سورة «النعيم»، لما عدد الله فيها من النعم على عباده"^(٢١).
قال السعدي: "هذه السورة تسمى سورة «النعيم»، فإن الله ذكر في أولها أصول النعم وقواعدها، وفي آخرها متمماتها ومكملاتها، فأخبر أنه خلق السماوات والأرض بالحق، ليستدل بهما العباد على عظمة خالقهما، وما له من نعوت الكمال ويعلموا أنه خلقهما مسكنا لعباده الذين يعبدونه، بما يأمرهم به في الشرائع التي أنزلها على ألسنة رسله"^(٢٢).

■ مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:
أحدها: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس^(٢٣)، وابن الزبير^(٢٤)، والحسن^(١)، وعكرمة^(٢)، ومجاهد^(٣)، وعطاء^(٤)، وجابر^(٥)، وعطية^(٦)، وحكاه الأصم عن بعضهم^(٧)، وبه قال مكي بن أبي طالب^(٨)، وأبو الليث^(٩)، وابن كثير^(١٠)، والسيوطي^(١١).

- (١) انظر: جمال القراء وكمال الإقراء: ٩١.
- (٢) انظر: الإتيان في علوم القرآن: ١٩٣/١.
- (٣) انظر: تفسير العز بن عبد السلام: ٢٠٠/٢.
- (٤) انظر: جمال القراء وكمال الإقراء: ٩١.
- (٥) انظر: تفسير العز بن عبد السلام: ٢٠٠/٢.
- (٦) انظر: تفسيره: ٨٠/١.
- (٧) انظر تأويلات أهل السنة: ٥٥٠/٦.
- (٨) انظر: بحر العلوم: ٢٨٥/٢.
- (٩) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٩٤٤/٦.
- (١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٠٧/٣.
- (١١) انظر: تفسيره: ١٥٨/٣.
- (١٢) انظر: الكشاف: ٥٩٢/٢.
- (١٣) انظر: المحرر الوجيز: ٣٧٧/٣.
- (١٤) انظر: زاد المسير: ٥٤٨/٢.
- (١٥) انظر: مفاتيح الغيب: ١٦٧/١٩.
- (١٦) انظر: التفسير: ٦٥/١٠.
- (١٧) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: ٦٦/٣.
- (١٨) تفسيره: ٥٩١/٤.
- (١٩) انظر: تفسيره: ٢٧٤/٢.
- (٢٠) انظر: نظم الدرر: ٤٢٣/١٠.
- (٢١) البرهان في علوم القرآن: ٢٦٩/١.
- (٢٢) تفسير السعدي: ٤٣٥.
- (٢٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٠٧/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.
- (٢٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٠٧/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.

قال ابن عاشور: "هي مكة في قول الجمهور"^(١٢).
والثاني: أنها مكة إلا آية واحدة، وهي قوله: {وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا} [النحل: ١٢٦] الآية. قاله الشعبي^(١٣).
الثاني: أنها مكة إلا ثلاث آيات نزلت في مدينة، ثم اختلف فيهن، على ثلاثة أقوال:
القول الأول: أن الآيات الثلاث: من قوله: {وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا} [النحل: ١٢٦] إلى آخر السورة^(١٤).
قاله ابن عباس^(١٥)، وعطاء بن يسار^(١٦)، والشعبي^(١٧)، وبه قال السمعاني^(١٨)، والزمخشري^(١٩)،
والرازي^(٢٠)، والفيروزآبادي^(٢١).

أخرج النحاس من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: "سورة النحل نزلت بمكة سوى ثلاث آيات من آخرها فانهن نزلن بين مكة والمدينة في منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد"^(٢٢).

القول الثاني: أن الآيات الثلاث، هي: قوله تعالى: {وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا} [النحل: ١٢٦] نزلت بالمدينة في شأن التمثيل بحمزة وقتلى أحد، وقوله تعالى: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} [النحل: ١٢٧]، وقوله {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا}، [النحل: ١١٠]. قاله ابن عطية^(٢٣).

- القول الثالث: أن الآيات الثلاث، هي من قوله تعالى: {وَلَا تَسْتَوُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمًّا قَلِيلًا إِمَّا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [النحل: ٩٥]، إلى قوله: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧]. وهذا مروى عن ابن عباس أيضا^(٢٤).

(١) انظر: زاد المسير: ٥٤٨/٢، وتفسير القرطبي: ٦٥/١٠.

(٢) انظر: زاد المسير: ٥٤٨/٢، وتفسير القرطبي: ٦٥/١٠.

(٣) انظر: زاد المسير: ٥٤٨/٢.

(٤) انظر: زاد المسير: ٥٤٨/٢، وتفسير القرطبي: ٦٥/١٠.

(٥) انظر: تفسير القرطبي: ٦٥/١٠.

(٦) انظر: زاد المسير: ٥٤٨/٢.

(٧) انظر: مفاتيح الغيب: ١٦٧/١٩.

(٨) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٩٤٣/٦.

(٩) انظر: بحر العلوم: ٢٦٥/٢.

(١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٥٥/٤.

(١١) انظر: الدر المنثور: ١٠٧/٥.

(١٢) التحرير والتنوير: ٩٣/١٤.

(١٣) حكاه عنه أبو الليث في بحر العلوم: ٢٦٥/٢، وقال: "أخبرنا الثقة بإسناده عن الشعبي..."

(١٤) وهي: {وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا} بمثل ما عُوِّقْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨) [النحل: ١٢٦ - ١٢٨].

(١٥) اورده السيوطي في الر المنثور: ١٠٧/٥، وزاد نسبه إلى النحاس من طريق مجاهد، وانظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٩٤٣/٦.

(١٦) أخرجه الطبري: ٣٢٣/١٧.

(١٧) انظر: زاد المسير: ٥٤٨/٢.

(١٨) انظر: تفسير السمعاني: ١٥٨/٣.

(١٩) انظر: الكشاف: ٥٩٢/٢.

(٢٠) انظر: مفاتيح الغيب: ١٦٧/١٩.

(٢١) انظر: البصائر: ٢٧٨/١.

(٢٢) الدر المنثور: ١٠٧/٥.

(٢٣) انظر: المحرر الوجيز: ٣٧٧/٣.

(٢٤) انظر: زاد المسير: ٥٤٨/٢.

الثالث: أنها مكية إلا أربع آيات نزلت بالمدينة: قوله: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ} [النحل : ٤١] الآية، وقوله: {إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا} [النحل : ١١٠] الآية، وقوله تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا} [النحل : ١٢٦]، وقوله: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} [النحل : ١٢٧] إلى آخرها. وهذا قول ابن عباس^(١).

الرابع: أنها مكية إلا خمس آيات، ثم اختلف فيهن، على قولين:
القول الأول: أن الآيات الخمس، هي قوله تعالى: {وَلَا تَسْتَوُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا} [النحل : ٩٥] ... الآيتين، ومن قوله: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ} [النحل : ١٢٦] ... إلى آخرها. وهذا قول قتادة^(٢).

القول الثاني: أن الآيات الخمس، هي، من قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا} [النحل : ٤١] الآية، وقوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا} [النحل : ١١٠] الآية، وقوله تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ} [النحل : ١٢٦] ... إلى آخرها. وهذا قول ابن السائب^(٣).

الخامس: أنها مكية إلا سبع آيات، وهي: {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا} [النحل : ١١٠] الآية، وقوله تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ} [النحل : ١٠٦]، الآية، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ} [النحل : ٤١] الآية، وقوله تعالى: {وَوَضَّرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً} [النحل : ١١٢] الآية، وقوله تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ} [النحل : ١٢٦] ... إلى آخرها. فإن هذه الآيات مدنيات. وهذا قول مقاتل^(٤).
السادس: أن أول أربعين آية مكية، وبقيتها نزلت بالمدينة، قاله جابر بن زيد^(٥).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

قال المراغي: "وجه ارتباطها بما قبلها أنه لما قال في السورة السالفة: {قَوْرَبَّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [الحجر : ٩٢]، كان ذلك تنبيها إلى حشرهم يوم القيامة وسؤالهم عما فعلوه في الدنيا، فقيل: {آتَى أَمْرُ اللَّهِ} [النحل : ١]، وأيضا فإن قوله في آخرها: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر : ٩٩]، شديد الالتئام بقوله: {آتَى أَمْرُ اللَّهِ} [النحل : ١]"^(٦).

■ أغراض السورة ومقاصدها

لقد ركزت مقاصد سورة «النحل» على موضوعات العقيدة الكبرى: الألوهية، والوحي، والبعث. وألمت بمقاصد جانبية أخرى تتعلق بتلك الموضوعات الرئيسية. فمن أهم الحقائق التي أبرزتها السورة حقيقة الوحدانية الكبرى، التي تصل بين دين إبراهيم عليه السلام ودين محمد صلى الله عليه وسلم. وأبرزت أيضاً حقيقة الإرادة الإلهية والإرادة البشرية فيما يختص بالإيمان والكفر والهدى والضلال. وبينت وظيفة الرسل، وسنة الله في المكذبين لهم. وموضوع التحليل والتحريم وأوهام الوثنية. وتحدثت عن الهجرة في سبيل الله، وفتنة المسلمين في دينهم، والكفر بعد الإيمان، وجزاء هذا كله عند الله. وبالإضافة لموضوعات العقيدة، فقد قصدت السورة إلى بيان موضوعات المعاملة: العدل، والإحسان، والإنفاق، والوفاء بالعهد، وغيرها من موضوعات السلوك القائم على العقيدة.

ويمكن إجمال المقاصد التي دارت حولها آيات هذه السورة وفق التالي :

١- ذكر النعم التي أنعم الله بها على عباده، وتفصيلها بما يثير دافع الشكر؛ ليقترب الإنسان من المنعم. كنعمة السمع والبصر، ونعمة الزوجة والولد، ونعم المطر والأنعام، ونعمة الملجأ الذي يقي الحر والبرد ...

(١) حكاه عنه أبو الليث في بحر العلوم: ٢/٢٦٥.

(٢) انظر: زاد المسير: ٢/٥٤٨.

(٣) انظر: زاد المسير: ٢/٥٤٨.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢/٤٥٧-٤٥٨.

(٥) انظر: زاد المسير: ٢/٥٤٨.

(٦) انظر: تفسير المراغي: ٤/٥١.

- ٢- الحديث عن أدلة التوحيد؛ وذلك ببيان عظمة ما خلق سبحانه، وحقيقة المعاد والحساب، وإنذار المشركين باقتراب يوم الحساب والعذاب. وتعليل عدم إيمان الذين لا يؤمنون بالآخرة؛ بأن (قُلُوبُهُمْ مُّكْرَهُةٌ) [النحل : ٢٢]، فالجود صفة كامنة فيها، تصدهم عن الإقرار بالآيات البينات؛ (وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ) [النحل : ٢٢] ، فالاستكبار يصددهم عن الإذعان والتسليم .
- ٣- عرضت السورة نموذجاً بشرياً للناس حين يصيبهم الضر، فيجأرون إلى الله وحده، (ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَهُ تَجَآرُونَ) [النحل : ٥٣]، حتى إذا كشف عنهم الضرر، راحوا يشركون بخالقهم وكاشف كربهم: (ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ) [النحل : ٥٤].
- ٤- بيان جملة من الأحكام الشرعية العامة من قبيل: الأمر بالعدل، والإحسان، والنهي عن الفحشاء والمنكر، وخلف العهد، والهجرة، والجهاد، إضافة إلى الدعوة إلى شكر المُنعم على نعمه الجزيلة، التي لا تعد ولا تحصى .
- ٥- تحدثت السورة عن إبراهيم عليه السلام، ووصفته بأنه: (كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [النحل : ١٢٠].
- ٦- تحدثت عن بدع المشركين، كاتخاذ الأنداد من دون الله، (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ) [النحل : ٧٣]، وواد البنات (وَإِذَا بُسِرَ أَحَدُهُمْ بِالنِّاتِي ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) [النحل : ٥٨].
- ٧- ذكرت بعض آداب قراءة القرآن، وهو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم؛ لطرده شبحه من مجلس القرآن الكريم، وحذرت الناس من وساوس الشيطان، (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) [النحل : ٩٨].
- ٨- ذكرت السورة بعض تقولات المشركين عن القرآن؛ فمنهم من يرمي الرسول صلى الله عليه وسلم بافتراءه على الله، (قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [النحل : ١٠١]. ومنهم من يقول: إن غلاماً أعجمياً هو الذي يعلمه هذا القرآن (يَقُولُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ) [النحل : ١٠٣].
- ٩- أرشدت السورة الدعاة إلى الله إلى أن تكون دعوتهم بالتي هي أحسن، لا بالتي هي أعنف، كي لا ينفروا الناس عن هذا الدين، الذي ارتضاه سبحانه للناس أجمعين .
- ١٠- قررت السورة مبدأ العقوبة بالمثل، وزادت عليه بطلب العفو، والصبر على الأذى .
- ١١- ختمت السورة ببيان أن الله سبحانه مع عباده المتقين، الذين يلتزمون أحكامه، ولا يتجاوزون حدوده. وأنه مع عباده المحسنين، الذين يحسنون لأنفسهم بتقديم الطاعات والقربات، ويحسنون لغيرهم بحسن الأخلاق والمعاملات (١).

الناسخ والمنسوخ:

- تحتوي من المنسوخ على أربع آيات بإجماع، وخمس آيات بخلاف:
- الآية الأولى: قوله تعالى: (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) [النحل : ٦٧]، أي: وتعدلون عن الرزق الحسن وهذه الآية ظاهرها التعداد بالنعمة وباطنها توبيخ وتعيير ونسخت بالآية التي في سورة المائدة وهي قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ) [المائدة : ٩٠] إلى قوله (لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ) [المائدة : ٩٠]، وموضع التحريم قوله تعالى: (فَاجْتَنِبُوهُ) [المائدة : ٩٠]. وقيل موضع التحريم قوله تعالى: (قَهْلَ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) [المائدة : ٩١].
 - الآية الثانية: قوله تعالى: (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) [النحل : ٨٢]، نسخت بآية السيف.
 - الآية الثالثة: قوله تعالى: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ) [النحل : ١٠٦]، ثم استثنى: (إِنَّمَا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) [النحل : ١٠٦]، نسخها آخرها ويقال آية السيف، نزلت في فقراء المسلمين

(١) انظر: اسلام ويب. [موقع الكتروني].

- الذين كانوا المشركون يعذبونهم ثم نسخها الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ﴾ [النساء : ٩٨]، في سورة النساء.
- الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل : ١٢٥]، هذا محكم، ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل : ١٢٥]: منسوخ نسختها آية السيف، وقيل بل آية القتال.
- الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ﴾ [النحل : ١٢٧]، نسخ الصبر بآية السيف^(١).
- فضائل السورة:

- ومما وردت به الروايات من فضائل هذه السورة:
- عن أبي بن كعب، قال: "قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم عليه في دار الدنيا، وأعطى من الأجر كالذي مات فأحسن الوصية»"^(٢).
- قال الفيروزآبادي: "روى المفسرون في فضل السورة أحاديث ساقطة..."^(٣). ثم ساق بعض الأحاديث من ضمنها الحديث السابق.
- عن جويرية بن بشير الهجيمي قال: "سمعت الحسن، قرأ يوماً هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل : ٩٠] إلى آخرها ثم وقف فقال: إن الله عز وجل جمع لكم الخير كله، والشر كله في آية واحدة فوالله ما ترك العدل، والإحسان من طاعة الله شيئاً إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء، والمنكر والبغي، من معصية الله شيئاً إلا جمعه"^(٤).
- أخرج الإمام أحمد بسند حسن، عن عثمان بن أبي العاص، قال: "كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا إذ شخص ببصره ثم صوبه حتى كاد أن يلزقه بالأرض، قال: ثم شخص ببصره فقال: «أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة» ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]"^(٥).
- عن قتادة، قال: "ذكر لنا أن هَرم بن حَيان العَبْدِي لما حضره الموت، قيل له: أوص، قال: ما أدري ما أوصي، ولكن بيعوا درعي، فاقضوا عني ديني، فإن لم تف، فبيعوا فرسي، فإن لم يف فبيعوا غلامي، وأوصيكم بخواتيم سورة النحل ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال: «بَلْ نَصْبِرْ»"^(٦).

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١١٣-١١٤.

(٢) أخرجه الواحدي في التفسير الوسيط (٥١٤): ص ٥٥/٣، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٤١/٣، والزمشري في الكشف: ٦٤٥/٢، والبيضاوي في التفسير: ٢٤٦/٣، وغيرهم.

وذكره المستغفري في فضائل القرآن (١١٨٢): ص ٧٧٩/٢. بلفظ: «من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى يوم القيامة بما أنعم عليه في دار الدنيا فإن مات يوم تلاها أو ليلة تلاها كان له من الأجر كالذي مات فأحسن الوصية».

قال الفيروزآبادي: "روى المفسرون في فضل السورة أحاديث ساقطة. منها حديث أبي الواهي: من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بالنعم التي أنعم عليه في دار الدنيا، وأعطى من الأجر كالذي مات فأحسن الوصية". وعن جعفر: "أن من قرأ هذه السورة في كل شهر كفى عنه سبعون نوعاً من البلاء، أهونها الجذام والبرص، وكان مسكنه في جنة عدن وسط الجنان". وحديث علي: "يا علي من قرأ سورة النحل فكأنما نصر موسى وهارون على فرعون، وله بكل آية قرأها مثل ثواب أم موسى". البصائر: ٢٨٧/١.

(٣) البصائر: ٢٨٧/١.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٣٨): ص ٢٩٥/١.

(٥) المسند (١٧٩١٨): ص ٤٤١/٢٩.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٢٧/١٧.

- روي البخاري عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، "قرأ يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل حتى إذا جاء السجدة نزل، فسجد وسجد الناس حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها، حتى إذا جاء السجدة، قال: «يا أيها الناس إنا نمر بالسجود، فمن سجد، فقد أصاب ومن لم يسجد، فلا إثم عليه ولم يسجد عمر رضي الله عنه» وزاد نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، «إن الله لم يفرض السجود إلا أن نشاء»^(١).

(١) صحيح البخاري(١٠٧٧):ص٤٢/٢.

سورة «الإسراء»

سورة «الإسراء»: هي السورة «السابعة عشر» في ترتيب المصحف، نزلت بعدسورة: «القصص»^(١)، وعدد آياتها: (١١١) مائة وإحدى عشرة، وقيل: (١١٠) مائة وعشرة، وكلماتها: (١٥٦٣) ألف وخمسمائة وثلاث وستون، وحرروفها: (٦٤٦٠) ستة آلاف وأربعمائة وستون^(٢).
والمختلف فيها آية واحدة: {لِلَّذِّقَانِ سُجَّدًا} [الإسراء : ١٠٧].
وفواصل آياتها «ألف» إلا الآية الأولى^(٣)، فإنها «راء»^(٤).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: سورة «الإسراء»:

«الإسراء» لغة: السير ليلاً، يقال: أسرى يسري إسراء ويأتي لازماً فيقال: سرى الرجل ويأتي متعدياً فيقال: أسرى به^(٥).

وهو اسمها المشهور في المصاحب وكتب التفسير، ولم نقف على أحاديث تدل على تسمية الرسول- صلى الله عليه وسلم- أو صحابته هذه السورة باسم سورة «الإسراء»، وإنما اشتهرت به، وكتبت في المصاحف، منذ تدوين أسماء السور في أوائلها، ومن المفسرين الذين صرحوا بتسميتها بسورة «الإسراء»، مثل: الأخفش^(٦)، وأبو الليث السمرقندي^(٧)، والقاسمي^(٨)، والألوسي^(٩)، والسخاوي^(١٠)، وغيرهم.

■ وجه التسمية:

وجه تسميتها بسورة «الإسراء»، أنها افتتحت بذكر قصة إسراء الرسول- صلى الله عليه وسلم- من مكة إلى القدس ليلاً على البراق^(١١)، فقال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء : ١]، وقصة الإسراء هي المعجزة الباهرة التي خص الله تعالى بها نبيه تشرifa له، وقد اختصت هذه السورة بذكر هذه الحادثة فسميت بها.

■ ثانياً:- اسمهاؤها الإجتهدية:

■ الاسم الأول: سورة «بني إسرائيل»:

اشتهرت بسورة «بني إسرائيل»، ودون هذا الاسم في كثير من المصاحف، وقد ثبت تسميتها في الأحاديث الصحيحة في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم-، منها:

- عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: سمعت ابن مسعود رضي الله عنه، قال: " في بني إسرائيل، والكهف، ومريم: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلاميذ"^(١٢).

(١) انظر: الكشاف: ٦٤٦/٢، ومفاتيح الغيب: ٢٩١/٢٠

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٢٨٨ / ١.

(٣) وهي قوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء : ١].

(٤) انظر: الكشاف: ٥٩٢/٢.

(٥) انظر: العين (سري): ص٢٩١/٧، واللسان: ٣٨١/١٤.

(٦) انظر: معاني القرآن: ٤٢١/٢.

(٧) انظر: بحر العلوم: ٢٩٩/٢.

(٨) انظر: محاسن التأويل: ٤٢٧/٦.

(٩) انظر: تفسير المنار: ٢/١٥.

(١٠) انظر: جمال القراء: ٣٧/١.

(١١) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٢/٥.

(١٢) صحيح البخاري(٤٧٠٨): ص٨٢/٦.

«العتاق»: بكسر المهملة وتخفيف المثناة جمع «عتيق»، وهو القديم أو هو كل ما بلغ الغاية في الجودة وبالتالي جزم جماعة

- عن أبي لبابة، قال: "قالت عائشة: كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر"^(١).
- عن أبي عمرو الشيباني، قال: "صلى بنا عبدالله الفجر، فقرأ بسورتين الآخرة منها بنو إسرائيل"^(٢).
- عن ابن عباس-رضي الله عنهما، قال: "نزلت سورة بني إسرائيل بمكة"^(٣).
- كما عنون لها بعض المفسرين في تفاسيرهم كمقاتل^(٤)، والطبري^(٥)، والزجاج^(٦)، والماتريدي^(٧)، والثعلبي^(٨)، ومكي بن أبي طالب^(٩)، والسمعاني^(١٠)، وابن الجوزي^(١١)، والرازي^(١٢)، والبيضاوي^(١٣)، والنسفي^(١٤)، والشوكاني^(١٥)، والالوسي^(١٦)، والسعدي^(١٧)، وابن عاشور^(١٨)، والشنقيطي^(١٩)، وغيرهم.
- وترجم لها البخاري^(٢٠)، والترمذي^(٢١)، والحاكم^(٢٢)، وورد هذا الاسم في كتب علوم القرآن مثل جمال القراء^(٢٣)، والبصائر^(٢٤)، ونظم الدرر^(٢٥)، والإتقان^(٢٦).
- ولم نقف على حديث مرفوع إلى النبي-صلى الله عليه وسلم- سماها بسورة«بني إسرائيل».
- وجه التسمية:

في هذا الحديث وبالأول جزم أبو الحسين بن فارس وقوله الأول بتخفيف الواو وقوله: «هن من تلادي» بكسر المثناة وتخفيف اللام، أي: مما حفظ قديما و«التلاد»: قديم الملك، وهو بخلاف الطارف، ومراد بن مسعود أنهم من أول ما تعلم من القرآن وأن لهم فضلا لما فيهن من القصص وأخبار الأنبياء والأمم". [فتح الباري: ٣٨٨/٨]

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٢٠): ص ٣١/٥. وقال: «هذا حديث حسن غريب، وأبو لبابة هذا شيخ بصري قد روى عنه حماد بن زيد غير حديث، ويقال اسمه: مروان. حدثنا بذلك محمد بن إسماعيل في كتاب التاريخ». تحقيق الالباني: صحيح، الصحيحة (٦٤١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الصلوات، باب"ما يقرأ في صلاة الفجر": ص ٣٥٤/١.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٨١/٥، وعزاه للنحاس وابن مردويه.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١٢/٢.

(٥) انظر: التفسير: ٥٩٠/١٧.

(٦) انظر: معاني القرآن: ٢٥٠/٥.

(٧) انظر: تأويلات أهل السنة: ٣/٧.

(٨) انظر: الكشف والبيان: ٥٤/٦. [وردت التسميتين: الإسراء وبني إسرائيل]

(٩) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣١١٢/٤.

(١٠) انظر: التفسير: ٢١٢/٣.

(١١) انظر: زاد المسير: ٩٢/٣.

(١٢) انظر: مفاتيح الغيب: ٤٠٧/١٢.

(١٣) انظر: التفسير: ٢٤٧/٣.

(١٤) انظر: التفسير: ٢٤٤/٢.

(١٥) انظر: فتح القدير: ٣٤٩/٣.

(١٦) تفسير المنار: ٢٧١/٦.

(١٧) انظر: التفسير: ٤٥٣.

(١٨) انظر: التحرير والتنوير: ٧٨/١١.

(١٩) انظر: أضواء البيان: ٤٨٧/١.

(٢٠) صحيح البخاري، كتاب التفسير: ٢٧١/٥.

(٢١) في جامعه في ابواب التفسير: ٣٠٠/٥.

(٢٢) المستدرک، كتب التفسير: ٣٩١/٢.

(٢٣) انظر: ٣٧/١.

(٢٤) انظر: ٢٨٨، ١.

(٢٥) انظر: ٢٨٦/١١.

(٢٦) انظر: ١٧٣/١.

سميت سورة «بني إسرائيل»، لأنها ذكر فيها من احوال بني إسرائيل ما لم يذكر في غيرها، إذ اوردت السورة قصة تشردهم في الأرض مرتين بسبب فسادهم، حيث استولى عليهم قوم أولي بأس وهم «الآشوريين»، ثم استولى عليهم قوم آخرين وهم «الروم»^(١)، قال تعالى: {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا} [الإسراء : ٤] إلى آخر الآيات.

قال البقاعي في سبب التسمية: "وأما بنو إسرائيل فمن أحاط أيضاً بتفاصيل أمرهم في سيرهم إلى الأرض المقدسة الذي هو كالإسراء وإيتائهم الكتاب وما ذكر مع ذلك من أمرهم في هذه السورة عرف ذلك"^(٢).

■ الاسم الثاني: سورة «سبحان»:

كما عرفت تسمية هذه السورة بـ«سورة سبحان»، وعنون لها بعض المفسرين ما بن عطفية، والثعالبي، وأورد هذه التسمية بعض المفسرين في تفاسيرهم، كيحيى بن سلام^(٣)، وابن أبي زمنين^(٤)، ومكي بن أبي طالب^(٥)، والواحدي^(٦)، وابن عطية^(٧)، والقرطبي^(٨)، وأبو حيان^(٩)، والسمين الحلبي^(١٠)، وابن رجب^(١١)، والشوكاني^(١٢)، وابن عاشور^(١٣)، وغيرهم، وقد عدّها السخاوي^(١٤)، والسيوطي^(١٥)، في كتابيهما من بين أسماء السورة، وذكرها البقاعي^(١٦)، والفيروزآبادي^(١٧).

ولم نقف على حديث أو أثر في تسمية السورة بهذا الاسم، إنما هو اسم احتشادي من علماء التفسير وعلوم القرآن، استنبطوها من مضامين السورة.

■ وجه التسمية:

سميت هذه السورة: «سورة سبحان»، لافتتاحها بهذه الكلمة، وذلك في قوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء : ١].

قال البقاعي: "أما «سبحان»، الذي هو علم للتنزيه فمن أظهر ما يكون فيه، لأن من كان على غاية النزاهة عن كل نقص، كان جديراً بأن لا نعبد إلا إياه، وأن نعرض عن كل ما سواه، لكونه متصفاً بما ذكر"^(١٨).

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٢١٥/١٠.

(٢) نظم الدرر: ٢٨٦/١١-٢٨٧.

(٣) انظر: التفسير: ١٠١/١.

(٤) انظر: التفسير: ٥/٣.

(٥) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤١٢١/٦.

(٦) انظر: التفسير البسيط: ١١٩/١٥.

(٧) انظر: المحرر الوجيز: ٤٩٣/٣.

(٨) انظر: التفسير: ٤٤٠/١.

(٩) انظر: البحر المحيط: ٤١٦/٨.

(١٠) انظر: الدر المصون: ٢١٩/٤.

(١١) انظر: التفسير: ٦٢٦/١.

(١٢) انظر: فتح القدير: ٦٣/١.

(١٣) انظر: التحرير والتنوير: ٥/١٥.

(١٤) انظر: جمال القراء: ٣٦/١.

(١٥) انظر: الإقتان: ١٧٣/١.

(١٦) انظر: نظم الدرر: ٢٨٦/١.

(١٧) انظر: البصائر: ٢٨٨/١.

(١٨) نظم الدرر: ٢٨٦/١١.

■ مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس^(١)، وبه قال يحيى بن سلام^(٢)، والماتريدي^(٣)، وأبو الليث السمري^(٤)، وابن أبي زمنين^(٥)، والثعلبي^(٦)، ومكي بن أبي طالب^(٧)، والواحيدي^(٨)، والبغوي^(٩)، وابن كثير^(١٠)، والسيوطي^(١١).

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية باتفاق"^(١٢).

قال ابن الجوزي: "هي مكية في قول الجماعة"^(١٣).

الثاني: أنها مكية إلا ثلاث آيات: {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ} [الإسراء: ٧٦]، نزلت حين جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد ثقيف وحين قالت اليهود: ليست هذه بأرض الأنبياء، وقوله: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ} [الإسراء: ٨٠]، وقوله: {إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ} [الإسراء: ٦٠]. قاله ابن عطية^(١٤)، والقرطبي^(١٥).

الثالث: أنها مكية إلا خمس آيات نزلت بالمدينة: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي} [الإسراء: ٣٣]، {وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ} [الإسراء: ٣٢]، {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ} [الإسراء: ٥٧]، {أَقِمِ الصَّلَاةَ} [الإسراء: ٧٨]، {وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ} [الإسراء: ٢٦]. قاله الحسن^(١٦).

الرابع: أنها مكية إلا ثمان آيات: من قوله تعالى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَاتُخْذُوكَ خَلِيلًا} [الإسراء: ٧٣]، إلى قوله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا} [الإسراء: ٨٠]. قاله ابن عباس أيضا^(١٧)، وقتادة^(١٨).

الخامس: أنها مكية كلها إلا تسع آيات فمدنيات، وهن: «٦٠^(١٩)، ٧١^(٢٠)، ٧٣^(٢١)، ٧٤^(٢٢)، ٧٥^(٢٣)، ٨٠^(٢٤)، ١٠٧^(٢٥)، ١٠٨^(٢٦)، ١٠٩^(٢٧)». قاله مقاتل^(٢٨).

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٨١/٥، وعزاه للنحاس وابن مردويه.

(٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ١٠١/١.

(٣) انظر: تأويلات أهل السنة: ٣/٧.

(٤) انظر: بحر العلوم: ٢٩٩/٢.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٥/٣.

(٦) انظر: الكشف والبيان: ٥٤/٦.

(٧) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤١٢١/٦.

(٨) انظر: التفسير الوسيط: ٩٣/٣.

(٩) انظر: تفسير البغوي: ٥٥/٥.

(١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٦١٧/٤.

(١١) انظر: الدر المنثور: ١٨١/٥.

(١٢) البصائر: ٢٨٨/١.

(١٣) زاد المسير: ٧/٣.

(١٤) انظر: المحرر الوجيز: ٤٣٤/٣.

(١٥) انظر: تفسير القرطبي: ٢٠٣/١٠.

(١٦) حكاه عنه عبدالقاهر الجرجاني في درج الدرر: ٣، ١٠٨٥، والألوسي في روح المعاني: ٢٠/١٥.

(١٧) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٧/٣.

(١٨) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٧/٣.

(١٩) {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا} [الإسراء: ٨٠].

(٢٠) {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: ٧٦].

(٢١) {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَاتُخْذُوكَ خَلِيلًا} [الإسراء: ٧٣].

(٢٢) {وَلَوْ لَأَنَّكَ لَفَدْتُمْ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا} [الإسراء: ٧٤].

(٢٣) {وَإِذَا لَاتُخْذُوكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا} [الإسراء: ٧٥].

السادس: أنها مكية إلا إحدى عشر آية، فمدنيات، وهن: «٢٦^(٦)، ٣٢^(٧)، ٣٣^(٨)، ٥٧^(٩)، ومن آية (٧٣) إلى غاية آية (٨٠)^(١٠)». قاله الزمخشري^(١١)، والفخر الرازي^(١٢)، وابن جزي الكلبي^(١٣).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

من وجوه المناسبة بين السورتين:

١- إنه سبحانه ذكر في سورة «النحل» اختلاف اليهود في السبت، وهنا ذكر شريعة أهل السبت التي شرعها لهم في التوراة، فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس أنه قال: «إن التوراة كلها في خمس عشرة آية من سورة بني إسرائيل، ثم تلاها **لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ** {الإسراء: ٢٢}»^(١٤).

٢- إنه لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر ونهاه عن الحزن وضيق الصدر من مكرهم في السورة السالفة- ذكر هنا شرفه وعلو منزلته عند ربه.

٣- إنه ذكر في السورة السالفة نعمًا كثيرة حتى سميت لأجلها سورة النعم، ذكر هنا أيضا نعمًا خاصة وعمامة^(١٥).

■ أغراض السورة ومقاصدها

تدور معظم موضوعات سورة الإسراء على العقيدة؛ وبعضها عن قواعد السلوك الفردي والجماعي وأدابه القائمة على العقيدة، إلى شيء من القصص عن بني إسرائيل، وطرف من قصة آدم وإبليس وتكريم الله للإنسان.

والعنصر البارز في كيان هذه السورة، ومحور موضوعاتها الأصيل هو شخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وموقف القوم منه في مكة.

ويمكننا أن نسجل أهم المقاصد التي أبرزتها هذه السورة الكريمة:

- (١) {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠)} {الإسراء: ٨٠}.
- (٢) {قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧)} {الإسراء: ١٠٧}.
- (٣) {وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كَانُوا وَعَدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨)} {الإسراء: ١٠٨}.
- (٤) {وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩)} {الإسراء: ١٠٩}.
- (٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١٢/٢.
- (٦) {وَأَتَى ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْدُرْ تُبْدِيرًا (٢٦)} {الإسراء: ٢٦}.
- (٧) {وَلَا تَقْرَبُوا الرِّثَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)} {الإسراء: ٣٢}.
- (٨) {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣)} {الإسراء: ٣٣}.
- (٩) {وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)} {الإسراء: ٥٧}.
- (١٠) {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لَيَقْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ إِذَا لَاتَخْذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذَا لَادَفْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥) وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سَنَّةً مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧) أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السُّمْسِ إِلَىٰ عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠)} {الإسراء: ٧٣ - ٨٠}.
- (١١) انظر: الكشاف: ٦٤٦/٢.
- (١٢) انظر: مفاتيح الغيب: ٢٠/٢٩١.
- (١٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٤٠/١.
- (١٤) تفسير الطبري: ٥٩٠/١٧.
- (١٥) انظر: تفسير المراغي: ٣/١٥.

- ١٢- توحيد الله سبحانه، {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} [الإسراء : ٢٣]، فالله سبحانه وتعالى هو الموحد الحق، ولا معبود سواه .
- ١٣- تنزيه الله تعالى وتسبيحه وحمده وشكر آلائه، وقد تكرر مقصد التسبيح في آيات عديدة من هذه السورة؛ ففي مطلعها، قال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ} [الإسراء : ١]. وعند ذكر دعاوى المشركين عن الآلهة، عقب سبحانه بقوله: {تَسْبُحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [الإسراء : ٤٤]. وعند حكاية قول بعض أهل الكتاب حين يتلى عليهم القرآن: {وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا} [الإسراء : ١٠٨].
- ١٤- قررت السورة أن ثواب الاهتداء وإثم الضلال إنما يعود على الفرد نفسه ولن يغني عن غيره شيئاً كما أن غيره لن يغني عنه شيئاً ، {مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا} [الإسراء : ١٥]، فطريق الهداية واضح وظاهر، أوضحه سبحانه لعباده عن طريق رسله وكتبه، وما على الإنسان إلا أن يسير في هذا الطريق، ويعرض عن غيره من الطرق .
- ١٥- بيان إعجاز القرآن الكريم، وأن البشر يستحيل عليهم أن يأتيوا بمثله، {قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء : ٨٨]، فالقرآن الكريم معجزة هذا الدين، ومعجزة نبيه عليه الصلاة والسلام، وليس بمقدور أحد -مهما أوتي من علم- أن يأتي بمثل هذا القرآن، ولا بشيء منه.
- ١٦- بيان الحكمة من إنزال القرآن على فترات، وليس دفعة واحدة، {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْتٍ وَتَزَلَّاتُ تَنْزِيلًا} [الإسراء : ١٠٦]، فغاية إنزال القرآن على دفعات؛ ليستوعب الناس أحكامه، وليكون أمامهم متسع من الوقت؛ ليطبقوا أوامره ويجتنبوا نواهيه.
- ١٧- تنزيه الله عن الولد والشريك والناصر والمعين، {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الدُّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء : ١١١]. فالله سبحانه هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.
- ١٨- قررت السورة مبدأ المسؤولية الشخصية، فكل إنسان يتحمل عاقبة عمله، ولا يتحمل أحد عاقبة عمل غيره، {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} [الإسراء : ١٥]، فالإنسان إن عمل خيراً فلنفسه، وإن أساء فعليها.
- ١٩- ذكر سبحانه في هذه السورة سنة إلهية، وهي أنه سبحانه لا يعذب عباده إلا بعد أن يرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين، ويقيم عليهم الحجة بالآيات التي تقطع عذرهم، قال سبحانه: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء : ١٥].
- ٢٠- ذكر سبحانه سنة تتعلق بسلوك الإنسان عموماً، وهي أن الإنسان إذا أصابه ضراء وبلاء، لجأ إلى ربه وخالقه طالباً منه العون والنجاة، ثم إذا كشف الله عنه ما نزل به من ضرٍّ، إذا به يكفر بخالقه، ويُعرض عن هدي ربه، {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا} [الإسراء : ٦٧].
- ٢١- بينت السورة قيمة القرآن الكريم، حيث ورد لفظ القرآن في هذه السورة أحد عشر مرة. نحو قوله سبحانه: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء : ٩].
- ٢٢- بينت السورة أنه لا أحد يملك من الأمر شيئاً؛ إذ الأمر كله لله، فلا نافع ولا ضار إلا الله، ولا ناصر ولا معين إلا هو سبحانه، {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا} [الإسراء : ٥٦].

٢٣- غُنيَت السورة بالحديث عن مكارم الأخلاق، فدعت إلى الإحسان إلى الوالدين، وصلة الرحم، والعطف على الفقير والمسكين وابن السبيل، ونهت عن التبذير والقتل والزنا وتطيف الكيل والميزان وأكل مال اليتيم والكبر والبطر.

٢٤- دحضت أوهام الوثنية الجاهلية حول نسبة البنات والشركاء إلى الله، وعن البعث واستبعادهم لوقوعه، وعن استقبالهم للقرآن وتقولاتهم على الرسول صلى الله عليه وسلم، {أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا} [الإسراء : ٤٠]، {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَبِثُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا} [الإسراء : ٤٢].

٢٥- أمر المؤمنين أن يقولوا التي هي أحسن، وتحذيرهم من الانسياق وراء وساوس الشيطان، وبيان أنه العدو الأول والأخطر للإنسان؛ لأنه لا يفارقه أبداً، فهو يعيش بين جنبيه، وهو عدو خفي غير ظاهر، قال تعالى: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا} [الإسراء : ٥٣].

٢٦- بيان الحكمة في عدم إنزال المعجزات التي اقترحتها المشركون على النبي صلى الله عليه وسلم، {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} [الإسراء : ٥٩].

٢٧- بيان عناد المشركين وطلبهم من النبي صلى الله عليه وسلم أن يوافقهم في بعض معتقداتهم، وإلحاحهم في ذلك، {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ لَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَاجِئًا كَمَا تَأْتِي السَّمَاءَ مَطَرًا مُبَارَكًا} [الإسراء : ٩٠].

٢٨- الحديث عن البعث والحشر مع إقامة الأدلة على إمكانه، {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا} [الإسراء : ٩٩]

هذه أهم المقاصد التي تضمنتها هذه السورة الكريمة. وليس من شك، فإن مزيداً من التأمل فيها يهدينا إلى مقاصد أخرى، فإن القرآن الكريم لا تنفسي عجائبه، ولا يشبع منه قارئه ومتأمله^(١).

الناسخ والمنسوخ:

تحتوي من المنسوخ على ثلاث آيات:

- الآية الأولى نسخ بعض معاني ألفاظها، وقال بعض المفسرين نسخ من دعائها أهل الشرك وهي قوله تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} [الإسراء : ٢٣]، هذا محكم، وقوله تعالى: {وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا} [الإسراء : ٢٣] هذا واجب الى قوله تعالى: {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} [الإسراء : ٢٣]، هذا في أهل القبلة وغير أهل القبلة، وكذلك قوله تعالى: {وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء : ٢٤]، يقول إذا بلغا من الكبر فوليت من أمرهما ما كانا يلبيان من أمرك في حال الصغر فلا تقل لهما عند ذلك أف ولا تنهرهما وذلك ان جميع الآيتين محكم إلا بعض معانيهما في أهل الشرك وهو إذا مات الأبوان على الشرك فليس للولد أن يترحم عليهما ولا يدعو لهما.

- الآية الثانية قوله تعالى: {رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَسْأُ يَرْحَمَكُمْ أَوْ إِنَّ يَسْأُ يُعَذِّبَكُمْ} [الإسراء : ٥٤]، الى قوله: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا} [الإسراء : ٥٤]، نسختها آية السيف.

- الآية الثالثة: قوله تعالى: {قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ} [الإسراء : ١١٠]، هذا محكم، وقوله: {وَلَا تُجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا} [الإسراء : ١١٠]، منسوخ نسخته الآية في سورة الأعراف وهي قوله تعالى: {وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً} [الأعراف : ١١٠].

(١) انظر: اسلام ويب. [موقع الكتروني].

٢٠٥]، الآية، وذلك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان إذا قام إلى الصلاة سمع المشركون قراءته فيسبون القرآن فنهاه الله تعالى ان يجهر بقراءة القرآن فلا يسمع^(١).

■ فضائل السورة:

- وردت جملة من الأحاديث النبوية التي تبين فضائل هذه السورة، من ذلك :
- عن ابن مسعود - رضي الله عنه - : "قال: في بني إسرائيل والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي"^(٢).
- عن أبي لبابة، قال: "قالت عائشة: كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر"^(٣).
- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثاً من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثاً من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثاً من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي -صلى الله عليه وسلم- «إذا زلزلت الأرض» حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبداً، ثم أدير الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين^(٤).
- عن عرياض بن سارية - رضي الله عنه - : أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يقرأ المسبحات قبل أن ينام، إذا اضطجع، وقال: «إن فيهن آية أفضل من ألف آية»^(٥).

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١١٥-١١٦.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٧٠٨).

العتاق: جمع عتيق، وهو القديم، والعتاق الأول: أي السور التي أنزلت أولاً بمكة، وأنها أول ما تعلمه ص من القرآن.

يعني قوله (من تلادي) أي مما حفظته قديماً، والتلايد والتلاذ والتالذ: المتقدم، والطريف والطارف: المستحدث

(٣) أخرجه الترمذي (٢٩٢٠): ص ٣١/٥. وقال: «هذا حديث حسن غريب، وأبو لبابة هذا شيخ بصري قد روى عنه حماد بن زيد غير حديث، ويقال اسمه: مروان. حدثنا بذلك محمد بن إسماعيل في كتاب التاريخ». تحقيق الالباني: صحيح، الصحيحة (٦٤١).

(٤) أخرجه أبو داود في "باب تحزيب القرآن" (١٣٩٩): ص ٥٧/٢. والبيهقي في الشعب، في تعظيم القرين، فصل "في فضائل السور والآيات" (٢٥١٢): ص ٤٩٦/٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٢١): ص ٢١٦-٢١٧.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، راء، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّحَ وَيُسَبِّحُ وَسَبَّحَ، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى. وحكم الألباني «ضعيف»، انظر: «ضعيف أبي داود» (٢٤٧).

[تعليق شعيب الأرناؤوط]

إسناده صحيح، عيسى بن هلال الصديقي، روى عنه غير واحد وذكره المؤلف في الثقات، وهو صدوق كما قال الحافظ في التقريب (ص ٤٤١)، وقال الحاكم: "حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله: «بل صحيح»، أي: فقط من غير أن يكون على شرط الشيخين (٥٨٠/٢)، وأورده الفسوي في تاريخه: ٥١٥ / ٢ - ٥١٦ في ثقات التابعين من أهل مصر، وباقى رجاله ثقات من رجال الصحيح.

(٥) أخرجه أحمد (١٢٨/٤) قال: حدثنا يزيد بن عبد ربه. وأبو داود (٥٠٥٧) قال: حدثنا مؤمل بن الفضل الحراني. والترمذي (٢٩٢١)، قال: حدثنا علي بن حجر. والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧١٣)، و (فضائل القرآن) (٥١) قال: أخبرنا علي بن حجر. وفي عمل اليوم والليلة (٧١٤) قال: أخبرنا زكريا بن يحيى، قال: حدثنا إسحاق.

أربعتهم (يزيد بن عبد ربه، ومؤمل بن الفضل، وعلي بن حجر، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي) عن بقية ابن الوليد، قال: حدثني بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن عبد الله بن أبي بلال، فذكره.

- روي عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة بني إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين، أعطي قنطارين في الجنة من الأجر، والقنطار ألف ومائتا أوقية، الأوقية منها خير من الدنيا وما فيها»^(١). [موضوع]

* أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٧١٥) قال: أخبرنا أحمد بن عمرو بن السرح، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت معاوية يحدث، عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا ينام ... فذكره، مرسلًا. * في رواية يزيد بن عبد ربه، ومؤمل، وإسحاق: «عن ابن أبي بلال» لم ينسبوه. و في إسناده: بقية بن الوليد المدلس، والرواية الأخرى للنسائي تعل خبره، والله أعلم. (١) أخرجه الواحدي في التفسير الوسيط(٥٣٤):ص٩٣/٣، والثعلبي في الكشف والبيان:٥٤/٦، وذكره الزمخشري في الكشف:٧٠١/٢، والبيضاوي في التفسير:٢٧١/٣، وابن عادل في اللباب:٤١٤/١٢، والخطيب الشرييني في سراج المنير:٣٤٧/٢، وقال «حديث موضوع». والقنطار: ألف أوقية، ومئتا أوقية.

سورة «الكهف»

سورة «الكهف»: هي السورة «الثامنة عشر» في ترتيب المصحف، نزلت بعدسورة: «الغاشية»^(١)، وعدد آياتها: (١١٠) مائة وعشرة عند الكوفيين، و(١٠٦) مائة وست عند الشاميين، و(١٠٥) مائة وخمس عند الحجازيين، و(١١١) مائة وإحدى عشرة عند البصريين. وكلماتها: (١٥٧٩) ألف وخمسمائة وتسع وسبعون، وحرروفها: (٦٣٠٦) ستة آلاف وثلاثمائة وست^(٢).

والمختلف فيها إحدى عشرة آية: {وَرَدْنَا هُمْ هَدَىٰ} [الكهف : ١٣]، {إِنَّا قَلِيلٌ} [الكهف : ٢٢]، {ذَٰلِكَ عَدَا} [الكهف : ٢٣]، {زَرَعَا} [الكهف : ٣٢]، {مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} [الكهف : ٨٤]، {هَذِهِ أَبْدَا} [الكهف : ٣٥]، {عِنْدَهَا قَوْمًا} [الكهف : ٨٦]، {فَأَتْبَعَ سَبَبًا} [الكهف : ٨٥]، «ذريته» في موضع {الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالٌ} [الكهف : ١٠٣]^(٣).

وفواصل آياتها على: «الألف»^(٤).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفية:

■ الاسم الأول: سورة «الكهف»:

«الكهف»: كالمغارة في الجبل إلا أنه أوسع منها، فإذا صغر فهو غار، وجمعه: «كهوف»^(٥). قال الشاعر^(٦):

وكنت لهم كهفاً حصيناً وجنةً ... يؤول إليها كلها ووليدها

وقد وردت هذه التسمية في كلام النبي-صلى الله عليه وسلم-، وذلك في أحاديث، منها:

- عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال»^(٧).

- عن أبي سعيد، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»^(٨).

وقد وردت تسميتها بسورة «الكهف» عند الصحابة الكرام-رضوان الله تعالى عليهم-، كابن مسعود والبراء بن عازب:

- قال ابن مسعود: «في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العتاق الأول وهن من تلاميذ»^(٩).

- عن البراء بن عازب. قال: «كان رجل يقرأ في داره سورة الكهف، وإلى جانبه حصان له مربوط بشطنين، حتى غشيته سحابة، فجعلت [تدنو] و[تدنو] حتى جعل فرسه ينفر منها. قال الرجل:

(١) انظر: الكشاف: ٧٠٢/٢.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٢٩٧.

(٣) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٢٩٧.

(٤) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٢٩٧.

(٥) انظر: العين: ٣، ٣٨٠، والعياب الزاخر: ١١/٢، وتاج العروس: ٣٤٧/٢٤.

(٦) لم أجده، والبيت من شواهد الخليل في العين: ٣، ٣٨٠، والصغاني في العياب: ١١/٢، والزبيدي في تاج العروس: ٣٤٧/٢٤.

(٧) صحيح. أخرجه أحمد (١٩٦/٥، رقم ٢١٧٦٠) ومسلم (٥٥٥/١، رقم ٨٠٩) وأبو داود (١١٧/٤، رقم ٤٣٢٣)، والنسائي

في الكبرى (٢٣٦/٦، رقم ١٠٧٨٧). وأخرجه أيضاً: الحاكم (٣٩٩/٢، رقم ٣٣٩١) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي

(٢٤٩/٣، رقم ٥٧٩٣)، وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ٧/ ٣٨ / ١٣٢، وإسناده على شرط مسلم، وابن حبان ٧٨٥

٧٨٦.

(٨) أخرجه الحاكم (٣٩٩/٢، رقم ٣٣٩٢) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي (٢٤٩/٣، رقم ٥٧٩٢).

(٩) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٨/٧، رقم ٣٥٨٥٧).

فعجبت لذلك، فلما أصبح أتى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فذكر ذلك له [وقص عليه] فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "تلك السكينة تنزلت للقرآن" (١).
فدلت تلك الأحاديث تدل على أن اسم سورة «الكهف» هو المشهور، وهو اسم توقيفي كما ثبت عن رسولنا الكريم-صلى الله عليه وسلم- وعن صحابته-رضوان الله عليهم أجمعين.

■ وجه التسمية:

سميت سورة «الكهف»؛ لاشتمالها على قصة أصحاب أهل الكهف بتفصيلها (٢)، إذ وردت كلمة «الكهف» في هذه السورة حصراً، دون غيرها من السور، فجاءت بصيغة «الكهف» أربع مرات (٣)، ومرتين مضافة إلى ضمير الغائب «كفهم» (٤).

■ الاسم الثاني: سورة «أصحاب الكهف»:

وسميت بسورة «أصحاب الكهف»، في مصحف نسخ في القرن الحادي عشر الهجري (٥)، كما وردت هذه التسمية في أحاديث رويت عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، منها:

- عن أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-: «ألا أخبركم بسورة ملأت عظمتها ما بين السماء والأرض ولكاتبها من الأجر مثل ذلك ومن قرأها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ومن قرأ الخمس الأواخر منها عند نومه بعثه الله أي الليل شاء سورة أصحاب الكهف" (٦).

- عن النواس بن سمعان الكلابي قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، قال: فانصرفنا من عند [ص: ٥١١] رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجعنا إليه فعرف ذلك فينا فقال: «ما شأنكم؟» قال: قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل قال: «غير الدجال أخوف لي عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه طائفة شبيه بعبد العزى بن قطن، فمن رآه منكم فليقرأ فواتح سورة أصحاب الكهف» قال: «يخرج ما بين الشام والعراق، فعات يمينا وشمالا، يا عباد الله اثبتوا»، قال: قلنا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعين يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم»، قال: قلنا: يا رسول الله، أرايت اليوم الذي كالسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، ولكن اقدروا له»، قال: قلنا: يا رسول الله، فما سرعته في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح فيأتي القوم فيدعوهم فيكذبونه ويردون عليه قوله فينصرف عنهم فتنبعه أموالهم ويصبحون ليس بأيديهم شيء، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيستجيبون له ويصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر

(١) المسند: ٢٩٣/٤، صحيح البخاري: فضائل القرآن: فصل الكهف: ٥٧/٩، صحيح مسلم: الصلاة: نزول السكينة لقراءة القرآن: ٥٤٨/١. والنسائي كما في تحفة الأشراف ٤٥/٢، سنن الترمذي: فضائل القرآن: ماجاء في سورة الكهف: ١٦١/٥ والنسائي كما في تحفة الأشراف ٥٣/٢.

(٢) انظر: البصائر: ٢٩٧/١.

(٣) الآيات: {أَمْ حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرْبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١)} [الكهف: ٩ - ١١]، {وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعِذُّونَ إِلَّا اللَّهُ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا (١٦)} [الكهف: ١٦].

(٤) الآيتين: {وَإِذْ تَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْسِدًا} [الكهف: ١٧]، {وَلْيَبُوءُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا} [الكهف: ٢٥].

(٥) جاء في مصحف مخطوط على الورق، قام بنسخه: عبدالله بن يحيى بن حسن الفياض، من شهر محرم الحرام سنة ١٢٨٨هـ، وهو من مخطوطات بيت القرآن في البحرين.

(٦) ابن مردويه، والديلمي عن عائشة، جامع الأحاديث (٤٤٤٨): ص ٤٣٩/٥.

الأرض أن تنبت فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم كأطول ما كانت نرا وأمه خواصر وأدره ضروعا»، قال: " ثم يأتي الخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فينصرف منها فيتبعه كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلا شابا ممتلئا شابا فيضربه بالسيف فيقطعته جزلتين ثم يدعو فيقبل يتهال وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ هبط عيسى ابن مريم بشرقي دمشق عند المنارة البيضاء بين مهرودتين واضعا يديه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ "، قال: «ولا يجد ريح نفسه، - يعني أحدا - إلا مات وريح نفسه منتهى بصره»، قال: «فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله»، قال: «فيلبث كذلك ما شاء الله»، قال: «ثم يوحى الله إليه أن حوز عبادي إلى الطور فإني قد أنزلت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم»، قال: " ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم كما قال الله: {وهم من كل حدب ينسلون} [الأنبياء: ٩٦] قال: " فيمر أولهم ببخيرة الطيرية فيشرب ما فيها ثم يمر بها آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ثم يسرون حتى ينتهوا إلى جبل بيت المقدس فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، فهلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم محمرا دما، ويحاصر عيسى ابن مريم وأصحابه حتى يكون رأس الثور يومئذ خيرا لأحدهم من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب عيسى ابن مريم إلى الله وأصحابه «»، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى موتى كموت نفس واحدة، ويهبط عيسى وأصحابه فلا يجد موضع شبر إلا وقد ملأته زهمتهم ومنتهم ودمأؤهم، فيرغب عيسى إلى الله وأصحابه، فيرسل الله عليهم طيرا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم بالمهبل ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين، ويرسل الله عليهم مطرا لا يكن منه بيت وبر ولا مدر، فيغسل الأرض فيتركها كالزلفة " قال: «ثم يقال للأرض أخرجي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة الرمانة، ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى إن الفئام من الناس ليكتفون باللقحة من الإبل، وإن القبيلة ليكتفون باللقحة من البقر، وإن الفخذ ليكتفون باللقحة من الغنم فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا فقبضت روح كل مؤمن ويبقى سائر الناس يتهاجون كما تتهاج الحمير فعليهم تقوم الساعة»^(١).

- وروى إسماعيل بن رافع عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أدلكم على سورة شيعها سبعون ألف ملك حين نزلت ملاً فضلها ما بين السماء والأرض لتاليها مثل ذلك»؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال: «سورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر له إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ولياليها مثل ذلك، وأعطى نورا يبلغ به السماء ووقى فتنة الدجال»^(٢).

كما وردت هذه التسمية في كلام بعض السلف، إذ أخرج ابن سعد عن صفية بن ابي عبيد: «أنها سمعت عمر بن الخطاب يقرأ في صلاة الفجر بسورة أصحاب الكهف»^(٣).
ومن المفسرين من ذكر هذه التسمية، السيوطي^(٤)، واليوسفي^(١)، والقاسمي^(٢)، وسعيد حوى^(٣).

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٤٠) :ص٥١٠/٤، وقال: "ذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر". حكم الألباني «صحيح»

(٢) الكشف والبيان: ١٤٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣٤٦/١٠.

وأما رواية ابن الضريس: «عن إسماعيل بن رافع، قال: "بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبركم بسورة ملاً عظمتها ما بين السماء والأرض، شيعها سبعون ألف ملك؟. سورة الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر الله له بها إلى الجمعة الأخرى، وزيادة ثلاثة أيام بعدها، وأعطى نورا يبلغ إلى السماء، ووقى من فتنة الدجال، ومن قرأ الخمس آيات من خاتمتها حين يأخذ مضجعه من فراشه، حفظه وبعث من أي الليل شاء». فضائل القرآن لابن الضريس (٢٠٣):ص٩٦

(٣) أخرجه ابن سعد في طبقاته: ٣٤٧/٨.

(٤) انظر: أسرار ترتيب القرآن: ١٠٧، ١٠٨، والإتقان: ١٠٨/١.

■ وجه التسمية:

قال المهامي: "سميت بها لاشتمالها على قصة أصحابه الجامعة فوائد الإيمان بالله، من الأمن الكلي عن الأعداء، والإغناء الكلي عن الأشياء، والكرامات العجيبة، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"^(٤). وهو اسم توقيفي ثبت من أحاديث الرسول-صلى الله عليه وسلم-، وهو مستنبط من قصة أصحاب الكهف التي عنت بها السورة، فسورة «الكهف» هي بمعنى سورة «أصحاب الكهف».

■ ثانياً:- اسمها الإجتهادي: سورة «الحائلة»

«الحائلة»: أي: الحاجزة، والحاجز: الحائل بين الشيئين، يقال: حال الشيء بيني وبينك، أي: حجز^(٥).

وقد وردت تسميتها بسورة «الحائلة» عند الألويسي^(٦)، والسيوطي^(٧)، واستدلوا بحديث ابن عباس أن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: «سورة الكهف التي تدعى في التوراة الحائلة، تحول بين قارئها وبين النار»^(٨).

وروي ايضاً: «قارئ الكهف تدعى في التوراة الحائلة تحول بين قارئها وبين النار»^(٩).

■ وجه التسمية:

وجه تسميتها بسورة «الحائلة»، أنها تحجز بين قارئها وبين النار، بمعنى: أنها تحتاج وتخاصم عنه، وقيل: أنها فتمنعه من دخول النار وتخلصه من الزبانية^(١٠).

قال المناوي: "يؤخذ من تعبيره بقارئ أن المراد المواظب على قراءتها في كل يوم أو في كل ليلة لا من قرأها أحياناً ثم يترك ويحتمل أن المراد في ليلة الجمعة ويومها لاستحباب قراءتها فيهما"^(١١).

ويجدر القول بأن تسميتها بسورة «الحائلة»، لا تستند على حديث صحيح، عليه فإنها لاتعد من اسمائها التوقيفية -والله أعلم.

■ مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

(١) انظر: روح المعاني: ١٨٩/٨.

(٢) انظر: محاسن التأويل: ٣/٧.

(٣) انظر: الأساس بالتفسير: ٣١٤٥/٦.

(٤) تفسير المهامي: ٤٣٩/١.

(٥) انظر: لسان العرب: ٣٣٢/٥، وغريب الحديث: ٣٤٤/١.

(٦) انظر: روح المعاني: ١٨٩/٨.

(٧) انظر: الإتيان: ١٩٣/١.

(٨) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٢٣): ص ٨٧/٤. وضعفه، قال: "تفرد به محمد بن عبد الرحمن [الجدعاني] هذا، وهو منكر".

وأخرجه أيضاً: الرافعي (٣٠٠/١).

(ضعيف) انظر حديث رقم: ٣٢٩٢ في ضعيف الجامع

(٩) أخرجه الديلمي (٢١٥/٣)، رقم (٤٦١٩)، من حديث ابن عمر-رضي الله عنه-. وفيه سليمان بن قارح. منكر الحديث.

قال المناوي: "الجدعاني ضعفه أبو حاتم وغيره وفيه أيضاً سليمان بن مرقاع أورده الذهبي في الضعفاء والمتروكين وقال العقيلي: منكر الحديث وإسماعيل بن أبي أويس قال النسائي: ضعيف وقال الذهبي: صدوق صاحب مناكير وهذا الحديث والحديثان بعده سندها واحد وطريقها متحد". انظر: فيض القدير: ٤٦٦/٤

(١٠) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير: ٦٢/٢، ١٨١، وفتح القدير: ١١٥/٤.

(١١) فتح القدير: ٤٦٧/٤.

أحدها: أنها مكية كلها. قاله ابن عباس^(١)، وابن الزبير^(٢)، والحسن^(٣)، ومجاهد^(٤)، وقتادة^(٥)، وبه قال يحيى بن سلام^(٦)، والماتريدي^(٧)، وأبو الليث السمرقندي^(٨)، وابن أبي زمنين^(٩)، والثعلبي^(١٠)، والواحدي^(١١)، وعبدالقاهر الجرجاني^(١٢)، والبغوي^(١٣)، والسيوطي^(١٤)، وابن كثير^(١٥).
قال ابن الجوزي: " وهذا إجماع المفسرين"^(١٦).
قال الفيروزآبادي: " السورة مكية بالاتفاق"^(١٧).
قال المراغي: " هي مكية كلها في المشهور واختاره جمع من العلماء"^(١٨).
الثاني: أنها مكية، إلا قوله تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ} [الكهف: ٢٨]، فإنها مدنية. وهذا مروى عن ابن عباس أيضا^(١٩)، وقتادة أيضا^(٢٠).
الثالث: أنها مكية، إلا آيتين نزلتا في المدينة، وهما: قوله تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ} [الكهف: ٢٨]، وقوله تعالى: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا} [الكهف: ٢٨]. وهذا مروى عن الحسن^(٢١).
الرابع: أنها مكية جميعها. إلا سبع آيات: من أول السورة إلى غاية الآية السابعة^(٢٢). قاله مقاتل^(٢٣).
الخامس: أنها مكية إلا آية: (٣٨)، ومن آية (٨٣) إلى غاية آية (١٠١) فمدنية. قاله الزمخشري^(٢٤).
■ مناسبة السورة لما قبلها:

- (١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٥٤/٥، وعزاه إلى النحاس في ناسخه وابن مردويه. ورواه أبو صالح عن ابن عباس، كما في زاد المسير: ٦٣/٣.
- (٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٥٤/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.
- (٣) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٦٣/٣. دون ذكر الإسناد.
- (٤) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٦٣/٣. دون ذكر الإسناد.
- (٥) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٦٣/٣. دون ذكر الإسناد.
- (٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ١٧١/١.
- (٧) انظر: تأويلات أهل السنة: ١٣٢/٧.
- (٨) انظر: بحر العلوم: ٣٣٤/٢.
- (٩) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٤٧/٣.
- (١٠) انظر: الكشف والبيان: ١٤٤/٦.
- (١١) انظر: التفسير الوسيط: ١٣٥/٣.
- (١٢) انظر: درج الدرر: ١١٣٥/٣.
- (١٣) انظر: تفسير البغوي: ١٤١/٥.
- (١٤) انظر: الدر المنثور: ٣٥٤/٥.
- (١٥) انظر: تفسير ابن كثير: ١٣٢/٥.
- (١٦) زاد المسير: ٧/٣.
- (١٧) البصائر: ٢٩٧/١.
- (١٨) تفسير المراغي: ١١٣/١٥.
- (١٩) حكاه عنه الجرجاني في درج الدرر: ١١٣٥/٣، وابن الجوزي في زاد المسير: ٦٣/٣، وذكره أبو السعود في تفسيره (٥/٢٠٢)، وأسباب نزولها تؤيد ذلك كما سيأتي.
- (٢٠) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٦٣/٣. دون ذكر الإسناد.
- (٢١) حكاه عنه الجرجاني في درج الدرر: ١١٣٥/٣، ولم نجده عن الحسن، ولكن أسباب النزول تؤيد ذلك كما سيأتي.
- (٢٢) وهي الآيات: «{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧)» [الكهف: ١ - ٧].
- (٢٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧١/٢.
- (٢٤) انظر: الكشف: ٧٠٢/٢.

من وجوه المناسبة بين السورتين:

١- أن سورة «الإسراء» افتتحت بالتسبيح، وهذه بالتحميد، وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام بحيث يسبق التسبيح التحميد، نحو: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} [الحجر : ٩٨ / النصر: ٣]، وفي الحديث: «سبحان الله وبحمده»^(١).

كما «أن الإسراء» اختتمت بالتحميد أيضاً^(٢)، فتشابهت الأطراف أيضاً.

٢- ولما أمر اليهود المشركين أن يسألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ثلاثة أشياء: عن الروح، وعن قصة أصحاب الكهف، وعن قصة ذي القرنين، أجاب تعالى في آخر سورة بني إسرائيل عن السؤال الأول، وقد أفرد فيها لعدم الجواب عن الروح، ثم أجاب تعالى في سورة الكهف عن السؤالين الآخرين، فناسب اتصالهما ببعضهما.

٣- ولما ذكر تعالى في «الإسراء»: {وَمَا أوتِينُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء : ٨٥]، وهى تدل على كثرة معلومات الله التي لا تحصى، فناسب ذكر قصة موسى مع العبد الصالح الخضر، كالدليل على ما تقدم.

وقد روي عن عطاء بن يسار، قال: "نزلت بمكة {وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً} فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه أحبار يهود، فقالوا: يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول {وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً} أفعنيتنا أم قومك؟ قال: كلا قد عنيت، قالوا: فإنك تتلو أنا أوتيتنا التوراة وفيها تبيان كل شيء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هي في علم الله قليل، وقد آتاكم ما إن عملتم به انتفعتم، فأنزل الله {ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام} إلى قوله {إن الله سميع بصير}^(٣).

٤- ولما قال تعالى في الإسراء: {فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا} [الإسراء : ١٠٤]، أعقبه في سورة «الكهف» بالتفصيل والبيان بقوله: {فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا} [الكهف : ٩٨] إلى قوله: {وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا} [الكهف : ١٠٠]^(٤).

■ أغراض السورة ومقاصدها

قبل الحديث عن المقاصد الرئيسية التي تضمنتها هذه السورة، نمهد لذلك بنقطتين اثنتين:

الأولى: بدأت السورة بوصف الكتاب بأنه قيم؛ لكونه يقيم الحق، ويُبطل الباطل: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢)} [الكهف : ١ - ٢].

الثانية: القصص هو العنصر الغالب في هذه السورة؛ وقد احتوت السورة على خمسة قصص: أحدها: قصة أصحاب الكهف:

ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف؛ تلك القصة التي يتجلى فيها صدق الإيمان، وقوة العقيدة، والإعراض عن كل ما ينافيها إعراضاً عملياً صارماً، لا تردد فيه ولا موارد، فتية رأوا قومهم في الضلال يعمهون، وفي ظلمات الشرك يتخبطون، لا حجة لهم ولا سلطان على ما يزعمون، وأحسوا في أنفسهم غيرة

(١) وردت أحاديث كثيرة تضمنت «سبحان الله وبحمده»، منها: ما رواه أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله سبحانه الله وبحمده».

أخرجه مسلم (٢٠٩٣/٤)، رقم (٢٧٣١). وأخرجه أيضاً: ابن أبي شيبة (٥٤/٦)، رقم (٢٩٤١٨).

(٢) قال تعالى: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الدُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١)} [الإسراء : ١١١].

(٣) أخرجه الطبري: ٥٤٥/١٧.

(٤) انظر: تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي ٦٤ وما بعدها، طبع دار الكتاب العربي- دمشق، وانظر: تفسير المراعي: ١١٣/١٥.

على الحق، لم يستطيعوا معها أن يبقوا في هذه البيئة الضالة، فتركوا أوطانهم، واعتزلوا قومهم، وآثروا آخرتهم على دنياهم .

الثانية: قصة أصحاب الجنتين:

الثالثة: الإشارة إلى قصة آدم و إبليس.

الرابعة: قصة موسى مع العبد الصالح.

الخامسة: قصة ذي القرنين .

وتلقتي هذا القصص حول فكرة أساسية للقرآن، هي إثبات أن البعث حق، وأن المؤمن يكافأ بحسن الجزاء، وأن الكافر يلقي جزاء عنته وكفره في الدنيا والآخرة. وتضمنت هذه القصص دلالة على البعث، وضرب المثل للحياة الدنيا، والحشر، ونفخ الصور، وما يكون يوم البعث والنشور .

ونستطيع أن نجمل مقاصد هذه السورة وفق التالي :

١- بدأت السورة بقوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) فَيَمَّا لِيُذْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَا كَثِيرٌ فِيهِ آيَاتٌ (٣)} [الكهف : ١ - ٣]، وختمت بقوله سبحانه: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)} [الكهف : ١١٠]، وهي تتحدث عن الدار الآخرة أيضاً، وعمن يرجو لقاء ربه، وما يجب عليه أثراً لهذا الرجاء والإيمان من عمل صالح، وتوحيد الله لا يخالطه شرك .

وهكذا يتلاقى أول السورة وآخرها: أولها يتحدث عن الآخرة بطريق التقرير لها، وبيان مهمة القرآن في إثبات ما يكون فيها من الجزاء؛ إنذاراً وتبشيراً، وآخرها يتحدث عن هذه الحقيقة التي تركزت وتقررت ويحاكم الناس إليها إنها حقيقة الإيمان بالله والمقرون بالعمل الصالح .

ويلاحظ هنا أن الآيات الأول من السورة تحدثت عن أمر الذين {الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا} [الكهف : ٤]، من إنذارهم، وبيان كذبهم؛ وذلك هو قول الذين يشركون بالله، ويعتقدون ما ينافي وحدانيته وتنزيهه، وأن آية الختام قررت {أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [الكهف : ١١٠]، وأن على من يؤمن به، ويرجو لقاء ربه ألا يشرك بعبادته أحدًا، فتطابق أول السورة وآخرها في إثبات وحدانية الله، وتنزيهه سبحانه، كما تطابقا في أمر البعث والدار الآخرة .

٢- وما بين بدء السورة وختامها تكرر الحديث عن أمر البعث؛ فجاء في أثناء قصة أصحاب الكهف، التي ساقها سبحانه حقيقة من حقائق الوجود؛ كدليل على قدرته، قوله سبحانه: {وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيُعَلِّمُوا أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا} [الكهف : ٢١]، وجاء الحديث عن البعث مرة ثانية في هذه السورة حين قررت أن الحق من الله، وأن كلُّ امرئٍ مخير بين الإيمان أو الكفر، قال سبحانه: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)} [الكهف : ٢٩] ، فهناك دار أخرى غير هذه الدار، يحاسب فيها كل امرئٍ بما كسبت يده، قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} [النبا : ٤٠].

٣- وجاء الحديث عن البعث في سياق المثل الذي ضربه سبحانه عن صاحب الجنتين وزميله، وما كان من إنكاره قدرة الله، وشكه في الساعة ويوم الحساب، وذلك قوله: {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأُجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا} [الكهف : ٣٦].

٤- وجاء الحديث عن البعث في المثل الذي ضربه سبحانه للحياة الدنيا، {كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ} [الكهف : ٤٥]، وقد عقب سبحانه على هذا المثل بذكر تسيير الجبال، وبروز الأرض، وشمول الحشر، ووضع الكتاب، وإشفاق المجرمين مما هم

- فيه، وقولهم: {يَا وَيْلَتَنَا مَالَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)} [الكهف : ٤٩].
- ٥- وفي سياق الحديث عن قصة آدم وإبليس، يحذر سبحانه أبناء آدم أن يتخذوا الشيطان وذريته أولياء من دونه، ثم يذكر سبحانه لهم أمراً من أمور الآخرة، حيث ينادي الشركاء فلا يجيبون، ويُستجار بهم فلا يجيرون، وتبرز الجحيم، فيراها المجرمون {وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣)} [الكهف : ٥٣].
- وفي هذا الأسلوب جَمْعُ بين بداية الخلق ونهايته، وَوَضْعُ لقضية الخلق والبعث مقترنتين بين يدي العقل؛ ليدرك الإنسان أنه منذ أول نشأته هدف لعدو مبين، يحاول إضلاله، وثنيه عن الطريق المستقيم، وأن هذا العدو المخاتل سيكون أمره يوم الجزاء كسائر الشركاء، يزينون للناس الكفر والعصيان ما داموا في الدنيا، ثم إذا كان يوم الحساب أعلنوا براءتهم ممن اتبعوهم.
- ٦- وفي سياق الحديث عن قصة موسى والعبء الصالح، يذكر سبحانه العديد من الأدلة على تصرفه للكون على سنن، منها ما هو معروف، ومنها ما هو خفي. فإذا آمن الناس بها، لم يعد ثمة مجال للعجب من أمر الساعة، فما هي إلا تغيير يحدثه خالق الكون ومالك أمره، فإذا السنن المعروفة تحلُّ مكانها سنن أخرى، فمن قدر على إنشاء السنن بداية، قادر على تغييرها نهاية .
- ٧- وتضمنت السورة حديثاً عن ذي القرنين، وهو عبد من عباد الله، مكن الله له في الأرض، وآتاه من كل شيء سبباً، وقد لجأ إليه قوم؛ ليحول بينهم وبين المفسدين، فأجدهم وأعانهم، وجعل الله عمله في ذلك رحمة للناس، يبقى ما بقيت هذه الحياة، فإذا جاء وعد الآخرة انتهى كل شيء في هذه الحياة، وأصبحت الحياة دكاً، وأضحى الناس مضطربين، يموج بعضهم في بعض، ثم ينفخ في الصور فيقوم الناس لرب العالمين، وتُعرض جهنم يومئذ للكافرين، ويلقى كل إنسان جزاء عمله، وينال مصيره. وهكذا نجد قصة ذي القرنين قد انتهت إلى تقرير أمر البعث والآخرة.
- ٨- وتأخذ السورة في خاتمتها في تهديد الكافرين، الذين اتخذوا من دون الله أولياء، وتبين ما أعد لهم: {أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢)} [الكهف : ١٠٢].
- وتوازن هؤلاء جميعاً بالذين آمنوا وعملوا الصالحات وما أعد لهم، {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨)} [الكهف : ١٠٧ - ١٠٨]، ويأتي ختامها بعد إثبات القدرة والعظمة لله، وأن كلماته سبحانه لا تنفذ، فتذكر رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنها عن وحي من الخالق القادر الواحد، وتتوجه بعد ذلك إلى الناس كافة بصيغة من صيغ العموم، فتقول: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)} [الكهف : ١١٠].
- نخلص مما تقدم، أن المقاصد الرئيسية التي قصدت هذه السورة إلى تثبيتها وتأكيدتها، تتمثل في ثلاثة مقاصد:
- أولها: أن الكتاب هو حق مبين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .
- ثانيها: بيان وحدانية الله سبحانه، والتنديد بالذين يتخذون من دونه أولياء .
- ثالثها: قضية البعث والنشور واليوم الآخر.
- ويكاد يكون المقصد الأخير القضية المركزية التي أبرزتها هذه السورة؛ وذلك من خلال القصة التي قصتها علينا^(١).
- الناسخ والمنسوخ:**

(١) انظر: اسلام ويب. [موقع الكتروني].

أجمع أهل العلم أن ليس فيها منسوخ إلا السدي، فإنه قال فيها آية منسوخة وهي قوله: {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ} [الكهف : ٢٩]، لأن عنده هذا تخيير، وعند الجماعة هذا تهديد ووعيد نسختها عنده هذه الآية: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [الإنسان : ٣٠، التكوير: ٢٩] ^(١).

■ فضائل السورة:

- وردت جملة من الأحاديث النبوية التي تبين فضائل هذه السورة، من ذلك :
- عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال» ^(٢).
- عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال» ^(٣).
- عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف كانت له نورا يوم القيامة» ^(٤).
- وروي عنه-صلى الله عليه وسلم:- «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال» ^(٥).
- عن أبي سعيد، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين» ^(٦).
- عن أبي سعيد مرفوعا وموقوفا: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق» ^(٧).
- عن أبي سعيد، عن رسولا الله -صلى الله عليه وسلم-: «من قرأ سورة الكهف كما أنزلت رفع الله له نورا من حيث قرأها إلى مكة ومن قال إذا توضأ سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك طبع بطابع ثم جعلت تحت العرش حتى يؤتى بصاحبها يوم القيامة» ^(٨).
- عن عائشة-رضي الله عنها-، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من قرأ من سورة الكهف عشر آيات عند منامه عصم من فتنة الدجال ومن قرأ خاتمتها عند رقاذه كان له نورا من لدن قرنه إلى قدمه يوم القيامة» ^(٩).

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١١٧.
 (٢) صحيح. أخرجه أحمد (١٩٦/٥، رقم ٢١٧٦٠) ومسلم (٥٥٥/١، رقم ٨٠٩) وأبو داود (١١٧/٤، رقم ٤٣٢٣)، والنسائي في الكبرى (٢٣٦/٦، رقم ١٠٧٨٧). وأخرجه أيضا: الحاكم (٣٩٩/٢، رقم ٣٣٩١) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي (٢٤٩/٣، رقم ٥٧٩٣)، وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ٧/ ٣٨ / ١٣٢، وإسناده على شرط مسلم، وابن حبان ٧٨٥ و ٧٨٦، وابن أبي شيبة في مسنده (٣٨): ص ٥٠/١.
 (٣) أخرجه الترمذي (١٦٢/٥، رقم ٢٨٨٦) وقال: حسن صحيح.
 (٤) أخرجه أبو عبيد، وابن مردويه، كما في جامع الاحاديث (٢٢٠٤١): ٢٥٤/٢٠.
 (٥) ٢٣٣٧٧- من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال (أبو عبيد في فضائله، وأحمد، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان عن أبي الدرداء. ابن الضريس، والنسائي، وأبو يعلى، والرويانى، والضياء عن ثوبان) حديث أبي الدرداء: أخرجه أحمد (٤٤٦/٦، رقم ٢٧٥٥٦)، ومسلم (٥٥٥/١، رقم ٨٠٩)، والنسائي في الكبرى (٢٣٥/٦، رقم ١٠٧٨٦)، وابن حبان (٦٥/٣، رقم ٧٨٥).
 حديث ثوبان: أخرجه النسائي في الكبرى (٢٣٥/٦، رقم ١٠٧٨٤)، والرويانى (٤٠٤/١، رقم ٦١٣). وأخرجه أيضا: الخطيب (٢٩٠/١).
 (٦) أخرجه الحاكم (٣٩٩/٢، رقم ٣٣٩٢) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي (٢٤٩/٣، رقم ٥٧٩٢).
 (٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٧٤/٢، رقم ٢٤٤٤) وقال: هذا هو المحفوظ موقوف ورواه نعيم بن حماد عن هشيم فرفعه.
 (٨) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢١/٣، رقم ٢٧٥٤).

- عن ابن عمر-رضي الله عنه، عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال:«من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدميه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين»^(٢).
- «من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نورا يوم القيامة من مقامه إلى مكة ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه»^(٣).
- عن عبد الله بن مغفل - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «البيت الذي نُقرأ فيه سورة الكهف لا يدخله شيطان تلك الليلة»^(٤).

(١) أخرجه ابن مردويه، كما في جامع الاحاديث(٢٣٤٩٠):ص٢١/٢٧٣.

(٢) ذكره السيوطي في جامع الاحاديث(٢٣٤٣٧):ص٢١/٢٥٤، وعزاه لابن عمر.

قال ابن الملقن في تحفة المحتاج (١/٥٢٣، رقم ٦٥٩) وقال: رواه الضياء في أحكامه من حديث ابن مردويه أحمد بن موسى بسند فيه من لا أعرفه. أورده الذهبي في الميزان (٦/١٣١)، ترجمة ٧٤٧٦ محمد بن خالد الختلي) وقال: قال ابن الجوزي في الموضوعات كذبوه روى عن كثير بن هشام حديث يتجلى لأبي بكر خاصة قال ابن منده صاحب مناكير.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد (١/٢٣٩) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح إلا أن النسائي قال بعد تخريجه في اليوم والليلة هذا خطأ والصواب موقوفا ثم رواه من رواية الثوري وغندر عن شعبة موقوفا. وأخرجه الحاكم (١/٧٥٢، رقم ٢٠٧٢) وقال: صحيح على شرط مسلم. والبيهقي (٣/٢٤٩، رقم ٥٧٩٢). وأخرجه أيضا: نعيم بن حماد (٢/٥٦٣، رقم ١٥٧٩)، والنسائي في السنن الكبرى (٦/٢٣٦، رقم ١٠٧٨٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٧٥، رقم ٢٤٤٦).

(٤) أخرجه: ابن مردويه، كما في الدر المنثور (٩/٤٧٨)، وهو واه جداً.

سورة «مریم»

سورة «مریم»: هي السورة «التاسعة عشر» في ترتيب المصحف، نزلت بعدسورة: «فاطر»^(١)، وعدد آياتها: (٩٩) تسع وتسعون، وكلماتها: (١١٩٢) ألف ومائة واثنان وتسعون ، وحروفها: (٣٨٠٢) ثلاثة آلاف وثمانمائة واثنان^(٢). والآيات المختلف فيها ستة: (ع ص)، {في الكتاب إبراهيم} [مریم : ٤١]، {الرحمن مدًا} [مریم : ٧٥]^(٣).

ومجموع فواصل آياتها «مدن»، الآية الأولى على الدال «صاد»^(٤)، وما قبل «ألف» كل آية آخرها على «الألف» حروف «زيد»^(٥).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: سورة «مریم»:

إن اسم هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وأكثر كتب السنة: سورة «مریم»، وهو الاسم المشهور به، ورويت هذه التسمية عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فيما رواه أبو مریم الغساني، قال: "أُتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالت له إنى ولدت لى الليلة جارية، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «والليلة أنزلت على سورة مریم، فسمها مریم»^(٦)، فكان يكنى بأبى مریم"^(٧). كما جاءت تسميتها بذلك في كلام بع الصحابة-رضوان الله عليهم- وفي كلام السلف:

- عن أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها- قالت: "نزلت سورة مریم بمكة"^(٨).
- عن ابن الزبير-رضي الله عنهما- قال: نزلت سورة مریم بمكة"^(٩).
- عن مورق العجلي قال: صليت خلف ابن عمر الظهر فقراً بسورة مریم"^(١٠).
- عن أبي هريرة قال: قدمت المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فوجدت رجلاً من غفار يؤم الناس في صلاة الفجر فسمعتة يقرأ في الركعة الأولى سورة مریم وفي الثانية ويل للمطففين"^(١١).

■ وجه التسمية:

سميت سورة «مریم»، "لاشتمالها على قصتها مفصلة"^(١٢)، إذ اشتملت على قصة حمل السيدة مریم، وولادتها عيسى عليه السلام، من غير أب، وأصداء ذلك الحمل، وما تبعه ورافق ولادة عيسى من أحداث عجيبة، من أهمها كلامه وهو طفل في المهد^(١٣).

(١) انظر: الكشاف: ٣/٣.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٣٠٥.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) {كهيعص (١)} [مریم : ١].

(٥) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٦) المعجم الكبير للطبراني، ٣٣٢/٢٢ رقم ٨٣٤، وأخرجه ابن عساكر (٢٤٦/٥٤)، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٤٧٦/٥، وزاد نسبه إلى أبي نعيم والديلمي.

وذكره البيهقي في مجمع الزوائد(١٢٨٨٩): ص٥٥/٨، وقال: "رواه الطبراني، وفيه سليمان بن سلمة الخبائري وهو متروك".

(٧) أخرجه ابن عساكر (٢٤٦/٥٤).

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٤٧٦/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٤٧٦/٥، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.

(١٠) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٤٧٦/٥، وعزاه إلى ابن أبي شيبة.

(١١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٤٧٧/٥، وعزاه إلى ابن سعد.

(١٢) انظر: البصائر: ٣٠٥/١.

(١٣) انظر: التفسير المنير: ٤٦/١٦.

قال المهامي: "لأن قصتها تشير إلى أن من اعتزل من اهله لعبادة الله، وطلب بها إشراق نوره يرجى أن يكشف له صفات الحق وعن عالم الملكوت، وتظهر له الكرامات العجيبة، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"^(١).

وقد تكرر اسم «مريم» في القرآن الكريم (٣٤) مرة، منها (٣) مرات في سورة «مريم»^(٢)، وأكثر سورة ورد فيها اسم «مريم»، هي سورة «المائدة»، إذ تكرر فيها (١٠) مرات^(٣).
وقد جاء ذكر اسمها بصورة كاملة (مريم ابنة عمران) مرة واحدة فقط وذلك في الآية الأخيرة من سورة التحريم: {وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَائِنِينَ} [التحريم: ١٢].

■ ثانياً:- اسمها الإجتهادي: سورة «كهيعص»:

كتبت هذه التسمية في مصحف نسخ في القرن الثاني عشر الهجري في شمال إفريقيا، وهو مخطوط على الورق بالخط الكوفي المغربي^(٤).

- وهي تسمية اجتهدية من وضع الصحابة-رضوان الله عليهم- كما رويت عنهم، وذلك كما يأتي:
- ذكرت ام سلمة-رضي الله عنها-: "فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال جعفر: نعم. فقال النجاشي: اقرأه علي، فقرأ عليه صدرا من سورة (كهيعص) قالت: فبكى وألف الله النجاشي، حتى أخضل لحيتيه، وبكت الأساقفة حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة...."^(٥)، الحديث.
 - وأخرج النحاس عن ابن عباس-رضي الله عنهما-، قال: "أنزلت بمكة سورة «كهيعص»"^(٦).

(١) تفسير المهامي: ٢/٢.

(٢) انظر الآيات: (١٦، ٢٧، ٤٦) من السورة.

(٣) جاءت هذه التكرارات (٣٤) في عدد (١٢) سورة فقط، وعلى النحو التالي:

١- البقرة (٢)

٢- آل عمران (٧)

٣- النساء (٤)

٤- المائدة (١٠)

٥- التوبة (١)

٦- مريم (٣)

٧- المؤمنون (١)

٨- الأحزاب (١)

٩- الزخرف (١)

١٠- الحديد (١)

١١- الصف (٢)

١٢- التحريم (١).

(٤) المصحف من مخطوطات بيت القرآن في البحرين.

(٥) أخرجه احمد في المسند (١٧٤٠): ص ٢٦٤/٣-٢٦٨. وهو في "السيرة" لابن هشام ٣٥٧/١-٣٦٢ عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه أبو نعيم في "الحلية" ١١٥/١-١١٦ مختصراً من طريق إبراهيم بن سعد، به.

وأخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" ٣٠١/٢-٣٠٤ من طريق يونس بن بكير، وأبو نعيم في "دلائل النبوة" (١٩٤) من طريق جرير بن حازم كلاهما عن محمد بن إسحاق، به.

وأخرج قسماً منه الطبراني (١٤٧٩) من طريقين عن ابن إسحاق، به.

(٦) الناسخ والمنسوخ: ٥٠١/٢.

- عن مجاهد، قال: "سمعت عبدالله بن عمر يقرأ في الظهر بـ«كهيعص»" (١).
وكذلك وقعت تسميتها في "صحيح البخاري في" كتاب التفسير" (٢). وعدّها الألوسي الاسم الثاني
للسورة، (٣) وذكرها السخاوي (٤)، والفيروز أبادي (٥).
في حين لم يعدها السيوطي في كتابه "الإتقان" في عداد السور المسماة باسمين، ولعله لم ير الثاني
اسماً لها.

■ وجه التسمية:

وسميت سورة «كهيعص»؛ لافتتاحها بها، وذلك في قوله: {كهيعص (١)} [مريم : ١] (١).

■ مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس (٧)، وابن الزبير (٨)، وعائشة (٩)، وبه قال يحيى بن سلام (١٠)،
والماتريدي (١١)، وأبو الليث السمرقندي (١٢)، وابن أبي زمنين (١٣)، والثعلبي (١٤)، ومكي بن أبي طالب (١٥)،
والواحدي (١٦)، وعبدالقاهر الجرجاني (١٧)، والسمعاني (١٨)، والبعوي (١٩)، والرازي (٢٠)، وابن كثير (٢١)،
والسيوطي (٢٢).

قال مكي: "سوره «مريم»: مكية، وكان نزولها قبل أن يهاجر أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -
إلى أرض الحبشة، لأنهم قرأوا صدرها على النجاشي بعد هجرتهم إلى أرض الحبشة" (٢٣).

قال ابن كثير: "روى محمد بن إسحاق في السيرة من حديث أم سلمة، وأحمد بن حنبل عن ابن
مسعود في قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة: أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، قرأ صدر
هذه السورة على النجاشي وأصحابه" (١).

(١) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الصلوات، باب «القراءة في الظهر قدر كم»: ٣٥٦/١.

(٢) انظر: ٢٨٦/٥.

(٣) روح المعاني: ٥٦/١٥.

(٤) انظر: جمال القراء: ٣٧/١.

(٥) انظر: البصائر: ٣٠٥/١.

(٦) انظر: البصائر: ٣٠٥/١.

(٧) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٥٠١/٢.

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٤٧٦/٥، وعزاه إلى لنحاس وابن مردويه.

(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٤٧٦/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٠) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٢١٣/١.

(١١) انظر: تأويلات أهل السنة: ٢١٨/٧.

(١٢) انظر: بحر العلوم: ٣٦٧/٢.

(١٣) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٨٧/٣.

(١٤) انظر: الكشف والبيان: ٢٠٥/٦.

(١٥) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٤٨٧/٧.

(١٦) انظر: التفسير الوسيط: ١٧٤/٣.

(١٧) انظر: درج الدرر: ١١٦٧/٣.

(١٨) انظر: تفسير السمعاني: ٢٧٦/٣.

(١٩) انظر: تفسير البغوي: ٢١٥/٥.

(٢٠) انظر: مفاتيح الغيب: ٥٠٥/٢١.

(٢١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢١١/٥.

(٢٢) انظر: الدر المنثور: ٤٧٦/٥.

(٢٣) الهداية على بلوغ النهاية: ٤٤٨٧/٧.

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية إجماعاً"^(٢).

قال ابن الجوزي: "هي مكية بإجماعهم من غير خلاف علمناه"^(٣).

الثاني: أنها مكية إلا آية سجدها فإنها مدنية، وهي الآية (٥٨) من السورة، وتامها قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]. وهذا قول مقاتل^(٤).

قال ابن عطية: "هذه السورة مكية بإجماع إلا السجدة منها، فقالت فرقة هي مكية وقالت فرقة هي مدنية"^(٥).

الثالث: أنها مكية إلا آيتي: (٥٨ و ٧١)^(٦)، فمدنيتان. قاله الزمخشري^(٧)، والمراغي^(٨).

الرابع: أنها مكية غير آيتي: (٥٩ و ٦٠)^(٩)، فمدنيتان. حكاه ابن الجوزي عن هبة الله المفسر^(١٠).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

اشتملت السورتان على قصص عجيبة، فسورة الكهف اشتملت على قصة أصحاب الكهف، وطول لبثهم هذه المدة الطويلة، بلا أكل ولا شرب، وقصة موسى مع الخضر، وما فيها من المثيرات، وقصة ذي القرنين.

وسورة مريم فيها أعجوبتان: قصة ولادة يحيى بن زكريا عليه السلام حال كبر الوالد وعقم الوالدة أي بين شيخ فان وعجوز عاقر، وقصة ولادة عيسى عليه السلام من غير أب^(١١).

■ أغراض السورة ومقاصدها

نزلت هذه السورة للرد على اليهود -أخزاهم الله- فيما اقترفوه من القول الشنيع في حق مريم وابنها عيسى عليهما السلام، فكان فيها بيان نزاهة آل عمران، وقد استهم في الخير. وقد اشتملت السورة على ثلاثة مقاصد أساسية، هي:

أولاً:- إثبات وحدانيته سبحانه.

ثانياً:- تنزيهه سبحانه عن الولد.

ثالثاً:- إثبات البعث يوم القيامة.

وقد اشتملت السورة -إضافة إلى هذه المقاصد الأساسية- المقاصد التالية:

(١) تفسير ابن كثير: ٢١١/٥.

والحديث رواه الإمام أحمد من حديث أم سلمة (٢٩٠/٥) ومن حديث ابن مسعود (٤٦١/١)

(٢) البصائر: ٣٠٥/١.

(٣) زاد المسير: ١١٦/٣.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٩/٢.

(٥) المحرر الوجيز: ٣/٤.

(٦) وهما قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]، ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ آلَاءٌ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١].

(٧) انظر: الكشاف: ٣/٣.

(٨) انظر: تفسير المراغي: ٣٢/١٦.

(٩) وهما قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ (٥٩) ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٥٩ - ٦٠].

(١٠) زاد المسير: ١١٦/٣.

(١١) انظر: تفسير المراغي: ٣/١٥، والتفسير المنير للزحيلي: ٤٦/١٦.

- ١- عرض قصة زكريا عليه السلام، التي بينت قدرته سبحانه؛ حيث رزقه الولد في سنّ ليس من المعتاد أن يولد فيها للإنسان؛ وذلك عندما يبلغ به السن مبلغاً كبيراً. وفي هذا كرامة لزكريا عليه الصلاة والسلام علاوة على ما تقدم.
- ٢- خطاب النبي يحيى عليهما السلام بأن يأخذ ما علمه سبحانه من الكتاب {بقوة}، أي: بجد وحرص واجتهاد، وهو في الوقت نفسه أمر لعموم المؤمنين بأن يأخذوا أمور الدين والدنيا بجد وحرص واجتهاد، قال تعالى: {يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} [مريم : ١٢].
- ٣- عرض قصة مريم وعيسى عليهما السلام، فأكدت قدرته سبحانه على الخلق من غير سبب، حيث خلق عيسى عليه السلام من غير أب، وأقدره على الكلام، وهو لا يزال في المهده. وأثبتت طهارة مريم وعفافها، وفي هذا كرامة لمريم عليها السلام بخارق العادة في حملها وقداسته ولدها. وجاء التعقيب على هذه القصة بالفصل في قضية عيسى عليه السلام التي كثر فيها الجدل، واختلفت فيها أحزاب اليهود والنصارى.
- ٤- عرضت السورة قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه، واعتزاله لملة الشرك، والمنّ عليه بالذرية الصالحة.
- ٥- التنويه بجمع من الأنبياء والمرسلين ومن اهتدى بهديهم. وتوجيه اللوم لبعض خلفهم ، الذين لم يكونوا على سننهم في الخير من أهل الكتاب والمشركين، وأتوا بفاحش من القول؛ إذ نسبوا لله ولداً، وأنكر المشركون منهم البعث، وأثبت النصارى ولداً لله تعالى.
- ٦- بيان ربوبيته سبحانه لكل ما في السماوات والأرض، والأمر بعبادته وحده سبحانه بلا شريك، مع الأمر بالصبر على طاعته عز وجل، {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥)} [مريم : ٦٥].
- ٧- حكاية إنكار المشركين البعث، وتبجحهم على المسلمين بمقامهم، {وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦)} [مريم : ٦٦].
- ٨- الإنذار مما حلّ بالمكذابين من الأمم من الاستئصال وغير ذلك من أنواع العذاب .
- ٩- وصف الجنة وأهلها، {جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لُعْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢)} [مريم : ٦١ - ٦٢].
- ١٠- إنذار المشركين أن أصنامهم التي اعتزوا بها سيندمون على اتخاذها، {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢)} [مريم : ٨١ - ٨٢].
- ١١- وعده سبحانه عباده المؤمنين بأن يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين مودة، وهذا أمر لا بد منه، ولا محيد عنه، {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم : ٩٦].
- ١٢- الجدل حول قضية البعث، واستعراض بعض مشاهد القيامة، {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا (٨٦)} [مريم : ٨٥ - ٨٦]، وعرض صورة من استنكار الكون كله لدعوى الشرك، {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْقَطِرُنَ مِنْهُ وَإِنَّ شِقْ الْأَرْضُ وَتَخْرُ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠)} [مريم : ٨٨ - ٩٠].
- ١٣- التنويه بالقرآن، وأنه بشير لأوليائه المتقين، ونذير لأعدائه المعاندين، كما هلكت قرون قبلهم {فإِنَّمَا يَسَّرْنَا بِلِسَانِكَ لِيُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا} [مريم : ٩٧].
- ١٤- تكرر في هذه السورة صفة (الرحمن) ست عشرة مرة، وذكر اسم (الرحمة) أربع مرات، فأرشد هذا إلى أن من مقاصدها تحقيق وصف الله تعالى بصفة (الرحمن). والرد على المشركين الذين كابروا في إنكار هذا الوصف.

١٥- ختمت السورة مقاصدها بمشهد مؤثر عميق من مصارع الأمم السابقة، {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا} [مريم : ٩٨] ^(١).

الناسخ والمنسوخ:

- تحتوي السورة من المنسوخ على خمس آيات:
- الآية الأولى قوله تعالى: {وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ} [مريم : ٣٩]، نسخ معنى الإنذار منها بآية السيف.
 - الآية الثانية قوله تعالى: {فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} [مريم : ٥٩]، الغي: واد في جهنم، ثم استثنى بقوله: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا} [مريم : ٦٠].
 - الثالثة قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم : ٧١]، نسخت بقوله تعالى: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم : ٧٢].
 - الآية الرابعة قوله تعالى: {قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا} [مريم : ٧٥]، نسخ معناها بآية السيف.
 - الآية الخامسة قوله تعالى: {فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ} [مريم : ٨٤]، هذا منسوخ. وقوله: {إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا} [مريم : ٨٤]: هذا محكم. نسخ المنسوخ منها بآية السيف ^(٢).

■ فضائل السورة:

- ومما وردت من فضائل هذه السورة:
- عن ابن مسعود - رضي الله عنه - : "قال: في بني إسرائيل والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي" ^(٣).
 - جاء في فضائل هذه السورة ما رواه الإمام أحمد من حديث أم سلمة رضي الله عنها في قصة هجرتهم إلى الحبشة و النجاشي، وفيه: "فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه علي، فقرأ عليه صدرا من {كهيعص} [مريم: ١]، قالت: فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة" ^(٤).
 - عن بكر بن عبد الله المزني قال: "نزلت هذه الآية: {وإن منكم إلا واردها} [مريم: ٧١] ذهب عبد الله بن راحة إلى بيته فبكى، فجاءت امرأته فبكت، فجاءت الخادم فبكت، وجاء أهل البيت فجعلوا يبكون، فلما انقطعت عبرته، قال: «يا أهلاه، ما الذي أبكاكم؟» قالوا: لا ندري، ولكن رأيناك بكيت فبكينا، قال: «إنه أنزلت على رسول الله آية ينبئني فيها ربي عز وجل أنني وارد النار، ولم ينبئني أنني صادر عنها» ^(٥)، فذلك الذي أبكاني" ^(٦).

(١) انظر: اسلام ويب. [موقع الكتروني].

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١١٨-١١٩.

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٧٠٨).

العتاق: جمع عتيق، وهو القديم، والعتاق الأول: أي السور التي أنزلت أولا بمكة، وأنها أول ما تعلمه ص من القرآن.

يعني قوله (من تلادي) أي مما حفظته قديماً، والتلايد والتلاذ والتالذ: المتقدم. والطريف والطارف: المستحدث

(٤) أخرجه أحمد ٢٠١/١ (١٧٤٠) و ٢٩٠/٥ (٢٢٨٦٥) قال: حدثنا يعقوب، قال: حدثنا أبي. و"ابن خزيمة" ٢٢٦٠، قال:

حدثنا محمد بن عيسى، حدثنا سلمة، يعني ابن الفضل.

(٥) صدر عن المكان: رجع وانصرف.

(٦) الزهد لابن المبارك (٣٠٩): ص ١٠٤/١.

سورة « طه »

سورة «طه»: هي السورة «العشرون» في ترتيب المصحف، وهي السورة الأولى من المجموعة الثالثة من قسم المثنين، نزلت بعد سورة: «مريم»^(١)، وعدد آياتها: (١٤٠) مائة وأربعون عند الشاميين، (١٣٥) ومائة وخمس وثلاثون عند الكوفيين، (١٣٤) ومائة وأربع وثلاثون عند الحجازيين، وكلماتها: (١٣٤١) ألف وثلاثمائة وإحدى وأربعون، وحروفها: (٥٢٤٢) خمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفاً^(٢).

والآيات المختلف فيها إحدى وعشرون آية: {طه (١)} [طه : ١]، {مَا عَشِيَهُمْ} [طه : ٧٨]، {رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا} [طه : ٩٢]، درته^(٣) موضع: {نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا} [طه : ٣٣]، {وَتَذَكَّرَ كَثِيرًا} [طه : ٣٤]، {مَحَبَّةَ مَيِّ} [طه : ٣٩]، فتونا، لنفسى {وَلَا تُحْزِنُ} [طه : ٤٠]، {أَهْلَ مَدْيَنَ} [طه : ٤٠]، {مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} [طه : ٤٧]، ولقد {أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى} [طه : ٧٧] أسفا {وَأَلَّهُ مُوسَى} [طه : ٨٨]، {وَوَعَدْنَا حَسَنًا} [طه : ٨٦]، {إِلَيْهِمْ قَوْلٌ} [طه : ٨٩] {السَّامِرِيُّ}، فنسى، صفتها {مَنْ يُّهْدَى} [طه : ١٢٣]، {زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [طه : ١٣١]^(٤).

وفواصل آياتها «يومًا»، وعلى الميم {مَا عَشِيَهُمْ} [طه : ٧٨]، وعلى الواو {ضَلُّوا} [طه : ٩٢]^(٥).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: سورة «طه»:

سميت هذه السورة باسم الحرفين «طه» المنطوق بهما في أولها، وقد وردت هذه التسمية عن النبي-صلى الله عليه وسلم- كما سيأتي بيانه في فضائل السورة، كما وردت تسميتها في كلام الصحابة-رضي الله عنهم-:

- عن أنس بن مالك ، قال: "خرج عمر متقلداً السيف ، فقيل له: إن خنتك وأختك قد صبوا ، فأتاهما عمر وعندهما رجل من المهاجرين يقال له: خباب ، وكانوا يقرؤون طه ، فقال: أعطوني الكتاب الذي عندكم أقرأه وكان عمر يقرأ الكتاب ، فقالت له أخته: إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون ، فقم فاغتسل أو توضأ، فقام عمر فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ طه"^(٦).

- وعن ابن عباس-رضي الله عنهما-، قال:"نزلت سورة طه بمكة"^(٧).

- وعن ابن الزبير-رضي الله عنهما-، قال:"نزلت سورة طه بمكة"^(٨).

وبذلك سميت في المصاحف وكتب التفسير وفي كتب السنة.

■ وجه التسمية:

(١) انظر: اسرار ترتيب القرآن للسيوطي: ١٠٨، الكشاف: ٤٩/٣.

قال السيوطي: "روينا عن ابن عباس وجابر بن زيد في ترتيب النزول: أن طه نزلت بعد سورة مريم". ونزلت سورة مريم فيما بين الهجرة إلى الحبشة وحادثة الإسراء، فيكون نزول سورة طه في ذلك التاريخ أيضاً. أي بعد السنة السابعة من البعثة وقبل السنة الحادية عشرة من البعثة. [انظر: الموسوعة القرآنية خصائص السور: ٢٢١/٥]

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٣١٠ / ١.

(٣) كذا في البصائر: ٣١٠ / ١. هذه الكلمة غير واضحة ، قال المحقق: ويظهر أنها في الأصل (ترك) أى: ترك موضع لم يعد.

(٤) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٥) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٦) أخرجه الدارقطني في سننه(٤٤١): ص٢٢١/١. وقال: "القاسم بن عثمان ليس بالقوي".

(٧) اورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٤٨/٥، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.

(٨) اورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٤٨/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.

سميت سورة «طه» لابتداء السورة بالنداء بها، قال تعالى: {طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢)} [طه : ١ - ٢]، وقد قيل في المراد من هذه التسمية أقوال كثيرة؛ تُعرَف في كتب التفسير، وكما سيأتي بيانه-إن شاء الله-

قال الزحيلي: "وهو اسم من أسماء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفي ذلك تكريم له، وتسليية عما يلقيه من إعراض قومه"^(١).

■ ثانياً:- أسماؤها الإجتهدية:

■ الاسم الأول: سورة «الكليم»:

وتسمى أيضا بسورة «الكليم»، كما ذكره السخاوي^(٢)، والسيوطي^(٣)، وأورده الالوسي في تفسيره^(٤)، ولم يرد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- ما يثبت هذه التسمية. والله أعلم.

■ الاسم الثاني: سورة «موسى»:

ذكر الهذلي في «كامله» أنها تسمى «سورة موسى»^(٥)، وذكرها اليقاعي^(٦)، والفيروزآبادي^(٧)، وعلل تسميتها بذلك لاشتغالها على قصته مفصلة^(٨)، فقد تضمنت حديثاً مستفيضاً عن موسى -عليه السلام- وقومه.

ولم يثبت هذا الاسم عن الرسول-صلى الله عليه وسلم-، أو أصحابه، إنما هو من إجتهد بعض العلماء من قصة السورة، لأن موسى يطلق على الكليم، والكليم هو موسى-عليه السلام-.

■ مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. قاله ابن عباس^(٩)، وابن الزبير^(١٠)، ومقاتل^(١١)، ويحيى بن سلام^(١٢)، وابن قتيبة^(١٣)، وابن أبي زمنين^(١٤)، ومكي بن أبي طالب^(١٥)، والواحدي^(١٦)، والسمعاني^(١٧)، والبغوي^(١٨)، وغيرهم. قال ابن الجوزي: "هي مكية كلها باجماعهم"^(١).

(١) انظر: التفسير المنير: ١٧٤/١٦.

(٢) انظر: جمال القراء: ١٩٩/٢.

(٣) انظر: الإتيقان: ١٩٩/١.

يقول السيوطي في الإتيقان ١/ ١٩٩: « في جمال القراء للسخاوي أن سورة «طه» تسمى: «سورة الكليم»، وأعاد السيوطي نقل ذلك عن السخاوي في كتابه: معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٢٧٨/٢، ١٩٨/٣.

(٤) انظر: روح المعاني: ١٤٧/١٥.

(٥) عزاه عليه السيوطي في الإتيقان: ١٩٩/١، ومعترك الأقران: ٢٧٨/٢.

(٦) انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٢٦٧/٢.

(٧) انظر: البصائر: ٣١١/١.

(٨) انظر: المصدر ففيه والصحيفة نفسها.

(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٤٨/٥، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.

(١٠) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٤٨/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩/٣.

(١٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٢٥١/١.

(١٣) انظر: غريب القرآن: ٢٧٧.

(١٤) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ١١٠/٣.

(١٥) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٦٠/٧.

(١٦) انظر: التفسير الوسيط: ١٩٩/٣.

(١٧) انظر: تفسير السمعي: ٣١٨/٣.

(١٨) انظر: تفسير البغوي: ٢٥٩/٥.

قال العزّ بن عبد السلام: "سورة طه مكية اتفاقاً"^(٢).

قال الفيروزآبادي: "السورة مكيّة إجماعاً"^(٣).

الثاني: أنها مكية إلا آية {فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ} [طه : ١٣٠] الآية نزلت بالمدينة. قاله مرعي الكرمي^(٤).
الثالث: انها مكيّة إلا آيتي: [١٣٠ و ١٣١] ^(٥)، فمدنيتان. قاله الزمخشري^(٦)، وابن جزري^(٧)، وذكره المراغي^(٨).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

من وجوه المناسبة بين السورتين:

١- إنه لما ذكر في سورة «مريم» قصص عدد من الأنبياء والمرسلين، بعضها بطريق البسط والإطناب كقصص زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام، وبعضها بين البسط والإيجاز كقصص إبراهيم عليه السلام، وبعضها موجز مجمل كقصة موسى عليه السلام، ثم أشار إلى بقية النبيين بالإجمال- ذكر هنا قصة موسى التي أجملت فيما سلف، واستوعبها غاية الاستيعاب، ثم فصل قصة آدم عليه السلام، ولم يذكر في سورة «مريم» إلا اسمه فحسب.

٢- إنه روى عن ابن عباس أن هذه السورة نزلت بعد سالفها.

٣- إن أول هذه السورة متصل بآخر السورة السابقة ومناسب له في المعنى، إذ ذكر في آخر تلك أنه إنما يسر القرآن بلسانه العربي المبين، ليكون تبشيراً للمتقين وإنذاراً للمعاندين، وفي أوائل هذه ما يؤكد هذا المعنى^(٩).

■ أغراض السورة ومقاصدها

افتتحت السورة بملاطفة النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله لم يُرد من إرساله وإنزال القرآن عليه أن يشقى بذلك، أي تصيبه المشقة، ويُضنيه التعب، ولكن أراد أن يُذكر بالقرآن من يخاف وعيده. وفي هذا تنويه أيضاً بشأن المؤمنين الذين آمنوا بأنهم كانوا من أهل الخشية، ولولا ذلك لما اذكروا بالقرآن. وفي هذه الفاتحة تمهيد لما يُرد من أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بالاضطلاع بأمر التبليغ، وبكونه من أولي العزم من الرسل، مثل موسى عليه السلام، وأن لا يكون مفراطاً في العزم، كما كان آدم عليه السلام قبل نزوله إلى الأرض.

فرسالته صلى الله عليه وسلم ليست شقوة كُتبت عليه، وليست عناء يُعَدَّب به، إنما هي الدعوة والتذكرة، وهي التبشير والإنذار. وأمرُ الخلق بعد ذلك إلى الله الواحد الذي لا إله غيره، المهيم على ظاهر الكون وباطنه، الخبير بظواهر القلوب وخوافيها، الذي تخضع له الجباه، ويرجع إليه الناس طائعهم وعاصيهم، فلا على الرسول ممن يكذب ويكفر، ولا يشقى؛ لأنهم يكذبون ويكفرون.

(١) زاد المسير: ١٥٠/٣.

(٢) تفسير العز بن عبد السلام: ٢٩٢/٢.

(٣) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٣١٠ / ١.

(٤) انظر: فلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن: ١٣٩.

(٥) وهما: {فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ} (١٣٠) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) [طه : ١٣٠ - ١٣١].

(٦) انظر: الكشاف: ٤٩/٣.

(٧) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٥/٢.

(٨) انظر: تفسير المراغي: ٩٣/١٦.

(٩) انظر: أسرار ترتيب القرآن: ١٠٨-١٠٩، وتفسير المراغي: ٩٣/١٦، وتفسير الزحيلي: ١٧٤/١٦.

وجاءت خاتمة السورة كأبلغ خواتم الكلام؛ لإيذانها بانتهاء المحاجة، وطى بساط المقارعة؛ فانظمت بما يشبه رد العجز على الصدر؛ فكانت فاتحة السورة قوله سبحانه: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٣)﴾ [طه : ٢ - ٣]؛ وختمت بما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ كل ما بعث به من الإرشاد والاستدلال، فإذا لم يهتدوا بهديه، ولم يأتروا بأمره، فإن في أدائه لرسالة ربه، وتذكيره بإنعامه وفضله ما يتلج صدره.

وتعرض السورة بين مطلعها وختامها قصة نبي الله موسى عليه السلام من بداية الرسالة إلى وقت اتخاذ بني إسرائيل للعجل بعد خروجهم من مصر، مفصلة مطولة؛ وبخاصة موقف المناجاة بين الله وكليمه موسى، وموقف الجدل بين موسى وفرعون. وموقف المباراة بين موسى والسحرة. وتتجلى في أثناء هذه القصة رعاية الله لموسى الذي صنعه على عينه، واصطفاه لنفسه، وقال له ولأخيه: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه : ٤٦].

وعرضت السورة قصة آدم سريعة قصيرة، برزت فيها رحمة الله لآدم بعد خطيئته، وهدايته له. وترك البشر من أبنائه لما يختارون من هدى أو ضلال بعد التذكير والإنذار. وتحيط بالقصة مشاهد القيامة، وكأنما هي تكملة لما كان أول الأمر في الملائكة من قصة آدم، حيث يعود الطائعون إلى الجنة، ويذهب العصاة إلى النار؛ تصديقاً لما قيل لأبيهم آدم، وهو يهبط إلى الأرض بعد ما كان!

وفي العموم، فإن سياق السورة يمضي وينتظم في شوطين اثنين: أحدهما: يتضمن مطلع السورة بالخطاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٣)﴾ [طه : ٢ - ٣]، تتبعه قصة موسى نموذجاً كاملاً لرعاية الله سبحانه لمن يختارهم من أنبيائه ورسله وأصفائه لإبلاغ دعوته، فلا يشقون بها، وهم في رعايته وعنايته. الثاني: يتضمن مشاهد القيامة وقصة آدم، وهما يسيران في اتجاه مطلع السورة وقصة موسى، ثم ختام السورة بما يشبه مطلعها ويتناسق معه ومع جو السورة. وأكدت السورة في خاتمها أن الوظيفة الرئيسية للرسول إنما هي الإبلاغ والتذكير لمن تنفعه التذكرة، وليس بعد الإبلاغ إلا انتظار العاقبة، والعاقبة للمتقين.

وقد كانت قصة موسى ونهاية فرعون في خلال هذه السورة تحقيقاً لهذا المعنى، وتأكيداً لفوز المؤمنين ومصرع الكافرين، وبذلك يتناسق المطلع والختام، وتكون السورة أشبه بموضوع له مقدمة، ثم قصة تؤيد المقدمة، ثم خاتمة تؤكد الموضوع.

ويظهر من خلال قراءة هذه السورة أن ثمة وحدة فكرية بين أجزائها، خلاصتها: شمول فضل الله ورحمته وعطفه لعباده المؤمنين، وإيقاع نقمته على الكافرين، وعذابه للمكذبين. ويمكن تلخيص أهم موضوعات السورة في المحاور الآتية:

- ١- التَّنْوِيهِ بِعَظَمَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأَنَّهُ مَنْزَلٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٢- تَفْصِيلُ الْكَلَامِ عَنْ قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَإِرْسَالِهِ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَمَا جَرَى بَيْنَهُمَا مِنْ حِوَارٍ، وَأَمْرِ السَّحَرَةِ وَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ، وَمَا فَعَلَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي غَيْبَةِ مُوسَى عَنْهُمْ، وَإِضْلَالِ السَّامِرِيِّ لَهُمْ.
- ٣- ذِكْرُ جَزَاءِ الْمُعْرِضِينَ عَنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.
- ٤- بَيَانُ مَنْزِلَةِ الْقُرْآنِ، وَأَنَّهُ نَزَلَ عَرَبِيًّا، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى صَرَفَ فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ.
- ٥- ذِكْرُ قِصَّةِ خَلْقِ آدَمَ.
- ٦- أَمْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ، وَالْإِكْتِرَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَعَدَمُ التَّنَطُّعِ إِلَى زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَمْرُ أَهْلِهِ بِالصَّلَاةِ.
- ٧- الرَّدُّ عَلَى مَزَاغِ الْمُشْرِكِينَ، وَتَهْدِيدُهُمْ بِسُوءِ الْعَاقِبَةِ إِذَا مَا اسْتَمَرُّوا عَلَى ضَلَالِهِمْ.

الناسخ والمنسوخ:

تحتوي من المنسوخ على ثلاث آيات:

- الآية الأولى قوله تعالى: {وَلَا تُعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ} [طه : ١١٤]، نسختها {سُنْفُرُكَ فَلَا تَنْسَى} [الأعلى : ٦]، وما في الأصل الى آخره نسخة أخرى: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه : ١١٤]، هذا محكم وذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما صلى بأصحابه وقرأ سورة النجم وانتهت قراءته الى قوله تعالى: {أَقْرَأْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى} [النجم : ١٩-٢٠]، اراد أن يقول: {الْكُمُ الذَّكْرُ وَكَلَةُ اللَّائِي} [النجم : ٢١]، فقال: "تلك الغرائق العلي وشفاعتهن ترتجي"، ثم مضى في قراءته وختم السورة فقالت قريش قد صبا إلى ديننا فسجد وسجدوا معه حتى لم يبق بمكة أحد إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة فإنه أخذ كفا من حصى ورفعها الى وجهه تكبرا، فأنزل الله تعالى جبريل، فقال له ما هكذا أنزلت عليك فقال وكيف أنزلت علي فأخبره بالقرآن على حقيقته فاغتم صلى الله عليه وسلم وحزن لذلك، فأنزل الله تعالى عليه تسليية فقال: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلَقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} [الحج : ٥٢]، أي: في قراءته وتلاوته، {فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ} [الحج : ٥٢]، فيرفعه، {ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ} [الحج : ٥٢]، ويبينها، {وَاللَّهُ عَلِيمٌ} [الحج : ٥٢] بأمره، {حَكِيمٌ} [الحج : ٥٢] بصنعه وتدبيره.
- فكان النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا جاء جبريل بالقرآن سابقة في لفظه ليقرأ على جبريل مرتين فأنزل الله تعالى هذه الآية: {وَلَا تُعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ} [طه : ١١٤]، ونزل {لَا تُحْرَكْ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} (١٦) {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} (١٧) {فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [القيامة : ١٦-٢٨]، فبقي بين بين لا يقدر أن يقرأه مع جبريل ولا يمكنه أن يخالف الأمر حتى أنزل الله تعالى الأمان، فقال: {سُنْفُرُكَ فَلَا تَنْسَى} [الأعلى : ٦]، فصار هذا ناسخا لما قبله فلم ينسى شيئا حتى لقي ربه تعالى.
- الآية الثانية: قوله تعالى: {فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يُؤْلَوْنَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} [طه : ١٣٠]، وكان هذا قبل أن تنزل الفرائض ثم صار ذلك منسوخا بآية السيف.
- الآية الثالثة: قوله تعالى: {قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا} [طه : ١٣٥] الآية، ثم صار ذلك منسوخا بآية السيف^(١).

■ فضائل السورة:

- ومما وردت من فضائل هذه السورة:
- عن أبي أمامة، يرفعه قال: " اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في سور ثلاث: في البقرة، وآل عمران، وطه، يعني: الحي القيوم"^(٢).
- عن ابن مسعود - رضي الله عنه - : "قال: في بني إسرائيل والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: إنهن من العتاق الأولى، وهن من تلادي"^(٣).
- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تبارك وتعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت: طوبى لأمة ينزل عليها هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تتكلم بهذا"^(٤).

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٢٠-١٢٣.

(٢) فضائل القرآن للفريابي (٤٧): ص ١٥٧، وفضائل القرآن للمستغفري (٨٣٢): ص ٥٧٠/٢، و.

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٧٠٨).

العتاق: جمع عتيق، وهو القديم، والعتاق الأول: أي السور التي أنزلت أولا بمكة، وأنها أول ما تعلمه ص من القرآن.

يعني قوله (من تلادي) أي مما حفظته قديماً، والتلاد والتلاد والتلاد: المتقدم، والطريف والطارف: المستحدث

(٤) رواه الدارمي (٣٤١٤)، وابن خزيمة في التوحيد (٢٣٦)، والطبراني في الأوسط (٤٨٧٦)، والبيهقي في الشعب (٢٤٥٠)، وابن عدي في الكامل (٢١٨ / ١)، والعقيلي في الضعفاء (٦٦ / ١). وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٤٨/٥،

- عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أعطيت السورة التي ذكرت فيها الأنعام من الذكر الأول وأعطيت طه والطواسيم من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصل نافلة"^(١).
- عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كل قرآن يوضع على أهل الجنة فلا يقرؤون منه شيئاً إلا طه ويس فإنهم يقرؤون بهما في الجنة"^(٢).
- عن المسيب عن زياد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا يس وطه"^(٣).

وزاد نسبته إلى ابن مردويه.
والحديث منكر غير ثابت، وانظر: السلسلة الضعيفة (١٢٤٨).
وقال السيوطي: "وأخرج الديلمي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه".
(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٤٨/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٤٨/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٣٥/٦.

سورة «الأنبياء»

سورة «الأنبياء»: هي السورة «الحادية والعشرون» في ترتيب المصحف، وهي السورة الثانية من المجموعة الثالثة من قسم المثين، نزلت بعد سورة: «إبراهيم»^(١)، وعدد آياتها: (١١٢) مائة واثنى عشرة عند الكوفيين، (١١١) ومائة وإحدى عشرة عند الباقيين، وكلماتها: (١١٦٨) ألف ومائة وثمانية وستون، وحروفها: (٤٨٧٠) أربعة آلاف وثمانمائة وسبعون حرفاً^(٢).
والمختلف فيها آية واحدة: {وَلَا يَضُرُّكُمْ} [الأنبياء : ٦٦]^(٣).
مجموع فواصل آياتها «م ن»^(٤).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة الأنبياء»:

سماها الصحابة-رضوان الله عليهم- «سورة الانبياء»، كما مبين أدناه:
- عن ابن مسعود - رضي الله عنه - : "قال: في بني إسرائيل والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي"^(٥).
- وعن ابن عباس-رضي الله عنهما-، قال: "نزلت سورة الأنبياء بمكة"^(٦).
- وعن ابن الزبير-رضي الله عنهما-، قال: "نزلت سورة الأنبياء بمكة"^(٧).
وبذلك سميت في المصاحف وكتب التفسير وفي كتب السنة.

■ وجه التسمية:

سميت «سورة الأنبياء» لتضمنها الحديث عن جهاد الأنبياء المرسلين مع أقوامهم الوثنيين، بدءاً من قصة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام بإسهاب وتفصيل، ثم إسحاق، ويعقوب، ولوط، ونوح، وداود، وسليمان، وأيوب، وإسماعيل، وإدريس، وذو الكفل، وذو النون: يونس، وزكريا، وعيسى، إلى خاتم النبيين محمد صلوات الله وسلامه عليهم، وذلك بإيجاز يدل على مدى ما تعرضوا له من أهوال وشدائد، فصبروا عليها، وضحوا في سبيل الله، لإسعاد البشرية^(٨).

■ ثانياً:- اسمها الإجتهادي: «سورة اقترَب»:

ذكر السخاوي هذه التسمية^(٩)، وذلك من باب تسمية السورة بأول كلمة فيها، وقد سماها عامر بن ربيعة بأول الآية منها، فقال: "نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ}"^(١).

(١) انظر: اسرار ترتيب القرآن للسيوطي: ١٠٨، والكشاف: ١٠٠/٣. وقال ابن عاشور ٦/١٧: "نزلت بعد حم السجدة وقبل سورة النحل، فتكون من أواخر السور النازلة قبل الهجرة، ولعلها نزلت بعد إسلام من أسلم من أهل المدينة كما يقتضيه قوله تعالى: {وَأَسْرُوا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون} [الأنبياء: ٣]".

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٣١٧/١.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٥) صحيح البخاري برقم (٤٧٠٨).

العتاق: جمع عتيق، وهو القديم، والعتاق الأول: أي السور التي أنزلت أولاً بمكة، وأنها أول ما تعلمه ص من القرآن. يعني قوله «من تلادي»: أي مما حفظته قديماً، والتلديد والتلاد والتالذ: المتقدم. والطريف والطارف: المستحدث

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦١٥/٥، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦١٥/٥، وعزاه إلى البخاري وابن مردويه.

(٨) انظر: التفسير المنير: ٥/١٧.

(٩) انظر: جمال القراء: ٩١.

وردت هذه التسمية أيضاً في حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المُسمَّاة: عِنَايَةُ الْقَاضِي وَكِفَايَةُ الرَّاضِي عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ: ٤١/٣.

ولم يرد عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ما يثبت هذه التسمية. والله أعلم.

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة قولان:

أحدهما: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس^(٢)، وابن الزبير^(٣)، ومقاتل^(٤)، ويحيى بن سلام^(٥)، وابن قتيبة^(٦)، والماتريدي^(٧)، والسمرقندي^(٨)، وابن أبي زمنين^(٩)، ومكي بن أبي طالب^(١٠)، والواحدي^(١١)، والسمعاني^(١٢)، والبيهقي^(١٣)، وغيرهم.

قال ابن الجوزي: "هي مكية باجماعهم من غير خلاف نعلمه"^(١٤).

قال القرطبي: "مكية في قول الجميع"^(١٥).

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية بالاتفاق"^(١٦).

الثاني: أنها مكية إلا آية: {أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الأنبياء : ٤٤]، فإنها نزلت بالمدينة. نقله السيوطي في "الإتقان" دون عزوه إلى قائل^(١٧).

قال ابن عاشور: "ولعله أخذه من رواية عن مقاتل والكلبي وابن عباس، أن المعنى: «نَنْقُصُهَا» بفتح البلدان"^(١٨)، أي: بناء على أن المراد من الرؤية في الآية الرؤية البصرية، وأن المراد من الأرض أرض الحجاز، وأن المراد من النقص نقص سلطان الشرك منها. وكل ذلك ليس بالمتعين ولا بالراجح.. فالأرجح أن سورة الأنبياء مكية كلها"^(١٩).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- الإشارة إلى قرب الأجل المسمى للعذاب، ودنو الأمل المنتظر، فقال تعالى في آخر سورة طه: {وَلَوْ كُنَّا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى} [طه : ١٢٩]، ثم قال: {قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنْ اهْتَدَى} [طه : ١٣٥]، وقال تعالى في مطلع هذه السورة: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ} [الأنبياء : ١].

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦١٥/٥. وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر. وسيأتي في فضائل السورة. إن شاء الله.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦١٥/٥، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦١٥/٥، وعزاه إلى البخاري وابن مردويه.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٠/٣.

(٥) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٢٩٧/١.

(٦) انظر: غريب القرآن: ٣٢٤.

(٧) انظر: تأويلات أهل السنة: ٣٢٥/٧.

(٨) انظر: بحر العلوم: ٤١٩/٢.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ١٣٩/٣.

(١٠) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٧٢٥/٧.

(١١) انظر: التفسير الوسيط: ٢٢٩/٣.

(١٢) انظر: تفسير السمعاني: ٣٦٧/٣.

(١٣) انظر: تفسير البيهقي: ٢٨٢/٣.

(١٤) زاد المسير: ١٨٤/٣.

(١٥) تفسير القرطبي: ٢٦٦/١١.

(١٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٣١٧/١.

(١٧) انظر: الإتقان: ٦١/١.

(١٨) حكاة عنهم الرازي في مفاتيح الغيب: ١٤٧/٢٢، والسيوطي في اللباب في علوم الكتاب: ٥٠٧/١٣.

(١٩) التحرير والتنوير: ٦/١٧. [بتصرف في تصحيح الخبر عن مقاتل والكلبي وابن عباس]

٢- أن السورة السالفة ختمت بأن الناس قد شغلهم زهرة الدنيا التي جعلها الله لهم فتنة، وأن الله نهى رسوله أن يتطلع إليها، وأمره بالصلاة والصبر عليها، وأن العاقبة للمتقين- وبدأت هذه السورة بمثل ما ختمت به السالفة، فذكر فيها أن الناس غافلون عن الساعة والحساب، وأنهم إذا سمعوا القرآن استمعوه وهم لا عبون، وقلوبهم لاهية عنه^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها

والأغراض التي ذكرت في هذه السورة هي:

- ١- الإنذار بالبعث، وتحقيق وقوعه وإنه لتحقيق وقوعه كان قريبا.
- ٢- إقامة الحجة عليه بخلق السماوات والأرض عن عدم وخلق الموجودات من الماء.
- ٣- التحذير من التكذيب بكتاب الله تعالى ورسوله.
- ٤- التذكير بأن هذا الرسول صلى الله عليه وسلم ما هو إلا كأمثاله من الرسل وما جاء إلا بمثل ما جاء به الرسل من قبله.
- ٥- ذكر كثير من أخبار الرسل عليهم السلام.
- ٦- التنويه بشأن القرآن وأنه نعمة من الله على المخاطبين وشأن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم وأنه رحمة للعالمين.
- ٧- التذكير بما أصاب الأمم السالفة من جراء تكذيبهم رسلهم وأن وعد الله للذين كذبوا واقع لا يغرم تأخيرها فهو جاء لا محالة، وحذرهم من أن يغتروا بتأخيرها كما اغتر الذين من قبلهم حتى أصابهم بغتة، وذكر
- ٨- أن من أشراط الساعة فتح يأجوج ومأجوج.
- ٩- التذكير بما في خلق السماوات والأرض من الدلالة على الخالق، والإيماء إلى أن وراء هذه الحياة حياة أخرى أتقن وأحكم لتجزى كل نفس بما كسبت وينتصر الحق على الباطل، ثم ما في ذلك الخلق من الدلائل على وحدانية الخالق إذ لا يستقيم هذا النظام بتعدد الآلهة.
- ١٠- تنزيه الله تعالى عن الشركاء وعن الأولاد والاستدلال على وحدانية الله تعالى، وما يكرهه على فعل ما لا يريد.
- ١١- أن جميع المخلوقات صائرون إلى الفناء.
- ١٢- التذكير بالنعمة الكبرى عليهم وهي نعمة الحفظ.
- ١٣- ذكر الرسل والأنبياء وتنظير أحوالهم وأحوال أممهم بأحوال محمد صلى الله عليه وسلم وأحوال قومه، وكيف نصر الله الرسل على أقوامهم واستجاب دعواتهم.
- ١٤- أن الرسل كلهم جاءوا بدين الله وهو دين واحد في أصوله قطع الضالون قطعاً، وأثنى على الرسل وعلى من آمنوا بهم.
- ١٥- أن العاقبة للمؤمنين في خير الدنيا وخير الآخرة، وأن الله سيحكم بين الفريقين بالحق ويعين رسوله على تبليغ شرعه.

الناسخ والمنسوخ:

تحتوي من المنسوخ على ثلاث آيات متصلات نسخت بثلاث آيات متصلات أيضاً:

فالمنسوخات:

- قوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الأنبياء : ٩٨] إلى قوله: {وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ} [الأنبياء : ١٠٠]، فقالت قريش لقد خصمنا محمد بالأمس حتى تلى هذه الآية فقال لهم ابن الزبيري أنا أخصم محمداً في هذه الآيات، فقالوا وكيف تخصمه فقال إن اليهود عبدت العزيز والنصارى

(١) انظر: أسرار ترتيب القرآن: ١١٠، وتفسير المراغي: ٣/١٧، التفسير المنير: ٦/١٧.

عبدت المسيح ومريم وقالوا ثالث ثلاثة والمجوس عبدت النار والنور والشمس والقمر وإن الصابئة عبدت الملائكة والكواكب فان يكن هؤلاء مع من عبدوهم في النار فقد رضينا أن نكون مع أصنامنا في النار فأنزل الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} [الأنبياء : ١٠١]، الى قوله: {هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [الأنبياء : ١٠٣].
وفيها رواية أخرى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لهم: عجبت من جهلكم، بلغ بكم ان حملهم على كفركم، قال الله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ} [الأنبياء : ٩٨]، ولم يقل: "ومن تعبدون"، لأن ما خطاب لمن لا يعقل ومن خطاب لمن يعقل والله أعلم بالصواب^(١).

■ فضائل السورة:

- ومما وردت في فضائل هذه السورة:
- عن ابن مسعود - رضي الله عنه - : "قال: في بني إسرائيل والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي"^(٢).
 - عن عامر بن ربيعة: "أنه نزل به رجل من العرب، فأكرم عامر مثواه، وكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءه الرجل فقال: إني استقطعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وادياً في العرب، وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك. فقال عامر: لا حاجة لي في قطيعتك، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ}"^(٣).
 - عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله: صلى الله عليه وسلم «من قرأ سورة اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن»^(٤). [ضعيف]

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٢٤-١٢٥.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٧٠٨).

العتاق: جمع عتيق، وهو القديم، والعتاق الأول: أي السور التي أنزلت أولاً بمكة، وأنها أول ما تعلمه ص من القرآن. يعني قوله (من تلادي) أي: مما حفظته قديماً، والتلاد والتلاد والتلاد: المتقدم. والطريف والطارف: المستحدث

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦١٥/٥. وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية وابن عساکر.

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره: ٢٦٨/٦، والمستغفري في فضائل القرآن (١١٨٨): ص ٧٨/٢، والواحدي في التفسير الوسيط: ٢٢٩/٣.

قال الفيروز آبادي: "روى فيه أحاديث ساقطة ضعيفة. منها: «من قرأ سورة اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا، وصافحه، وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن». وفي حديث علي: «يا علي من قرأ هذه السورة فكأنما عبد الله على رضاه». انظر: البصائر: ٣٢٢/١.

سورة «الحج»

سورة «الحج»: هي السورة «الثانية والعشرون» في ترتيب المصحف، وقد عُدَّت السورة الخامسة والمائة في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة «النور»^(١)، وعدد آياتها: وعدد آياتها ثمان وسبعون في عد الكوفيين، وسبع للمدنيين، وخمس للبصريين، وأربع للشاميين. وكلماتها ألفان ومائتان وإحدى وتسعون كلمة. وحروفها خمسة آلاف وخمسة وسبعون^(٢).

والآيات المختلف فيها خمس: {الْحَمِيمُ} [الحج : ١٩]، {الْجُلُودُ} [الحج : ٢٠]، {وَعَادٌ وَثَمُودٌ} [الحج : ٤٢]، {وَقَوْمٌ لَوْطٌ} [الحج : ٤٣]، {سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ} [الحج : ٧٨]، مجموع فواصل آياتها: «انتظم زبرجد قط» على الهمزة منها: {إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُشَاءُ} [الحج : ١٨]^(٣).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة الحج»:

اشتهرت تسميتها بـ«سورة الانبياء»، في عهد الرسول-صلى الله عليه وسلم-، وعهد اصحابه-رضوان الله عليهم-، وبذلك سميت في المصاحف وكتب التفسير وفي كتب السنة، وفيما يأتي بعض الآثار عن هذه التسمية:

- عن عقبة بن عامر، قال: "قلت: يا رسول الله، أفضلت سورة الحج على القرآن بأن جعل فيها سجدتان؟ فقال: «نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما»^(٤).
- عن عمرو بن العاص-رضي الله عنه-: "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن: منها ثلاث في المفصل، وسجدتان في الحج"^(٥).
- عن ابن عباس-رضي الله عنهما-: "نزلت سورة الحج بالمدينة"^(٦).
- عن ابن مسعود-رضي الله عنه-: "أول سورة نزلت فيها السجدة: الحج، قرأها رسول الله فسجد وسجد الناس إلا رجل أخذ التراب فسجد عليه فرأيته قتل كافراً"^(٧).

■ وجه التسمية:

سميت «سورة الحج» لإعلان فريضة الحج فيها على الناس، على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} [الحج : ٢٧]، وذلك بعد بناء البيت العتيق، فأذن، فبلغ صوته أنحاء الأرض، وأسمع النطف في الأصلاب والأجنة في الأرحام، وأجابوا النداء: «لبيك اللهم لبيك»^(٨).

وليس لهذه السورة غير اسمها التوقيفي، ولذلك لم يعدها السخاوي أو السيوطي في عداد السور ذوات الاسمين أو اكثر.

وقد ورد لفظ«الحج» في بعض سور القرين الكريم، كسورة البقرة في آيات عدة^(٩)، وفي سورة التوبة آية واحدة^(١)، وقد وردت بلفظ« حجٌ» في آل عمران^(٢).

(١) قاله الكلبي، انظر: التسهيل: ٣٢/٢. والمخلاني، انظر: القول الوجيز: ٢٤٠، وحكاه ابن عاشور ان ابن عباس، انظر: التحرير والتنوير: ١٨٣/١٧.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٣٢٣.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) سيأتي تخريجه في فضائل السورة.

(٥) رواه ابو داود(١٤٠١):ص٥٨/٢، وابن ماجة(١٠٥٧):ص٣٣٥/١.

(٦) اورده السيوطي في الدر المنثور: ٣/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرك(٨٠٣):ص٣٤٢/١.

(٨) انظر: التفسير المنير: ١٤٨/١٧.

(٩) انظر الآيات: [١٨٩، ١٩٦، ١٩٧].

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة أقوال:

أحدها: أنها مكية. قاله النسفي^(٣)، وعبدالقاهر الجرجاني^(٤)، وابن كثير^(٥).
الثاني: أنها مدنية. قاله ابن عباس^(٦)، وابن الزبير^(٧)، والضحاك^(٨).

قال ابن عاشور: "عدت سورة الحج: "السورة الخامسة والمائة في عداد نزول سور القرآن في رواية جابر بن زيد، عن ابن عباس قال: «نزلت بعد سورة النور وقبل سورة المنافقين». وهذا يقتضي أنها عنده مدنية كلها لأن سورة النور وسورة المنافقين مدنيتان فينبغي أن يتوقف في اعتماد هذا فيها"^(٩).

الثالث: أنها مكية كلها، غير آيتين نزلتا بالمدينة: قوله سبحانه وتعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ} [الحج : ١١]، والتي تليها. رواه أبو صالح عن ابن عباس^(١٠).

الرابع: أنها نزلت بمكة إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، من قوله: {هَذَانِ خَصْمَانِ} [الحج : ١٩] إلى قوله: {وَلَهُمْ مَقَامُعٌ مِّنْ حَدِيدٍ (٢١)} [الحج : ٢١]. قاله ابن عباس^(١١)، ومجاهد^(١٢)، وعطاء بن السائب^(١٣)، وبه قال القرطبي^(١٤).

الخامس: أنها مدنية إلا أربع آيات نزلت بمكة، وهن الآيات: [٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥] ^(١٥). قاله ابن عباس^(١٦)، وقتادة^(١٧).

السادس: أنها مكية غير ست آيات نزلت بالمدينة، من قوله: {هَذَانِ خَصْمَانِ} [الحج : ١٩] إلى قوله: {صِرَاطِ الْحَمِيدِ} [الحج : ٢٤]. قاله الثعلبي^(١٨)، والفيروزآبادي^(١٩)، والبغوي^(٢٠)، والزمخشري^(٢١)، والبيضاوي^(٢٢).

(١) الآية [٣].

(٢) {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران : ٩٧].

(٣) تفسير النسفي: ٩٤/٣.

(٤) انظر: درج الدرر: ١٢٤٥/٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٣٨٩/٥.

(٦) اورده السيوطي في الدر المنثور: ٣/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) اورده السيوطي في الدر المنثور: ٣/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٨) حكاه عنه ابن عطية في المحرر الوجيز: ١٠٥/٤.

(٩) التحرير والتنوير: ١٨٣/١٧.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٢٢٠/٣.

(١١) حكاه عنه السمعاني في التفسير: ٤١٦/٣، وقال أنه أظهر روايتي ابن عباس، وحكاه عنه أيضا ابن عطية في المحرر الوجيز: ١٠٥/٤، والقرطبي في التفسير: ١/١٢.

(١٢) حكاه عنه ابن عطية في المحرر الوجيز: ١٠٥/٤، والقرطبي في التفسير: ١/١٢.

(١٣) انظر: زاد المسير: ٢٢٠/٣.

(١٤) انظر: تفسير القرطبي: ١/١٢.

(١٥) وهن الآيات: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤) وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَّةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ (٥٥)} [الحج : ٥٢ - ٥٥].

(١٦) انظر: زاد المسير: ٢٢٠/٣.

(١٧) اورده السيوطي في الدر المنثور: ٣/٦، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١٨) انظر: زاد المسير: ٢٢٠/٣.

السابع: أنها مكية، إلا الآيات: [١، ٢٥، ٢١، ٣٩، ٤٠، ٥٤، ٥٨، ٥٩]. قاله مقاتل^(٥).
الثامن: أن أولها مدني إلى قوله تعالى: {وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ} [الحج : ٣٧]، وسائرهما مكى. قاله أبو سليمان
الدمشقي^(٦).

قال ابن عطية: "قال الجمهور مختلطة فيها مكى ومدني، وهذا هو الأصح والله أعلم لأن الآيات
تقتضي ذلك"^(٧).

عن أنس، قال: "نزلت {يا أيها الناس اتقوا ربكم} [الحج: ١] إلى قوله {ولكن عذاب الله شديد} [الحج:
٢] على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسير له، فرفع بها صوته حتى تاب إليه أصحابه، فقال: "أندرون أي يوم؟ هذا يوم يقول الله لأدم: قم فابعث بعثا إلى النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحدا إلى الجنة" فكبر ذلك على المسلمين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «سدوا، وقاربوا، وأبشروا، فوالذي نفسي بيده، ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير، أو كالرقمة في ذراع الدابة، إن معكم لخليقتين ما كانتا في شيء قط إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج، ومن هلك من كفره الجن والإنس»^(٨).
ذكر القرطبي عن الغزنوي أنه قال: سورة الحج: "هي من أعاجيب السور، نزلت ليلا ونهارا، سفرا
وحضرا، مكيا ومدنيا، سلميا وحربيا، ناسخا ومنسوخا، محكما ومتشابهها، مختلف العدد"^(٩).

وقال هبة الله بن سلامة: سورة الحج: "نزلت في مواطن مختلفة وهي من أعاجيب سور القرآن
لأنها نزلت ليلا ونهارا، وفيها مكى ومدني وسفري وحضري وسلمي وناسخ ومنسوخ ومحكم
ومتشابه... فأما المكى منها فمن رأس الثلاثين منها إلى آخرها، وأما المدني منها فمن رأس خمسة عشر إلى
رأس ثلاثين، وأما الليلي منها فمن أولها إلى رأس خمس آيات، وأما النهاري فمن رأس خمس إلى رأس
تسع، وأما السفري فمن رأس تسع إلى رأس تسع إلى اثنتي عشرة، وأما الحضري منها فألى رأس العشرين،
نسبت إلى المدينة لقرب مدته"^(١٠).

■ مناسبة سورة «الحج» مع سورة «الأنبياء»:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- هناك تناسب وارتباط بين بداية هذه السورة، وخاتمة السورة السابقة، فقد ختم الله سورة «الأنبياء»
ببيان اقتراب الساعة ووصف أهوالها في قوله: {وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٣٢٣.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٥/٣٦١.

(٣) انظر: الكشاف: ٣/١٤١.

(٤) انظر: تفسير البيضاوي: ٤/٦٤.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/١١١-١١٢.

(٦) انظر: زاد المسير: ٣/٢٢٠.

(٧) المحرر الوجيز: ٤/١٠٥.

(٨) حديث أنس: أخرجه عبد بن حميد (ص ٣٥٨، رقم ١١٨٧)، وأبو يعلى (٤٣٠/٥، رقم ٣١٢٢)، قال الهيثمي (٣٩٤/١٠) رجاله رجال الصحيح، غير محمد بن مهدي، وهو ثقة. والحاكم (٦١٠/٤، رقم ٨٦٩٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين.
ووافقه الذهبي. وأخرجه أيضا: ابن حبان (٣٥٢/١٦، رقم ٧٣٥٤)، والضياء (٧٣/٧، رقم ٢٤٨٣)

حديث عمران بن حصين: أخرجه أحمد (٤٣٥/٤، رقم ١٩٩١٥)، والترمذي (٣٢٣/٥، رقم ٣١٦٩)، وقال: حسن صحيح،
والطبراني (١٤٤/١٨، رقم ٣٠٦)، والحاكم (٦١١/٤، رقم ٨٦٩٥). ووافقه الذهبي. وأخرجه أيضا: الطيالسي (ص ١١٢

رقم ٨٣٥)، والنسائي في الكبرى (٤١٠/٦، رقم ١١٣٤٠).

حديث ابن عباس: أخرجه الحاكم (٦١٢/٤، رقم ٨٦٩٧)، وقال: صحيح. ووافقه الذهبي. وأخرجه أيضا: البزار كما في كشف
الأستار (٥٩/٣ رقم ٢٢٣٥). قال الهيثمي (٧٠/٧): رجاله رجال الصحيح، غير هلال بن خباب، وهو ثقة.

(٩) تفسير القرطبي: ١/١٢.

(١٠) الناسخ والمنسوخ: ١٢٦.

كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ} [الأنبياء : ٩٧]، وافتتح هذه السورة بقوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)} [الحج : ١ - ٢].

٢- قد أقيمت في السورة السالفة الحجج الطبيعية على الوجدانية- وفي هذه جعل العلم الطبيعي من براهين البعث.

٣- في سورة «الأنبياء» بيان قصص أكثر من عشرة من الأنبياء تدور على ما قاموا به من إثبات توحيد الله، ونبذ الشرك، والإيمان بالبعث، وفي هذه السورة استدلال بخلق الإنسان بأطواره المتعددة وبإبداع السموات والأرض على قدرة الله على إحياء البشر للبعث، وعلى وجوده تعالى ووجدانيته، ثم تنبيه الأفكار على الالتفات لأحوال أهل القرى الظالمة التي أهلكها الله، والاتعاظ بها بسبب تكذيبهم الرسل^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها

لقد تضمنت سورة «الحج» جملة من المقاصد، نسوقها على النحو التالي :

١- خطاب الناس بأمرهم أن يتقوا الله، ويخشوا يوم الجزاء وأهواله، فهو يوم عظيم تشيب لهوله الولدان، وتضع كل ذات حمل حملها؛ خوفاً ورعباً.

٢- الاستدلال على نفي الشرك، وخطاب المشركين بأن يقلعوا عن المكابرة في الاعتراف بانفراد الله تعالى بالإلهية، وعن المجادلة في ذلك اتباعاً لوساوس الشياطين، وأن الشياطين لا تغني عنهم شيئاً، ولا ينصرونهم في الدنيا وفي الآخرة.

٣- تقطيع جدال المشركين في الوجدانية بأنهم لا يستندون إلى علم، وأنهم يعرضون عن الحجة؛ ليضلوا الناس.

٤- أن المشركين يرتابون في البعث، وهو ثابت لا ريب فيه، وكيف يرتابون فيه بعلّة استحالة الإحياء بعد الإماتة، ولا ينظرون أن الله أوجد الإنسان من تراب، ثم من نطفة، ثم طوره أطواراً.

٥- أن الله ينزل الماء على الأرض الميتة، فتحيا، وتخرج من أصناف النبات، فالله هو القادر على كل ذلك، فهو يحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير، فعال لما يريد.

٦- أن مجادلة المشركين بإنكار البعث صادرة عن جهالة وتكبر عن الامتثال لقول الرسول عليه الصلاة والسلام.

٧- وصف المشركين بأنهم في تردد من أمرهم في اتباع دين الإسلام.

٨- التعريض بالمشركين بتكبرهم عن سنة إبراهيم عليه السلام، الذي ينتمون إليه، ويحسبون أنهم حماة دينه، وأمناء بيته، وهم يخالفونه في أصل الدين.

٩- تذكير المشركين بما من الله عليهم في مشروعية الحج من المنافع فكفروا نعمته.

١٠- تشبيه المشركين في تلقي دعوة الإسلام بالأمم البائدة، الذين تلقوا دعوة الرسل بالإعراض والكفر، فحل بهم العذاب.

١١- أنه يوشك أن يحل بهؤلاء مثله، فلا يغرهم تأخير العذاب؛ فإنه إملاء من الله لهم، كما أملى للأمم من قبلهم، وفي ذلك تطمين للرسول عليه الصلاة والسلام والذين آمنوا، وبشارة لهم بعاقبة النصر على الذين فتنوهم وأخرجوهم من ديارهم بغير حق.

١٢- أن اختلاف الأمم بين أهل هدى وأهل ضلال أمرافترق الناس به إلى ملل كثيرة.

١٣- أن يوم القيامة هو يوم الفصل بينهم؛ لمشاهدة جزاء أهل الهدى، وجزاء أهل الضلال.

(١) انظر: أسرار ترتيب القرآن: ١١١، وتفسير المراغي: ٨٣/١٧، التفسير المنير: ٦/١٧.

- ١٤- أن المهتدين والضالين خصمان اختصموا في أمر الله، فكان لكل فريق جزاؤه.
- ١٥- سأل الله رسوله عليه الصلاة والسلام والمؤمنين بأن الشيطان يفسد في قلوب أهل الضلالة آثار دعوة الرسل، ولكن الله يُحْكِمُ دينه، ويبطل ما يلقي الشيطان؛ فلذلك ترى الكافرين يُعرضون عن هدى الله، وينكرون آيات القرآن.
- ١٦- التتويه بالقرآن والمتقين له بخشية وصبر، ووصف الكفار بكراهيتهم القرآن وبغض المرسل به، والثناء على المؤمنين وأن الله يسر لهم اتباع الحنيفية، وسماهم المسلمين.
- ١٧- الإذن للمسلمين بقتال المشركين الذين يقاتلونهم، وضمن النصر والتمكين في الأرض لهم.
- ١٨- خُتِمَت السورة بتذكير الناس بنعم الله عليهم، وأن الله اصطفى خلقاً من الملائكة، ومن الناس، فأقبل على المؤمنين بالإرشاد إلى ما يقربهم إلى الله زلفى، وأن الله هو مولاهم وناصرهم^(١).

الناسخ والمنسوخ:

تحتوي على ثلاث آيات منسوخات:

- الآية الأولى قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} [الحج : ٤٩]، نسخ معنى "الأنداز" بأية السيف، وأما قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ} [الحج : ٥٢]، الآية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- صلى بأصحابه بمكة فقرأ بهم سورة النجم حتى انتهت قراءته إلى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى (٢١)} [النجم : ١٩ - ٢١]، وإراد أن يقول: {تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} [النجم : ٢٢]، فقال -عليه السلام-: "تلك الغرائيق العلى وشفاعتهم ترتجى"، نسخها الله بقوله: {سُنْفُرُكُ فَلَا تُنْسَى} [الأعلى : ٦].
- الآية الثانية: قوله تعالى: {وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحج : ٦٨]، نسختها آية السيف.
- الآية الثالثة: قوله تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ} [الحج : ٧٨]، نسخها الله تعالى بقوله: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن : ١٦]^(٢).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن عقبة بن عامر، قال: "قلت: يا رسول الله، أفضلت سورة الحج على القرآن بأن جعل فيها سجدتان؟ فقال: «نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما»^(٣).
- عن ابن عمر، عن عمر، أنه سجد في الحج سجدتين، ثم قال: «إن هذه السورة فضلت على سائر السور بسجدتين»^(٤).

(١) انظر: اسلام ويب، موقع التكروني..

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٢٦-١٢٨.

(٣) أخرجه أحمد (١٥١/٤، رقم ١٧٤٠٢)، والترمذي (٤٧٠/٢، رقم ٥٧٨) وقال: إسناده ليس بالقوى. والطبراني (٣٠٧/١٧، رقم ٨٤٧)، والحاكم (٣٤٣/١، رقم ٨٠٥).

والحديث حسن بطرقه وشواهده دون قوله: "ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما"، وهذا الإسناد ضعيف.

وجاء أيضاً: «فضلت سورة الحج على القرآن بسجدتين».

أخرجه أبو داود في المراسيل (ص ١١٣، رقم ٧٨)، والبيهقي (٣١٧/٢، رقم ٣٥٤٥)، عن خالد بن معدان مرسلًا.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف (٤٢٨٧): ص ٣٧٢/١، ورجاله ثقات.

وأخرجه مالك في الموطأ كتاب القرآن باب ما جاء في سجود القرآن رقم "١٣".

وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٢/٦، ووزاد نسبته إلى سعيد بن منصور والإسماعيلي وابن مردويه والبيهقي.

قال الفيروزآبادي: " ذكر المفسرون فيه أحاديث واهية. منها: «من قرأ من سورة الحج أعطى من الأجر كحجة حجها، وعمرة اعتمرها، بعدد من حج واعتمر، من مضى منهم ومن بقى، ويكتب له بعدد كل واحد منهم حجة وعمرة وله بكل آية قرأها مثل ثواب من حج عن أبويه»" (١).

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٢٨/١.

سورة «المؤمنون»

سورة «المؤمنون»: هي السورة «الثالثة والعشرون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة: «الأنبياء»^(١)، وقيل: نزلت بعد سورة: «الطور» وقبل سورة: «تبارك الذي بيده الملك»^(٢). وعدد آياتها مائة وسبع عشرة في عد الجمهور. وعدها أهل الكوفة مائة وثمان عشرة^(٣)، وكلماتها: ألف ومائتان وأربعون. وحروفها: أربعة آلاف وثمانمائة وواحد^(٤). قال ابن عاشور: " فالجمهور عدوا: {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ} (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١) { [المؤمنون : ١٠ - ١١] آية، وأهل الكوفة عدوا: {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ} [المؤمنون : ١٠] آية، وما بعدها آية أخرى"^(٥).

ومجموع فواصل آياتها: «من»^(٦).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة المؤمنون»:

اشتهرت تسميتها باسم «سورة المؤمنون»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وكتب السنة. وردت هذه التسمية في عهد الرسول-صلى الله عليه وسلم-، كما روي:
- عن عبد الله بن السائب، قال: " حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وصلى في قبل الكعبة، فخلع نعليه، فوضعها عن يساره، ثم استفتح سورة المؤمنين، فلما جاء ذكر عيسى أو موسى أخذته سعة فرقع"^(٧).
- عن ابن عباس: "نزلت بمكة سورة المؤمنين"^(٨).

■ وجه التسمية:

سميت «سورة المؤمنون» على اعتبارين^(٩):

أحدهما: إضافة السورة إلى «المؤمنين»، لافتتاحها بالإخبار عنهم بأنهم أفلحوا.
الثاني: سميت بذلك، على حكاية لفظ «المؤمنون» الواقع أولها في قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} [المؤمنون : ١]، فجعل ذلك اللفظ تعريفاً للسورة.

■ ثانياً:- اسمائها الإجتهدية:

١- سورة «قد أفلح»:

سميت بسورة «قد أفلح»، من باب تسمية السورة بأول جملة افتتحت بها^(١٠)، وقد وردت هذه التسمية عند بعض أهل العلم، منها:

(١) انظر: الكشاف: ١٧٤/٣.
(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٦/١٨.
(٣) انظر: التحرير والتنوير: ٦/١٨.
(٤) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٣٢٩.
(٥) التحرير والتنوير: ٦/١٨.
(٦) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٣٢٩.
(٧) أخرجه احمد(١٥٣٩٧):ص٢٤/١١٨، ابن حبان (٢١٨٩)، النسائي في "المجتبى" ١٧٦/٢، وفي "الكبرى" (١٠٧٩)، والفاكهي مختصراً في "أخبار مكة" (٢٩٠).
(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٨٢/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٩) انظر: التحرير والتنوير: ٥/١٨.
(١٠) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦١٥/٥. وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر. وسيأتي في فضائل السورة. إن شاء الله.

- قال ابن القاسم: «أخرج لنا مالك مصحفا لجدته فتحدثنا أنه كتبه على عهد عثمان بن عفان وغازيته من كسوة الكعبة فوجدنا..» إلى أن قال: «وفي: "قد أفلح" كلها الثلاث لله»، أي: خلافا لقراءة: {سَيَقُولُونَ لِلَّهِ} [المؤمنون : ٨٥]»^(١).
 - قال أبو بكر النيسابوري: «قرأ حفص عن عاصم {فَلَمَّا أَحْمَلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ} [٤٠] وفي سورة: «قد أفلح» مثله. وقرأ الباقر {مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ} غير منون في السورتين»^(٢).
 - قال أبو أحمد السامري: «ومن سورة: "قد أفلح": {خَرَجًا} [المؤمنون : ٧٢]، يعني: جُعلا، بيئ بغير ألف بلغة حمير، وخراجا بلغة قريش»^(٣).
- وكذا سماها بعض المفسرين، مثل الزمخشري^(٤)، والفخر الرازي^(٥)، وابن المختار الرازي^(٦)، وأبي الشامة^(٧)، والسمين الحلبي^(٨)، وابن عرفة^(٩).

٢- سورة «قد أفلح المؤمنون»:

وردت بسورة «قد أفلح المؤمنون»، وهي تسمية للسورة بأول آية افتتحت بها. روي عن عكرمة عن ابن عباس قال: "ما ابتلي أحد بهذا الدين فقال به كله إلا إبراهيم: {وإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ}»^(١٠)، قلت له: وما الكلمات التي ابتلي إبراهيم بهن فأتَمهن؟ قال: الإسلام ثلاثون سهما منها عشر آيات في «براءة»: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ}»^(١١) إلى آخر الآية. وعشر آيات في أول سورة: «قد أفلح المؤمنون»، {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ}»^(١٢)، وعشر آيات في «الأحزاب»: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ}»^(١٣)، إلى آخر الآية. فأتَمهن كلهن، فكتب له براءة، قال الله: {وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}»^(١٤)»^(١٥). وقد وردت هذه التسمية عند بعض العلماء، مثل: الواحدي^(١٦)، والفخر الرازي^(١٧)، والسخاوي^(١٨)، وأبي الشامة^(١٩)، والقرطبي^(٢٠)، وأبو حيان^(٢١)، وابن كثير^(٢٢)، وغيرهم.

٣- سورة «الفلاح»:

- (١) التحرير والتنوير: ٥/١٨.
- (٢) المبسوط في القراءات العشر (٥): ص ٢٣٩.
- (٣) اللغات في القرآن: ٣٨.
- (٤) انظر: الكشاف: ٢٠٧/٣.
- (٥) انظر: مفاتيح الغيب: ٣٠٠/٢٣.
- (٦) انظر: كتاب حجج القرآن: ١٢.
- (٧) انظر: إبراز المعاني من حرز الأمانى: ١٤٤.
- (٨) انظر: الدر المصون: ٣٢٤/٦.
- (٩) انظر: تفسير ابن عرفة: ٧٦٤/٢.
- (١٠) [البقرة : ١٢٤].
- (١١) [التوبة : ١١٢].
- (١٢) [المعارج : ١].
- (١٣) [الأحزاب : ٣٥].
- (١٤) [النجم : ٣٧].
- (١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٦٦): ص ٢٢٠/١.
- (١٦) انظر: اسباب النزول: ٣٢١.
- (١٧) انظر: مفاتيح الغيب: ٦٦٢/٢٧.
- (١٨) انظر: جمال القراء: ١٠٨/١.
- (١٩) انظر: إبراز المعاني من حرز الأمانى: ٥١٣.
- (٢٠) انظر: تفسير القرطبي: ٢٩١/١٨.
- (٢١) انظر: البحر المحيط: ٢٧٦/١٠.
- (٢٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠/١، ٢٨٥، ٢٤١/٨، ٢٤٢.

جاء في "التحرير" تسميتها بسورة: « الفلاح»، وذلك دون نسبتها إلى قائل.
قال ابن عاشور: " ويسمونها أيضا: سورة «الفلاح»" (١).
كما وردت هذه التسمية عند الشنقيطي (٢)، والشيخ محمد أحمد إسماعيل المقدم (٣).
وهذه التسميات تبقى إجتهدية، ولم تثبت عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-. والله أعلم.

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، قولان:
أحدهما: أنها نزلت بمكة. وهذا قول ابن عباس (٤)، ومقاتل (٥)، ويحيى بن سلام (٦)، والسمرقندي (٧)، وابن أبي
زمنين (٨)، والثعلبي (٩)، ومكي بن أبي طالب (١٠)، والواحدي (١١)، والسمعاني (١٢)، والبغوي (١٣)،
والزمخشري (١٤)، وغيرهم.

قال ابن الجوزي والقرطبي: " سورة المؤمنين مكية في قول الجميع" (١٥).

قال الفيروزآبادي: "السورة مكيّة إجماعاً" (١٦).

الثاني: أنها مكية، إلا قوله: {حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ} [المؤمنون: ٦٤] إلى قوله سبحانه: {مُبْلِسُونَ} [المؤمنون: ٧٧]. ذكره في الإتيان (١٧).

قال الألوسي: " واستشكل الحكم على ما عداه بكونه مكيًا لما فيه من ذكر الزكاة وهي إنما فرضت
بالمدينة، وأجيب بأنه بعد تسليم أن ما ذكر فيه يدل على فرضيتها يقال: إن الزكاة كانت واجبة بمكة
والمفروض بالمدينة ذات النصب" (١٨).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- ختمت سورة الحج بجملة من الأوامر الجامعة لخيري الدنيا والآخرة، منها قوله تعالى: {وَأَفْعَلُوا
الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج : ٧٧]، وهو مجمل فصل في فاتحة هذه السورة، فذكر تعالى خصال
الخير التي من فعلها فقد أفلح، فقال: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} [المؤمنون : ١]، الآيات العشر.

- (١) التحرير والتنوير: ٥/١٨.
- (٢) انظر: أضواء البيان: ١٨٣/٢.
- (٣) انظر: تفسير القرآن الكريم، (٥/١٤٩، ١٥) [دروس صوتية].
- (٤) اورده السيوطي في الدر المنثور: ٨٢/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.
- (٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٥١/٣.
- (٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٩٢/١.
- (٧) انظر: بحر العلوم: ٤٧٣/٢.
- (٨) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ١٩٣/٣.
- (٩) انظر: الكشف والبيان: ٣٧/٧.
- (١٠) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٩٤١/٧.
- (١١) انظر: التفسير الوسيط: ٢٨٣/٣.
- (١٢) انظر: تفسير السمعاني: ٣٦٧/٣.
- (١٣) انظر: تفسير البغوي: ٤٠٥/٥.
- (١٤) انظر: الكشاف: ١٧٤/٣.
- (١٥) انظر: زاد المسير: ٢٥٤/٣، وتفسير القرطبي: ١٠٢/١٢.
- (١٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٣٢٩ /١.
- (١٧) انظر: الإتيان في علوم القرآن: ٦١/١.
- (١٨) روح المعاني: ٢٠٥/٩.

- ٢- ذكر في أول سورة الحج قوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ { [الحج : ٥] الآية، لإثبات البعث والنشور، ثم زاد هنا بيانا ضافيا في قوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣)} [المؤمنون : ١٢ - ١٣] الآيات. فما أجمل أو أوجز هناك، فصل وأظن هنا.
- ٣- في كل من السورتين أدلة على وجود الخالق ووحدانيته.
- ٤- في السورتين أيضا ذكرت قصص بعض الأنبياء المتقدمين للعبرة والعظة، في كل زمن وعصر ولكل فرد وجيل^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها

إن هذه السورة تدور أيها حول محور تحقيق الوحدانية وإبطال الشرك ونقض قواعده، والتنويه بالإيمان وشرائعه، وذلك كما مبين أدناه:

- ١- البشارة للمؤمنين بالفلاح العظيم على ما تحلوا به من أصول الفضائل الروحية والعلمية التي بها تزكية النفس واستقامة السلوك.
- ٢- وصف خلق الإنسان أصله ونسله الدال على تفرد الله تعالى بالإلهية لتفرد بخلق الإنسان ونشأته ليبتدئ الناظر بالاعتبار في تكوين ذاته ثم بعدهم بعد الحياة، ودلالة ذلك الخلق على إثبات البعث بعد الممات وأن الله لم يخلق الخلق سدى ولعبا.
- ٣- الاعتبار بخلق السماوات ودلالته على حكمة الله تعالى.
- ٤- الاعتبار والامتنان بمصنوعات الله تعالى التي أصلها الماء الذي به حياة ما في هذا العالم من الحيوان والنبات وما في ذلك من دقائق الصنع، وما في الأنعام من المنافع ومنها الحمل، ومن تسخير المنافع للناس وما أوتيته الإنسان من آلات الفكر والنظر، كما ورد ذكر الحمل على الفلك فكان منه تخلص إلى بعثة نوح وحدث الطوفان.
- ٥- التذكير ببعثة الرسل للهدى والإرشاد إلى التوحيد والعمل الصالح، وما تلقاها به أقوامهم من الإعراض والطعن والتفرق، وما كان من عقاب المكذبين، وتلك أمثال لموعظة المعرضين عن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم.
- ٦- بيان قصص الأنبياء مع أممهم، وقد جاء فيها أن هذه الأمم لم تشكر نعم ربها بتوحيده وعبادتها، بل أشركت معه غيره من مخلوقاته، فبعث إليها رسله ليهدهم سواء السبيل، فكذبوهم فعاقبهم الله بعذاب الاستئصال، ونجى منه عباده المؤمنين.
- وذكرت السورة من أنباء المهلكين: قوم نوح أغرقهم الله بالطوفان، وقوم صالح أهلهم الله بالصيحة، وفرعون وجنوده، كفروا بموسى وهرون فأغرقهم في اليم، وعقبت قصة فرعون معهما ببيان أن الله تعالى جعل ابن مريم وأمه آية، لأنه ولد منها دون أب، وأنه تعالى أوامها إلى ربوة ذات قرار ومعين، وسيأتى بيان ذلك في الشرح.
- ٧- إن من شريعة الرسل وأمهم أن يأكلوا من الطيبات، ويتركوا ما حرمه الله عليهم، وأن جميع الأمم أمة وديانة واحدة هي توحيد الله، وأصول الشرائع والأحكام - وإن اختلفت في الفروع - وأنه يجب على الناس جميعا أن يتقوه دون سواه، ولكن الناس تقطعوا دينهم وابتدعوا في دين الله ما ليس منه، وقد توعدهم الله بالعقاب على هذا التفرق في الدين الحق.
- ٨- مدح المؤمنين الذين يخشون ربهم ولا يشركون به، ويسبقون إلى الخيرات، وذكرت أنه تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها، وإن هؤلاء المترفين الكافرين سيؤخذون بالعذاب فيجأرون مستغيثين ولا مغيث لهم ولا ناصر، لأن آياته تعالى كانت تتلى عليهم فكانوا يستكبرون ولا يؤمنون.

(١) انظر: تفسير المراغي: ٣/١٨، والتفسير المنير للزحيلي: ٦/١٨.

٩- بينت السورة أنه لو اتبع الحق أهواءَ الناسَ لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، وأنه تعالى بعث محمداً بالقرآن إلى قريش، ومع أنه شرف لهم أعرضوا عنه، في حين أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجراً، أن يريد إلا الإصلاح، وبينت أنه تعالى عاقبهم عقاباً غير شديد في الدنيا على كفرهم، ولكنهم لم يستكينوا لربهم وما يتضرعون، وأنه إذا فتح عليهم باباً ذا عذاب شديد فسيبلسون ويتحIRON، وقد ذكرتهم بنعم السمع والبصر والفؤاد، وأنهم سوف يحشرون إليه بعد الموت، وبدلاً من الإيمان كفروا بالبعث وقالوا: {إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [المؤمنون : ٨٣].

ثم ذكرت أن الله أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يُجرى معهم حواراً: لمن الأرض ومن فيها؟ مَنْ رب السموات السبع ورب العرش العظيم؟ مَنْ بيده ملكوت السموات والأرض وهو يُحْيِي ولا يُجَار عليه؟ وبينت أنهم سيقولون في كل ذلك: الله، ولكنهم لا يتذكرون ولا يتعظون، بل يُصِرُّون على الإشراك، وذكرت أن الموت إذا جاءهم فسيندمون على تقصيرهم، فيطلبون الرجوع إلى الحياة الدنيا ليعملوا صالحاً، وأنه لا سبيل إلى إجابة ملتسمهم

١٠- بينت السورة أحوال الناس يوم القيامة، فمن ثقلت موازينه بالعمل الصالح فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه بسبب العمل السيء والكفر، فهم {فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ} [المؤمنون : ١-٣-١٠٤]، وبينت أنهم يعترفون ويقولون: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ} (١٠٧) [المؤمنون : ١١٠٧]، وأنه تعالى يجيبهم بقوله: {قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون} (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ قَرِيْقٍ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْوِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ} (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ} (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَازُونَ} [المؤمنون : ١٠٨-١١١].

١١- بيان أنه تعالى لم يخلق عباده عبثاً، وأنهم سيرجعون إليه للحساب والجزاء، وبينت أن مَنْ يدعو مع الله إليها آخر فحسابه عنيف عند ربه، قال تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} (١١٦) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} (١١٧) [المؤمنون : ١١٥ - ١١٧].

١٢- ختمت السورة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يغض عن سوء معاملتهم ويدفعها بالتي هي أحسن، ويسأل المغفرة للمؤمنين، وذلك هو الفلاح الذي ابتدئت به السورة^(١).

الناسخ والمنسوخ:

وفيها من المنسوخ آيتان:

- الآية الأولى: قوله تعالى: {قَدَرْتُمْ فِي غَمَرَاتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ} [المؤمنون : ٥٤]، نسختها آية السيف.
- الآية الثانية: قوله تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ} [المؤمنون : ٩٦]، نسختها آية السيف^(٢).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن عمر بن الخطاب قال: " كان إذا نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الوحي يسمع عند وجهه كدوى النحل، فمكثنا ساعة، فاستقبل القبلة، ورفع يديه فقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٦/١٨-٧، والتفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٦/١٢٦٣-١٢٦٥

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٢٩.

- ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وارضنا، ثم قال: لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ علينا: {قد أفلح المؤمنون} حتى ختم العشر" (١).
- عن أبي بن كعب، عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «من قرأ سورة المؤمنین بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت» (٢).
- عن أنس قال: " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده وقال لها: تكلمي، فقالت: {قد أفلح المؤمنون}" (٣).
- وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله تعالى حاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وغرس غرسها بيده فقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقال لها: طوبى لك منزل الملوك» (٤).

(١) أخرجه أحمد (٣٤/١، رقم ٢٢٣)، والترمذي (٣٢٦/٥، رقم ٣١٧٣)، والنسائي في الكبرى (٤٥٠/١، رقم ١٤٣٩)، والعقيلي (٤٦٠/٤، ترجمة ٢٠٩٢)، والحاكم (٤٢٥/٢، رقم ٣٤٧٩) وقال: صحيح الإسناد. والضياء (٣٤١/١، رقم ٢٣٤) وقال: إسناده ضعيف.

وأخرجه أيضا: عبد بن حميد (ص ٣٤، رقم ١٥)، والبخاري (٤٢٧/١، رقم ٣٠١). ومداره على يونس بن سليم، وهو مجهول، فالإسناد ضعيف، وصوب الترمذي كونه من مرسل الزهري، وأنه الصحيح. ومع ذلك صححه الحاكم! لكن تعقبه الذهبي بقوله: سئل عبد الرزاق عن شيخه يونس هذا فقال: لا أظنه شيء، وقال الذهبي في «الميزان» في ترجمة يونس: حدث عنه عبد الرزاق، ولم يعتمد في الرواية. وأعله العقيلي به، وقال: لا يتابع عليه، ولا يعرف إلا به. وقال النسائي: هذا حديث منكر. انظر «أحكام القرآن» ١٥٢٢.

(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٧/٧، والواحي في التفسير الوسيط (٦٤٢): ص ٢٨٣/٣، وذكره المستغفري في فضائل القرآن (١١٩٠): ص ٧٨٠/٢، والزمخشري في الكشاف: ٢٠٧/٣. والحديث موضوع.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٨٢/٦، وعزاه إلى ابن عدي والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات. وقال: " وأخرج الطبراني في السنة وابن مردويه من حديث ابن عباس مثله".

(٤) ضعيف. أخرجه البخاري ٣٥٠٨ وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ٦/ ٢٠٤ وفي «صفة الجنة» ١/ ١٣٧ / ١٤٠ والبيهقي في «البعث» ٢٣٦ من حديث أبي سعيد وضعفه البزار بقوله: لا نعلم رفعه إلا عدي بن الفضل، وليس هو بالحافظ، وكذا وضعفه البيهقي. وجاء في «الميزان»: «عدي بن الفضل، قال ابن معين وأبو حاتم:

متروك الحديث، وقال يحيى: لا يكتب حديثه، وقال غير واحد: ضعيف. فالرجل ضعيف جدا. وله شاهد: أخرجه الحاكم ٢/ ٣٩٢ والبيهقي في «الصفات» ٢/ ٤٧ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ١٧ من حديث أنس، وإسناده ضعيف لضعف علي بن عاصم الواسطي. وذكره الذهبي في «الميزان» بهذا الحديث وحديث آخر، وقال: هذان باطلان. والحديث صححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بقوله: بل ضعيف. وله شاهد من حديث ابن عباس، أخرجه الطبراني في ١١٤٣٩ وفي «الأوسط» ٤٧٦ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ١٦.

وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» ٥٤٦٨: رواه الطبراني في الكبير والأوسط بإسنادين أحدهما جيد. وتبعه على ذلك الهيثمي في «المجمع» ١٨٦٣٩، وأما ابن كثير- رحمه الله- فأعله بضعف رواية بقية عن الحجازيين والمعروف أن إسماعيل بن عياش هو الذي بهذه الصفة، وإنما علة الحديث هي أن بقية مدلس، وقد عنعن، قال أحمد: توهمت أن بقية، لا يحدث المناكير إلا عن المجاهيل، فإذا هو يحدث المناكير عن المشاهير. وللحديث علة أخرى ابن جريج أيضا مدلس، وقد عنعن، لكن الحمل فيه على بقية أولى. والله أعلم.

تنبيه: وقع في الأوسط تصريح بقية بالتحديث، وهو خطأ من شيخ الطبراني أو من هشام بن خالد فإنه كان يجعل ما رواه بقية ب «عن» «حدثنا» توهما، راجع ذلك في الميزان، وانظر «تفسير ابن كثير» ٣/ ٢٩٩ والشوكاني ١٦٨٩.

سورة «النور»

سورة «النور»: هي السورة «الرابعة والعشرون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة: «الحشر»^(١)، عدد آياتها أربع وستون في العراقي والشامي، واثنان في الحجازي. وكلماتها ألف وثلثمائة وستة عشر. وحروفها خمسة آلاف وستمائة وثمانون. المختلف فيها آيتان: {بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ} [النور : ٣٦] و {يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ} [النور : ٤٣]^(٢).

مجموع فواصل آياتها «لم نرب»، على اللام آية واحدة {بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ} [النور : ٣٦]، وعلى الباء آيتان {يُغَيِّرُ حِسَابًا} [النور : ٣٨] و {سَرِيعُ الْحِسَابِ} [النور : ٣٩]^(٣).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة النور»:

اشتهرت تسميتها باسم «سورة النور»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وكتب السنة.

وردت هذه التسمية في عهد الرسول-صلى الله عليه وسلم-، كما روي:

- عن مجاهد، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «علموا رجالكم سورة المائدة، وعلّموا نساءكم سورة النور»^(٤).

- عن أبي عطية^(٥)، قال: "كتب عمر: علموا نساءكم سورة النور"^(٦).

وهذه تسميتها في المصاحف وكتب التفسير والسنة، ولا يعرف لها اسم آخر.

■ وجه التسمية:

سميت «سورة النور»، لكثرة ذكر «النور» فيها؛ قال تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [النور : ٣٥]، {وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} [النور : ٤٠].

ونقل الشيخ القاسمي عن المهائمي قوله: "سميت به لاشتمالها على ما أمكن من بيان النور الإلهي، بالتمثيل المفيد كمال المعرفة الممكنة لنوع الإنسان، مع مقدماتها، وهي أعظم مقاصد القرآن-"^(٧).

وقال الشيخ الشعراوي: "وإذا استقرأنا موضوع المُسمَى أو المُعَنون له بسورة (النور) تجد النور شائعاً في كل أعطافها - لا أقول آياتها ولا أقول كلماتها - ولكن النور شائع في كل حروفها، لماذا؟ قالوا: لأن النور من الألفاظ التي يدل عليها نطقها ويعرفها أكثر من أيّ تعريف آخر، فالناس تعرف النور بمجرد نُطق هذه الكلمة، والنور لا يُعرَف إلا بحقيقة ما يؤدبه، وهو ما تتضح به المرئيات، وتتجلى به الكائنات، فلو لا هذا النور ما كنا نرى شيئاً"^(٨).

■ مكية السورة ومدنيتها:

(١) انظر: الكشاف: ٢٠٨/٣.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٣٣٤.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢٤، وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي.

(٥) أبو عطية: مالك بن عامر، وقيل: ابن أبي جندب، الوادعي الهمداني، توفي في ولاية عبد الملك. ينظر: تاريخ ابن معين ٢/ ٢٢٨، والثقات لابن حبان ٥/ ١٧، وتهذيب الكمال ٣٤/ ٩٠.

(٦) سوف يأتي تخرجه في فضائل السورة.

(٧) محاسن التأويل: ٣٠٧/٧.

(٨) تفسير الشعراوي: ١٠١٨٣/١٦.

قال ابن عباس: " أنزلت سورة النور بالمدينة"^(١). وروي عن ابن الزبير مثله^(٢).
قال الفيروزآبادي: " السورة مدنية بالاتفاق"^(٣).
قال القرطبي: " سورة النور مدنية بالإجماع"^(٤).
قال هبة الله بن سلامة: " نزلت جميعها بالمدينة"^(٥).

قال ابن عاشور: " وهي مدنية باتفاق أهل العلم ولا يعرف مخالف في ذلك. وقد وقع في نسخ «تفسير القرطبي» عند قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} [النور: ٥٨]، الآية في المسألة الرابعة كلمة «وهي مكية»، يعني: الآية. فنسب الخفاجي في «حاشيته» على «تفسير البيضاوي»^(٦)، وتبعه الألوسي^(٧)، إلى القرطبي أن تلك الآية مكية مع أن سبب نزولها الذي ذكره القرطبي صريح في أنها نزلت بالمدينة كيف وقد قال القرطبي في أول هذه السورة «مدنية بالإجماع»^(٨).

ولعل تحريفاً طراً على النسخ من تفسير القرطبي وأن صواب الكلمة «وهي محكمة»^(٩)، أي: غير منسوخ حكمها، فقد وقعت هذه العبارة في تفسير ابن عطية، قال « وهذه الآية محكمة. قال ابن عباس: تركها الناس»^(١٠) «^(١١)».

■ مناسبة السورة لما قبلها:

تظهر مناسبة «سورة النور» لما قبلها من النواحي الآتية:

- ١- إنه قال في السورة السالفة: {وَالَّذِينَ هُمْ يُفْرُوهُمْ حَافِظُونَ} [المؤمنون: ٥]، وذكر هنا أحكام من لم يحفظ فرجه من الزانية والزاني وما اتصل بذلك من شأن القذف وقصة الإفك والأمر بغض البصر الذي هو داعية الزنا، وأمر من لم يقدر على النكاح بالاستعفاف، والنهي عن إكراه الفتيات على الزنا.
- ٢- إنه تعالى لما قال فيما سلف إنه لم يخلق الخلق عبثاً بل للأمر والنهي- ذكر هنا جملة من الأوامر والنواهي^(١٢).

■ أغراض السورة ومقاصدها

إن المحور العام الذي تدور حوله السورة، هو محور التربية، قال القرطبي: " مقصود هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر"^(١٣).

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٢٤/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) انظر: الدر المنثور: ١٢٤/٦.

(٣) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٣٣٤.

(٤) تفسير القرطبي: ١٥٨/١٢.

(٥) الناسخ والمنسوخ: ١٣٠.

(٦) انظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المُسمَّاة: عناية القاضى وكفاية الرّاضى على تفسير البيضاوي: ٣٥٠/٦، ٣٩٨.

قال: " وهذه الآية مدنية كالسورة لأنّ الغلام أنصاري والآية مصدره ببيائها الذين آمنوا فلا وجه لقول القرطبي رحمه إنها مكية".

(٧) انظر: روح المعاني: ٢٧٣/٩.

(٨) تفسير القرطبي: ١٥٨/١٢.

(٩) انظر: تفسير القرطبي: ٣٠٤/١٢.

(١٠) المحرر الوجيز: ١٩٣/٤.

(١١) التحرير والتنوير: ١٣٩/١٨.

(١٢) انظر: تفسير المراغي: ٦٦/١٨.

(١٣) تفسير القرطبي: ١٥٨/١٢.

- وقال الشيخ أبو زهرة رحمه الله: "وإنها لو سميت سورة «الأسرة»، لكانت جديرة بهذا الاسم"^(١).
يمكن تلخيص مقاصد السورة وفق التالي:
- ١- بيان أن هذه السورة -وهذا شأن القرآن كله- وما تضمنته من أحكام ومبادئ إنما هي من عند الله سبحانه، فهو سبحانه أعلم بما يصلح عباده وما يفسدهم، وأن ما يختاره سبحانه لعباده فرض عليهم التزامه والعمل به؛ لأن فيه تحقيق مصلحتهم الدنيوية، ونيل سعادتهم الأخروية، ولا يمكن تحقيق هذه وتلك إلا بما شرعه الله سبحانه.
 - ٢- تجريم عقوبتي الزنى والفضف، وبيان حدّ كل منهما؛ لما لهاتين الجريمتين من خطر -أي خطر- على أمن المجتمع وسلامة الأسرة .
 - ٣- تيرئة السيدة عائشة رضي الله عنها مما رميت به من إفك وزور، وأنها رضي الله عنها كانت طاهرة عفيفة، لا يشك في هذا إلا كل أفاك أئيم. وقد قررت السورة في هذا السياق قاعدة مهمة، وهي أن الأصل حسن الظن بالمسلم، ولا يُعدّل عن هذا الأصل إلا بيقين.
 - ٤- التحذير من إشاعة الفاحشة في المجتمع؛ إذ إن انتشار الفاحشة في المجتمع من أهم عوامل هدمه وانهاره، وانتشار الفاحشة في المجتمع يعني خرابه ودماره، وشيوع الفضيلة فيه يعني بناءه واستقراره .
 - ٥- تحدثت السورة عن وسائل الوقاية من الجريمة، وتجنيب النفوس أسباب الإغراء والغواية؛ وذلك ببيان آداب البيوت والاستئذان على أهلها، والأمر بغض البصر والنهي عن إبداء الزينة للمحارم، والحث على إنكاح الفتيان والفتيات غير المتزوجات، ولو كانوا فقراء، فإن الله سبحانه يغنيهم من فضله، فهو الغني الحميد، والنهي عن البغاء ووسائله .
 - ٦- التحذير من اتباع خطوات الشيطان، وبيان أن اتباع خطواته تفضي إلى سوء وعاقبة وخيمة، حيث إن الشيطان لا يترك الإنسان وشأنه، بل يستجره من سوء إلى سوء، ومن ذنب إلى آخر إلى أن يودي به في نار جهنم، ثم يقول له: {إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} [الحشر : ١٦].
 - ٧- تأديب أهل البيت الواحد بأدب الاستئذان على الأسرة نفسها في الدخول إلى الحجرات المخصصة للرجل وزوجه، فدخول الأولاد على أبويهما في أوقات الفجر والظهيرة وبعد العشاء يستوجب إذن الوالدين. وأيضاً، فإن الأطفال البالغين يجب عليهم الاستئذان ككل أحاد الأسرة، لا في أوقات العورات فحسب. وتبين السورة كذلك أحكام كبار السن من النساء، اللاتي لم يعد للرجال طمع في الزواج منهن، أنه ليس: {عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ} [النور : ٦٠].
 - ٨- ألمحت السورة الكريمة إلى أن صلاح المجتمع بيندئ من بيوت العبادة؛ ورأس العبادة الصلاة، فهي طهارة القلوب، والمجتمع الصالح ما قام إلا على طهارة النفوس، فذكر سبحانه وتعالى المساجد ومكائنها، ومنزلة عمّارها وروادها والمعلقة قلوبهم بها.
 - ٩- وجّهت السورة الأنظار إلى خلقه سبحانه وتعالى، وخضوع الوجود له عز وجل، فكل ما الوجود خاضع لأمره، وسائر وفق مشيئته، كل ذلك بانتظام ويقدر وبحكمة.
 - ١٠- بينت السورة مجافاة المنافقين -وهم موجودون في كل عصر ومصر- للأدب الواجب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطاعة والتحاكم. وصورت أدب المؤمنين الخالص وطاعتهم .
 - ١١- وعده سبحانه عباده المؤمنين حق الإيمان المطبقين لشرعه، الاستخلاف في الأرض، والتمكين في الدين، والنصر على الكافرين .
 - ١٢- تحدثت السورة عن آداب الضيافة في محيط البيوت بين الأقارب والأصدقاء. وآداب الجماعة المسلمة كلها كأسرة واحدة، مع رسولها ومربيها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) زهرة التفاسير: ١٠/٥١٣٠.

١٣- ختم السورة بإعلان ملكية الله لما في السماوات والأرض، وعلمه بواقف الناس، وما تنتطوي عليه حناياهم، ورجعتهم إليه، وحسابهم على ما يعلمه من أمرهم. وهو بكل شيء عليم^(١).

الناسخ والمنسوخ:

وفيها من المنسوخ سبع آيات:

- الآية الأولى: قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةٍ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا} [النور : ٤]، الآية نسخها الله بالاستثناء الذي يليها، وهو قوله تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور : ٥].

- الآية الثانية: قوله تعالى: {الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ} [النور : ٣]، نسخت بقوله تعالى: {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ} [النور : ٣٢].

فان قيل لم قدم الله تعالى ذكر الزانية قبل الزاني وقدم الله تعالى ذكر السارق على السارقه فالجواب في ذلك أن فعل الرجل في السرقة أقوى وحيلته فيها أغلب والزنا من المرأة أكثر وحيلتها فيها أغلب لأنها تحتوي إثم الفعل وإثم المواطأة وقد اختلف أهل العلم في الزانية إذا زنت هل تحرم على زوجها أم لا فقال الأكثرون لا تحرم وقال مجاهد لو أصاب معها عشرة لم تحرم عليه وقال آخرون إذا وقع الزنا قبل العقد لم تر إلا زانيا أبداً وقال الأكثرون من الصحابة والتابعين يجب عليهما جميعاً إذا فجرا قبل العقد ان يتوبا يتأولون قوله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور : ٣١].

وقال الضحاك بن مزاحم: "مثلها كمثل رجل دخل بستانا فاخذ منه غصبا ثم عاد فابتاع منه شيئاً بثمنه فكان ما أخذه غصبا حراماً وما ابتاعه حلالاً"^(٢).

قال هبة الله: "ومذهب عائشة -رضي الله عنها-: إنه إذا فسد الأصل فسد الفرع"^(٣).

- الآية الثالثة قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ} [النور : ٦]، نزلت في عاصم بن عدي الأنصاري وكان مقدماً في الأنصار وذلك أنه قال للنبي -صلى الله عليه وسلم- يا رسول الله الرجل يدخل بيته فيجد مع امرأته رجلاً فإن عجل عليه فقتله قتل به وإن شهد عليه أقيم عليه الحد فما يصنع يا رسول الله، فما كان إلا أياماً يسيرة حتى ابتلى رجل من آل عاصم بهذه البلية وجد مع امرأته رجلاً فجاء عاصم إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: يا رسول الله لقد ابتليت بهذه البلية في رجل من أهل بيتي وجد مع امرأته رجلاً، فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد اقرأ: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [النور : ٦-٧]، ثم قال سبحانه: {وَيَذَرُهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [النور : ٨-٩]، وذلك أمر باللعان وصورته أن يجيء الرجل فيشهد على امرأته بالزنا فيقع بعد العصر في محفل من الناس أو بعد الصلاة من الصلوات فيصعد به إلى موضع علو فيحلف بالله أربع أيمان أنه صادق فيما رماها به من الزنا ويقول في الخامسة لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ثم ينزل من موضع ما ارتفع عليه وتصعد امرأته فتحلف بالله أربع أيمان أن زوجها كذب عليها فيما ادعى عليها ورماها به من الزنا وتقول في الخامسة إن غضب الله عليها إن كان زوجها صادقاً فيما رماها به فإذا فعلاً ذلك فرق بينهما من غير طلاق ولميجتمعا بعد ذلك أبداً وإن جاءت بحمل لم يلحق بالزوج منه شيء وتكون هي أولى بولدها فإن

(١) انظر: اسلام ويب [موقع الكتروني].

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٣٤.

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ: ١٣٤.

- حلف أحدهما ونكل الآخر أقيم الحد عليه وإن نكلا جميعا أقيم الحد عليهما والحد في مذهب أهل الحجاز الرجم وفي مذهب أهل العراق الجلد.
- الآية الخامسة: قوله تعالى: {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ} [النور : ٣١]، الآية نسخها الله تعالى بقوله: {وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ} [النور : ٦٠]، والذي يضعنه الجلباب والخمار ثم قال عز وجل: {وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ} [النور : ٦٠].
- الآية السادسة: قوله تعالى: {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِنَّ مَا حُمِّلْتُمْ} [النور : ٥٤]- نسختها آية السيف وباقي الآية محكم.
- الآية السابعة: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا زِينَةً لَكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ لَا يَبْتَغُوا زِينَةً} [النور : ٥٨]، نسختها الآية التي تليها وهي قوله تعالى: {وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [النور : ٥٩]^(١).

■ فضائل السورة:

- ومما وردت في فضائل هذه السورة:
- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن فيما مضى وفيما بقي»^(٢).
- عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تنزلوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن المغزل، وسورة النور»^(٣).
- عن أبي عطية، قال: "كتب عمر: علموا نساءكم سورة النور"^(٤).
- عن المسور بن مخرمة أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: "تعلموا سورة البقرة وسورة النساء وسورة المائدة وسورة الحج وسورة النور فإن فيهن الفرائض"^(٥).

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٣٠-١٣٥.

(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والتبيان: ٦٢/٧، والمستغفري في الفضائل (١١٩١): ص ٧٨٠/٢. [ضعيف]

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤٣٠/٢)، رقم (٣٤٩٤)، والبيهقي في الشعب (٢٢٢٧): ص ٩٠/٤.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه "

قلت: في سنده عبد الوهاب بن الضحاک، إذ كذبه عدة من العلماء وتركه آخرون.

وأخرجه الطبرانی في الأوسط (٣٤/٦)، رقم (٥٧١٣)، والثعلبي في الكشف والتبيان: ٦٢/٧، والمستغفري في

الفضائل (٨٣٩): ص ٥٧٦/٢، وفيه محمد بن إبراهيم الشامي. قال الدارقطني: "كذاب".

جاء في نوادر الأصول ما نصه:

حذرهم ذلك لأن في إسكانهن الغرف تطلعا إلى الرجال وليس في ذلك تحصين لهن ولا ستر فإنهن لا يملكن أنفسهن حتى

يشرفن على الرجال فيحدث البلاء والفتنة فحذرهم أن يجعلوا لها ذريعة إلى الفتنة

وهو كما قال عليه السلام (ليس للنساء شيء خير لهن من أن لا يراهن الرجال ولا يرين الرجال) لأنها خلقت من الرجال

فهمتها فيه وخلق في الرجل الشهوة فجعلت سكنا له فغير مأمون كل واحد منهما في صاحبه وكذلك تعليم الكتابة ربما كانت

سببا

للفتنة وكتبت إلى من تهوى وفي الكتابة عين من العيون به يبصر الشاهد الغائب وفي ذلك تعبير عن الضمير بما لا ينطق به

اللسان فهو أبلغ من اللسان فأحب عليه السلام أن يقطع عنهن أسباب الفتنة تحصينا لهن وطهارة لقلوبهن. اهـ (نوادر الأصول

٥٠ / ٣).

(٤) "فضائل القرآن لأبي عبيد (١٢٨)، وفضائل القرآن للمستغفري (٨٤٠): ص ٥٧٦/٢، ومصنف عبد الرزاق (١١٣٣)،

وشعب الإيمان (٢٤٣٧)، وكنز العمال ٩ / ٥٦٠. ويروى مرفوعاً ولا يصح.

(٥) أخرجه المستغفري في الفضائل (٨٤١): ص ٥٧٧/٢.

سورة «الفرقان»

سورة «الفرقان»: هي السورة «الخامسة والعشرون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة: «يس»^(١)، عدد آياتها سبع وسبعون. وكلماتها ثمانمائة واثنان وسبعون. وحروفها ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاث وثلاثون. مجموع فواصل آياتها «لا»، على اللام منها آية واحدة: {ضَلُّوا السَّبِيلَ} [الفرقان : ١٧]^(٢).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة الفرقان»:

اشتهرت تسميتها باسم «سورة الفرقان»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وكتب السنة. وقد وردت هذه التسمية في عهد الرسول-صلى الله عليه وسلم-، كما روي:

- عمر بن الخطاب، قال: "سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة، لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكذت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسله، اقرأ يا هشام» فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذلك أنزلت»، ثم قال: «اقرأ يا عمر» فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه»^(٣).

- عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فقرأ سورة الفرقان، فاسقط آية فلما سلم قال: «هل في القوم أبي»، فقال أبي: ها أنا يا رسول الله. فقال: «ألم أسقط آية» قال: بلى، قال: «فلم لم تفتحها علي»، قال: حسبها آية نسخت. قال: «لا، ولكني أسقطتها»^(٤).

- عن ابن عباس: "نزلت سورة الفرقان بمكة"^(٥).

- عن ابن الزبير قال: "نزلت بمكة سورة الفرقان"^(٦).
ولا يعرف لهذه السورة اسم آخر غير هذا الاسم. والله أعلم.

■ وجه التسمية:

سميت «سورة الفرقان»، لأن في فاتحتها ذكر الفرقان في قوله: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١)} [الفرقان : ١]، هذا الكتاب المجيد على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فهو النعمة العظمى، الذي فرق الله به بين الحق والباطل، وجعله نذيرا للعالمين: الجن والإنس، من بأس الله تعالى^(٧).

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، قولان:

(١) انظر: الكشاف: ٢٦٢/٣.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٣٤٠.

(٣) أخرجه البخاري(٤٩٩٢):ص١٨٤/٦.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٣٤/٦، وعزاه إلى ابن الأنباري في المصاحف.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٣٤/٦، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٣٤/٦، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٧) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٣٤٠، والتفسير المنير للزحيلي: ٥/١٩.

أحدهما: أنها نزلت بمكة. وهذا قول ابن عباس^(١)، وابن الزبير^(٢)، والحسن^(٣)، ومجاهد^(٤)، وعكرمة^(٥)، وقتادة^(٦).

قال الفيروزآبادي: " السورة مكية بالاتفاق"^(٧).

الثاني: أنها مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة؛ وهي قوله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} إلى قوله {غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان: ٦٨، ٧٠]، وهذا قول ابن عباس أيضا^(٨)، وقتادة^(٩)، وذكره الزمخشري^(١٠).

والمشهور عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن السورة كلها مكية^(١١).

■ مناسبة سورة «الفرقان» مع سورة «النور»:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

٥- إنه سبحانه اختتم السورة السابقة بكونه مالكا لما في السموات والأرض مصرفا له على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة مع النظام البديع والوضع الأنيق، وأنه سيحاسب عباده يوم القيامة على ما قدموا من العمل خيرا كان أو شرا، وافتتح هذه بما يدل على تعاليه في ذاته وصفاته وأفعاله وعلى حبه لخير عباده بإنزال القرآن لهم هاديا وسراجا منيرا.

٦- اختتم السورة السالفة بوجوب متابعة المؤمنين للرسول صلى الله عليه وسلم مع مدحهم على ذلك وتحذيرهم من مخالفة أمره خوف الفتنة والعذاب الأليم، وافتتح هذه بمدح الرسول وإنزال الكتاب عليه لإرشادهم إلى سبيل الرشاد، ودم الجاحدين لنبوته بقولهم: إنه رجل مسحور، وإنه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق إلى آخر ما قالوا.

٧- في كل من السورتين وصف السحاب وإنزال الأمطار وإحياء الأرض الجرز فقال في السالفة: «ألم تر أن الله يزجي سحابا» إلخ وقال في هذه: {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا} [الفرقان : ٤٨].

٨- ذكر في كل منهما وصف أعمال الكافرين يوم القيامة وأنها لا تجزيهم فتيلا ولا قطميرا فقال في الأولى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [النور : ٣٩]، وقال في هذه: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان : ٢٣].

٩- وصف النشأة الأولى للإنسان في أثنائهما فقال في الأولى: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٣٤/٦، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٣٤/٦، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٣) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣١١/٣

(٤) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣١١/٣

(٥) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣١١/٣

(٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣١١/٣

(٧) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٣٤٠.

(٨) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣١١/٣

(٩) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣١١/٣

(١٠) انظر: الكشاف: ٢٦٢/٣.

(١١) فقد أخرج البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} رقم [٤٧٦٢] عن القاسم بن أبي بزة أنه سأل سعيد بن جبير: هل لمن قتل عمداً من توبة؟ فقرأت عليه: {وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} فقال سعيد: قرأتها على ابن عباس كما قرأتها علي، فقال: هذه مكية نسختها آية مدنية التي في سورة: النساء. "فتح الباري" ٨/ ٤٩٣. وأخرجه أيضاً مسلم ٤/ ٢٣١٨، كتاب التفسير، رقم: [٣٠٢٣].

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [النور : ٤٥]، وفي الثانية: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا
وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا} [الفرقان : ٥٤]^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها

من مقاصد السورة:

- ١- بيان أنه سبحانه نزل القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم منجماً -على مراحل وفترات- تثبيناً للقلوب، وتلاوته حق تلاوته، وحفظه في الصدور.
- ٢- عالمية الرسالة المحمدية، وأنها للناس كافة، وليست للعرب خاصة، قال الطيبي: مدار هذه السورة على كونه صلى الله عليه وسلم مبعوثاً إلى الناس كافة، يندرهم ما بين أيديهم وما خلفهم؛ ولهذا جعل براعة استهلالها قوله: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان : ١].
- ٣- الإهتمام بأصول العقيدة من التوحيد والنبوة وأحوال القيامة، فبدأت السورة بإثبات الوجدانية لله عز وجل، وصدق القرآن، وصحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، ووقوع البعث والجزاء يوم القيامة لا محالة، وفندت أضداد هذه العقائد، ونعت على المشركين عبادة الأصنام والأوثان ونسبة الولد لله عز وجل، وتكذيبهم بالبعث والقيامة، وهددتهم بما سيلقون من ألوان العذاب والنكال في نار جهنم، ومفاجأتهم بما في جنات الخلد من أصناف النعيم المقيم.
- ٤- بيان أن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم التبشير بما عند الله من الفوز والنجاح والفلاح لمن اتبع سبل الرشاد، والإنذار بما عنده من العقاب لمن أعرض عن شرعه.
- ٥- الموازنة الأخروية بين نعيم المتقين في جنات النعيم، وعذاب الكافرين في نار الجحيم.
- ٦- خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الدعاة بالتحلي بالصبر والمصابرة، ومجاهدة الكافرين بحجج القرآن البالغة، والأمر بالتوكل على الله، فهو سبحانه: {نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ} [الأنفال : ٤٠].
- ٧- ذِكر مصارع المكذبين من الأمم السابقة، كقوم موسى، ونوح، وعاد، وثمود، وأصحاب الرس، وما بين ذلك من قرون، وعرض نهايتهم التعيسة في سلسلة من مشاهد القيامة.
- ٨- بيان الأدلة على قدرة الله ووحدانيته، مما في الكون البديع من عجائب صنعته، وما في الأرض من آثار خلقه في الإنسان، والبحر، وخلق السموات والأرض في ستة أيام، وإنزال الأمطار وإرسال الرياح مبشرات بالمطر، وجعل البروج في السماء، وتعاقب الليل والنهار.
- ٩- بيان صفات عباد الرحمن المتقين، وأن من صفاتهم التي استحقوا بها هذا الوصف أنهم يمشون في الأرض هوناً من غير تكبر ولا خيلاء ولا استعلاء على الناس، وأنهم يقومون من الليل طاعة له سبحانه، وأنه مقتصدون في أمرهم كله، وأنهم لا يقربون الفواحش ما ظهر منها وما بطن.
- ١٠- خُتمت آيات هذه السورة بالحديث عن هوان البشرية على الله سبحانه، لولا القلوب الضارعة الطائعة المستجيبة، العارفة بالله في هذا القطيع الشارد الضال من المكذبين والجاحدين^(٢).

الناسخ والمنسوخ:

فيها من المنسوخ آيتان متلاصقتان، وهما:

- قوله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} [الفرقان : ٦٨]، الى قوله تعالى: {مُهَاتًا} [الفرقان : ٦٩]، ثم نسخها الله تعالى بالاستثناء. وقال: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} [الفرقان : ٧٠]، وأكد الآية الثانية من جميع الآيتين، واختلف المفسرون في التبديل أين يقع في الدنيا أم في الآخرة فقالت طائفة التبديل في

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٤٥/١٨، والتفسير المنير للزحيلي: ٥/١٩.

(٢) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ٧-٦/١٩، وموقع [إسلام ويب].

الدنيا يصير مكان الإصرار على الذنب الإقلاع ومكان المعصية التوبة ومكان الإقامة على الذنب الاعتذار منه، وقال آخرون التبديل يقع في الآخرة وهو قول علي بن الحسين وجماعة معه^(١).
وقد روي عن محمد بن واسع أنه قال: "ما يسؤني أن ألقى الله عز وجل بقراب الأرض خطايا قراب الأرض ما يقارب مثلها ألا أكون مثابا على مثلها مغفرة لي ثم تلا هذه الآية {إلا من تاب}"^(٢).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الفرقان بعث يوم القيامة وهو يؤمن أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، ودخل الجنة بغير حساب»^(٣).

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٣٦-١٣٧.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٣٧.

(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢٢/٧، والواحي في التفسير الوسيط (٦٦٦): ص ٣٣٣/٣، وانظر: فضائل القرآن للمستغفري (١١٩٢): ص ٧٨٠/٢.

وهو حديث موضوع، قال ابن الجوزي: "وقد فرق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره فذكر عند كل سورة منه ما يخصها، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب منهما؛ لأنهما ليسا من أهل الحديث. "الموضوعات" ١ / ١٧٤.
وحكم عليه بالوضع الزيلعي، في تخريجه لأحاديث الكشاف ٢ / ٤٦٩، والمنأوي في: "الفتح السماوي في تخريج أحاديث البيضاوي" ٢ / ٨٨٥.

سورة «الشعراء»

سورة «الشعراء»: هي السورة «السادسة والعشرون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة: «الواقعة»^(١)، عدد آياتها مائتان وسبع وعشرون في عد الكوفي والشامي، ومائتان وست وعشرون في عدّ الباقين، كلماتها ألف ومائتان وسبع وسبعون، وحروفها خمسة آلاف وخمسمائة وثلثان وأربعون، الآيات المختلفة فيها أربع: {طسم} {الشعراء : ١}، {فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} {الشعراء : ٤٩}، {أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ} {الشعراء : ٩٢}، {وَمَا نَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ} {الشعراء : ٢١٠}^(٢).
مجموع فواصل آياتها «ملن»، على اللام: أربع، آخرهن {إِسْرَائِيلُ} {الشعراء : ١٧، ٢٢، ٥٩، ١٧٧}^(٣).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة الشعراء»:

اشتهرت تسميتها باسم «سورة الشعراء»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وكتب السنة.

وقد وردت هذه التسمية في عهد الرسول-صلى الله عليه وسلم-، كما روي:

- عن ابن عباس: "نزلت سورة {طسم} الشعراء بمكة"^(٤).

- عن ابن الزبير قال: "انزلت سورة الشعراء بمكة"^(٥).

■ وجه التسمية:

سميت «سورة الشعراء» لما ختمت به من المقارنة بين الشعراء الضالين والشعراء المؤمنين في قوله سبحانه: {وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} {الشعراء : ٢٢٤}، إلى قوله: {إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} {الشعراء : ٢٢٧}، بقصد الرد على المشركين الذين زعموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان شاعرا، وأن ما جاء به من قبيل الشعر^(٦).

■ ثانيا:- اسمهاؤها الإجتهدية:

■ الاسم الاول والثاني: «طسم»، و«طسم الشعراء»:

وتسمى هذه السورة «طسم»، وسميت ايضا «طسم الشعراء»، وذلك من باب تسمية السورة بمفتتحها، إذ روي عبدالله بن مسعود-رضي الله عنه-أنه سئل عن «طسم» الشعراء، فقال: "ليست معي ولكن عليكم ممن اخذها من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، عليكم بأبي عبدالله خباب بن الأثر"^(٧).

- عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أعطيت السورة التي يذكر فيها البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى -عليه السلام-، وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي يذكر فيها البقرة من تحت العرش، وأعطيت المفصل نافلة"^(٨).

■ الاسم الثالث: «سورة الجامعة»:

(١) انظر: الكشاف: ٢٩٨/٣.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٣٤٤.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٨٨/٦، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٨٨/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٦) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٣٤٠، والتفسير المنير للزحيلي: ٥/١٩.

(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية: ١/ ١٤٣، وانظر: الدر المنثور: ٢٨٨/٦.

(٨) سيأتي تخريجه في فضائل السورة.

وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٥/ ٥٤٨، وعزاه على ابن مردويه، وروايته فيه: "أعطيت السورة التي ذكرت فيها الأنعام من الذكر الأول..".

وقعت هذه التسمية في تفسير الإمام مالك كما نسبها إليه ابن كثير^(١)، والسيوطي^(٢)، وذكرها الألويسي^(٣)، والقاسمي^(٤).

قال ابن عاشور: " ولم يظهر وصفها بهذا الوصف، ولعلها أول سورة جمعت ذكر أصحاب الشرائع المعلومة إلى الرسالة المحمدية"^(٥).

وقد وردت في احكام القرين لابن العربي بلفظ «الخاصة»، ولعلها تصحيف لفظ «الجامعة». وقد ذكرها لها البقاعي اسما آخر، وهي «الظلة»، وقال: " وكذا تسميتها بالظلة إشارة إلى أنه أعدل في بيانه، أو أدل في جميع شأنه، من المقادير التي دلت عليها قصة شعيب عليه السلام بالمكيال والميزان، وأحرق من الظلة لمن يبارزه بالعصيان"^(٦).

وبالأخير فإن هذه الأسماء «طسم»، «الجامعة»، «الظلة»، تبقى إجتهدية مستنبطة من مضمون السورة، ولم تثبت عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، والله أعلم.

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنها نزلت بمكة. وهذا قول ابن عباس^(٧)، وابن الزبير^(٨)، ويحيى بن سلام^(٩).
الثاني : انها مكية غير آيتين فإنهما مدنيتان أحدهما قوله- تعالى-: {أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ} [الشعراء : ١٩٧]، والأخرى قوله- تعالى-: {وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [الشعراء : ٢٢٤]. قاله مقاتل^(١٠).

الثالث : أنها مكية سوى أربع آيات من آخرها نزلت بالمدينة : {وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [الشعراء : ٢٢٤] إلى آخرها، وهذا قول ابن عباس أيضا^(١١)، وقتادة^(١٢)، وبه قال الثعلبي^(١٣)، والسمعاني^(١٤)، والبغوي^(١٥)، والزمخشري^(١٦)، والفخر الرازي^(١٧).

قال القرطبي: " هي مكية في قول الجمهور"^(١٨).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

(١) قال ابن كثير في تفسيره ٦ / ١٢٢ : " ووقع في تفسير مالك المروي عنه، تسميتها: سورة الجامعة".

(٢) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: ١٩٨/٣.

(٣) انظر: روح المعاني: ٥٨/١٠.

(٤) انظر: محاسن التأويل: ٤٤٧/٧.

(٥) التحرير والتنوير: ٨٩/١٩.

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢-١/١٤.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٨٨/٦، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه.

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٨٨/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٤٩٥/٢.

(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٧/٣.

(١١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٨٨/٦، وعزاه إلى النحاس، وانظر: تفسير القرطبي: ٨٧/١٣.

(١٢) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣٣٤/٣، والقرطبي في التفسير: ٨٧/١٣.

(١٣) انظر: الكشف والبيان: ١٥٥/٧.

(١٤) انظر: تفسير السمعاني: ٣٨/٣.

(١٥) انظر: تفسير البغوي: ٢٩٨/٣.

(١٦) انظر: الكشاف: ٢٩٨/٣.

(١٧) انظر: مفاتيح الغيب: ٤٩٠/٢٤.

(١٨) تفسير القرطبي: ٨٧/١٣.

١- إن فيها بسطاً وتفصيلاً لبعض ما ذكر في موضوعات سالفها.

٢- إن كليهما قد بدئت بمدح الكتاب الكريم.

٣- إن كليهما ختمت بإبعاد المكذبين^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها

إن مقصود سورة الشعراء على الجملة: إثبات توحيد الله سبحانه. والخوف من الآخرة. والتصديق بالوحي المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم. والتخويف من عاقبة التكذيب، إما بعذاب الدنيا الذي يدمر المكذبين، وإما بعذاب الآخرة الذي ينتظر الكافرين.

أما مقصود السورة على التفصيل فجاء وفق التالي:

١- التنويه بالقرآن الكريم، والتعريض بعجز المشركين عن معارضته. والرد على مطاعنهم في القرآن، وأنه منزه عن أن يكون شعراً، ومن أقوال الشياطين .

٢- تواجه السورة تكذيب مشركي قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم، واستهزاءهم بالأنذار، وإعراضهم عن آيات الله، واستعجالهم بالعذاب الذي توعدهم به، مع النقل على الوحي والقرآن والادعاء بأنه سحر أو شعر، تنتزل به الشياطين!

٣- تسليية النبي صلى الله عليه وسلم عما يلاقيه من إعراض قومه عن التوحيد الذي دعاهم إليه القرآن.

٤- تهديد المشركين بسبب موقفهم من دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعرضهم لغضب الله تعالى، وضرب المثل لهم بما حل بالأمم المكذبة رسلها، والمعرضة عن آيات الله.

٥- طمأنة قلوب المؤمنين وتصبيرهم على ما يلقون من عنت المشركين، وتثبيتهم على العقيدة مهما أوذوا في سبيلها من الظالمين، كما ثبت من قبلهم من المؤمنين .

٦- تضمنت السورة مناظرة نبي الله موسى عليه السلام مع فرعون الملعون، زعيم الطغاة وسيدهم، وذكر السحرة، ومكرهم وخداعهم في الابتداء، وإيمانهم وانقيادهم في الانتهاء.

٧- هدفت السورة إلى تأكيد أن آيات الوجدانية، وصدق الرسل عديدة كافية لمن يطلب الحق، وأن أكثر المشركين لا يؤمنون، وأن الله عزيز قادر على أن ينزل بهم العذاب، وأنه رحيم برسله، ناصرهم على أعدائهم لا محال.

٨- تضمنت السورة جملة من قصص الأقسام السابقة، وغلب على قصصها -كما غلب على السورة

كلها- جو الإنذار والتكذيب، والعذاب الذي يتبع التكذيب، وجاء ختام كل قصة بقوله سبحانه: {إِنَّ فِي

ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩)} [الشعراء : ٨ - ٩].

قال الزمخشري: "كل قصة من القصص المذكورة في هذه السورة كنتنزيل برأسه. وفيها من الاعتبار

ما في غيرها، فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تختم بما اختتمت به صاحبها؛ ولأن في

التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وتثبيتاً لها في الصدور. وكلما زاد ترديده كان أمكن له في

القلب، وأرسخ في الفهم، وأبعد من النسيان؛ ولأن هذه القصص طرقت بها آذان وقرت عن الإنصات

للحق، وقلوب غُلف عن تدبره، فكوثرت بالوعظ والتذكير، وروجعت بالترديد والتكرير، لعل ذلك

يفتح أذنًا، أو يفتق ذهنًا"^(٢).

٩- أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإنذار عشيرته، وأنه عليه الصلاة والسلام ما عليه إلا البلاغ.

١٠- خُتمت السورة بوعيد الظالمين، وبيان أن عاقبتهم عاقبة وخيمة، وأن ظلمهم شامل، يشمل ظلم

أنفسهم بكفرهم بالله وآياته، وشامل أيضاً ظلم الآخرين، وذلك بالاعتداء على حقوق الناس^(٣).

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٤٥/١٨، والتفسير المنير للزحيلي: ٥/١٩.

(٢) الكشاف: ٣٣٤/٣.

(٣) انظر: موقع: [إسلام ويب].

الناسخ والمنسوخ:

روي عن عكرمة عن ابن عباس: " {وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ}، فنسخ من ذلك، واستثنى، فقال: {إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا} [الشعراء: ٢٢٧]"^(١).
قال هبة الله: " قوله: {وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [الشعراء: ٢٢٤]، نزلت الى آخرها بالمدينة في شعراء الجاهلية، ثم استثنى منهم شعراء الاسلام وهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة -رضي الله عنهم-، فقال تعالى: {إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا} [الشعراء: ٢٢٧]، و"الذكر" -ههنا-: الشعر في الطاعة، فصار الاستثناء ناسخا لما قبله من قوله: {وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [الشعراء: ٢٢٤]"^(٢).

قال ابن الجوزي: " الاستثناء ليس بنسخ، ولا يعول على هذا، وإنما هذه الألفاظ من تغيير الرواة وإلا فقد أخبرنا المبارك بن علي... عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: " {وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ}، ثم استثنى المؤمنين، فقال: {إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ}، فهذا هو اللفظ الصحيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما وإن هذا هو استثناء لا نسخ، وإنما الرواة تنقل، بما تظنه المعنى فيخطئون"^(٣).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أعطيت السورة التي يذكر فيها البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى -عليه السلام-، وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي يذكر فيها البقرة من تحت العرش، وأعطيت المفصل نافلة"^(٤).
- عن أنس أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله أعطاني السبع مكان التوراة، وأعطاني الطواسين مكان الزبور، وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي"^(٥).
- عن أبي بن كعب، قال: قال لي رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم، وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم"^(٦).

(١) أخرجه ابن الجوزي في "نواسخ القرآن": ٥٣٠/٢.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٣٨.

(٣) نواسخ القرآن: ٥٣١/٢، والأثر أخرجه الطبري والنحاس عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق علي بن أبي طلحة، ثم قال النحاس: (وهذا أحسن ما قيل في الآية) وهو اختيار الطبري ومكي بن أبي طالب أيضا، يقول بعد عزو دعوى النسخ إلى ابن عباس: "إنما هو استثناء وقد ورد ذلك كثير في القرآن عن ابن عباس فيها حرف الاستثناء، وهو يقول: إنه نسخ وهو لفظ مجاز لا حقيقة".

[انظر: جامع البيان ١٩ / ٧٩؛ والناسخ والمنسوخ ص: ٢٠٤؛ والإيضاح ص: ٣٢٦ - ٣٢٧]

(٤) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٥٥/٧، والبيهقي في التفسير: ٢٥٩/٥، وفيه أبو بكر الهذلي، قال عنه ابن حجر: إخباري متروك الحديث. وأخرجه مطولا عن معقل بن يسار: البيهقي في السنن: ٩ / ١٠، والحاكم في المستدرک: ١ / ٥٦١، ٥٦٨، ٢ / ٢٥٩، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص: (٣٢٢). وفيه عبيد الله بن أبي حميد وهو متروك. وانظر: فيض القدير للمناوي: ١ / ٥٦٤.

وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٤٨/٥، وعزاه غلى ابن مردويه، وروايته فيه: " أعطيت السورة التي ذكرت فيها الأنعام من الذكر الأول...".

(٥) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٥٥/٧. وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه لابن مردويه، وانظر: تفسير القرطبي: ٨٧ / ١٣. من حديث البراء بن عازب، مع زيادة: «وأعطاني المبين مكان الإنجيل»

(٦) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢٢/٧، والواحد في التفسير الوسيط (٦٧٣): ص ٣٥٠/٣. وهو حديث موضوع، قال ابن الجوزي: "وقد فرق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره فذكر عند كل سورة منه ما يخصها، وتبعه أبو الحسن الواحد في ذلك، ولا أعجب منهما؛ لأنهما ليسا من أهل الحديث. "الموضوعات" ١ / ١٧٤.

سورة «النمل»

سورة «النمل»: هي السورة «السابعة والعشرون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة: «الشعراء»^(١)، عدد آياتها خمس وتسعون في عد الحجاز، وأربع في عد الشام، والبصرة، وثلاث في عد الكوفة، كلماتها ألف ومائة وتسع وأربعون. وحروفها أربعة آلاف وسبعمائة وتسع وتسعون^(٢). والآيات المختلف فيها: {وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ} [النمل: ٣٣]، {مِنْ قَوَارِيرٍ} [النمل: ٤٤]، مجموع فواصل آياتها «من»^(٣).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة النمل»:

اشتهرت تسميتها باسم «سورة النمل»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وكتب السنة، وسميت بذلك؛ لاشتغالها على مناظرة النمل سليمان في قوله: {حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [النمل: ١٨].

قال المهامبي: "سميت سورة النمل لاشتغالها على مقالتها، الدالة على علم الحيوان بنزاهة الأنبياء وأتباعهم، عن ارتكاب المكاره عمداً. وهو مما يوجب الثقة بهم، وهو من أعظم مقاصد القرآن"^(٤).

■ ثانياً:- اسمها الاجتهادية:

١- سورة سليمان

سماها بذلك أبو بكر بن مجاهد^(٥)، وذكرها السيوطي في «الإتقان»^(٦) و«معترك الأقران»^(٧)، كما ذكرها الالوسي^(٨) وابن عاشور^(٩)، في تفسيرهما.

وأما تسميتها: «سورة سليمان»؛ فلأن ما ذكر فيها من ملك سليمان مفصلاً لم يذكر مثله في غيرها. روي عن عكرمة، قال: "قال ابن عباس: كل سلطان في القرآن حجة ونزع الآية التي في سورة سليمان {أو ليأتيني بسلطان} قال: وأي سلطان كان للهدد"^(١٠).

وروي عن أحمد بن يحيى، عن القعنبى، قال: قيل لمالك بن أنس: كيف قرأتم في سورة سليمان: {ما لى لا أرى الهدد} [النمل: ٢٠]، مرسله الياء، وقرأتم في سورة يس: {وما لى لا أعبد} [يس: ٢٢] منتصبه الياء؟ قال: فذكر مالك كلاماً، ثم قال: لا تدخل على كلام ربنا لم وكيف، وإنما هو سماع وتلفين، أصغر عن أكابر، والسلام"^(١١).

٢- سورة الهدد

وتسمى بـ«سورة الهدد»، ذكرها ابن العربي في أحكام القرآن^(١٢). وسبب تسميتها بذلك، ان لفظ الهدد لم يذكر في سورة من القرآن غيرها.

(١) انظر: الكشاف: ٣/٤٦٦، وبيان المعاني، عبد القادر بن ملا حويش: ٢/٣٠٨.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٣٤٨.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) تفسير المهامبي: ٢/٩٩.

(٥) انظر: السبعة في القراءات: ٤٧٨.

(٦) انظر: العتقان في علوم القرآن: ١/١٩٤.

(٧) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٣/١٩٨.

(٨) انظر: روح المعاني: ١٠/١٥١.

(٩) انظر: التحرير والتنوير: ١٥/٣١.

(١٠) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: ٦/٣٥٠، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير.

(١١) جامع البيان في القراءات السبع (١٤٨): ص ١/١٤٩-١٥٠.

(١٢) انظر: أحكام القرآن: ٣/١٤٤٨.

٣- سورة طس

سماها بها السخاوي^(١)، وذلك لأنها السورة الوحيدة التي انفردت بافتتاحها بالحروف المقطعة «طس» دون غيرها من سور القرآن الكريم.

■ مكية السورة ومدنيتها:

نزلت سورة النمل بمكة. وهذا قول ابن عباس^(٢)، وابن الزبير^(٣).
نص على ذلك كثير من المفسرين ولم يقع خلاف في مكيتها^(٤)، وحكى الفيروزآبادي الإجماع على ذلك^(٥).

■ مناسبة سورة «النمل» مع سورة «الشعراء»:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

- ١- إنها كالتتمة لها، إذ جاء فيها زيادة على ما تقدم من قصص الأنبياء قصص داود وسليمان.
- ٢- إن فيها تفصيلاً وبسطاً لبعض القصص السالفة كقصص لوط وموسى عليهما السلام.
- ٣- إن كليهما قد اشتمل على نعت القرآن وأنه منزل من عند الله.
- ٤- تسليية رسوله صلى الله عليه وسلم على ما يلقاه من أذى قومه وعتنهم، وإصرارهم على الكفر به، والإعراض عنه^(٦).

■ أغراض السورة ومقاصدها

فيما يأتي أهم محاور السورة الكريمة:

- ١- إن مقصود السورة الرئيس -كسائر السور المكية- هو العقيدة: الإيمان بالله، وعبادته وحده، والإيمان بالأخرة، وما فيها من ثواب وعقاب. والإيمان بالوحي، وأن الغيب كله لله، لا يعلمه سواه. والإيمان بأن الله هو الخالق الرازق واهب النعم، وتوجيه القلب إلى شكر نعم الله على البشر. والإيمان بأن الحول والقوة كلها لله، وأن لا حول ولا قوة إلا بالله.
- ثم يأتي القصص لتثبيت هذه المعاني، وتصوير عاقبة المكذبين بها، وعاقبة المؤمنين.
- ٢- إبراز صفة العلم في جو السورة، إذ تظللها في سياقها كله من المطلع إلى الختام، ويمضي سياق السورة كله في هذا الظل؛ علم الله المطلق بالظاهر والباطن، وعلمه بالغيب خاصة. وآياته الكونية التي يكشفها للناس.
- ٣- ومن مقصود السورة وصف القرآن الكريم بالكفاية لهداية الخلق أجمعين، بالفصل بين الصراط المستقيم، وطريق الحائرين، والجمع لأصول الدين، لإحاطة علم منزله بالخفي والمبين، وبشارة المؤمنين، ونذارة الكافرين بيوم اجتماع الأولين والآخرين، وكل ذلك يرجع إلى العلم المستلزم للحكمة.
- ٤- ومن مقاصدها أيضاً: الاعتبار بملك أعظم ملك أوتيته نبي، وهو ملك داود، وملك سليمان عليهما السلام، وما بلغه من العلم بأحوال الطير، وما بلغ إليه ملكه من عظمة الحضارة.
- ٥- ومنها: الإشارة إلى ملك عظيم من العرب، وهو ملك سبأ، وفي ذلك إيماء إلى أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم رسالة تقارنها سياسة الأمة، ثم يعقبها ملك، وهو خلافة النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) انظر: جمال القرآء: ٣٧/١.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٤٠/٦، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٤٠/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) انظر: تفسير القرطبي " ١٣ / ١٥٤، والبحر المحيط في التفسير: ٧ / ٥١.

(٥) بصائر نوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٤٨/١.

(٦) انظر: تفسير المراغي: ١١٨/١٩.

- ٦- ومنها: محاجة المشركين في بطلان دينهم وتزييف آلهتهم وإبطال أخبار كهانهم وعرافيتهم، وسدنة آلهتهم. وإثبات البعث وما يتقدمه من أهوال القيامة وأشراتها.
- ٧- ومنها: موادعة المشركين وإنباؤهم بأن شأن الرسول صلى الله عليه وسلم الاستمرار على إبلاغ القرآن، وإنذارهم بأن آيات الصدق سيُشاهدونها، والله مطلع على أعمالهم.
- ٨- ومنها: بيان فضله سبحانه على عباده بإجابة دعوة المضطر إذا دعاه، وكشفه السوء عنه، وجعل الإنسان خليفة في الأرض. وتذكيره سبحانه عباده بهدأيته لهم في ظلمات البر والبحر، وإرساله الرياح مبشرات بين يدي رحمته.
- ٩- ومنها: تذكيره سبحانه بذاته العلية؛ إذ يبدأ الخلق ثم يعيده، وبرزقه سبحانه وتعالى من السماء والأرض.
- ١٠- ومنها: تنبيهه سبحانه عباده أنه لا يعلم من في السماء والأرض الغيب غيره، وأن أكثر العباد غافلون عن الحقائق الإيمانية التي جاءتهم بها الرسل، وعن الحقائق الكونية التي بثها سبحانه في هذا الكون، وأنهم يتداركون جهلهم عندما يبعثون، ويعلمون ما لم يكونوا علموه من قبل بالعيان، لا بالأفهام.
- ١١- ومنها: أمره سبحانه وتعالى عباده أن يسيروا في الأرض؛ ليعلموا مكانهم فيها، والعبر من أهلها، إذ طغوا، وأكثروا فيها الفساد.
- ١٢- ومنها: تذكير العباد بعلامة من علامات قيام الساعة، وهي خروج دابة من الأرض، التي تُظهر حقيقة المؤمن من الكافر.
- ١٣- ومنها: بيانه سبحانه بالإشارة الواضحة حال الناس يوم الحشر، يوم الهول العظيم يوم البعث، وحالهم يوم الحساب والثواب والعقاب، وحالهم وهم يقدمون على العذاب.
- ١٤- ويأتي ختام السورة بأمر العباد بعبادة الله وحده، الذي بيده الأمر كله، والأمر بحمده سبحانه على ما أعطاهم من نعم لا تُعدُّ ولا تحصى، وإنذار العباد بأنه سبحانه سيربهم آياته القاهرة والباهرة، فيعرفونها، ويومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً، وأنه سبحانه وتعالى ليس بغافل عما يعمل عباده، بل يعلم كل صغيرة وكبيرة، فيجازي كلاً بما عمل، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر^(١).

الناسخ والمنسوخ:

وفيها من المنسوخ آية واحدة، وهي قوله تعالى: {وَأَنْ أُنذِرَ الْفُرْقَانَ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ} [النمل ٩٢]، الآية، نسخ معناها لا لفظها بآية السيف^(٢) وبقايتها محكم^(٣).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ طس سليمان كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وكذب به، وهود وشعيب وصالح وإبراهيم، ويخرج من قبره وهو ينادي: لا إله إلا الله»^(٤).

(١) انظر: إسلام ويب. [موقع الكتروني].

(٢) روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذا منسوخ بآية السيف، انظر: نوسخ القرآن لابن الجوزي: ٥٣٢/٢.

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٣٩.

(٤) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٨٨/٧، والواحدي في التفسير الوسيط (٦٨٣): ص ٣٦٨/٣، وانظر: فضائل القرآن للمستغفري (١١٩٤): ص ٧٨١/٢.

مرراً الكلام عليه وأنه حديث موضوع.

سورة «القصص»

سورة «القصص»: هي السورة «الثامنة والعشرون» في ترتيب المصحف، وهي السورة التاسعة والأربعون في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة «النمل»^(١)، وقبل سورة الإسراء. قال ابن عاشور: "فكانت هذه الطواسين الثلاث متتابعة في النزول كما هو ترتيبها في المصحف، وهي متماثلة في افتتاح ثلاثتها بذكر موسى عليه السلام. ولعل ذلك الذي حمل كتاب المصحف على جعلها متلاحقة"^(٢).

وعدد آياتها: ثمان وثمانون، وكلماتها: ألف وأربعمائة وواحدة. وحروفها: خمسة آلاف وثمانمائة، الآيات المختلف فيها اثنتان: {طسم} [القصص : ١]، {يَسْفُونَ} [القصص : ٢٣]. فواصل آياتها: «لم تر»^(٣).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة القصص»:

اشتهرت تسميتها باسم «سورة القصص»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وقد وردت هذه التسمية عن ابن عباس، وابن الزبير:

- عن ابن عباس قال: "نزلت سورة القصص بمكة"^(٤).

- عن ابن الزبير قال: "أنزلت سورة القصص بمكة"^(٥).

ولا يعرف لهذه السورة اسم آخر غير هذا الاسم. والله أعلم.

■ وجه التسمية:

سميت: «سورة القصص»؛ لاشتغالها عليها في قوله: {فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [القصص : ٢٥] أي: قص موسى على شعيب^(٦)، فهي السورة الوحيدة التي انفردت بذكر موسى - عليه السلام - وسبب هجرته من مصر إلى مدين، وهو المذكور بعد تفصيله بقوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ} [القصص: ٢٥].

وقال القاسمي: "سميت بدلالة قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [القصص: ٢٥] الدال على نجاة من هرب من مكان الأعداء إلى مكان الأنبياء، اعتباراً بقصصهم الدالة على نجاة الهاربين، وهلاك الباقين بمكان الأعداء، من الهلاك"^(٧).

قال ابن عاشور: "فالقصص الذي أضيفت إليه السورة هو قصص موسى الذي قصه على شعيب عليهما السلام فيما لقيه في مصر قبل خروجه منها. فلما حكى في السورة ما قصه موسى كانت هاته السورة ذات قصص لحكاية قصص، فكان القصص متوغلا فيها، وجاء لفظ «القصص» في سورة يوسف، ولكن سورة يوسف نزلت بعد هذه السورة"^(٨).

قال محمود شلتوت: "فهي قصص موسى - عليه السلام - وهو في مصر مع المصريين، وليس قصصه مع فرعون وقومه، ولعل هذا القصص الخاص هنا هو الوجه في تسمية السورة باسم «القصص»"^(٩).

■ ثانياً:- اسمها الإجتهدية:

(١) انظر: الكشاف: ٣/٣٩١، والتحرير والتنوير: ٦١/٢٠

(٢) التحرير والتنوير: ٦١/٢٠.

(٣) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٣٥٣.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/٢٣٤، وعزاه إلى النحاس وابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/٢٣٤، وعزاه إلى مردويه.

(٦) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٣٥٣.

(٧) محاسن التأويل: ٧/٥١٣.

(٨) التحرير والتنوير: ٦١/٢٠.

(٩) إلى القرآن الكريم. محمود شلتوت. دار الهلال. (د. ت) : ص ١١١.

■ الاسم الأول: «سورة طسم»:

وهي تسمية للسورة بما افتتحت به، ولم يستند فيها إلى خبر صحيح عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، أو الصحابة، وقد ذكره يحيى بن سلام^(١)، والسخاوي في جمال القراء^(٢).
وقد روي عن عتبة بن الندر، قال: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأ طسم، حتى إذا بلغ قصة موسى، قال: «إن موسى صلى الله عليه وسلم أجر نفسه ثماني سنين، أو عشرا، على عفة فرجه، وطعام بطنه»^(٣). [ضعيف جدا]

■ الاسم الثاني: «سورة موسى»:

سماها بهذا الاسم: الجمل في "الفتوحات الإلهية"^(٤)، والشربيني في "السراج المنير"^(٥)، ومحمد صديق خان في فتح البيان^(٦)، ومحمد بن عمر نووي الجاوي في مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد^(٧)، وذلك دون نسبته إلى قائل.

والمشهور أن هذه التسمية من الأسماء الإجتهدية لسورة «طه»^(٨)، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.
قال ابن عادل الحنبلي: "ولقائل أن يقول: لم لا سميت: سورة موسى، لاشتغالها على قصة موسى فقط من حين ولد إلى أن أهلك الله فرعون وخسف بقارون، كما سميت: سورة نوح، وسورة يوسف لاشتغالها على قصتهما، ولا يقال: سميت بذلك لذكر القصص فيها في قوله: {فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ} [القصص : ٢٥]، لأن سورة يوسف فيها ذكر القصص مرتين، الأولى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} [يوسف : ٣]، والثانية قوله: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ} [يوسف : ١١١]، فكانت سورة يوسف أولى بهذا الاسم، وأيضا فكانت سورة هود أولى بهذا الاسم، يعني: بسورة القصص؛ لأنه ذكر فيها قصص سبعة أنبياء وهذه ليس فيها إلا قصة واحدة، فكان ينبغي العكس، أن تسمى سورة هود سورة القصص، وهذه سورة موسى"^(٩).

وقال الشربيني: "وتسمى: سورة موسى عليه السلام لاشتغالها على قصته فقط من حين ولد إلى أن أهلك الله تعالى فرعون وخسف بقارون، كما سميت سورة نوح وسورة يوسف لاشتغالها على قصتهما، ولا يقال سميت بذلك لذكر القصص فيها في قوله تعالى: {فلما جاءه وقص عليه القصص} لأن سورة

(١) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٢٥٩/١، ٥٧٧/٢.

(٢) انظر: جمال القراء: ٣٧/١. وانظر: مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير. جمع وتخريج أحمد أحمد البزرا، ومُحَمَّدُ

بن برزق بن الطرهوني، وحكمت بشير ياسين. الطبعة الأولى. مكتبة المؤيد. السعودية. ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م. ٣/ ٣٢٩.

(٣) أخرجه ابن ماجة في السنن(٢٤٤٤):ص٨١٧/٢، وأورده السيوطي في الدر المنثور:٤٠٨/٦، وزاد نسبته إلى البزار

وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه. وروياته فيه «طس».

وضعه البوصيري في الزوائد (٢٦٠/٢): لأن فيه بقية وهو مدلس. وليس لبقية هذا عند ابن ماجة سوى هذا الحديث.

وقال ابن كثير: ٢٠٧/٦: "وهذا الحديث من هذا الوجه ضعيف، لأن مسلمة بن علي وهو الخشني الدمشقي البلاطي ضعيف

الرواية عند الأئمة، ولكن قد روي من وجه آخر، وفيه نظر أيضا".

[حكم الألباني]: ضعيف جدا

(٤) انظر: الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للذائق الخفية. للعلامة الشيخ سليمان بن عمر العجيلي الشافعي المشهور

بالجمل. المتوفى سنة ١٢٠٤ هـ. مطبعة الاستقامة. القاهرة. (د. ت) : ٣/ ٣٣٣.

(٥) انظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: ٧٩/٣.

(٦) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: ٨٥/١٠.

(٧) انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: ١٨٧/٢.

(٨) قال السيوطي، وسماها الهذلي في كامله: سورة موسى، انظر: الإتيان: ١٩٩/١، وانظر: المبسوط في القراءات

العشر: ٢٩٢.

(٩) اللباب في علوم الكتاب: ٢١٢/١٥.

يوسف فيها ذكر القصص مرتين الأولى: {نقص عليك أحسن القصص} والثانية: قوله تعالى: {لقد كان في قصصهم} فكانت سورة يوسف أولى بهذا الاسم، وأيضاً فكانت سورة هود أولى بهذا الاسم، لأنه ذكر فيها قصص سبعة أنبياء وهذه ليس فيها إلا قصة واحدة فكان ينبغي العكس وأن تسمى سورة هود القصص وهذه سورة موسى^(١).

■ الاسم الثالث: «سورة موسى وفرعون»:

وردت هذه التسمية في خبر عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: "إن رب العزة نادى يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي ثم أنزلت هذه الآية في سورة موسى وفرعون {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا} (٢) (٣)".

وهذه التسمية من باب اشتغال السورة على قصة موسى مع فرعون. والله أعلم.

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، أقوال:

أحدها: أنها نزلت بمكة. وهذا قول ابن عباس^(٤)، وابن الزبير^(٥)، والحسن^(٦)، وعطاء^(٧)، وعكرمة^(٨). قال الفيروزآبادي: "السورة مكية بالاتفاق"^(٩).

الثاني: أنها مكية كلها غير آية منها، وهي قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} [القصص : ٨٥]، فإنها نزلت عليه وهو بالجحفة في وقت خروجه للهجرة. وهذا قول ابن عباس أيضاً^(١٠). الثالث: أنها مكية إلا أربع آيات منها نزلت بالمدينة؛ وهي قوله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ} [القصص : ٥٢] إلى قوله: {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبِّئُكُمْ بِالْجَاهِلِينَ} [القصص : ٥٥]، وفيها آية ليست بمكية ولا مدنية قوله: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} [القصص : ٨٥]، نزلت بالجحفة أثناء الهجرة. وهذا قول مقاتل^(١١).

قال ابن عاشور: "هي مكية في قول جمهور التابعين، وفيها آية: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} [القصص : ٨٥]. قيل: نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في الجحفة في طريقه إلى المدينة للهجرة تسلياً له على مفارقة بلده. وهذا لا ينافي أنها مكية لأن المراد بالمكي ما نزل قبل حلول النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة كما أن المراد بالمدني ما نزل بعد ذلك ولو كان نزوله بمكة"^(١٢).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- إنه سبحانه بسط في هذه السورة ما أوجز في السورتين قبلها من قصص موسى عليه السلام وفصل ما أجمله هناك، فشرح تربية فرعون لموسى وذبح أبناء بنى إسرائيل الذي أوجب إلقاء موسى حين

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: ٧٩/٣.

(٢) [القصص : ٤٦].

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٤١٨/٦، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن عساكر.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٣٤/٦، وعزاه إلى النحاس وابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٣٤/٦، وعزاه إلى مردويه.

(٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣٧٤/٣.

(٧) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣٧٤/٣.

(٨) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣٧٤/٣.

(٩) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٣٥٣.

(١٠) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣٧٤/٣.

(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٣٤/٣.

(١٢) التحرير والتنوير: ٦١/٢٠.

ولادته في اليم خوفاً عليه من الذبح، ثم ذكر قتله القبطي، ثم فراره إلى مدين وما وقع له مع شعيب من زواجه ببنته، ثم مناجاته لربه.

- ٢- إنه أحمل في السورة السالفة توبيخ المشركين بالسؤال عن يوم القيامة وبسطه هنا أتم البسط.
- ٣- إنه فصل هناك أحوال بعض المهلكين من قوم صالح وقوم لوط، وأجمله هنا في قوله: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَغَتْ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يَنْسُكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ} [القصص: ٥٨]، الآيات.

٤- بسط هناك حال من جاء بالحسنة وحال من جاء بالسيئة، وأوجز ذلك هنا، وهكذا من المناسبات التي تظهر بالتأمل حين قراءة السورتين^(١).

وقال أبو حيان: "مناسبة أول هذه السورة لآخر السورة التي قبلها: أن الله سبحانه أمر نبيه - صلى الله عليه وسلم - بحمده، ثم قال: {سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ} وكان مما فُسرَّ به آياته تعالى معجزات الرسول، وأنه أضافها تعالى إليه، إذ كان هو المخبر بها على قدمه فقال: {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ} إذ كان الكتاب هو أعظم المعجزات، وأكبر الآيات البينات"^(٢).

■ أغراض السورة ومقاصدها

يقوم كيان السورة على قصة موسى وفرعون في البدء، وقصة قارون مع قومه -قوم موسى- في الختام. أولاً:- قصة موسى وفرعون :

١- في هذه القصة تعرض قوة الحكم والسلطان؛ قوة فرعون الطاغية المتجبر اليقظ الحذر، وفي مواجهتها موسى طفلاً رضيعاً، لا حول له ولا قوة، ولا ملجأ له ولا وقاية، وقد علا فرعون في الأرض، واتخذ أهلها شيعاً، واستضعف بني إسرائيل، يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، وهو على حذر منهم، وهو قابض على أعناقهم، كاتم على أنفاسهم، مراقب لحركاتهم، مُحصص عليهم تحركاتهم، كشأن الطغاة في كل عصر ومصر.

بيد أن قوة فرعون وجبروته، وحذره ويقظته، لم تكن لتعني عنه من الله شيئاً، بل لم تكن لتتمكن له من موسى الطفل الصغير، المجرى من كل قوة وحيلة؛ إذ هو في حراسة القوة الحقيقية الوحيدة، ترعاه عين العناية، وتدفع عنه السوء، وتعمي عنه العيون، وتتحدى به فرعون وجنده تحدياً سافراً، فتدفع به إلى جوره، وتدخل به عليه عرينه، وتقتحم به عليه قلب امرأته، وهو مكتوف اليدين إزاءه، مكفوف الأذى عنه، يصنع بنفسه لنفسه ما يحذره ويخشاه!

٢- ذكر سبحانه في هذه السورة قصة موسى وفرعون؛ ليبين للناس أين يكون الأمن، وأين تكون المخافة، ويُعلمهم أن الأمن إنما يكون في جوار الله، ولو فُقدت كل أسباب الأمن الظاهرة التي تعارف عليها الناس، وأن الخوف إنما يكون في البعد عن ذلك الجوار، ولو تظاهرت أسباب الأمن الظاهرة التي تعارف عليها الناس! وساق لهم قصة قارون؛ لتقرر هذه الحقيقة في صورة أخرى وتؤكددها.

قال ابن عاشور: "ويقرب عندي أن يكون المسلمون ودوا أن تفصل لهم قصة رسالة موسى عليه السلام فكان المقصود انتفاعهم بما في تفاصيلها من معرفة نافعة لهم تنظيراً لحالهم وحال أعدائهم. فالمقصود ابتداء هم المسلمون ولذلك قال تعالى: {في أولها نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون} [القصص: ٣] أي: للمؤمنين"^(٣).

ثانياً:- قصة قصة قارون مع قوم موسى:

(١) انظر: تفسير المراغي: ٣٠/٢٠.

(٢) البحر المحيط: ٢٨٥/٨.

(٣) التحرير والتنوير: ٦٣/٢٠.

وهذه القصة تعرض قيمة المال، ومعها قيمة العلم؛ المال الذي يستخف القوم، وقد خرج عليهم قارون في زينته، وهم يعلمون أنه أوتي من المال ما إن مفاتحه لتعبي الأقوياء من الرجال. والعلم الذي يعتز به قارون ويعتر، ويحسب أنه بسببه وعن طريقه أوتي ذلك المال. ولكن الذين أوتوا العلم الصحيح من قومه لا تستخفهم خزائنه، ولا تستخفهم زينته، بل يتطلعون إلى ثواب الله، ويعلمون أنه خير وأبقى. ثم تتدخل يد الله فتخسف به وبداره الأرض، لا يغني عنه ماله، ولا يغني عنه علمه، وتتدخل تدخلاً مباشراً سافراً، كما تدخلت في أمر فرعون، فألقته في اليم هو وجنوده، فكان من المغرقين. وبالجملة: دلت هاتان القصتان على المقاصد الآتية:

١- أنه حين يسود الشر، ويسفر الفساد، ويقف الخير عاجزاً، والصلاح حسيراً، ويُخشى من الفتنة بالبأس والفتنة بالمال، عندئذ تتدخل يد القدرة سافرة متحدية، بلا ستار من الخلق، ولا سبب من قوى الأرض، لتضع حداً للشر والفساد. وهذا من أهم المقاصد التي تقرر هذه السورة.

٢- بين القصتين يجول السياق مع المشركين جولات يبصرهم فيها بدلالة القصص-في سورة القصص- ويفتح أبصارهم على آيات الله المبنوثة في مشاهد الكون تارة، وفي مصارع الغابرين تارة، وفي مشاهد القيامة تارة... وكلها تؤكد العبر المستفادة من القصص، وتساوقها، وتتناسق معها، وتؤكد سنة الله التي لا تتخلف ولا تتبدل على مدار الزمان، واختلاف المكان.

يقول سيد قطب -رحمه الله- ملخصاً مقاصد هذه السورة: "هذه السورة مكية، نزلت والمسلمون في مكة قلة مستضعفة، والمشركون هم أصحاب الحول والطول والجاه والسلطان. نزلت تضع الموازين الحقيقية للقوى والقيم، نزلت تقرر أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود، هي قوة الله، وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون، هي قيمة الإيمان. فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه، ولو كان مجرداً من كل مظاهر القوة، ومن كانت قوة الله عليه فلا أمن له، ولا طمأنينة، ولو ساندته جميع القوى، ومن كانت له قيمة الإيمان فله الخير كله، ومن فقد هذه القيمة، فليس بنافعه شيء أصلاً"^(١).

٣- نوهت السورة بشأن القرآن، وعرضت ببلغاء المشركين، بأنهم عاجزون عن الإتيان بسورة مثله. وفصلت ما أجمل في سورة الشعراء من قول فرعون لموسى: {قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكْ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِئْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩)} [الشعراء : ١٨ - ١٩]، ففصلت سورة القصص كيف كانت تربية موسى في آل فرعون. وبيّنت سبب زوال ملك فرعون.

٤- فصلت السورة ما أجمل في سورة النمل من قوله سبحانه: {إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَتِ كَيْفَ مِنْهَا بَخَبْرٌ أَوْ آتِيكُمْ بِشَهَابٍ مِمْسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} [النمل : ٧]، ففصلت سورة القصص كيف سار موسى وأهله، وأين أنس النار، ووصفت المكان الذي نودي فيه بالوحي، ومن ثم ذكرت دعوة موسى فرعون، فكانت هذه السورة أوعب لأحوال نشأة موسى إلى وقت إبلاغه الدعوة، ثم أجملت ما بعد ذلك؛ لأن تفصيله في سورة الأعراف، وفي سورة الشعراء. والمقصود من التفصيل ما يتضمنه من زيادة المواعظ والعبر.

٥- ومن مقاصد السورة تحدي المشركين بعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وهو أمي لم يقرأ، ولم يكتب، ولا خالط أهل الكتاب، ذيل الله ذلك بتنبية المشركين إليه، وتحذيرهم من سوء عاقبة الشرك، وأنذرهم إنذاراً بليغاً.

٦- فددت السورة قول المشركين: {لَوْلا أَوْتِيَ مِثْلَ مَا أَوْتِيَ مُوسَى} [القصص : ٤٨] من الخوارق، كقلب العصا حية، ثم انتقاضهم في قولهم؛ إذ كذبوا موسى أيضاً. وتحذيرهم بإعجاز القرآن وهدية مع هدي التوراة. وأبطل معاذيرهم، وأنذرهم بما حل بالأمم المكذبة رسل الله، وساق لهم أدلة على وحدانية

(١) في ظلال القرآن: ٥/٢٦٧٣-٢٦٧٤.

الله تعالى، وفيها كلها نعم عليهم، وذكرهم بما سيحل بهم يوم الجزاء، وأنحى عليهم في اعتزازهم على المسلمين بقوتهم ونعمتهم ومالهم، بأن ذلك متاع الدنيا، وأن ما ادخر للمسلمين عند الله خير وأبقى.

٧- أو ماتت السورة إلى اقتراب هجرة المسلمين إلى المدينة، وإلى أن الله مظهرهم على المشركين بقوله: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ} [القصص : ٥].

٨- قررت السورة سنة اجتماعية، وهي إهلاك المكذبين بعد الإنذار والإعذار، كما قال تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَلْقَوْنَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْفَرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ} [القصص : ٥٩].

٩- ألمعت السورة إلى أن البطر وعدم الشكر عاقبته الهلاك: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا قَبْلَكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ يُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ} [القصص : ٥٨]، وهذا كله من السنن التي لا تتخلف.

١٠- عرضت السورة مشهداً من مشاهد يوم القيامة، حين يتخلى الشركاء عن شركائهم على رؤوس الأشهاد، فيبصرهم سبحانه بعذاب الآخرة، بعد أن حذرهم عذاب الدنيا، وبعد أن علمهم أين يكون الخوف، وأين يكون الأمان.

١١- ختمت السورة بوعد من الله لرسوله الكريم، وهو مُخْرَج من مكة، مُطَارَد من المشركين، بأن الذي فرض عليه القرآن لينهض بتكاليفه، لا بد رادّه إلى بلده، ناصره على الشرك وأهله، وقد أنعم عليه بالرسالة، ولم يكن يتطلع إليها، وسينعم عليه بالنصر والعودة إلى البلد الذي أخرج منه المشركون، سيعود آمناً ظافراً مؤيداً^(١).

الناسخ والمنسوخ:

وفيها من المنسوخ آية واحدة، وهي قوله تعالى: {لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ} [القصص : ٥٥]، نسختها آية السيف^(٢).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ طسم القصص أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بموسى وكذب به، ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقاً أن {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}»^(٣).

(١) موقع: [إسلام ويب].

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٤٠.

(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٣٢/٧، وذكره الطبرسي في تفسير مجمع البيان: ٤١٢/٧.

والحديث لم أقف عليه في كتب الأحاديث. وقد أورده الطرابلسي ت ١١٧٧ هـ، في الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع. تحقيق د. مُحَمَّد محمود أحمد بكاء. الطبعة الأولى. مكتبة الطالب الجامعي. الريان. مكة المكرمة. ١٤٠٨ هـ: ١ .٩٨٦/

سورة «العنكبوت»

سورة «العنكبوت»: هي السورة «التاسعة والعشرون» في ترتيب المصحف، وهي السورة الخامسة والثمانون في ترتيب نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة «الروم»^(١)، وقبل سورة الإسراء، في أواخر سنة إحدى قبل الهجرة، وعدد آياتها تسع وستون، بالاتفاق، وكلماتها تسعمائة وثمانون، وحروفها أربعة آلاف ومائة وخمس وتسعون، المختلف فيها ثلاث: {الم (١)} {العنكبوت : ١}، {وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ} {العنكبوت : ٢٩}، {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} {العنكبوت : ٦٥}، وفواصل آياتها «نمر»، على الرأى آية واحدة {قَدِيرٌ} {العنكبوت : ٢٠}^(٢).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة العنكبوت»:

سميت «سورة العنكبوت»؛ لورود اسم «العنكبوت» فيها، حيث ضرب الله سبحانه وتعالى مثلاً للآلهة المزعومة بالعنكبوت والأصنام المنحوتة، قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} {العنكبوت: ٤٦} ^(٣).
عن عكرمة: "جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحنى ظهر الأسود بن عبد يغوث حتى احقوق صدره، فقال: النبي صلى الله عليه وسلم خالي خالي فقال جبريل: دعه عنك فقد كفيته فهو من المستهزئين، قال: وكانوا يقولون سورة البقرة وسورة العنكبوت يستهزئون بها"^(٤).

ولا يعرف لهذه السورة اسم غير هذا الاسم، وذكر البعض باسم: {الم (١) أَحْسِبَ النَّاسُ (٢)} {العنكبوت : ١ - ٢}، دون ذكر أن مطلع السورة هو اسم تسمى به^(٥).

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، أقوال:

أحدها: أنها نزلت بمكة جميعها. وهذا قول ابن عباس^(٦)، وابن الزبير^(٧)، والحسن^(٨)، وعطاء^(٩)، وقتادة^(١٠)، وجابر بن زيد^(١١)، ومقاتل^(١٢).

الثاني: أنها مدنية كلها، وهذا أحد قولي ابن عباس^(١٣)، وقتادة^(١٤).

الثالث: أنها مكية كلها غير آية منها، وهي قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادِ} [القصص : ٨٥]، فإنها نزلت عليه وهو بالجحفة في وقت خروجه للهجرة. وهذا قول ابن عباس أيضا^(١٥).
الرابع: نزلت من أولها إلى رأس العشر بمكة، وبأقيها بالمدينة. قاله هبة الله بن سلامة^(١).

(١) انظر: الكشاف: ٤٣٨/٣.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٣٥٩.

(٣) انظر المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) الدر المنثور: ١٠٤ / ٥، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٥) انظر: جمال القراء: ٣٧/١، وبصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٣٥٩.

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٤٤٩/٦، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٤٤٩/٦، وعزاه إلى مردويه.

(٨) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣٩٨/٣.

(٩) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣٩٨/٣.

(١٠) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣٩٨/٣.

(١١) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣٩٨/٣.

(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٧١/٣.

(١٣) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣٩٨/٣. دون سند.

(١٤) حكاه عنه القرطبي في التفسير: ١٣ / ٣٢٣.

(١٥) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣٧٤/٣.

الخامس: نزلت من أولها إلى رأس العشر بالمدينة، وبقاياها بمكة. وهذا مروى عن ابن عباس^(٢)، وقتادة^(٣)، والشعبي^(٤)، وحكاه ابن الجوزي^(٥).

السادس: أنها نزلت بين مكة والمدينة في طريقه حين هاجر- صلى الله عليه وسلم-. وهذا مروى عن علي بن ابي طالب^(٦)، وحكاه مقاتل^(٧).

قال السمعاني: " وعن علي أنه قال: نزلت بين مكة والمدينة. وهذه رواية غريبة"^(٨).

قال الفيروزآبادي: " السورة مكية إجماعاً"^(٩).

قال ابن عاشور: " هي مكية كلها في قول الجمهور"^(١٠).

■ مناسبة سورة «العنكبوت» مع سورة «القصص»:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- إنه ذكر في السورة السالفة استعلاء فرعون وجبروته، وجعله أهلها شيعاء، وافتتح هذه السورة بذكر المؤمنين الذين فتنهم المشركون، وعذبوهم على الإيمان، دون ما عذب به فرعون بنى إسرائيل تسليية لهم بما وقع لمن قبلهم، وحثا لهم على الصبر، كما قال: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [العنكبوت : ٣].

٢- ذكر في السورة السابقة نجاة موسى من فرعون وهربه منه ثم عوده إلى مصر رسولا نبيا، ثم ظفره من بعد بغرق فرعون وقومه ونصره عليهم نصرا مؤزرا، وذكر هنا نجاة نوح عليه السلام وأصحاب السفينة وإغراق من كذبه من قومه.

٣- نعى هناك على عبدة الأصنام والأوثان، وذكر أنه يفضحهم يوم القيامة على رءوس الأشهاد- وهنا نعى عليهم أيضا وبين أنهم في ضعفهم كضعف بيت العنكبوت.

٤- هناك قص قصص قارون وفرعون، وهنا ذكرهما أيضا، وبين عاقبة أعمالهما.

٥- ذكر هناك في الخاتمة الإشارة إلى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} [القصص : ٨٥]، وفي خاتمة هذه أشار إلى هجرة المؤمنين بقوله: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ} [العنكبوت : ٥٦]^(١١).

■ أغراض السورة ومقاصدها

مقاصد سورة العنكبوت على الجملة هي: الحث على الاجتهاد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والدعاء إلى الله تعالى وحده، من غير تعريج على غيره سبحانه أصلاً؛ لئلا يكون مثل المعرج، مثل العنكبوت؛ فإن ذلك مثل كل من عرج عنه سبحانه، وتعوّض عوضاً منه، فهي سورة ضعف الكافرين، وقوة المؤمنين، وقد ظهر سر تسميتها بالعنكبوت.

(١) انظر: الناس والمنسوخ: ١٤١.

(٢) حكاه عنه القرطبي في التفسير: ٣٢٣ / ١٣.

(٣) انظر: الطبري: ١٤ / ٢٠.

(٤) انظر: تفسير السمعاني: ١٦٥ / ٤.

(٥) انظر: زاد المسير: ٣٩٨ / ٣.

(٦) انظر: تفسير السمعاني: ١٦٥ / ٤، وتفسير القرطبي: ٣٢٣ / ١٣، والتحرير والتنوير: ٢٠٠ / ٢٠.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٧١ / ٣.

(٨) تفسير السمعاني: ١٦٥ / ٤.

(٩) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٣٥٩ / ١.

(١٠) التحرير والتنوير: ١٩٩ / ٢٠.

(١١) انظر: تفسير المراغي: ١٠٩ / ٢٠.

والمحور الرئيس الذي تدور حوله السورة هو محور الإيمان وسياق السورة يمضي حول ذلك المحور ليقدر ثلاثة مقاصد:

الأول: حقيقة الإيمان، وسنة الابتلاء والفتنة، ومصير المؤمنين والمنافقين والكافرين، ثم فردية التبعة، فلا يحمل أحد عن أحد شيئاً يوم القيامة.

الثاني: عرض قصص الأنبياء السابقين، وما تصوره من فتن وعقبات في طريق الدعوات والدعاة، والتهوين من شأنها في النهاية حين تقاس إلى قوة الله. وبيان أن الحق الكامن في دعوة الرسل، هو ذاته الحق الكامن في خلق السماوات والأرض. وكله من عند الله.

الثالث: النهي عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم. وبيان وحدة الدين كله، واتحاده مع دين الإسلام آخر الأديان، الذي يجحد به الكافرون، ويجادل فيه المشركون. وختم السورة بالتهذيب والبشرى والطمأنينة للمجاهدين في الله المهديين إلى سبله.

أما مقاصد السورة على وجه التفصيل، فهي تسير وفق التالي:

- ١- تثبيت المسلمين الذين فتنهم المشركون، وصدوهم عن الإسلام، أو عن الهجرة مع من هاجروا.
- ٢- من الفتن التي ذُكرت في هذه السورة فتنة طول مكث الأعداء وتسلطهم على المؤمنين؛ فربما ينظر الإنسان إلى طول مكث أعداء الله في الأرض، إلى طول مكثهم يتمتعون بالقوة، إلى طول مكثهم وهم الذين يسيطرون مقاليد الأمور، ويسيرونها وفق الوجهة التي تخدم مصالحهم وأغراضهم، فربما يحمله ذلك على أن تُزين له الدنيا، وأن يصد عن سبيل الله، وقد يفتتن بطول مكث الأعداء، فهذه السورة نبهت المؤمن الصادق إلى أن القصد من الفتن تمييز المؤمن الصادق من غير الصادق، {وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ} [العنكبوت : ١١]، {فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت : ٣].

- ٣- وعد الله بنصر المؤمنين، وخذل أهل الشرك وأنصارهم من أهل الكتاب.
- ٤- الأمر بمجافاة المشركين ومفاصلتهم، والابتعاد منهم، ولو كانوا أولي قرى.
- ٥- وجوب صبر المؤمنين على أذى المشركين، وأن لهم في سعة الأرض ما ينجيهم من أذى أهل الشرك.

- ٦- مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن ما عدا الظالمين منهم للمسلمين.
- ٧- أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالثبات على إبلاغ القرآن وشرائع الإسلام.
- ٨- التأسى في ذلك بأحوال الأمم التي جاءت الرسل، وأن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن بدعاً من الرسل، بل جاء بمثل ما جاؤوا به.

- ٩- الاستدلال على أن القرآن الكريم منزل من عند الله؛ بدليل أمية من أنزل عليه صلى الله عليه وسلم. وتذكير المشركين بنعم الله عليهم؛ ليقنعوا عن عبادة ما سواه.

- ١٠- إلزام المشركين بإثبات وحدانيته بأنهم يعترفون بأنه خالق من في السماوات ومن في الأرض.

- ١١- الاستدلال على البعث بالنظر في بدء الخلق، وهو أعجب من إعادته.

- ١٢- إثبات الجزاء على الأعمال، وأن كل نفس توفى بما كسبت، ولا يظلم ربك أحداً.

- ١٣- توعيد المشركين بالعذاب الذي يأتيهم بغتة، وهم يتهمون باستعجاله.

- ١٤- ضرب المثل لاتخاذ المشركين أولياء من دون الله بمثل، وهو بيت العنكبوت؛ ففي هذا المثل إشارة

إلى أن من اعتمد على قوة الأصنام وحفظها عن العذاب كالعنكبوت، اعتمدت على قوة بيتها الذي لا يحتمل مس أدنى الحشرات والرياح، وحفظها عن الحر والبرد. وهذا أتم في الدعوة إلى التوحيد الذي هو أعظم مقاصد القرآن^(١).

(١) موقع: [إسلام ويب].

الناسخ والمنسوخ:

- فيها من المنسوخ آيتان:
- الآية الأولى: قوله تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [العنكبوت: ٤٦]، اختلفوا فيها على قولين:
- أحدهما: أنها نسخت بقوله: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} إلى قوله: {وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة: ٢٩] قاله قتادة^(١)، وابن السائب^(٢).
- عن قتادة، وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ثُمَّ نَسَخَ بِقَوْلِهِ: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ [التوبة: ٢٩] فلا مجادلة أشد من السيف^(٣).
- القول الثاني: أنها ثابتة الحكم: وهو مذهب جماعة منهم ابن زيد^(٤).
- عن مجاهد وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ قَالَ: مَنْ أَدَّى مِنْهُمْ الْجِزْيَةَ فَلَا تَقُلْ لَهُ إِلَّا حَسَنًا^(٥).
- الآية الثانية: قوله تعالى: {وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ} [العنكبوت: ٥٠]، قال هبة الله: "فنسخ الله تعالى معنى الإنذار بآية السيف"^(١).
- قال ابن الجوزي: "زعم بعضهم أنه منسوخ بآية السيف، وهذا لو كان في قوله وما أنا إلا نذير احتمال، فأما هاهنا فلا، لأن هذه الآية أثبتت أنه نذير، ويؤيد إحكامها أنها خبر"^(٧).
- فضائل السورة:
- ومما وردت في فضائل هذه السورة:
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين»^(٨).

(١) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٨٠.

(٢) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٨٠.

(٣) أخرجه ابن الجوزي في "نواسخ القرآن": ١٨٠، أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٨ / ١٧٣٥٥) من طريق: عبد الرزاق، ثنا معمر، عن قتادة به. والنحاس (ص ٢٠٤) من طريق أخرى عن قتادة.

(٤) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٨٠، وتفسير ابن أبي حاتم: (٩/ ٣٠٦٨ / ١٧٣٥٦).

(٥) أخرجه ابن الجوزي في "نواسخ القرآن": ١٨٠-١٨١.

(٦) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٤٠.

(٧) نواسخ القرآن: ١٨١.

(٨) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٦٩/٧، والواحي في التفسير الوسيط (٧٠٧): ص ٤١٢/٣. وقد مرّ الكلام على هذا الحديث وأنه حديث موضوع لا يثبت.

سورة «الروم»

سورة «الروم»: هي السورة «الثلاثون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة «الانشقاق»^(١). عدد آياتها: خمس وستون عند المكيين، وستون عند الباقيين، وكلماتها: ثمانمائة وسبع، وحروفها: ثلاثة آلاف وخمسمائة وثلاثون^(٢).

والآيات المختلف فيها أربع: {الم (١)}، [الروم : ١] {غُلِبَتِ الرُّومُ} [الروم : ٢]، {في بضْعِ سنينَ} [الروم : ٤]، {يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ} [الروم : ٥٥]، فواصل آياتها: «نمر»، على «الراء» آيتان: {قَدِيرٌ}^(٣) في موضعين^(٤).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة الروم»:

اشتهرت تسميتها باسم «سورة الروم»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وسميت سورة الروم لما فيها من ذكر غلبة الروم^(٥).

قال المهامي: "سميت بها لاشتمال قصتها على معجزة تفيد للمؤمنين فرحا عظيما، بعد ترح يسير. فتبطل شماتة أعدائهم. وتدل على أن عاقبة الأمر لهم. وهذا من أعظم مقاصد القرآن"^(٦).

ولا يعرف لهذه السورة اسم غيره، وورد في «جمال القراء»: "{الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢)} [الروم : ١ - ٢]، وتسمى سورة الروم"^(٧).

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة قولان:

أحدهما: أنها مكية جميعا. قاله ابن عباس^(٨)، وابن الزبير^(٩). وهو قول الجمهور^(١٠).

قال ابن الجوزي: "هي مكية كلها بإجماعهم"^(١١).

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية إجماعا"^(١٢).

قال ابن عطية: "هذه السورة مكية. ولا خلاف أحفظه في ذلك"^(١٣).

قال القرطبي: "سورة الروم مكية كلها من غير خلاف"^(١٤).

الثاني: أنها مكية إلا آية واحدة، وهي قوله: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ} [الروم : ١٧]. وهذا قول الحسن^(١٥)، وبه قال الزمخشري^(١٦)، والفخر الرازي^(١)، والبيضاوي^(٢)، وابن جزي^(٣)، وأبو السعود^(٤).

(١) انظر: الكشاف: ٤٦٦/٣.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٣٦٥.

(٣) الأيتان: [الروم : ٥٠، ٥٤].

(٤) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٥) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٣٦٥.

(٦) تفسير المهامي: ١٣٥/٣.

(٧) جمال القراء للسخاوي: ٩١.

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٤٧٨/٦، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٤٧٨/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٤١٥/٣، والمحرم الوجيز: ٣٢٧/٤، وتفسير القرطبي: ١/١٤، وغيرها.

(١١) زاد المسير: ٤١٥/٣.

(١٢) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٣٦٥.

(١٣) المحرم الوجيز: ٣٢٧/٤.

(١٤) تفسير القرطبي: ١/١٤.

(١٥) ذكره عبدالقاهر الجرجاني في درج الدرر: ٢/ ٤٣٥.

(١٦) انظر: الكشاف: ٤٦٦/٣.

قال شهاب الدين: " الاستثناء مبنيّ على قول الحسن وهو خلاف مذهب الجمهور والتفسير المرضي"^(٥).

■ مناسبة سورة «الروم» مع سورة «العنكبوت»:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- إن السورة السابقة بدئت بالجهد وختمت به، فافتتحت بأن الناس لم يخلقوا في الأرض ليناموا على مهاد الراحة، بل خلقوا ليجاهدوا حتى يلاقوا ربهم، وأنهم يلاقون شتى المصاعب من الأهل والأمم التي يكونون فيها، وهذه السورة قد بدئت بما يتضمن نصرة المؤمنين ودفع شماتة أعدائهم المشركين، وهم يجاهدون في الله ولوجهه فكأن هذه متممة لما قبلها من هذه الجهة.

٢- إن ما في هذه السورة من الحجج على التوحيد والنظر في الآفاق والأنفس مفصل لما جاء منه مجملا في السورة السالفة، إذ قال في السالفة: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [العنكبوت : ٢٠]، وهنا بين ذلك، فقال: {أولم يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [الروم : ٩]، وقال: {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الروم : ١١]^(٦).

■ أغراض السورة ومقاصدها

إن المقصد الرئيس لهذه السورة هو الكشف عن الارتباطات الوثيقة بين أحوال الناس، وأحداث الحياة، وماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها، وسنن الكون ونواميس الوجود، وبيان أن كل حركة، وكل حادث، وكل حالة، وكل نشأة، وكل عاقبة، وكل نصر، وكل هزيمة...كلها مرتبطة برباط وثيق، محكومة بقانون دقيق، وأن مرد الأمر فيها كله لله: {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ} [الروم : ٤]، وهذه هي الحقيقة الأولى التي يؤكدها القرآن كله، بوصفها الحقيقة الموجهة في هذه العقيدة، الحقيقة التي تنشأ عنها جميع التصورات والمشاعر والقيم والتقدير، والتي بدونها لا يستقيم تصور ولا تقدير.

وإلى جانب هذا المقصد الرئيس فقد تضمنت السورة جملة من المقاصد، نذكرها على النحو التالي:

١- قمع المشركين من أهل مكة، الذين كانوا يودون انتصار الفرس على الروم؛ وذلك أن الفرس كانوا غير موحدين؛ إذ كانت ديانتهم المجوسية، في حين كان الروم في ذلك الوقت أهل كتاب، وكان دينهم النصرانية، فوجد المشركون من أهل مكة في الحادث فرصة لاستعلاء عقيدة الشرك على عقيدة التوحيد، وفألاً بانتصار ملة الكفر على ملة الإيمان؛ ومن ثم نزلت الآيات الأول من هذه السورة تبشر بغلبة أهل الكتاب من الروم في بضع سنين غلبة يفرح لها المؤمنون، الذين يودون انتصار ملة الإيمان والتوحيد على ملل الشرك والكفر.

٢- تجهيل المشركين بأنهم لا تغوص أفهامهم في الاعتبار بالأحداث، ولا يتفكرون في أسباب نهوض الأمم وانحدارها، ولا يتعظون بهلاك الأمم السالفة المماثلة لهم في الإشرار بالله.

٣- النعي على المشركين إهمالهم النظر في الحياة الآخرة الباقية، وأن علمهم محصور في الحياة الدنيا الزائلة.

(١) انظر: مفاتيح الغيب: ٧٩ / ٢٥.

(٢) انظر: تفسير البيضاوي: ٢٠١ / ٤.

(٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٣٠ / ٢.

(٤) انظر: تفسير أبي السعود: ٤٩ / ٧.

(٥) حاشية الشَّهاب على تفسير البيضاوي، المُسمَّاة: عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوي: ١٠٩-١١٠.

(٦) انظر: تفسير المراغي: ٢٦/٢١.

- ٤- الاستدلال على وحدانيته سبحانه بالآيات الكونية، والمخلوقات الربانية، والربط بين سنة الله في نصر المؤمنين بالدين الحق، والحق الكبير الذي قامت عليه السماوات والأرض وما بينهما.
- ٥- بيان عالمية دعوة الإسلام وارتباطها بأوضاع العالم كله من حولها، واتساع مجالها، فهي ليست مرتبطة بهذه الأرض وحدها، إنما هي مرتبطة كذلك بفطرة هذا الكون ونواميسه الكبرى، وفطرة النفس البشرية وأطوارها، وماضي هذه البشرية ومستقبلها، لا على هذه الأرض وحدها، ولكن أيضاً في عالم الآخرة الوثيق الصلة بها والارتباط.
- ٦- الحث على التمسك بدين الإسلام؛ باعتباره الدين القويم، الذي لا يقبل سبحانه من عباده ديناً غيره؛ لأنه دين فطر الله الناس عليه، ومن ابتغى غيره ديناً، فقد حاول تبديل ما خلق الله، وأنى له ذلك؛ إذ لا تبديل لخلق الله.
- ٧- ضرب الله سبحانه في هذه السورة أمثالاً لإحياء مختلف الأموات بعد زوال الحياة عنها، وإحياء الأمم بعد يأس الناس منها، وأمثالاً لحدوث القوة بعد الضعف، والضعف بعد القوة؛ كل ذلك لبيان قدرته سبحانه، وأنه سبحانه هو القادر على شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.
- ٨- الكشف عما في طبيعة الناس من تقلب لا يصلح أن تقام عليه الحياة، ما لم يرتبطوا بمعيار ثابت لا يدور مع الأهواء، وتصوير حالهم في الرحمة والضر، وعند بسط الرزق وقبضه، إضافة إلى بيان وسائل إنفاق هذا الرزق وتنميته.
- ٩- الربط بين ظهور الفساد في البر والبحر، وعمل الناس وكسبهم، وتوجههم إلى السير في الأرض، والنظر في عواقب المشركين من قبل.
- ١٠- إثبات البعث يوم القيامة، وأنه حق لا ريب فيه، ولا ينكره إلا جاحد بيوم الدين، أو جاهل بهذا الدين.
- ١١- توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الصبر على دعوته، وما يلقاه من الناس فيها، والاطمئنان إلى أن وعد الله حق لا بد أنه آت، فلا يقلقه، ولا يستخفه الذين لا يوقنون. وهو توجيه غير مباشر لحملة هذا الدين في كل زمان ومكان^(١).

الناسخ والمنسوخ:

السورة جميعها محكم غير آية واحدة، وهي قوله تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} [الروم: ٦٠]، زعم السدي: "أنها نسخت بأية السيف"^(٢).

قال ابن الجوزي: "وهذا إنما يصح له أن لو كان الأمر بالصبر عن قتالهم فأما إذا احتمل أن يكون صبراً على ما أمر به أو عما نهى عنه لم يتصور نسخ"^(٣).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «من قرأ سورة الروم كان له من الأجر، عشر حسنات بعدد كل ملك سبح لله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته»^(٤).

(١) موقع: [إسلام ويب].

(٢) نواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٨١.

(٣) نواسخ القرآن لابن: ١٨١.

(٤) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٩١/٧، والواحدي في الوسيط (٧١٧): ص ٣/٤٢٧، وذكره الطبرسي في تفسير مجمع البيان: ٤٢/٧. سبق أن ذكرنا أن هذا حديث موضوع غير ثابت.

سورة «لقمان»

سورة «لقمان»: هي السورة «الواحدة والثلاثون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة «الصفافات»^(١). عدد آياتها ثلاث وثلاثون عند الحجازيين، وأربع عند الباقين. وكلماتها خمسمائة وثمان وأربعون. وحروفها ألفان ومائة وعشر^(٢).

المختلف فيها آيتان: {الم (١)} [لقمان : ١]، {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [لقمان : ٣٢]، فواصل آياتها «ظن مرد» و«مد نظر»، على الدال منها آية واحدة: {غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [لقمان : ١٢]، وعلى الظاء آية: {عَذَابٍ غَلِيظٍ} [لقمان : ٢٤]^(٣).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة لقمان»:

اشتهرت تسميتها باسم «سورة لقمان»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وسميت سورة لقمان لاشتمالها على قصته^(٤).

قال المهامي: "سميت به لاشتمالها على قصته التي تضمنت فضيلة الحكمة وسر معرفة الله تعالى وصفاته، وذم الشرك والأمر بالاخلاق والأفعال الحميدة"^(٥). ولا يعرف لهذه السورة اسم غيره.

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعا. قاله ابن عباس^(٦)، ومقاتل^(٧)، ويحيى بن سلام^(٨)، والزجاج^(٩)، والثعلبي^(١٠)، والواحدي^(١١)، وغيرهم.

قال ابن الجوزي: "هي مكية في قول الأكثرين"^(١٢).

الثاني: أنها مكية إلا آية نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} [لقمان : ٤]، لأن الصلاة والزكاة مدنيتان. وهذا قول الحسن^(١٣).
الثالث: أن السورة مكية، سوى آيتين: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ} [لقمان : ٢٧] إلى آخر الآيتين. وهذا قول عطاء^(١٤).

الرابع: أنها مكية إلا الآيات: [٢٧ و ٢٨ و ٢٩]^(١٥) فمدنية. قاله ابن عباس -في رواية أخرى-^(١٦)، وبه قال الزمخشري^(١٧).

(١) انظر: الكشاف: ٤٨٩/٣.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٣٧٠.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٣٧٠.

(٥) تفسير المهامي: ١٤٣/٢.

(٦) أورده السيوطي فى الدر المنثور: ٥٠٣/٦، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي فى الدلائل.

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣١/٣.

(٨) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٦٦٩/٢.

(٩) انظر: معاني القرآن: ١٩٣/٤.

(١٠) انظر: الكشاف والبيان: ٣٠٩/٧.

(١١) انظر: التفسير الوسيط: ٤٤٠/٣.

(١٢) زاد المسير: ٤٢٩/٣.

(١٣) حكاه عنه ابن الجوزي فى زاد المسير: ٤٢٩/٣. بدون سند.

(١٤) حكاه عنه ابن الجوزي فى زاد المسير: ٤٢٩/٣. بدون سند.

(١٥) وهى الآيات: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

■ مناسبة السورة لما قبلها:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

- ١- إنه تعالى قال في السورة السالفة: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} [الروم : ٥٨]، وأشار إلى ذلك في مفتتح هذه السورة.
- ٢- إنه قال في آخر ما قبلها: {وَلَيُنْزِلُنَّ جَنَّتَهُمْ بَأْيَةً لِيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ} [الروم : ٥٨]، وقال في هذه: {وَإِذَا نُثِلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَكُنَّا مُسْتَكْبِرِينَ} [لقمان : ٧].
- ٣- إنه قال في السورة السابقة: {وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم : ٢٧]، وقال هنا: «{مَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعَثْتُمْ إِلَّا كَفْأَسَ وَاحِدَةً} [لقمان : ٢٨]، ففي كليهما إفادة سهولة البعث.
- ٤- إنه ذكر هناك قوله: {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} [الروم : ٣٣] ، وقال هنا: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلْمِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ} [لقمان : ٣٢]، فذكر في كل من الآيتين قسماً لم يذكره في الآخر^(٣).

■ أغراض السورة ومقاصدها

تضمنت سورة لقمان عدداً من المقاصد، نذكر منها التالي:

- ١- إثبات الحكمة للقرآن الكريم، اللازم منه حكمة منزلته سبحانه في أقواله وأفعاله. وقصة لقمان عليه السلام، المسمى بها السورة، دليل واضح على ذلك.
- ٢- صُدِّرت السورة بالتنويه بهدي القرآن؛ ليعلم الناس أنه لا يشتمل إلا على ما فيه هدى وإرشاد للخير، فلا التفات فيه إلى أخبار الجبابرة وأهل الضلال إلا في مقام التحذير مما هم فيه ومن عواقبه، فكان صدر هذه السورة تمهيداً لقصة لقمان.
- ٣- تسفيه من يتخذ آيات الله هزواً، ويتبع كل ما كان ملهياً عن دين الله وطاعته.
- ٤- بيان قدرة الله في الخلق والإبداع، والإيجاد والإمداد.
- ٥- التنويه بذكر لقمان بأن آتاه الله الحكمة، وأمره بشكر النعمة. وذكر وصاياه وما اشتملت عليه: من التحذير من الإشراك، والأمر ببر الوالدين، ومراقبة الله؛ لأنه عليم بخفيات الأمور، وإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر، والتحذير من الكبر والعجب، والأمر بالاتسام بسمات المتواضعين في المشي والكلام.
- ٦- عالجت السورة قضية العقيدة في نفوس المشركين الذين انحرفوا عن تلك الحقيقة، حقيقة توحيد الخالق وعبادته وحده، وشكر آلائه، واليقين بالأخرة وما فيها من حساب دقيق وجزاء عادل، واتباع ما أنزل الله والتخلي عما عداه من مألوفات ومعتقدات.
- ٧- ذكرت المشركين بدلائل وحدانية الله تعالى وبنعمه عليهم، وكيف أعرضوا عن هديه، وتمسكوا بما ألفوا عليه آباءهم.
- ٨- بينت السورة مزية دين الإسلام، وأنه هو الدين الحق، من تمسك به فقد رشد وفاز، ومن أعرض عنه فقد ضل ضلالاً بعيداً، وخسر خسراناً ميبئاً.

حكيم (٢٧) مَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعَثْتُمْ إِلَّا كَفْأَسَ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩) [لقمان : ٢٧ - ٢٩].

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٠٣/٦، وعزاه إلى النحاس في تاريخه.

(٢) انظر: الكشاف: ٤٨٩/٣.

(٣) انظر: تفسير المراغي: ٢٦/٢١.

- ٩- تضمنت السورة تسليية للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بتمسك المسلمين بالعروة الوثقى، وأنه لا يحزنه كفر من كفروا.
- ١٠- الرد على المعارضين للقرآن في قوله سبحانه: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [لقمان : ٢٧]، وبيان امتداد علم الله سبحانه بلا نهاية، وانطلاق مشيئته في الخلق والإنشاء بلا حدود، وجعل هذا دليلاً كونياً على البعث والإعادة وعلى الخلق والإنشاء.
- ١١- بينت السورة أن قضية الجزاء في الآخرة مرتبطة بقضية الإيمان والكفر.
- ١٢- بيان طبيعة النفس الإنسانية؛ وأنه إذا داهمها الخطر لجأت إليه سبحانه؛ ثم إذا كشف الخطر عنها فمن تلك النفوس من يبقى مستمسكاً بما عاهد الله عليه، ومنهم من يرتد على عقبيه، ويجحد نعمة الله عليه.
- ١٣- بيان أهمية التقوى في حياة الإنسان، وأن الإنسان لا ينفعه يوم الحساب إلا ما قدمه من عمل صالح، ولا يغني عنه يوم الحساب عمل الآخرين، ولو كانوا أقرب الناس إليه.
- ١٤- حُتْمَت السورة بالتحذير من دعوة الشيطان، والتنبيه إلى بطلان ادعاء الكهان علم الغيب، وأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى" (١).

الناسخ والمنسوخ:

- قوله تعالى: {وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ} [لقمان: ٢٣].
- قال ابن الجوزي: "ذهب بعض المفسرين إلى أن هذا منسوخ بأية السيف، وقال بعضهم: نسخ معناها لا لفظها بأية السيف، وهذا ليس بشيء؛ لأنها إنما تضمنت التسليية له عن الحزن، وذلك لا ينافي القتال" (٢).

■ فضائل السورة:

- ومما وردت في فضائل هذه السورة:
- عن ابن عمر-رضي الله عنهما، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " مفاتيح الغيب خمس، ثم قرأ: {إن الله عنده علم الساعة} [لقمان: ٣٤]" (٣).
- عن البراء بن عازب، قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بنا الظهر، فنسمع منه الآية بعد الآيات، من سورة لقمان، والذاريات" (٤).
- عن أبي بن كعب، قال: قال لي رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة لقمان كان له لقمان شفيعاً يوم القيامة، وأعطى من الحسنات عشراً، بعدد من عمل بالمعروف وعمل بالمنكر» (٥).
- وعن الزهري-رضي الله تعالى عنه:- "أكثرنا قرأ سورة لقمان فإن فيها أعاجيب والله أعلم" (٦).

(١) موقع: [إسلام ويب].

(٢) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٨١.

(٣) صحيح البخاري(٤٧٧٨):ص١١٥/٦.

(٤) سنن ابن ماجة(٨٣٠):ص٢٧١/١، وسنن النسائي(٩٧١):ص١٦٣/٢. [حكم الألباني: ضعيف].

(٥) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٠٩/٧، والواحدي في التفسير الوسيط: ٤٤٠/٣. وقد مر أنه حديث موضوع.

(٦) حكاه عنه النسفي في التفسير: ٧٢٣/٢.

سورة «السجدة»

سورة «السجدة»: هي السورة «الثانية والثلاثون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة «المؤمنون»^(١). عدد آياتها تسع وعشرون عند البصريين، وثلاثون عند الباقيين. كلماتها ثلاثمائة وثلاثون. وحروفها ألف وخمسمائة وتسع وتسعون^(٢).

المختلف فيها آيتان: {الم (١)} [السجدة : ١]، {خَلَقَ جَدِيدًا} [السجدة : ١٠]، فواصل آياتها: «ملن» على الميم اثنان: {الم (١)} [السجدة : ١]، و{الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [السجدة : ٦]، وعلى اللام آية: {هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ} [السجدة : ٢٣]^(٣).

- أسماء السورة:
- أولاً:- أسماؤها التوقيفية:
- الاسم الأول: «سورة السجدة»:

اشتهرت تسميتها باسم «سورة السجدة»، لاشتمالها على سجدة التلاوة^(٤). قال ابن عاشور: "أشهر أسماء هذه السورة هو سورة السجدة، وهو أخصر أسمائها، وهو المكتوب في السطر المجعول لاسم السورة من المصاحف المتداولة، وبهذا الاسم ترجم لها الترمذي في «جامعه» وذلك بإضافة كلمة سورة إلى كلمة السجدة. ولا بد من تقدير كلمة الم محذوفة للاختصار إذ لا يكفي مجرد إضافة سورة إلى السجدة في تعريف هذه السورة، فإنه لا تكون سجدة من سجود القرآن إلا في سورة من السور"^(٥).

- الاسم الثاني: «سورة ألم تنزيل»، «ألم تنزيل السجدة»:
- سميت بسورة «ألم تنزيل» في عهد النبي-صلى الله عليه وسلم:-
- عن جابر بن عبد الله: "أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان لا ينام حتى يقرأ «ألم تنزيل»، و«تبارك الذي بيده الملك»^(٦).
- عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم: "كان يقرأ في الصبح يوم الجمعة، بـ«ألم تنزيل» في الركعة الأولى، وفي الثانية: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا}"^(٧)^(٨).
- كما سميت «ألم تنزيل السجدة» في بعض الأحاديث:
- عن ابن عباس، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة: {الم (١) تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ} و {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ}"^(٩).
- ثانياً:- أسماؤها الإجتهدية:
- ١- سورة المضاجع

(١) انظر: الكشاف: ٥٠٦/٣.
(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٣٧٣.
(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٤) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٣٧٣.
(٥) التحرير والتنوير: ٢٠١/٢١.
(٦) أخرجه الترمذي في جامعه (٢٨٩٧): ص ١٦٥/٥.
(٧) [الإنسان : ١].
(٨) صحيح مسلم (٨٨٠): ص ٥٩٩/٢.
(٩) أخرجه مسلم (٨٧٩)، وابن ماجه (٨٢١)، وابو داود (١٠٧٤): ص ٣٠١/٢-٣٠٢. -واللفظ له- والترمذي (٥٢٧). زاد مسلم في روايته: وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين. وهو في "مسند أحمد" (١٩٩٣)، و"صحيح ابن حبان" (١٨٢٠) و (١٨٢١).

وسميت بذلك لوقوع لفظ «المضاجع» فيها في قوله تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [السجدة : ١٦]، وقد وردت هذه الكلمة في سورة النساء، في قوله تعالى: {فَعِظُواهُمْ وَآهَجُواهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ} [النساء : ٣٤]، وفي سورة آل عمران: {قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ} [آل عمران : ١٥٤].

٢- سورة سجدة لقمان

ذكر الطبرسي أنها تسمى أيضاً سورة «سجدة لقمان» لوقوعها بعد سورة لقمان؛ لثلاثين بسورة «حم السجدة»^(١)، أي: كما سموا سورة «حم السجدة» وهي سورة فصلت «سورة سجدة المؤمن» لوقوعها بعد سورة المؤمن^(٢).

٣- سورة المنجية:

سامها خالد بن معدان : المنجية^(٣). وهو حديث مرسل منه، إذ لم يرفعه إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلا يكون بمستند صحيح في تسمية السورة.

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعاً. قاله ابن عباس^(٤)، وابن الزبير^(٥)، ويحيى بن سلام^(٦).

قال ابن الجوزي: "هي مكية بإجماعهم"^(٧).

الثاني: أنها مكية إلا آية واحدة نزلت بالمدينة في الأنصار وهي قوله تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [السجدة : ١٦]. قاله مقاتل^(٨).

الثالث: أنها نزلت بمكة سوى ثلاث آيات: {أَقْمِنَ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنَ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ} [السجدة : ١٨]، إلى تمام الآيات الثلاث. وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً^(٩)، والكلبي^(١٠).

الرابع: أنها مكية إلا من آية (١٦) إلى غاية آية (٢٠)^(١١) فمدنية. قاله صاحب الكشاف^(١٢)، وحكاه ابن الجوزي^(١٣)، والقرطبي^(١٤).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

(١) انظر: مجمع البيان: ٧١/٥.

(٢) انظر: مجمع البيان: ٧١/٥.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى الدارمي. وسوف يأتي الخبر في فضائل السورة.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٤/٦، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٤/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٦٨٤/٢.

(٧) زاد المسير: ٤٣٧/٣.

(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٤٧/٣.

(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٤/٦، وعزاه إلى النحاس.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٤٣٧/٣.

(١١) أي: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} (١٦) قُلْ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) أَقْمِنَ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنَ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ دُوفُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠) [السجدة : ١٦ - ٢٠].

(١٢) انظر: الكشاف: ٥٠٦/٣.

(١٣) انظر: زاد المسير: ٤٣٧/٣.

(١٤) انظر: تفسير القرطبي: ٨٤/١٤.

- ١- اشتمال كل منهما على دلالات الألوهية.
- ٢- إنه ذكر في السورة السالفة دلالات التوحيد، وهو الأصل الأول، ثم ذكر المعاد، وهو الأصل الثاني، وهنا ذكر الأصل الثالث، وهو النبوة.
- ٣- إن هذه السورة شرحت مفاتيح الغيب التي ذكرت في خاتمة ما قبلها، فقوله: {ثُمَّ يَعْزُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} [السجدة : ٥]، شرح لقوله: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} [لقمان : ٣٤]، وقوله: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ} [السجدة : ٢٧]، شرح لقوله: {وَيُنزِلُ الْعَيْثُ} [لقمان : ٣٤]، وقوله: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} [السجدة : ٧]، تفصيل لقوله: {وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ} [لقمان : ٣٤]، وقوله: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ} [السجدة : ٥]، إيضاح لقوله: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا} [لقمان : ٣٤]، وقوله: {إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ} [السجدة : ١٠]، شرح لقوله: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} [لقمان : ٣٤]^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها

فالسورة أساساً تدور حول مقاصد أربعة:

- أ- مقصد الوحي وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم.
 - ب- مقصد الألوهية وصفحتها.
 - ت- مقصد البعث والمصير.
 - ث- مقصد يوم القيامة يُعرض فيه مشهد المؤمنين والمشركون.
- وفيما يأتي بعض تفصيل لهذه المقاصد التي اشتملت عليها هذه السورة:
- ١- التنويه بشأن القرآن؛ لأنه جامع الهدى الذي تضمنته هذه السورة وغيرها؛ ولأن جماع ضلال الضالين هو التكذيب بهذا الكتاب، فانه جعل القرآن هدى للناس، وخص العرب أن شرفهم بجعلهم أول من يتلقى هذا الكتاب، وبأن أنزله بلغتهم، فكان منهم أشد المكذبين بما جاء به، لا جرم أن تكذيب أولئك المكذبين أعرق في الضلالة، وأوغل في فساد الرأي.
 - ٢- الاستدلال على إبطال إلهية أصنام المشركين بإثبات انفراد الله بأنه خالق السماوات والأرض، ومدبر أمورهما.
 - ٣- ذكّر البعث والاستدلال على كيفية بدء خلق الإنسان ونسله، والتمثيل لذلك بإحياء الأرض، مع بيان أن إحياء الأرض كان نعمة على المشركين، غير أنهم لم يقدرُوا تلك النعمة، وكفروا بالمنعم.
 - ٤- الثناء على المصدقين بآيات الله ووعدهم بالجزاء الحسن، والإنكار على الذين جحدوا بآيات الله ولقائه، ووعدهم بالعقاب الأليم، والعذاب المقيم.
 - ٥- التذكير بما حلَّ بالمكذبين السابقين؛ ليكون ذلك عظة للحاضرين، وتهديد لهم بالنصر الحاصل للمؤمنين.
 - ٦- أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن المشركين بالله وآياته تحقيراً لهم، ووعد بانتظار نصره عليهم^(٢).

الناسخ والمنسوخ:

- قوله تعالى: {فَأَعْرَضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ} [السجدة : ٣٠].
- روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نسختها آية السيف فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم [التوبة : ٥]^(١).

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٠٢/٢١.

(٢) موقع: [إسلام ويب].

- عن قتادة قال: "كل شيء في القرآن: "فأعرض عنهم" و"انتظر": منسوخ، نسخته براءة والقتال" (٢).
- فضائل السورة:
- ومما وردت في فضائل هذه السورة:
- عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، " أنه كان يقرأ في الفجر، يوم الجمعة: {الم تنزيل}، و{هل أتى} " (٣).
 - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من صلى أربع ركعات خلف العشاء الآخرة قرأ في الركعتين الأولتين {قل يا أيها الكافرون} و {قل هو الله أحد} وفي الركعتين الأخيرتين {تبارك الذي بيده الملك} {الم تنزيل} السجدة كتبت له كأربع ركعات من ليلة القدر" (٤).
 - عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ {تبارك الذي بيده الملك} و {الم تنزيل} السجدة بين المغرب والعشاء الآخرة فكأنما قام ليلة القدر" (٥).
 - عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ في ليلة {الم تنزيل} السجدة و {يس} و {اقتربت الساعة} و {تبارك الذي بيده الملك} كن له نورا وحرزا من الشيطان ورفع في الدرجات إلى يوم القيامة" (٦).
 - عن المسيب بن رافع رضي الله عنه: " أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {الم تنزيل} تجيء لها جناحان يوم القيامة تظل صاحبها وتقول لا سبيل عليه لا سبيل عليه" (٧).
 - عن خالد بن معدان رضي الله عنه، قال: "اقرأوا المنجية وهي {الم تنزيل} فإنه بلغني أن رجلا كان يقرأها وما هوى شيئا غيرها وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها عليه وقالت: رب اغفر له فإنه كان يكثر قراءتي فشفعها الرب فيه وقال اكتبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة" (٨).
 - عن خالد بن معدان رضي الله تعالى عنه قال: "ان {الم تنزيل} تجادل عن صاحبها في القبر تقول: اللهم ان كنت من كتابك فشفعني فيه وان لم أكن من كتابك فامحني منه وانها تكون كالطير تجعل جناحها عليه فتشفع له فتمنعه من عذاب القبر وفي {تبارك} مثله. فكان خالد رضي الله عنه لا يبيت حتى يقرأ بهما" (٩).
 - عن كعب رضي الله عنه قال: "من قرأ في ليلة {الم تنزيل} السجدة {تبارك الذي بيده الملك} كتب له سبعون حسنة وحط عنه سبعون سيئة ورفع له سبعون درجة" (١٠).
 - عن طاوس رضي الله عنه قال: " {الم تنزيل} و {تبارك الذي بيده الملك} تفضلان على كل سورة في القرآن بستين حسنة" (١١).

(١) انظر: نواسخ القرآن لان الجوزي: ١٨٢.
(٢) أخرجه ابن الجوزي في "نواسخ القرآن": ١٨٢.
(٣) صحيح مسلم (٨٨٠): ص ٥٩٩/٢.
(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٤/٦-٥٣٥، وعزاه إلى ابن نصر والطبراني والبيهقي في سننه.
(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى ابن الضريس.
(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى الدارمي.
(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى الدارمي.
(١٠) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى ابن الضريس والدارمي.
(١١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى الدارمي والترمذي وابن مردويه.

- عن طاوس رضي الله تعالى عنه أنه كان يقرأ {الم تنزيل} السجدة و {تبارك الذي بيده الملك} في صلاة العشاء وصلاة الفجر كل يوم وليلة في السفر والحضر ويقول: من قرأهما كتب له بكل آية سبعون حسنة فضلا عن سائر القرآن ومحيت عنه سبعون سيئة ورفعت له سبعون درجة^(١).
- عن يحيى بن أبي كثير قال: "كان طاوس رضي الله تعالى عنه لا ينام حتى يقرأ هاتين السورتين {تنزيل} و {تبارك} وكان يقول: كل آية منهما تشفع ستين آية يعني تعدل ستين آية"^(٢).
- عن طاوس رضي الله عنه، قال: "ما على الأرض رجل يقرأ {الم تنزيل} السجدة {تبارك الذي بيده الملك} في ليلة إلا كتب الله له مثل أجر ليلة القدر قال حاتم رضي الله عنه: فذكرت ذلك لعطاء رضي الله عنه فقال: صدق طاوس والله ما تركتهن منذ سمعت بهن إلا أن أكون مريضا"^(٣).
- عن علي رضي الله عنه قال: "عزائم سجود القرآن {الم تنزيل} السجدة {الم تنزيل} السجدة {والنجم} و {اقرأ باسم ربك الذي خلق}"^(٤).

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٦/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٦/٦، وعزاه إلى ابن الضريس.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٦/٦، وعزاه إلى الخرائطي في مكارم الأخلاق.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٦/٦، وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن أبي شيبة.

سورة «الأحزاب»

سورة «الأحزاب»: هي السورة «الثالثة والثلاثون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة « آل عمران»^(١). آياتها ثلاث وسبعون. كلماتها ألف ومائتان وثمانون. حروفها خمسة آلاف وسبعمائة وست وتسعون، فواصل آياتها «لا» على اللام منها آية واحدة: {يَهْدِي السَّبِيلَ} [الأحزاب : ٤]^(٢).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة الأحزاب»:

اشتهرت تسميتها باسم «سورة الأحزاب»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وسميت سورة الأحزاب، لاشتمالها على قصة حرب الأحزاب في قوله: {يَحْسُبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا} [الأحزاب : ٢٠]^(٣).

قال المهاميني: "وسميت بها، لأن قصتها معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. متضمنة لنصره بالريح والملائكة. بحيث كفى الله المؤمنين المنافقين، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"^(٤).

قال وهبة الزحيلي: "سميت سورة الأحزاب لاشتمال الكلام فيها على وقعة الخندق أو الأحزاب الذين تجمعوا حول المدينة، من مشركي قريش وغطفان، بالتواطؤ مع المنافقين ويهود بني قريظة، لحرب المسلمين ومحاولة استئصالهم"^(٥).

ولا يعرف لهذه السورة اسم غير اسمها المشهور.

وقال الزحيلي: "كما سميت «الفاضة»، لأنها افتضحت المنافقين، وأبانت شدة إيذائهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أزواجه وتآلبهم عليه في تلك الموقعة"^(٦).

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة قولان:

أحدها: أنها نزلت بالمدينة. قاله ابن عباس^(٧)، وابن الزبير^(٨).

قال ابن الجوزي: "هي مدنية بإجماعهم"^(٩).

قال القرطبي: "سورة الأحزاب مدنية في قول جميعهم. نزلت في المنافقين وإيذائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطعنهم فيه وفي مناكحته وغيرها"^(١٠).

الثاني: أنها مدنية إلا قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} [الأحزاب : ٣٦]، نزلت في تزويج زينب بنت جحش من زيد بن حارثة في مكة. وهذا قول ابن عباس أيضا^(١١).

(١) انظر: الكشاف: ٥١٨/٣.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٣٧٧.

(٣) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٣٧٠.

(٤) تفسير المهاميني: ١٥٢/٢.

(٥) التفسير المنير: ٢٢٥/٢١.

(٦) التفسير المنير: ٢٢٥/٢١.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٥٥٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٥٥٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) زاد المسير: ٤٤٦/٣.

(١٠) تفسير القرطبي: ١١٣/١٤.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٧١/٢٠، أخرج بسنده عن ابن عباس: "قوله: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً...} إلى آخر الآية، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فانكحيه، فقالت: يا رسول الله أوامر في نفسي، فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة...} إلى قوله {ضلالا مبينا}، قالت:

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ووجه اتصالها بما قبلها تشابه مطلع هذه وخاتمة السالفة، فإن تلك ختمت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن الكافرين، وانتظار عذابهم، وهذه بدئت بأمره عليه الصلاة والسلام بالتقوى، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين واتباع ما أوحى إليه من ربه مع التوكل عليه^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها

- اشتملت سورة الأحزاب -كغيرها من سور القرآن- على مقاصد مهمة، وغايات جليلة، نذكر منها:
 - ١- بدأت السورة بتقرير أصل مهم في حياة المؤمن، وهو استشعار القلب لجلال الله، والاستسلام المطلق لإرادته، واتباع المنهج الذي اختاره، والتوكل عليه وحده والاطمئنان إلى حمايته ونصرته وتأييده.
 - ٢- توجيه المؤمنين إلى عدم طاعة الكافرين والمنافقين، وتحمل ما ينالهم منهم من أذى، والتوكل على الله؛ فهو سبحانه نعم الوكيل، وخير النصير.
 - ٣- قررت السورة أصلاً مهماً، وهو أن الإنسان لا يملك أن يتجه إلى أكثر من اتجاه واحد، ولا أن يتبع أكثر من منهج واحد، وإلا نافق، واضطربت خطاه، وأضل السبيل. وما دام لا يملك إلا قلباً واحداً، فلا بد أن يتجه إلى إله واحد، وأن يتبع نهجاً واحداً، وأن يدع ما عداه من مألوفات، وتقاليد، وأوضاع، وعادات.
 - ٤- كون الحق فيما شرع سبحانه من أحكام؛ لا ما اتخذته الناس من عادات وأعراف؛ لأنه سبحانه الخبير بما فيه صلاح العباد عاجلاً وأجلاً، فهو سبحانه الذي يقول الحق ويهدي السبيل .
 - ٥- تضمنت السورة إبطال عادة الظهار، وإبطال عادة التبني، وإبطال آثار المؤاخاة التي تمت في أول الهجرة، وردت الأمر إلى القرابة الطبيعية في الإرث والدين وما إليها.
 - ٦- قررت السورة أن ولاية النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أقوى ولاية، ولأزواجه حرمة الأمهات لهم، وتلك الولاية من جعل الله، فهي أقوى وأشد من ولاية الأرحام.
 - ٧- تحريض المؤمنين على التمسك بما شرع الله لهم؛ لأنه أخذ العهد بذلك على جميع النبيين .
 - ٨- من أهم المقاصد التي تضمنتها السورة التمييز بين المؤمنين والمنافقين. وقد اعتبر المهامي هذا المقصد من أعظم مقاصد القرآن.
 - ٩- الرد على المنافقين أقوالاً شنيعة، قصدوا بها أذى النبي صلى الله عليه وسلم .
 - ١٠- بيان ما أظهره الله من عنايته بنصر المؤمنين على أحزاب أعدائهم من الكفرة والمنافقين في وقعة الأحزاب ودفع كيد المنافقين.
 - ١١- الثناء على صدق المؤمنين وثباتهم في الدفاع عن الدين، ونعمة الله عليهم بأن أعطاهم بلاد أهل الكتاب الذين ظاهروا الأحزاب، ورد عنهم كيد الأحزاب والمهاجمين.
 - ١٢- تخيير أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بين طلب الدنيا، أو طلب الآخرة، وفي ذلك توجيه للمؤمنين إلى إثبات الله ورسوله والدار الآخرة على الحياة الدنيا وزينتها وزخرفها .
 - ١٣- ألمحت السورة إلى فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وفضل آل النبي صلى الله عليه وسلم، وفضائل أهل الخير من المسلمين والمسلمات.

قد رضيته لي يا رسول الله منكحاً؟ قال: "نعم" قالت: إذن لا أعصي رسول الله، قد أنكحت نفسي".
(١) انظر: تفسير المراغي: ١٢٣/٢١.

١٤- بينت السورة أن أمر المؤمنين والمؤمنات مرده إلى الله، فليس لهم منه شيء، وليس لهم في أنفسهم خيرة، إنما هي إرادة الله وقدره، الذي يسير كل شيء، ويستسلم له المؤمن الاستسلام الكامل الصريح.

١٥- تعرضت السورة لبعض الأحكام المتعلقة بالعلاقات الزوجية (الطلاق قبل المساس).

١٦- تنظيم علاقة المسلمين ببيوت النبي وزوجاته، في حياته وبعد وفاته.

١٧- تقرير فرضية الحجاب والجلباب على المرأة المسلمة.

١٨- تهديد المنافقين جراء بثهم الدعايات المغرضة، والأخبار الكاذبة.

١٩- الأمر بالافتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم والتأسي به. وتحريض المؤمنين على ذكر الله، وتنزيهه؛ شكراً له على هديه.

٢٠- تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم عند الله وفي الملائكة، والأمر بالصلاة عليه والسلام.

٢١- وعيد المنافقين الذين يأتون بما يؤذي الله ورسوله والمؤمنين. وتحذير المؤمنين من التورط في ذلك؛ كيلا يقعوا فيما وقع فيه الذين آذوا موسى عليه السلام.

٢٢- أوضحت السورة أن علم الساعة شأن من شؤونه سبحانه، لا علم لأحد بها، والتلويح بأنها قد تكون قريباً.

٢٣- بيان المسؤولية الملقاة على عاتق الإنسان عموماً، وعلى عاتق المسلم بصفة خاصة، وهي التي تنهض وحدها بعبء هذه الأمانة الكبرى. أمانة العقيدة والاستقامة عليها. والدعوة والصبر على تكاليفها، والشريعة والقيام على تنفيذها في أنفسهم وفي الأرض من حولهم^(١).

الناسخ والمنسوخ:

- الآية الأولى: قوله تعالى: {وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ} [الأحزاب: ٤٨]، قال المفسرون: "معناه: لا تجازمهم عليه وتوكل على الله في كفاية شرهم. قالوا: ونسخت آية السيف"^(٢).

- الآية الثانية: قوله تعالى: {لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدُ} [الأحزاب: ٥٢]، قال هبة الله: "وهي من أعاجيب القرآن المنسوخ نسخها الله بآية قبلها في النظم وهي قوله تعالى {يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك} الآية"^(٣).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر»^(٤).

تنبيه:

روى الإمام أحمد عن زر بن حبيش، قال: قال لي أبي بن كعب: كآين تقرأ سورة الأحزاب؟ أو كآين تعدها؟ قال: قلت: ثلاثاً وسبعين آية: فقال: قَطُّ! لقد رأيتها وإنما لتعادل "سورة البقرة"، ولقد قرأنا فيها: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، نکالا من الله، والله عليم حكيم"^(٥).

(١) موقع: [إسلام ويب].

(٢) نواخ القرآن لابن الجوزي: ١٨٢.

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ: ١٤٤.

(٤) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٥/٨، والواحي في التفسير الوسيط: ٤٥٧/٣. وقد مر أنه حديث موضوع غير ثابت.

(٥) المسند (٢١٢٠٧): ص ١٣٤/٣٥.

قال ابن كثير: "ورواه النسائي [في السنن الكبرى برقم (٧١٥٠)] من وجه آخر، عن عاصم - وهو ابن أبي النجود، وهو ابن

قال محققو المسند: "إسناده ضعيف، عاصم بن بهدلة - وإن كان صدوقاً - له أوهام بسبب سوء حفظه، فلا يحتمل تفرده بمثل هذا المتن. وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين غير خلف بن هشام، فمن رجال مسلم"^(١).

قال ابن كثير: "وهو يقتضي أنه قد كان فيها قرآن، ثم نسخ لفظه وحكمه أيضاً"^(٢). وقد تعقب القاسمي قول ابن كثير، فقال: "كان يصح هذا الاقتضاء، لو كان هذا الأثر صحيحاً. أما ولم يخرج أرباب الصحاح، فهو من الضعف بمكان"^(٣).

وفي رواية مصنف عبد الرزاق: «كأين تفرعون سورة الأحزاب؟» قال: قلت: بضعا وثمانين آية قال: "لقد كنا نقرأها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سورة البقرة أو هي أكثر، ولقد كنا نقرأ فيها آية الرجم: «الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة نكالا من الله والله عزيز حكيم»"^(٤).

وروى عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "كانت سورة الأحزاب تُقرأ في زمان النبي صلى الله عليه وسلم مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف، لم يقدر منها إلا على ما هو الآن"^(٥).

قال ابن عاشور تعليقا على هذين الخبرين: "وكلا الخبرين ضعيف السند. ومحمل الخبر الأول عند أهل العلم أن أبياً حدث عن سورة الأحزاب قبل أن يُنسخ منها ما نُسخ. فمنه ما نُسخت تلاوته وحكمه، ومنه ما نُسخت تلاوته خاصة مثل آية الرجم... وإن صح عن أبي ما نُسخ إليه، فما هو إلا أن شيئاً كثيراً من القرآن كان أبي يُلقه بسورة الأحزاب، وهو من سور أخرى من القرآن، مثل كثير من سورة النساء الشبيه ببعض ما في سورة الأحزاب، أغراضاً ولهجة مما فيه ذكر المنافقين واليهود، فإن أصحاب رسول الله لم يكونوا على طريقة واحدة في ترتيب أي القرآن، ولا في عدّ سورته، وتقسيم سورته، ولا في ضبط المنسوخ لفظه. كيف وقد أجمع حفاظ القرآن والخلفاء الأربعة وكافة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم -إلا الذين شذوا- على أن القرآن هو الذي في المصحف، وأجمعوا في عدد آيات القرآن على عدد قريب بعضه من بعض.

وأما خبر عائشة فهو أضعف سنداً، وأقرب تأويلاً؛ فإن صح عنها -ولا أخاله- فقد تحدثت عن شيء نُسخ من القرآن، كان في سورة الأحزاب. وليس بعد إجماع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصحف عثمان مطلب لمطالب.

بهدلة - به. وهذا إسناد حسن ، وهو يقتضي أنه كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه وحكمه أيضا ، والله أعلم". تفسير ابن كثير: ٣٧٥/٦.

(١) مسند أحمد، ط الرسالة: ١٣٤/٣٥. تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون . قال المحققون: "وأخرجه الضياء في "المختارة" (١١٦٦) من طريق عبد الله بن أحمد، بهذا الإسناد! وأخرجه الحاكم ٣٥٩/٤ من طريق أبي النعمان محمد بن الفضل، والبيهقي ٢١١/٨ من طريق سعيد بن منصور، كلاهما عن حماد بن زيد به، وأخرجه الطيالسي (٥٤٠) ، وعبد الرزاق (٥٩٩٠) و (١٣٣٦٣) ، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" ص ٣٢٠، وأحمد بن منيع كما في "إتحاف الخيرة" ١٤١/٨ ، والنسائي في "الكبرى" (٧١٥٠) ، وابن حبان (٤٤٢٨) و (٤٤٢٩) ، والحاكم ٤١٥/٢ و ٣٥٩/٤ والضياء المقدسي في "المختارة" (١١٦٤) و (١١٦٥) من طرق عن عاصم، به. وزاد عند ابن حبان (٤٤٢٩) قصة حك المعوذتين من مصحف ابن مسعود، وقد سلف في "المسند" برقم (٢١١٨١).

(٢) تفسير ابن كثير: ٣٧٥/٦.

(٣) محاسن التأويل: ٤٦/٨.

(٤) مصنف عبد الرزاق (٥٩٩٠): ص ٣٦٥/٣.

(٥) فضائل القرآن للقاسم بن سلام: ٣٢٠، وذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٦٠/٦، وزاد نسبته إلى ابن الأنباري وابن مردويه.

وبعد، فخير أبي بن كعب خبر غريب، لم يؤثر عن أحد من أصحاب رسول الله، فنوقن بأنه دخله وهم من بعض رواته. وهو أيضاً خبر آحاد لا ينتقض به إجماع الأمة على المقدار الموجود من هذه السورة متواتراً". ثم نقل ابن عاشور كلام الزمخشري في هذا الخصوص، قال: "وأما ما يحكى أن تلك الزيادة التي رويت عن عائشة كانت مكتوبة في صحيفة في بيت عائشة، فأكلتها الداجن -أي الشاة- فمن تأليفات الملاحدة والروافض"^(١).

ثم ختم ابن عاشور تعقيبه على هذين الخبرين بالقول: "وضع هذا الخبر ظاهر مكشوف؛ فإنه لو صدق هذا لكانت هذه الصحيفة قد هلكت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أو بعده، والصحابة متوافرون، وحفاظ القرآن كثيرون، فلو تلفت هذه الصحيفة، لم يُتلف ما فيها من صدور الحفاظ. وكون القرآن قد تلاشى منه كثير هو أصل من أصول الروافض؛ ليطعنوا به في الخلفاء الثلاثة، والرافضة يزعمون أن القرآن مستودع عند الإمام المنتظر، فهو الذي يأتي بالقرآن وقر بعير. وقد استوعب قولهم واستوفى إبطاله أبو بكر بن العربي في كتاب «العواصم من القواصم»"^(٢).

(١) التحرير والتنوير: ٢٤٦/٢١-٢٤٧.

(٢) المصدر نفسه: ٢٤٧/٢١.

سورة «سبأ»

سورة «سبأ»: هي السورة «الرابعة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الثامنة والخمسون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد سورة: «لقمان»^(١). عدد آياتها خمس وخمسون في عد الشام، وأربع في عد الباقي. وكلماتها ثمانمائة وثمانون. وحروفها أربعة آلاف وخمسمائة واثنان عشر^(٢). والمختلف فيها آية واحدة: {عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ} [سبأ : ١٥]، فواصل آياتها: «ظن لمدير»^(٣).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة سبأ»:

اشتهرت تسميتها باسم «سورة سبأ»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، سميت سورة سبأ، لاشتمالها على قصة سبأ {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ} [سبأ : ١٥]^(٤).

قال المهايمني: "سميت بها، لتضمن قصتها آية تدل على نعيم الجنة في السعة وعدم الكلفة والخلو عن الآفة وتبديلها بها بالنفك، لمن كفر بالمنعم، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"^(٥). ولا يعرف لهذه السورة اسم غيره.

قال ابن عاشور: "هذا اسمها الذي اشتهرت به في كتب السنة وكتب التفسير وبين القراء ولم أفق على تسميتها في عصر النبوة"^(٦).

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدها: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس^(٧)، وقتادة^(٨)، ويحيى بن سلام^(٩).

قال ابن الجوزي: "هي مكية بإجماعهم"^(١٠).

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية بالاتفاق"^(١١).

الثاني: أنها مكية إلا قوله تعالى: {وَيَرَى الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} {سبأ : ٦}، نزلت في مدينة. وهذا قول الضحاك^(١٢)، وابن السائب^(١٣)، ومقاتل^(١٤)، وبه قال الزمخشري^(١٥).

قال مقاتل: "وَيَرَى الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ بالله- عز وجل-، يعني: مؤمني أهل الكتاب"^(١٦).

(١) انظر: الكشاف: ٥٦٦/٣.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٣٨٢ / ١.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٣٨٢ / ١.

(٥) تفسير المهايمني: ١٦٥/٢.

(٦) التحرير والتنوير: ١٣٣/٢٢.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦٧٣ / ٦، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦٧٣ / ٦، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٩) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٧٤٤/٢.

(١٠) زاد المسير: ٤٨٩/٣.

(١١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٨٢/١.

(١٢) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٤٨٩/٣. بدون إسناد.

(١٣) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٤٨٩/٣. بدون إسناد.

(١٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٤/٣.

(١٥) انظر: الكشاف: ٥٦٦/٣.

(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٤/٣.

قال ابن عاشور: " عن مقاتل أن آية: { وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ }، إلى قوله: { الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ } [سبأ: ٦] نزلت بالمدينة، ولعله بناء على تأويلهم أهل العلم إنما يراد بهم أهل الكتاب الذين أسلموا مثل عبد الله بن سلام. والحق أن الذين أوتوا العلم هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم" (١).

■ مناسبة سورة «سبأ» مع سورة «الأحزاب»:

وجه اتصال سورة «سبأ» بما قبلها:

١- إن الصفات التي أجريت على الله في مفتحتها تشاكل الصفات التي نسبت إليه في مختتم السورة السالفة.

٢- إنه في السورة السابقة ذكر سؤال الكفار عن الساعة استهزاء، وهنا حكى عنهم إنكارها صريحا، وطعنهم على من يقول بالبعث، وقال هنا ما لم يقله هناك (٢).

■ أغراض السورة ومقاصدها

إن المقاصد الكلية التي تضمنتها السورة هي موضوعات العقيدة الرئيسية: توحيد الله، والإيمان بالوحي، والاعتقاد بالبعث. وتفصيل ما تضمنته السورة من مقاصد وفق التالي:

١- إبطال قواعد الشرك وأعظمها إشراك آلهة مع الله، وإنكار البعث، فابتدأ سبحانه السورة بدليل على انفراده تعالى بالإلهية، ونفي الإلهية عن الأصنام، ونفي أن تكون الأصنام شفعاء لعبادها.

٢- التركيز الأكبر في السورة على قضية البعث والجزاء.

٣- إثبات إحاطة علم الله بما في السماوات وما في الأرض، فما يخبر به فهو واقع، ومن ذلك إثبات البعث والجزاء.

٤- إثبات صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به، وصدق ما جاء به القرآن، وأن القرآن شهد به علماء أهل الكتاب.

٥- إلزام الحجة على منكري النبوة.

٦- بيان معجزات داود وسليمان عليهما السلام.

٧- تقرير سنة من سنن الله في عباده، وهي أن النعم التي يمنحها الله عباده، إنما تدوم بشكر المنعم، وشكر المنعم إنما يكون بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، والاهتداء بهديه، وأن النعم تتحول إلى نقم وهلاك، إذا عرض الإنسان عن هدي ربه، بفعله ما نهى الله عنه، وتركه ما أمره الله به، وسلوكه سبيل المفسدين والمكذابين والضالين، كما حصل مع قوم سبأ.

٨- تهديد المشركين وموعظتهم بما حل ببعض الأمم المشركة من قبل، وأن جعلهم شركاء كفران لنعمة الخالق؛ فضرب لهم المثل بمن شكروا نعمة الله واتقوه، فأوتوا خير الدنيا والآخرة، وسخرت لهم الخيرات مثل داود وسليمان، وبمن كفروا بالله فسلطت عليه البلايا في الدنيا، وأعد لهم العذاب في الآخرة مثل سبأ.

٩- التحذير من تغرير الشيطان، وأنه عدو للإنسان.

١٠- بيان أن الإيمان والعمل الصالح - لا الأموال ولا الأولاد - هما قوام الحكم والجزاء عند الله.

١١- بيان أنه ما من قوة في الأرض ولا في السماء تعصم من بطش الله، وما من شفاععة عنده إلا بإذنه.

١٢- وعد المنفقين والمصدقين بالإخلاف.

١٣- تبشير المؤمنين بالنعيم المقيم.

١٤- بيان أن العودة إلى الحياة بعد الممات لتدارك ما فات أمر محال (٣).

(١) التحرير والتنوير: ١٣٣/٢٢.

(٢) انظر: تفسير المراغي: ٥٥/٢٢.

(٣) انظر: إسلام ويب. [موقع إلكتروني].

الناسخ والمنسوخ:

- قوله تعالى: {قُلْ لَا تُسْئَلُونَ عَمَّا أُجْرِمْنَا وَلَا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [سبأ: ٢٥].
قال المفسرون: المعنى: لا تؤاخذون بجرمنا ولا نسأل عما تعملون من الكفر والتكذيب.
والمعنى: إظهار التبري منهم، قالوا: وهذا منسوخ بآية السيف ولا أرى لنسخها وجهاً، لأن مؤاخذه كل واحد بفعله لا يمنع من قتال الكفار^(١).

■ فضائل السورة:

- ومما وردت في فضائل هذه السورة:
 - عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة سبأ لم يبق نبي ولا رسول إلا كان يوم القيامة له رفيقا ومصافحا»^(٢).

(١) نواسخ القرآن، لان الجوزي: ١٨٤.
(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٦٩/٨، والواحدي في التفسير الوسيط (٧٦٧): ٤٨٦/٣. وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت.

سورة «فاطر»

سورة «فاطر»: هي السورة «الخامسة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الثالثة والأربعون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد سورة: «الفرقان»^(١)، عدد آياتها خمس وأربعون عند الأكثرين، وعند الشاميين ست. وكلماتها سبعمائة وسبعون. وحروفها ثلاثة آلاف ومائة وثلاثة وثلاثون^(٢). والمختلف فيها سبع آيات؛ {الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} [فاطر : ٧]، {جَدِيدٌ} [فاطر : ١٦]، {النُّورُ} [فاطر : ٢٠]، {الْبَصِيرُ} [فاطر : ١٩]، {مَنْ فِي الضُّمُورِ} [فاطر : ٢٢]، {أَنْ تَزُولَا} [فاطر : ٤١]، {تَبْدِيلًا} [فاطر : ٤٣]، وفواصل آياتها: «زاد من بز»^(٣).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة فاطر»:

اشتهرت تسميتها باسم «سورة فاطر»، وكتبت في كثير من المصاحف وكتب التفسير، ووجه تسميتها «سورة فاطر» أن هذا الوصف وقع في طالعة السورة، ولم يقع في أول سورة غيرها^(٤). قال القاسمي: "وتسمى هذه السورة سورة «فاطر» لذكر هذا الاسم الجليل والنعمة الجميل في طليعتها"^(٥).

■ ثانياً:- اسمها الإجهادي: «سورة الملائكة»:

ووجه تسميتها «سورة الملائكة» أنه ذكر في أولها صفة الملائكة، ولم يقع في سورة أخرى. قال القاسمي: "سميت بذلك لما جاء فيها من خلق الملائكة، وجعلهم ذوي أجنحة متنوعة في العدد، الدال على عجب صنعه تعالى وباهر قدرته"^(٦).

وقال المهامي: سميت بها لاشتمالها على بيان تفصيل رسالتهم، من جهة أخذهم الفيض عن الله، وإيصاله إلى خلقه، من جهة أو جهتين أو ثلاث أو أكثر، ليشعر أن الرسالة العامة لهم، إذا كانت كذلك، فكيف الرسالة الخاصة؟ مثل إنزال القرآن. فيجوز أن يكون له جهات كثيرة. وقد روي أنه كان لجبريل ستمائة جناح"^(٧).

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدها: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس^(٨)، وقتادة^(٩)، ومقاتل^(١٠)، ويحيى بن سلام^(١١).

قال ابن الجوزي: "هي مكية بإجماعهم"^(١٢).

قال القرطبي: "سورة فاطر مكية في قول الجميع"^(١٣).

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية إجماعاً"^(١).

(١) انظر: الكشاف: ٣/٥٩٥.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٣٨٦.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٥) محاسن التأويل: ١٥٨/٨.

(٦) محاسن التأويل: ١٥٨/٨.

(٧) نقلاً عن: محاسن التأويل: ١٥٨/٨.

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والبخاري وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣/٧، وعزاه إلى عبد الرزاق وابن المنذر.

(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٤٩.

(١١) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٢/٧٧٤.

(١٢) زاد المسير: ٣/٥٠٥.

(١٣) تفسير القرطبي: ١٤/٣١٨.

الثاني: أنها مكية إلا آيتين: {إِنَّ الَّذِينَ يَثْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ} [فاطر: ٢٩] الآية: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ} [فاطر: ٣٢] الآية. حكاها الطبرسي عن الحسن^(٢).

مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها: إنه لما ذكر سبحانه في آخر سابقتها هلاك المشركين وإنزالهم منازل العذاب- لزم المؤمنين حمده تعالى وشكره كما جاء في قوله: {فَقَطَّعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام: ٤٥]^(٣).

■ أغراض السورة ومقاصدها

اشتملت السورة على المقاصد التالية:

- ١- إثبات تفرد الله تعالى بالإلهية، فافتتحت بما يدل على أنه مستحق الحمد على ما أبدع من الكائنات، الدال إبداعها على تفرده تعالى بالإلهية.
- ٢- إثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به، وأنه جاء به الرسل من قبله.
- ٣- إثبات البعث والدار الآخرة.
- ٤- تذكير الناس بإنعام الله عليهم بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد، وما يعبد المشركون من دونه لا يغنون عنهم شيئاً، وقد عبدهم الذين من قبلهم، فلم يغنوا عنهم من الله شيئاً.
- ٥- تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم على ما يلاقيه من قومه من صد لدعوته ورفض لرسالته.
- ٦- كشف نوايا قريش في الإعراض عن اتباع الإسلام؛ لأنهم احتفظوا بعزتهم.
- ٧- إنذار قريش -ومن كان على شاكلتها- أن يحل بهم ما حل بالأمم المكذبة قبلهم.
- ٨- الثناء على الذين تلقوا دعوة الإسلام بالتصديق وبضد حال المكذبين.
- ٩- تذكير الذين أعرضوا عن دعوة الإسلام بأنهم كانوا يودون أن يرسل الله إليهم رسولاً، فلما جاءهم رسول تكبروا واستكفوا واستكبروا وعتوا عتواً كبيراً.
- ١٠- بينت السورة أنه لا مفر للذين أعرضوا عن دعوة الإسلام من حلول العذاب عليهم، فقد شاهدوا آثار الأمم المكذبين من قبلهم، وأن لا يغتروا بإمهال الله إياهم؛ فإن الله لا يخلف وعده.
- ١١- التحذير من غرور الشيطان، والتذكير بعداوته لنوع الإنسان.
- ١٢- بيان موقف الخلق من القرآن؛ فمنهم ظالم لنفسه باتباع هواه، وارتكاب الذنوب والمعاصي، ومنهم مقتصد في عبادة ربه، ومنهم سابق بالخيرات مسارع لنيل الدرجات.
- ١٣- المنة على العباد بحفظ السماء والأرض عن تخلخل الأركان والزوال، فهو سبحانه المتحكم بأمرهما والمسير لشأنهما.
- ١٤- عقوبة الذين يمكرون في الدنيا المكر بهم في الآخرة؛ إذ الجزاء من جنس العمل.
- ١٥- الإخبار بأنه سبحانه لو عامل عباده بالعدل، لم يسلم من عذابه أحد من الإنس والجان، لكنه سبحانه وتعالى عاملهم بإحسانه وفضله^(٤).

الناسخ والمنسوخ:

- قوله تعالى: {إِنَّ أُنْتَ إِلا نَذِيرٌ} [فاطر: ٢٣].

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٨٦/١.

(٢) نقلاً عن روح المعاني (تفسير الألوسي): ٣٣٤/١١.

(٣) انظر: تفسير المراغي: ٥٥/٢٢.

(٤) انظر: إسلام ويب. [موقع إلكتروني].

قال ابن الجوزي: "قال بعض المفسرين: "نسخ معناها بآية السيف، وقد تكلمنا على جنسها وبيننا أنه لا نسخ"^(١).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الملائكة دعته يوم القيامة ثلاث أبواب من الجنة أن ادخل من أي الأبواب شئت»^(٢).
- انتهى الجزء الأول من الكتاب، ويليه الجزء الثاني بإذن الله، وبدايته التعريف بسورة «يس».

(١) نواسخ القرآن: ١٨٥.
(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٩٧/٨، والمستغفري في الفضائل (٨٦٣): ص ٥٩٠/٢، الواحدي في التفسير الوسيط (٧٧١): ٥٠٠/٣. وقد مرَّ أن هذا حديث موضوع لا يثبت بحال.